

الصحيح

من سيرة النبي الأعظم

دراسة وتحليل

جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثالث والعشرون



PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

J. M. Amili

جعفر مرتضى العاملي

الصحيح
من سيرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم

الجزء الثالث

دراسة وتحليل

١٤٠٣ هـ.ق

~~LArab~~
BP75
.2
A44
Juz' 3-4
(RECAP)

الكتاب : ماهو الصحيح فی سيرة النبی الاعظم (ص)
المؤلف : جعفر مرتضی الحسينی العاملی
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف
قم المقدسة ١٤٠٠ هـ ـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلقه أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين والآخرين، إلى قيام يوم الدين...

وبعد:

فهذا هو الجزء الثالث من كتاب: «ما هوالصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم»، أقدمه إلى القراء الأعزّاء على أمل أن يجدوا فيه بغيتهم، وينال رضاهم... مع رجائي الاكيد أن يتحفوني بآرائهم، وملاحظاتهم النافعة...

مع جزيل شكري... وعميق تقديري

جعفر مرتضى العاملي

الباب الخامس

من الهجرة إلى بدر

الفصل الأول: النبي (ص) في المدينة
الفصل الثاني: اعمال تأسيسية في مطلع الهجرة
الفصل الثالث: قضايا وأحداث غير عسكرية
الفصل الرابع: الجهاد في الاسلام
الفصل الخامس: سرايا وغزوات قبل بدر

الفصل الأول:

النبي (ص) في المدينة

ورود النبي (ص) المدينة:

و بعد خمسة عشر يوماً(١) من اقامته صلى الله عليه وآله وسلم في قباء تحرك الى داخل المدينة. وقد اختلف المؤرخون في تاريخ خروجه (ص) من مكة ودخوله المدينة اختلافاً كثيراً، مع اتفاقهم على أنه قد دخل المدينة في اوائل ربيع الأول...

وتقول رواية: إنه (ص) وصل قبل بزوغ الشمس وكان هو وابو بكر يلبسان ثياباً بيضاً متشابهة، فكان يشتبه الأمر على الناس، فيسلمون على أبي بكر، يظنونه النبي (ص)، حتى بزغت الشمس، وأصابت النبي(ص)،فظلل عليه أبو بكر، فعرفه الناس حينئذٍ...

ولكن هذه الرواية غير صحيحة قطعاً؛ فان النبي (ص) قد وصل إلى المدينة في حر الظهيرة، كما نص عليه المؤرخون(٢)...

ولو قيل: لعل المراد: أنه وصلها في طريقه من مكة، حيث عدل إلى قباء، حين الظهيرة...

---

(١)— البحار ج ١٩ ص ١٠٦ عن اعلام الورى، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٥ عن البخاري، وعن مسلم انه اقام ١٤ يوماً، وقيل غير ذلك.

(٢)— راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٦/٣٣٧. وغير ذلك.

فان الجواب هو: ماتقدم من أن أهل المدينة كانوا ياتون كل يوم أفواجاً إلى قباء فيسلمون عليه (ص)...

ومع غض النظر عماتقدم؛ فان شخصية النبي (ص) كانت تدل عليه، وكانت تختلف كثيراً عن شخصية أبي بكر، وقد وصفته أم معبد لزوجها حتى عرفه. وتقدمت صفة أبي بكر على لسان ابنته عائشة... وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك... أضف إلى ذلك كله... أنه قد تقدم: أنه قد ورد أنه صلى الله عليه وآله قد صلى الجمعة وهو في طريقه إلى المدينة، وهذا معناه: أنه قدمها بعد الظهر بقليل، فان المسافة بين قباء والمدينة ـ ليست كبيرة كما هو معلوم.

منزل النبي (ص) في المدينة:

وفي يوم الجمعة ركب صلى الله عليه وآله راحلته، وتوجه إلى المدينة، وعلي عليه السلام معه لايفارقه، يمشي بمشيه. ولايمر ببطن من بطون الانصار إلا قاموا إليه يسألونه أن ينزل عليهم، فيقول: خلوا سبيل الناقة؛ فانها مأمورة...

فانطلقت به، ورسول الله صلى الله عليه وآله واضع لهازمامها، حتى انتهت إلى موضع مسجد النبي صلى الله عليه وآله، فوقفت هناك، وبركت، ووضعت جرانها على الارض. وذلك بالقرب من باب أبي أيوب الانصاري، أفقر رجل بالمدينة(١).

فأدخل أبو أيوب ـ أو أمه ـ الرحل إلى منزلهم، ونزل صلى الله عليه وآله وسلم عنده، وعلي عليه السلام معه، حتى بنى مسجده ومنازله(٢)... فقيل: مكث عند أبي أيوب سنة تقريباً، وقيل سبعة أشهر، وقيل، شهراً

---

(١) ـ البحار ج ١٩ ص ١٢١، وراجع مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٥.

(٢) ـ روضة الكافي ص ٣٣٩/ ٣٤٠ والبحار ج ١٩ ص ١١٦ عنه.

واحداً(١)... ونحن نستقرب هذا الأخير؛ إذ يبعد أن يستمر العمل هذه المدة الطويلة، والأنصار والمهاجرون يعملون في البناء بجد واجتهاد، وهو (ص) يعمل معهم...

أما سائر المهاجرين؛ فقد تنافس فيهم الانصار، حتى افترقوا عليهم بالسهمان(٢)...

ابن سلام والاسلام:

و يقولون: إن عبدالله بن سلام اليهودي لما سمع الضجة، حين قدوم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة، أسرع إليه؛ فلما رآه وسمع كلامه عرف أن وجهه ليس بوجه كذاب(٣).

و يقولون أيضاً: إنه سأله حينئذٍ ثلاث مسائل لا يعلمها إلا نبي، فأجابه عنها، فأسلم. ثم طلب من النبي (ص) أن يسأل اليهود عنه قبل أن يعلموا باسلامه، فسألهم عنه؛ فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، وافضلنا وابن أفضلنا؛ فلما علموا باسلامه، قالوا: شرنا وابن شرنا(٤).

و يقولون أيضاً: إن عبدالله بن سلام هذا هو الذي أنزل الله تعالى فيه: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله، فآمن واستكبرتم(٥)».

---

(١)— البدء والتاريخ ج ٤ ص ١٧٨، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

(٣)— الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ عن أحمد واصحاب السنن والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٨٢ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣ وتلخيصه للذهبي نفس الصفحة.

(٤)— البخاري هامش الفتح ج ٧ ص ٢١٣/٢١٢ برواية ابن سلام نفسه، والاصابة ج ٢ ص ٣٢١، والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٨٢.

(٥)— اسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٣ ص ١٧٦ صحيح البخاري هامش الفتح ج ٧ ص ٩٧ والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٣٨٣ عن بعض المفسرين، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن: ابي يعلى، وابن جرير، والحاكم، ومسلم، والنسائي، وابن المنذر، وابن مردويه، والترمذي، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وابن عساكر.

ونزل فيه أيضاً: «قل كفى بالله شهيداً بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب(١)».

إلى غير ذلك مما لامجال له...

ونحن نسجل هنا: النقاط التالية:

أولاً: إنه عداعن التناقض الظاهر في روايات اسلام ابن سلام، كما لايخفى على من راجعها، فإننا نجد البعض يقول: إنه قد «تاخر اسلامه إلى سنة ثمان، قال قيس بن الربيع، عن عاصم، عن الشعبي، قال: اسلم عبدالله بن سلام قبل وفاة النبي صلى الله عليه وآله بعامين(٢)»...

وقد ضعف العسقلاني هذه الرواية سنداً بقيس بن الربيع، وغلّطها(٣)... ولكننا نقدّر: أن مستنده في ذلك هوالروايات المتقدمة الدالة على أنه أسلم أول الهجرة...

ونحن لانستطيع قبول ذلك منه؛ لأن الشعبي أقرب عهداً من العسقلاني. وقدعيّن لناسنة اسلامه، بشكل يدل على أنه لايرسل الكلام على عواهنه...

وأيضاً... فإنه إذا كانت لابن سلام كل تلك العظمة، فلماذا لم نسمع عنه في تلك السنين الطويلة منذالهجرة، و إلى سنة ثمان أي قول أورأي، أو موقف!! مع أن التاريخ قد ذكر لنا كثيراً من مواقف صغار الصحابة، والذين لم يروا النبي إلا في طفولتهم، فكيف سكت عن هذا الرجل الخطير!!... برأيهم!.

كما أن تضعيف العسقلاني لقيس بن الربيع في غيرمحله... فانه هو

---

(١)— الاصابة ج ٢ ص ٣٢١، والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٣٨٣، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩، عن: ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي شيبة، وابن سعد، وابن المنذر.

(٢)— الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣)— الاصابة ج ٢ ص ٣٢٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٩٧.

نفسه قد نقل توثيقه من قِبل: عفان بن قيس، والثوري، وشعبة، وأبي الوليد، وابن عدي. وأثنى عليه يعقوب وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبوحاتم، وشريك، وابن حبان، والعجلي، وأبو حصين، و يحيى بن سعيد، و معاذ بن معاذ، وابن عيينة، وأبو نعيم وغيرهم(١).

ولكن سرّ الطعن عليه من العسقلاني، أومن غيره هو ما أشار إليه أحمد حيث قال: «كان يتشيع و يخطئ في الحديث(٢)».

نعم... هذا هو سر طعنهم في حديثه، رغم أنهم يذكرون: أن عامة رواياته مستقيمة(٣) والذي يذكر هذا الطعن عليه هو أحمد بن حنبل، وليس ذلك غريباً عنه، فانه قد عاش في زمن المتوكل الناصبي، الذي فعل بابن السكيّت مافعل، لأنه لم يرض بتفضيل ولديه على الحسنين عليهما السلام. وهوالذي أمر الجارية بأن تغنّي نكاية بولده المنتصر، الذي لم يرض تنقصه لأمير المؤمنين علي عليه السلام:.

غار الفتى لابن عمه رأس الفتى في حرأمه

وهوالذي يضرب رجلاً ألف سوط؛ لأنه روى رواية واحدة في فضل علي عليه السلام...

وقد كان لأحمد بن حنبل عند المتوكل هذا منزلة عظيمة، حتى إنه لم يكن يعزل أو يولى أحداً إلا بعد استشارته...

فبماذا استحق أحمد عنده هذه المنزلة العظمى ياترى؟!... وليراجع في هذا المقام كتاب: «بحوث مع أهل السنة والسلفية» للاطلاع على شطر مما يوضح نصب الحنابلة وأهل الحديث...

وثانياً: وأما بالنسبة لآية: وشهد شاهد من بني اسرائيل إلخ... فإننا

---

(١)ـ تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٢ـ٣٩٥.

(٢)ـ تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٩٤.

(٣)ـ تهذيب التهذيب، ترجمة قيس ج ٨

نشير الى مايلي:

الف: قال عكرمة: «وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله: ليس بعبدالله بن سلام، هذه الآية مكية. فيقول: من آمن من بني اسرائيل، فهو كمن آمن بالنبي (ص).» وأقسم مسروق على مثل ماجاء عن عكرمة... وكذلك قال الشعبي أيضاً... وأنكر ذلك أيضاً أبوعمر استناداً إلى نفس حجة عكرمة(١)...

وجعل هذه الآية مدنية استناداً إلى رواية ابن سلام ليس له مايبرره بعد انكار هؤلاء الذين هم أقرب إلى زمن النبي (ص) لذلك، وبعد تصريح الشعبي الآتي وغيره.

باء: لقد روي: أن هذه الآية قدنزلت في ميمون بن بنيامين، في قصة شبيهة بالقصة المنقولة عن ابن سلام تقريباً(٢). وروي عن الزهري، ومجاهد وابن عمر، وسعيدبن جبير، وعمر، وقتادة خلاف ذلك أيضاً؛ فراجع(٣).

جيم: لقد ورد عن الشعبي، أنه قال: مانزل في عبدالله شيئ من القرآن(٤).

دال: ان ظاهر الآية هو أنها خطاب للمشركين الذين استكبروا، مع كون بعض بني اسرائيل قد آمن... ولايناسب أن تكون خطاباً لليهود؛ لأنهم هم أيضاً من بني إسرائيل، وهذا يؤيد ماتقدم عن عكرمة والشعبي، ومسروق، وغيرهم...

---

(١)— الاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٣٨٣، وفتح الباري ج ٧ ص ٩٨، والدرالمنثور ج ٦ ص ٣٩ عن ابن جرير، وعبدبن حميد، وابن أبي حاتم، وابن المنذر.

(٢)— راجع: الدرالمنثور ج ٦ ص ٤٠ عن عبدبن حميد، وفتح الباري ج ٧ ص ٩٨.

(٣)— الدرالمنثور ج ٤ ص ٦٩، وراجع: مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٧.

(٤)— مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٧، وفيه أن سعيدبن جبير قد وافق الشعبي في نفي نزول الآية في ابن سلام، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ وج ٦ ص ٣٩/٤٠ عن ابن المنذر، ودلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٥ عنه، والميزان ج ١١ ص ٣٨٩.

هاء: لقد صرح الطحاوي بأن النبي (ص) لم يصرح بنزولها في ابن سلام، وإنما مالك هو الذي استنبط ذلك (١).

وثالثاً: وأما قوله تعالى: «ومن عنده علم الكتاب»، فنشير إلى:

١ــ أنه قد روي عن الزهري، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وابن عمر، وقتادة، وعمر... مايخالف هذا القول، الذي لم يرد إلا عن جندب، وابن عباس، ومجاهد في احدى الروايتين عنهما...

٢ــ قد تقدم عن الشعبي: أنه لم ينزل في ابن سلام شيئ من القرآن.

٣ــ قد أنكر ذلك أيضاً كل من عكرمة، والحسن، والشعبي، ومحمد بن سيرين، وسعيد بن جبير؛ استناداً إلى أن السورة مكية، واسلام ابن سلام كان بعد (٢)...

٤ــ انهم يقولون: إن عمر بن الخطاب قد اسلم بعد نزول هذه الآية؛ لأنه سمع النبي (ص) يقرؤها مع آيات أخر في صلاته، فانتظر عمر حتى سلّم، فأسرع في أثره واسلم (٣).

٥ــ إننا نجد روايات متواترة تنص على أن المقصود بـ «من عنده علم الكتاب» هو أمير المؤمنين علي عليه السلام، وأنه هو العالم بالتفسير والتأويل، والناسخ والمنسوخ، والحلال والحرام... وهذه الروايات مروية عن:

أبي سعيد الخدري، وابن عباس، ومحمد بن الحنفية، ومحمد الباقر، والسدي، وزيد بن علي، وموسى بن جعفر، وأبي صالح (٤).

---

(١)ــ مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٩.

(٢)ــ مشكل الآثار ج ١ ص ١٣٧ و ١٣٨ والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٣٨٣، والدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن النحاس في ناسخه، وسعيد بن منصور، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، ودلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٥ عن الدر المنثور.

(٣)ــ الدر المنثور ج ٤ ص ٦٩ عن عبد الرزاق، وابن المنذر، عن الزهري.

(٤)ــ راجع: شواهد التنزيل للحسكاني ج ١ ص ٣٠٨ و ٣١٠ و ٣٠٧، ومناقب ابن المغازلي ←

ومن الطريف هنا ماجاء عن أبي صالح، في قوله عزوجل: ومن عنده علم الكتاب، قال: رجل من قريش، هو علي، ولكن لانسميه(١).

لماذا لا تسميه يا أبا صالح؟ ولماذا تكتم الحق، وانت تعلم؟. أليس ذلك خوفاً من الرمي بالتشيع، المساوي للرمي بالزندقه: ثم البلاء والشقاء من اعداء علي وأهل بيته، الذين كانوا هم أصحاب الملك والسلطان؟!.

ومتى تولى آل أحمد مسلم قتلوه أو وصموه بالالحاد(٢).

ملاحظة أخيرة هنا:

هذا... ومما يلفت النظر هنا: أننا نجد هذا الذي تنسب إليه فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، و يدعى زوراً: أنه هو المعني بها نجده على الدوام من أعوان خصوم علي عليه السلام، ومن الممالئين لاعدائه، ولم يبايع له حينما بويع بالخلافة...

ولعل هذا هو السر في الاهتمام بشانه، واظهاره على أنه شخصية لها شأن ومقام، وقدم، بل وفضل، في اثبات صدق النبي، وصحة ماجاء به...

و يذكر أبو رية: أن ابن سلام هذا كان يدخل من اسرائيلياته في الاسلام . هذا... ولايجب أن نخفي: أن بعض الخلفاء، ولاسيما عثمان كانوا يستشيرونه في أمور هامة؛ فيشير عليهم بما يراه... بل كان هو وكعب الاحبار، وغيرهما من زعماء اليهود والنصارى، الذين أظهروا الاسلام... مصدراً للكثير من المواقف الخطيرة في الدولة الاسلامية، وكانا بمثابة مستشارين للهيئة الحاكمة في كثير من الشؤون... و بعد هذا فاننا نسأل الله أن يوفقنا لنشر كتاب يرتبط بأثر أهل الكتاب في السياسة والعقائد، والتفسير، والحديث، والفقه، والتاريخ، وغير ذلك...

الحديث رقم ٣٦١ والخصائص ص ٢٦، وغاية المرام ص ٣٥٧/ و ١٠٤/٣٦٠ عن تفسير الثعلبي، والحبري مخطوط، وعمدة ابن بطريق ص ٦١ ودلائل الصدق ج ٢ ص ١٣٥ عن ينابيع المودة ونقل عن أبي نعيم.

(١)— شواهد التنزيل ج ١ ص ٣١٠.

(٢)— راجع كتاب: حياة الامام الرضا السياسية للمؤلف، فصل سياسة العباسيين ضد العلويين، ورسالة الخوارزمي لأهل نيشابور في مجموعة رسائل الخوارزمي.

الفصل الثاني:

اعمال تأسيسية في مطلع الهجرة...

بداية

وفور وصوله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة باشر بالقيام بأعمال تأسيسية، ترتبط بمستقبل الدعوة الاسلامية... وهذه الاعمال كثيرة، ومتنوعة، ولكننا نكتفي بالاشارة إلى مايلي:

١ــ صلاة الجمعة...

٢ــ تأسيس مسجد قباء. وقد تحدثنا عنها فيماسبق

٣ــ بناء المسجد في المدينة...

٤ــ وضع التار يخ الهجري.

٥ــ المؤاخاة...

٦ــ تحديد نوع ومستقبل العلاقات بين المسلمين... وبينهم وبين غيرهم...

٧ــ موادعة اليهود الذين يعيشون في المنطقة.

وثمة أمور أخرى تصب في هذا الاتجاه. ولربما نشير إليها في ثنايا حديثنا عن السيرة العطرة... فأما بالنسبة للامور الخمسة الأخيرة، فاننا نقول...

١ـ بناء مسجد المدينة:

واشترى النبي (ص)ـ أو وُهِب لهـ موضع المسجد، الذي يقال: إنه كان مربداً ليتيمين من الخزرج، كانا في حجر أسعد بن زرارة، أوغيره... اشتراه ـ على ماقيل ـ بعشرة دنانير...

فأسس المسجد في ذلك الموضع، ونقلوا إليه الحجارة من الحرة، وشارك النبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه في نقلها، الأمر الذي دفع الصحابة إلى الدؤوب في العمل، والجدّ فيه، حتى قال قائلهم:

لئن قعدنا والنبي يعمل ... لذاك منا العمل المضلل

وارتجز المسلمون وهم يبنونه يقولون:

لاعيش إلا عيش الآخرة ... اللهم ارحم الأنصار والمهاجرة

أو نحو ذلك ...

وجعل طوله مئة ذراع في مثلها، أوقريباً من ذلك، وقيل جعله سبعين في ستين... ونحتمل أن يكون كلاهما صحيحاً، وأنه جعله في البناء الأول سبعين في ستين، ثم وسعه في البناء الثاني...

وابتنى الرسول (ص) مساكنه ومساكن أصحابه حول المسجد، وكلٌّ قد شرع له إلى المسجد باباً. وقد سدت الابواب كلها فيما بعد سوى باب أمير المؤمنين عليه السلام، كما سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى...

وقبل أن نمضي في الحديث، لابد من الالتفات إلى بعض مايقال هنا... وهو:

ألف: أبوبكر والعشرة دنانير:

إنهم يقولون: إن أبابكر هوالذي دفع العشرة دنانير ثمن المربد(١)...

---

(١)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥.

ونحن نشك في ذلك .

أولاً: لأن أبابكر لم يكن له القدرة المالية على ذلك ... ولوكانت، فاننا نشك في اقدامه على هذا... وذلك استناداً إلى ما قدمناه في حديث الغار...

وثانياً: لو سلم... فاننا نجد في المقابل رواية تقول: إن أسعد بن زرارة قد عوض اليتيمين نخلاً له في بني بياضة، وفي أخرى: أرضا هما أبو أيوب، وفي ثالثة: معاذ بن عفراء(١).

واحتمل البعض: أن يكون أبوبكر قد دفع الثمن، وأعطى الباقون زيادة عليه براً وصلة(٢)...

ولكن ذلك ليس بأولى من العكس... كما أنه لاينسجم مع التعبير بكلمة: «عوضهما»، الظاهر في كونه ثمناً وعوضاً، لابراً وصلة...

وثالثاً: في صحيح البخاري وغيره: أن الرسول (ص) أرسل إلى ملإمن بني النجار، فقال: يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا.قالوا: لا والله، لانطلب ثمنه إلا من الله(٣).

باء: أحجار الخلافة:

وقد روى الحاكم، عن عائشة، قالت: أول حجر حمله النبي صلى الله عليه وآله وسلم لبناء المسجد، ثم حمل أبوبكر حجراً آخر،(ثم حمل عمر(٤))، ثم حمل عثمان حجراً آخر. فقلت: يا رسول الله، ألا ترى إلى هؤلاء كيف يساعدونك ؟. فقال: يا عائشة، هؤلاء الخلفاء من بعدي... هذا حديث

(١)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢١٥، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤ عن ابن حجر، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٥ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣ و ٣٢٤.

(٣)— صحيح البخاري ط الميمنية ج ١ ص ٥٧ وتاريخ الطبري ط الاستقامة ج ٢ ص ١١٦، والكامل لابن الأثير ط صادر ج ٢ ص ١١٠، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٣.

(٤)— الزيادة من تلخيص المستدرك .

صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه(١).

ولكن هذه الرواية لايمكن أن تصح، فعدا عن تناقض واختلاف نصوصها كما لايخفى على من راجع وقارن، فاننا نذكر:.

أولاً: قال الذهبي، بعد أن ضعف سند الحديث: «لوصح هذا لكان نصاً في خلافة الثلاثة، ولايصح بوجه؛ فان عائشة لم تكن يومئذٍ دخل بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي محجوبة صغيرة، فقولها هذا يدل على بطلان الحديث(٢)».

وقال ابن كثير: «هذا الحديث بهذا السياق غريب جداً(٣)».

وثانياً: وفي مقام الاشكال على حديث سفينة: في احجار الخلافة(٤) قال البخاري في تاريخه: «ابن حبان لم يتابع على الحديث المذكور، لأن عمروعثمان وعلي (كذا) قالوا: لم يستخلف النبي (ص)(٥)».

أي أن هذا الحديث يخالف عقيدة أهل السنة في كون النبي (ص) لم ينص، ولم يستخلف. وبهذا يصححون خلافة أبي بكر... بل لقد قالت عائشة: «لوكان رسول الله مستخلفاً لا استخلف أبابكر وعمر» وصححه الحاكم والذهبي(٦).

وقد ذكر العلامة الاميني في كتابه القيم: «الغدير» ج ٥ ص ٣٥٧—٣٧٥ طائفة كبيرة من كلماتهم الدالة على أن الخلافة انتخابية؛ فهذه الرواية تكون كاذبة على مذهبهم. وهي كاذبة واقعاً أيضاً، لأنه (ص) إنما نص

(١)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٩٦ و ٩٧ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وراجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٥١، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢١٨ وج ٦ ص ٢٠٤ مصرحا بأن ذلك كان فى مسجد المدينة والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٦ و ٦٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٤ و ٣٤٣.

(٢)— تلخيص المستدرك للذهبي، المطبوع بهامش مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٩٧.

(٣)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٣١٨.

(٤)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣.

(٥)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٦.

(٦)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٧٨.

على أمير المؤمنين علي عليه السلام خليفة بعده، والنصوص الدالة على ذلك لا تكاد تحصى، وقد استدل بذلك أمير المؤمنين وصحبه وأهل بيته، وولده، وشيعته من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم وإلى يومنا هذا، ولايكاد يخلو كتاب من تلك النصوص المتضافرة والمتواترة جملة وآحاداً...

وثالثاً: إن هذه الرواية تذكر عثمان في جملة الواضعين للاحجار الأولى... ولكن عثمان— كما يقولون كان حينئذٍ في الحبشة، كما أشار اليه السمهودى— ولم يكن حاضراً في المدينة، ولأجل ذلك حذف السهيلي عثمان من الرواية (١).

ولعل هذا هوالسر في حذفها من نص الحاكم، حين طبع كتابه، لأن الذهبي ذكرها في تلخيصه.

فان عثمان و إن قدم مكة حين بلغهم اسلام اهل مكة، ولكنه عاد إلى الحبشة من جديد، كما يدل عليه قولهم:

ان عثمان قد هاجر الهجرتين إلى الحبشة،(٢) وذكر العسقلاني: أنه بعد أن سمع المسلمون الذين في الحبشة بهجرته(ص) عاد منهم ثلاثون إلى مكة ومنهم ابن مسعود، الذي وصل المدينة في حين كان (ص) يتجهز إلى بدر (٣)...

جيم: عثمان و عمار:

و يقولون: «وكان عثمان بن عفان رجلاً نظيفاً متنظفاً، وكان يحمل اللبنة، فيجا في بها عن ثوبه، فاذا وضعها نفض كمه، ونظر الى ثوبه، فان

---

(١)— راجع وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٥٢.

(٢)— راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٨، والكامل لابن الاثيرج ٣ ص ١٨٥، وفي البدء والتاريخ ج ١ ص ٢٢: أن رقية زوجة عثمان أسقطت علقة في السفينة في هجرتها الأولى إلى الحبشة.

(٣)— فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

أصابه شيئ من التراب نفضه، فنظر إليه علي بن أبي طالب؛ فأنشأ يقول:

لايستوى من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعداً
ومن يرى عن التراب حائداً

فسمعها عمار بن ياسر، فجعل يرتجزها، وهو لايدري من يعني بها، فمر بعثمان، فقال: يا ابن سمية، بمن تعرّض — ومعه جريدة — فقال: لتكفّن، أو لأعترضن وجهك؛ فسمعها النبي (ص)، وهو جالس في ظل بيت أم سلمة — وفي رواية: في ظل بيته — فغضب صلى الله عليه وآله، ثم قال: إن عمار بن ياسر جلدة مابين عينيّ وأنفي، فإذا بلغ ذلك من المرء فقد بلغ، ووضع يده بين عينيه.

فكف الناس عن ذلك، ثم قالوا لعمار. إن النبي (ص) قد غضب فيك، ونخاف أن ينزل فينا القرآن. فقال: أنا أرضيه كما غضب.

فقال: يا رسول الله، مالي ولاصحابك؟ قال: مالك ولهم، قال: يريدون قتلي، يحملون لبنة لبنة، ويحملون علي اللبنتين والثلاث...

فأخذ بيده، فطاف في المسجد، وجعل يمسح وفرته من التراب، ويقول: يا ابن سمية، لايقتلك أصحابي، ولكن تقتلك الفئة الباغية(١)...».

الم يكن عثمان في الحبشة؟!

ولكن... أليس قد قدمنا: أن عثمان لم يكن حاضراً حين بناء المسجد، وانما كان في الحبشة؟!

ولعله لأجل هذا استبدل العسقلاني، والحلبي عثمان بن عفان

---

(١)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٢ تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٥، والاعلاق النفيسة، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٢ وقد ذكره في الغدير ج ٩ ص ٢٢/٢١ و ٢٧ عن مصادر كثيرة جداً، لكنه أخذ منه بعض فقراته، فلابد من مراجعة تلك المصادر الكثيرة لمن أراد المزيد من التحقيق...

بعثمان بن مظعون(١).

ونحن... قبل أن نجيب عن هذا الاشكال لابد من الاشارة إلى ماتقدم من أنه لا مورد له لوقلنا: إنه (ص) بقي سنة أوسبعة أشهر عند أبي أيوب، لأنه كان مشغولا ببناء المسجد و بيوته؛ اذ من الممكن أن يصل الخبر الى المهاجرين في الحبشة، و يأتون إلى المدينة خلال هذه المدة، ومنهم عثمان؛ فيكون عثمان قد شارك في البناء، وجرى ماجرى، و إن لم يشارك في التأسيس، ووضع احجار الخلافة!!...

ولكننا على أي حال... قد استبعدنا بقاء المسلمين هذه المدة الطويلة في بناء مسجده(ص)، وهم يعدون بالعشرات. وقد بايعه منهم في العقبة اكثر من ثمانين من المدنيين.

والجواب الصحيح هناهو: أن الظاهر هو أن قضية عثمان وعمار قد وقعت حين البناء الثاني للمسجد، وذلك بعد عام خيبر، أي في السنة السابعة للهجرة(٢).

و يدل على ذلك.

أولاً: ماورواه البيهقي في الدلائل: لما قتل عمار قال عبدالله بن عمرو بن العاص لأبيه: قد قتلنا هذا الرجل، وقد قال رسول الله فيه ماقال! قال: أي رجل؟ قال: عمار بن ياسر، أما تذكر يوم بنى رسول الله (ص) المسجد؛ فكنا نحمل لبنة لبنة، وعمار يحمل لبنتين، فمر على رسول الله (ص)؛ فقال: تحمل لبنتين وأنت ترحض؟ أما إنك ستقتلك الفئة الباغية، وأنت من أهل الجنة، فدخل عمرو إلى معاوية إلخ...

قال السمهودي بعد ذكر الرواية: «قلت: وهو يقتضي: أن هذا القول لعمار كان في البناء الثاني للمسجد؛ لأن اسلام عمر وكان في

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧١، وهامش السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ ص ١٤٢ عن المواهب اللدنية.

(٢)— وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣٨.

الخامسة(١)».

وروى عبدالرزاق وغيره: أن عمرو بن العاص دخل على معاوية، وأخبره: أنه سمع رسول الله (ص) يقول لعمار: تقتله الفئة الباغية(٢).

ودخل رجلان على معاوية يختصمان برأس عمار فقال لهما عبدالله بن عمرو بن العاص: لتطب نفس كل واحد منكما لصاحبه برأس عمار، فاني سمعت رسول الله (ص) يقول: تقتل عمار الفئة الباغية. فقال معاوية لعمرو: الا تغنى عنا مجنونك هذا؟(٣).

ومعلوم: أنها قضية واحدة في مناسبة واحدة...

وثانياً: لقد ورد في الرواية نفسها مايدل على أنها قد كانت في البناء الثاني؛ وذلك لأنها ذكرت: أنه (ص) كان— يستظل ببيت أم سلمة... ومعلوم أنه صلى الله وآله قد بنى المسجد أولاً، ثم بنى بيوته(٤). كما أنه كان يبني بيوته(ص) بالتدريج عند الحاجة إليها. وأول مابنى بيت سودة وعائشة(٥)، فلا ريب في أنه صلى الله عليه وآله قد بنى بيت أم سلمة بعد بنائه المسجد بمدة طويلة...

---

(١)— وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٣١/٣٣٢ ورواية عمرو وولده لقتل عمار موجودة ايضاً في تذكرة الخواص ص ٩٣ عن ابن سعد في الطبقات والفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ١١٩ و ١٣٠ والثقات لابن حبان ج ٢ ص ٢٩١ وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٣١٣ و ٣١٧ و طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٨٠ و ١٨١ ونقل عن مصنف ابن ابي شيبة ومسند احمد ج ٢ ص ١٦٤ وراجع هامش ص ٣١٣ من انساب الاشراف ج ٢ بتحقيق المحمودي ومناقب الخوارزمي ص ١٦٠.

(٢)— المصنف ج ١١ ص ٢٤٠ وليراجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٩٧، وج ٧ ص ٢٤٢ عن أحمد في المسند والطبراني.

(٣)— انساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٣١٣ ومسند أحمد، في مسند عبدالله بن عمرو وفي هامش الانساب عن مصنف ابن أبي شيبة، وعن فتح الباري وعن مصادر كثيرة...

(٤)— زادالمعاد ج ١ ص ٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧.

(٥)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٦ ووفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٥٨ وفي ٤٦٢: استظهر الشمس الذهبي أنه بنى أولا بيت سودة، ثم لما احتاج إلى منزل عائشة بناه، وهكذا سائر بيوته (ص) بناها في أوقات مختلفة

سر انتصار النبي (ص) لعمار:

يلاحظ: أن المسلمين قد كانوا على درجة من الوعي؛ بحيث كانوا يدركون: أن عملهم هذا ليس لأجل الدنيا، و إنما هو للآخرة... وأن الآخرة هي التي يجب أن يكون لها المقام الأول والأخير في تفكيرهم، واعمالهم ومواقفهم... فان العيش الحقيقي هو عيش الآخرة، بل لاعيش سواه، والخسران المبين هو الخسران فيها...

اللهم لاعيش إلا عيش الآخرة فارحم الأنصار والمهاجرة

وكان انتصار النبي صلى الله عليه وآله لعمار، الذي ملئ إيماناً إلى مشاشه— كما جاءت به الرواية عنه (ص)— وعذب في سبيل الله، ولم يزل ولايزال يعمل من أجل دينه وعقيدته باخلاص ووعي— لقد كان انتصاره له من هذا المنطلق بالذات، حينما تهدده بعض من كان يدل عمله وتصرفاته، وتجافيه عن الغبار والتراب على أنه ليس بالمستوى المطلوب، بل ربما كان للدنيا بالنسبة إليه المقام الأول،— كما ربما يستفيد ذلك البعض ولاسيما من أفعاله اللاحقة فيما بعد...

فانتصر النبي صلى الله عليه وآله لعمار؛ ليدل على أنه منسجم مع جهاده، ومع وعيه واخلاصه لدينه وعقيدته.

هذا... ولابد من التنبيه أخيراً، إلى أن عثمان يحاول أن يعير ويحقر عـمارا بنسبته إلى أمه، حيث قال له: «يابن سمية بمن تعرض؟ إلخ». وأمه هي أول شهيد في الاسلام، قتلت تحت التعذيب من أجل دينها وعقيدتها...

فنجد النبي صلى الله عليه وآله وهو المنتصر لعمار، والمحامي عنه يشير في كلامه لعمار إلى المقام الشامخ لأمه الصابرة المجاهدة سمية؛ فينسبه إليها، و يقول: «يابن سمية لايقتلك أصحابي إلخ...».

لماذا المسجد أولاً:

إن من الملاحظ: أن أول عمل بدأبه صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة هو بناء المسجد... ولعل ذلك يرجع إلى:

ان المسلمين كانوافئتين: مهاجرين وأنصاراً. وتختلف ظروف كلٍ من الفئتين، و أوضاعها النفسية، والمعنوية، والمعيشية، وغير ذلك عن الفئة الأخرى.

والمهاجرون أيضاً كانوا من قبائل شتى، ومستويات مختلفة: فكرياً، واجتماعيا، مادياً،ومعنوياً، وغير ذلك...

وكذلك الأنصار؛ فانهم أيضاً كانوا فئتين متنافستين، لم تزل الحرب بينهما قائمة على ساق وقدم إلى عهد قريب.

فلابد إذن... من إعداد وتربيةٍ نفسية، وخلقية، وفكرية لكل هذه الفئات؛ لتستطيع أن تتعايش مع بعضها البعض، ولتكون في مستوى المسؤولية، التي يؤهلها لها في عملية بناءٍ للمجتمع المتكافل المتماسك الذي هو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد في السهر والحمى.

وليكون هذا المجتمع قادراً على تحمل مسؤولية حماية الرسالة، والدفاع عنها، حينما يفرض عليه أن يواجه تحدي اليهود في المدينة، والعرب والمشركين، بل والعالم بأسره. و يكون لابدو أن تنصهر كل الطاقات والقدرات الفكرية والمادية وغيرها لهذا المجتمع في سبيل خدمة الهدف: الرسالة فقط...

والمسجد هوالذي يمكن فيه تحقيق كل ذلك ؛ إذلم يكن مجرد محل للعبادة فقط. لاغير.. بل كان هوالوسيلة الفضلى للتثقيف الفكري، إن لم نقل انه لايزال حتى الآن أفضل وسيلة لوحدة الثقافة والفكر والرأي، حينما يفترض فيها أن تكون من مصدرٍ واحد، وتخدم هدفاً واحداً في جميع مراحل

الحياة، مع الشعور بالقدسية، والارتباط بالله تعالى...

وهكذا... فإن ذلك يبعد المجتمع المسلم عن الصراعات الفكرية، التى تنشأ عن عدم وجود وحدة موضوعية للثقافة التي يتلقاها أفراده كل على حدة، فتتخالف المفاهيم والافكار والمستويات...

و يظهر نتيجة لذلك أيضاً عدم الانسجام في وضوح الهدف، وفي المشاعر، وفي الاندفاع نحوه... مما يؤثر تأثيراً كبيراً على مسيرة الوصول إليه، والحصول عليه.

أما المدرسة... التي نعرفها اليوم، فهي لا تعطي إلا المفاهيم الجافة، والافكار البعيدة عن واقع الانسان، والتي لا تنسجم مع احتياجاته، ولامع تكوينه النفسي والفكري وغير ذلك... هذا بالاضافة إلى عدم الشعور فيها بالله سبحانه وتعالى، أو الخضوع له.

كما أنها لا تملأ فيه الفراغ العقائدي والفكري، و يبقى عرضة للتيارات والاهواء وفي متناول أيدي المتاجرين بالشعوب عن طريق مايملكونه من وسائل الاعلام الهدامة، وأما استعمال وسائل الاعلام في عملية الاعداد والتربية... فانها بالاضافة إلى ماتقدم تجعل الانسان انطوائياً يفكر تفكيراً شخصياً بشكل عام، وتقلل فيه احساسه بالحاجة إلى الآخرين، و إلى الارتباط بهم... ولا تسهل عليه محبتهم ومودتهم.

وخلاصة الأمر: إن المسجد هو الوسيلة الفضلى للتثقيف، وللتربية النفسية والخلقية والعقائدية... وهو من الجهة الأخرى وسيلة لشيوع الصداقة والمحبة والمودة بين المسلمين. فانه حينما يلتقي المسلمون ببعضهم البعض عدة مرات يومياً، في جو من الشعور—عملاً—بالمساواة والعدل... وحينما تتساقط كل فوارق الجاه والمال، وغيرها... و يبتعد شبح الانانية والغرور عن أفق هذا الانسان... فانه لابدوأن تترسخ حينئذٍ فيما بينهم أواصر المحبة والتآخي والتآلف، و يشعر كل منهم بأنه في مجتمع يبادله الحب والحنان، وأن له إخواناً يهتمون به، و يعيشون قضاياه ومشاكله... ويمكنه أن يستند إليهم،

و يعتمد عليهم... الامر الذي يجعل هذا المسلم يثق بنفسه و بدينه، و بامته. وليكون المثال الحي للمؤمن الصادق الواعي والواثق؛ ولتكون الأمة من ثم خير أمة أخرجت للناس.

ثم إن المسجد... يساعد على تبسيط العلاقات بين أفراد المجتمع الواحد، و يقلل من مشاكل التعامل الرسمي، والتكلفات البغيضة، التي توحي بوجود فوارق ومميزات، بل و حدودٍ تفصل هذا عن ذاك ،و بالعكس...

و إن اهتمام الاسلام بالمسجد إلى هذاالحد،حتى إنه كان أول أعماله (ص) في قباء والمدينة هو تأسيس المسجد... ليدلنا دلالة واضحة على أنه يريد أن نتعامل مع هذه الدنيا،ونستفيد منها من منطلق ديني، فما هي إلا مزرعة للاخرة...فلابـــد وأن تقاد و يستفاد منها من قبل الله، ومن خلال الارتباط به.

وهكـذا...و بـعـد كـل ماتقدم...فاننانعرف: أن النبي(ص)قدأسس المسجد ليكون بمثابة مركز للقيادة والر يادة، ففيه كان صلى الله عليه وآله يستقبل الوفود، وفيه كان يبت في أمور الحرب والسلم. وفيه كانت تفصل الخصومات. وفيه كان البحث عن كل مايهم الدولة وشؤونها، والناس، ومعاملاتهم وارتباطاتهم... وليهب المسجد الناس نفحة روحية، وارتباطـــاً بالله جل و ببعضهم البعض في كل مجالات الحياة، ومنطلقاتها، بعيداً عن النوازع الذاتية، وعن الحساسيات القبلية والعرقية، وعن تأثيرات الفوارق الاجتماعية... وفيه كان يجد الضعيف قوته، والمهموم المغموم سلوته، والذي لاعشيرة له ينسى بل يجد فيـــه عشيرته، والمحروم من العطف والحنان يجد فيه من ذلك بغيته...

وهكذا... فقد كان المسجد موضع عبادة وتعلم وتفهم لما يفيد في أمورالدين والدنيا، وتر بية نفسية وخلقية، ومحلاً للبحث في كل المشاكل التي تهم الفرد والمجتمع، ومكاناً مناسباً للتعارف والتآلف بين المسلمين... إلى غير ذلك مماتقدم...

مشاركة النبي (ص) في بناء المسجد:

ولقد كان المسلمون قادرين على القيام بمهمة بناء المسجد، ولم تكن ثمة حاجة مادية لمشاركته صلى الله عليه وآله... ولكنه (ص) قد آثر المشاركة، في عملية البناء، الامر الذي أثار الحماس لدى المسلمين، فاندفعوا يعملون بجدو نشاط، وقالوا:

لئن قعدنا والنبي يعمل ... لذاك منا العمل المضلل

كما أن هذه المشاركة قد أعطت قيمة خاصة للعمل، وعبرت عن مدى ارتباط النبي صلى الله عليه وآله به وحبه له... وفوق ذلك. فانه قد بين بذلك الخط العام لشخصية القائد في الاسلام... و أنه يجب أن يكون شعوره بالمسؤولية تجاه العمل يتعدى حدود اصدار الأوامر إلى الآخرين، ولاسيما إذا كان ذلك يرتبط بالهدف الأقصى، والمصلحة العليا للاسلام، وللمسلمين...

جماعة خاصة بالنساء:

و يقولون: إنه كان للنساء جماعة خاصة بهم، فكان الرجال يصلون في المسجد. والنساء يصلين في رحبة المسجد بامامة سليمان بن أبي حثمة... وحين تسلم عثمان الخلافة جمع بين الرجال والنساء(١).

فلما كانت خلافة أمير المؤمنين عليه السلام عاد ففصل بين الرجال والنساء، وصار يصلي بالنساء رجل اسمه عرفجة(٢).

ولكن في هذه الروايات اشكالاً، وهو أنها تذكر: أن علياً عليه السلام قد فعل ذلك في قيام شهر رمضان. أي في الصلاة المعروفة بصلاة التراويح...

ومن المعلوم: أن علياً كان يعتبر ذلك بدعة، وكان يمنع عنه(٣)

---

(١)— حياة الصحابة ج ٢ ص ١٧١ عن طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٦.

(٢)— حياة الصحابة ج ٣ ص ١٧١ عن كنزالعمال ج ٤ ص ٢٨٢ عن البيهقي...

(٣)— دلائل الصدق ج ٣ القسم الثاني ص ٧٩.

فكيف يفعله... فالصحيح هو أن ذلك قد كان في الصلوات اليومية، لا في صلاة التراويح.

كانت تلك بعض المعاني التي نستفيدها من عملية بناء المسجد، ولربما نجد الفرصة للتحدث عن ذلك في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى.

٢ـ تحقيق حول مبدأ التاريخ الهجرى
من هو أول من أرّخ بالهجرة النبويّة؟

بداية:

يقول المؤرخون ان اول من ارخ بالهجرة النبوية، هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب... واكثرهم يذكر: ان اختياره الهجرة مبدأ للتاريخ، كان باشارة علي بن ابيطالب، صلوات الله وسلامه عليه...(١).

وبعض منهم يقول: ان المشير عليه بذلك ليس عليا فقط، بل معه بعض الصحابة...(٢).

وثالث يروى: اشارة بعض الصحابة عليه، ولايصرح باسم المشير...(٣).

وبعض رابع: يسكت عن ذكر الاشارة، ويكتفي بذكر: انه اول

---

(١)ـ راجع: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٧٦، والكامل لابن الاثير ط صادر ج ٢ ص ٥٢٦، وتاريخ اليعقوبى ط صادر ج ٢ ص ١٤٥ والتنبيه والاشراف ص ٢٥٢، ومحاضرة الاوائل ص ٢٨ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٣، وفتح البارى ج ٧ ص ٢٠٩، وتاريخ الخلفاء ص ١٣٢ و ص ١٣٨ عن البخارى فى تاريخه، والبحار ج ٥٨ ص ٣٥٠ـ٣٥١ بعد تصحيح ارقام صفحاته، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ١٤٤، عن الطبرى ومجاهد فى تاريخيهما، والبحار ج ٤٠ ص ٢١٨ عنه، وعلي والخلفاء ص ١٤١، واحقاق الحق ج ٨ ص ٢٢٠ عن الوسائل للسيوطى ص ١٢٩، ومحاضرة الاوائل ص ٢٨، وسيأتى جانب من المصادر لذلك فيما يأتى...

(٢)ـ البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٤.

(٣)ـ صبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤١، ومآثر الانافة ج ٣ ص ٣٣٦ وفتح البارى ج ٧ ص ٢٠٩، والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٠ ط صادر.

من ارخ بالهجرة (١).

الحكاية كما يرويها المؤرخون:

ويحكون السبب فى وضع التاريخ على النحو التالى:

قال ابن كثير: «... قال الواقدى: وفى ربيع الاول من هذه السنة— اعنى سنة ست عشرة— كتب عمر بن الخطاب التاريخ. وهو اول من كتبه. قلت: قد ذكرنا سببه فى سيرة عمر، وذلك انه رفع الى عمر صك مكتوب لرجل على آخر بدين، يحل عليه فى شعبان، فقال: اي شعبان؟. أمن هذه السنة، ام التى قبلها، ام التى بعدها؟.

ثم جمع الناس (اي اصحاب النبي—ص—) فقال: ضعوا للناس شيئاً يعرفون به حلول ديونهم... فيقال: انهم اراد بعضهم (الهرمزان...(٢) : ان يؤرخوا كما تؤرخ الفرس بملوكهم، كلما هلك ملك ارخوا من تاريخ ولاية الذى بعده، فكر هوا ذلك.

ومنهم من قال (وهم بعض مسلمى اليهود...(٣) : ارخوا بتاريخ الروم، من زمان اسكندر، فكر هوا ذلك لطوله ايضاً...

---

(١)— الاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٤٦٠ والمحاسن والمساوى ج ٢ ص ٦٨، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨ وج ٢ ص ٢٤١، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٤٤٠ ومآثر الانافة ج ١ ص ٩٢، وتحفة الناظرين للشرقاوى هامش فتوح الشام ج ٢ ص ٦٢، وصفة الصفوة ج ١ ص ٢٧٦، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ٢٠٢، وتاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٤٥ والاوائل للعسكرى ج ١ ص ٢٢٣. والطبرى ج ٣ ص ٢٧٧، ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١٠٥ والانس الجليل ج ١ ص ١٨٨ والاعلاق النفيسة ص ١٩٩.

(٢)— صبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن تاريخ ابى الفداء، وقد ذكر: ان عمر قد ارسل اليه فاستشاره، وليراجع ايضاً: البحار ج ٥٨ ص ٣٤٩—٣٥٠ بعد تصحيح ارقام صفحاته، وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١، وتاريخ ابن الوردى ج ١ ص ١٤٥، والانس الجليل فى اخبار القدس والخليل ج ١ ص ١٨٧ والخطط للمقريزى ج ١ ص ٢٨٤، وفيه: أن عمر استدعاه.

(٣)— الاعلان بالتوبيخ ص ٨١، والبحار ج ٥٨ ص ٣٥٠. وفى نزهة الجليس ج ١ ص ٢٢. عن تاريخ ابن عساكر: ان النصارى كانوا يؤرخون بتاريخ الاسكندر...

اقول: فاين كان التاريخ الميلادى اذن؟ ومتى ظهر؟...

الجواب: انه ظهر فى حدود القرن الرابع الهجرى، على مايقولون...

وقال قائلون: ارخوا من مولد رسول الله (ص)...

وقال آخرون: من مبعثه عليه السلام.

واشار علي بن أبي طالب (ع)، وآخرون: «ان يؤرخ من هجرته الى المدينة، لظهوره لكل احد، فانه اظهر من المولد، والمبعث، فاستحسن عمر ذلك والصحابة، فامر عمر: ان يؤرخ من هجرة رسول الله (ص). (١)».

وروى الحاكم، وصححه هو والذهبي، عن سعيد بن المسيب: انه قال: «جمع عمر الناس فسألهم: من اي يوم يكتب التاريخ؟. فقال علي بن ابى طالب (ع): من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وترك ارض الشرك، ففعله عمر رضي الله عنه. هذا حديث صحيح الاسناد، ولم يخرجاه... (٢)»

---

(١)— البداية والنهاية ج ٧ ص ٧٣—٧٤، وليراجع ايضاً ج ٣ ص ٣٠٦ وتاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزى ص ٧٥—٧٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٢—٢٣ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٧٤، وعلي والخلفاء ص ٢٤٠ عنه ملخصا. وليراجع ايضاً: الاعلان بالتوبيخ ص ٨٠ و ٨١ ومنتخب كنزالعمال، هامش مسند احمد ج ٤ ص ٦٧ والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٠ ط صادر.

وذكر فى البحار ج ٥٨ ص ٣٤٩ بعد تصحيح ارقام صفحاته، ونزهة الجليس ج ١ ص ٢١ والطبرى ط دارالمعارف بمصر ج ٢ ص ٣٨٨، والوزراء والكتاب ص ٢٠، والاعلان بالتوبيخ ص ٧٩، ومنتخب الكنز هامش مسند احمد ج ٤ ص ٦٧، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩، وصبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤١ عن ابن حاجب النعمان فى ذخيرة الكتاب: ان اباموسى كتب الى عمر: انه ياتينا من قبلك كتب لانعرف نعمل فيها قد قرانا صكا محله شعبان فما ندرى: اي الشعبانيين هو: هوالماضي او الاتي، فجمع الصحابة الخ مافى المتن. وليراجع ايضاً: الاوائل لابى هلال العسكرى ج ١ ص ٢٢٣ والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٠.

(٢)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، وتلخيص المستدرك للذهبي هامش الصفحة ذاتها، والاعلان بالتوبيخ ص ٨٠ وفتح البارى ج ٧ ص ٢٠٩ والطبرى ط المعارف ج ٢ ص ٣٩١ و ج ٣ ص ١٤٤، وتاريخ عمر بن الخطاب ص ٧٦ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢٣ ومنتخب كنزالعمال هامش المسند ج ٤ ص ٦٧، وعلي والخلفاء ص ٢٣٩ و ٢٤٠، عن كنزالعمال ج ٥ ص ٢٤٤ رقم ٤٩٣٩ واحقاق الحق ج ٨ ص ٢١٩ عن ابن عساكر، والمقريزى فى كتاب: الخطط والآثار ج ١ ص ٢٨٤ والشمار يخ للسيوطى ص ٤ ط ليدن والتاريخ الكبير للبخارى ج ١ ص ٩. والكامل ج ١ ص ١٠ ط صادر.

وقال اليعقوبي في حوادث سنة ١٦ هـ : «وفيها ارخ الكتب، واراد ان يكتب التاريخ منذ مولد رسول الله (ص)، ثم قال: من المبعث، فاشار عليه علي بن ابي طالب (ع): ان يكتبه من الهجرة(١)...»

الى غير ذلك من النصوص، التي تؤكد على ان عمر هو اول من وضع التاريخ الهجري الاسلامي.

الرأي الامثل:

ولكننا بدورنا نشك كثيراً في صحة هذا القول، ونعتقد: ان التاريخ الهجري قد وضع من زمن النبي (ص)، وقد ارخ به النبي (ص) نفسه اكثر من مرة، وفي اكثر من مناسبة...

وماحدث في زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة شهر محرم بدلا من ربيع الاول. كما أشار إليه الصاحب بن عباد (٢) .

وقد اختلفوا في ذلك ايضاً، فقال بعضهم: انهم جعلوا مبدأ السنة الهجرية محرم السنة الاولى، وهو ماذهب اليه الجمهور، وبعضهم الى انهم جعلوا محرم السنة الثانية مبدأ للسنة الهجرية والغوا ماقبله، وهو ماحكاه البيهقي وبه قال يعقوب بن سفيان الفسوي، فراجع (٣) .

من المشير بمحرم:

اما من الذي اشار بمحرم بدلا من ربيع الاول، فقد اختلفت الروايات في ذلك، فيقال: ان ذلك كان باشارة عثمان بن عفان (٤). وقيل: بل ذلك هو رأي عمر نفسه (٥) وبعضهم قال: ان عبدالرحمان بن عوف قد

(١)— تاريخ اليعقوبي ط صادر ج ٢ ص ١٤٥.
(٢) — عنوان المعارف وذكر الخلائف ص ١١.
(٣) — البداية والنهاية ج ٤ ص ٩٤.
(٤)— نزهة الجليس ج ١ ص ٢١، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩ والاعلان بالتوبيخ ص ٨٠، ومنتخب كنزالعمال هامش مسند احمد ج ٤ ص ٦٧، والشماريخ ص ١٠ ط سنة ١٩٧١.
(٥)— الاعلان باا وبيخ ص ٧٩، وليراجع الوزراء والكتاب ص ٢٠، وفتح الباري ج ٧ ص ٢٠٩.

اشار بشهر رجب، فاشار علي(ع) فى مقابل ذلك بشهر محرم، فقبل منه (١). والديار بكرى وغيره يقولون: ان عمر ابتدأ من المحرم، بعد اشارة علي و عثمان بذلك (٢)...

و يقول السخاوي وآخرون: «...فاستفدنامن مجموع هذه الآثار: ان الذى اشار بالمحرم عمر، وعثمان، وعلي(ع)» (٣). و يفهم من كلام العسكرى فى اوائله ج ١ ص ٢٢٣: ان عمر هوالذي ارتأى جعل محرم اول السنة؛ لتكون الاشهر الحرم فى سنة واحدة.

ولكننا نستبعد كثيرا: ان يكون علي(ع) قد اشار بترك ربيع الاول، والاخذ بشهر محرم، اول السنة عندالعرب بل نكاد نجزم بخلافه... وانه(ع) كان مصرا على شهر ربيع الاول مدة حياته صلوات الله وسلامه عليه.

ولم يكن ذلك رايه وحده، بل كان راي جمع كبير من المسلمين الابرار والصحابة الاخيار، ونستند فى ذلك الى النقاط التالية، التى لابد من ملاحظتها بمجوعها هنا:

١— انه قد تقدم انه عليه السلام قد اشار عليهم بان يكتبوا التاريخ من: «يوم هاجر»، اومن «يوم ترك النبى (ص) ارض الشرك» كما هو صريح رواية ابن المسيب المتقدمة...

٢— لقد جاء فيما كتبه علي عليه السلام على عهد اهل نجران العبارة التالية: «... وكتب عبدالله(٤). بن ابى رافع، لعشر خلون من جمادى الآخرة، سنة سبع وثلاثين، منذ ولج رسول(ص) المدينة... (٥)».

---

(١)— الاعلان بالتوبيخ ص ٨١ ط القاهرة. وقال ص ٨٢: ان الديلمى فى الفردوس، وولده قد رويا ذلك عن علي. واحقاق الحق ج ٨ ص ٢٢٠ عن الاعلان.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨.

(٣)— الاعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٨٠، وارشاد السارى ج ٦ ص ٢٣٤، وفتح البارى ج ٧ ص ٢٠٩—٢١٠.

(٤)— الظاهر انه: عبيدالله.

(٥)— الخراج لابى يوسف ص ٨١، وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٨٢ رقم ٥٣ عنه.

٣ــ فاذا أضفنا الى ذلك: ان مالك بن انس على ماحكاه السهيلي وغيره يقول: «اول السنة الاسلامية ربيع الاول، لانه الشهر الذى هاجر فيه رسول الله (ص) (١).».

٤ــ وان السخاوى قد نقل عن الاصمعى انهم: «انما ارخوا من ربيع الاول شهر الهجرة. (٢)» وكذا عن الزهرى.

٥ــ وان الصحابة ــ وتبعهم المؤرخون كما سياتى ــ كانوا يعدون بالاشهر من مهاجره، الذى هو شهر ربيع الاول، الى اواسط السنة الخامسة للهجرة... فاننا نستطيع بعد ملاحظة مجموع ماتقدم: ان ندرك: ان عليا عليه السلام ليس فقط لم يشر على عمر بشهر محرم، بل كان من المصرين على ان يبقى اول السنة هو شهر ربيع الاول، الذى خرج النبى (ص) من مكة اومن الغار، او ولج المدينة فى اول يوم منه، شأنه صلوات الله وسلامه عليه شأن كثيرين ممن لم يرضوا بمثل هذا التغيير، لكنهم غلبوا على امرهم...

ولايفوتنا اخيرا التنبيه: على ان جعل علي عليه السلام اليوم الذى ولج فيه النبي (ص) المدينة مبدأ للتاريخ، ربما يؤيد قول من قال: انه (ص) دخلها فى اول يوم من ربيع الاول...

وسياتى بعض الكلام ايضاً فى ذلك ... وان لم يكن هو محط نظرنا الاصلي فى هذا البحث.

ومايهمنا هنا: هوالبحث عن: اول من ارخ بالسنة الهجرية... وقد قلنا: اننا نعتقد: ان النبي (ص) كان اول من ارخ بالهجرة...

الموافقون على هذا الرأي:

واننا وان كنا لانرى كثيرين يوافقوننا على هذا الراي، ونرى بعضهم يتردد فى اصدار حكم جازم فى ذلك، و بعضهم ربما يظهر منه الميل الى ما هو

(١)ــ البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٧، واشار اليه ايضاً فى ج ٤ ص ٩٤.

(٢)ــ الاعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٧٨.

شائع... الا ان مردّ ذلك كله الى عدم اطلاعهم على النصوص الكافية للجزم في الامر، وتكوين قناعة تقاوم مايرونه قد اشتهر وذاع في ألسنة الرواة والمؤرخين.

وعلى كل... فاننا نجد ممن وافقنا على مانذهب اليه:

السيد عباس المكي في نزهة الجليس، كما سياتي، ونقله السيوطي عن ابن القماح، عن ابن الصلاح عن ابي مجمش الزيادي، كما سياتي. اما صاحب المواهب فقد قال: «وامر (ص) بالتاريخ، وكتب من حين الهجرة.

قال الزرقاني: رواه الحاكم في الاكليل عن الزهري مفصلا. والمشهور خلافه،وان ذلك في زمان عمر، كماقال الحافظ... (١)». ونقل ذلك عن الاصمعي، وغيره ايضاً كما سياتي.

وقال الصاحب بن عباد: «ودخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلت من ربيع الأول، وكان التاريخ من ذلك،ثم رد إلى المحرم (٢).».

وقال ابن عساكر «وهذا اصوب» ثم ايده السيوطي ببعض مايأتي (٣).

وقال مغلطاي في سيرته— ص ٣٥—٣٦: «وامر عليه الصلاة والسلام بالتاريخ فكتب من حين الهجرة، قال ابن الجزّار: ويعرف بعام الاذن، وقيل ان عمر (رض) اول من ارخ وجعله من المحرّم» هذا... وقد سميّت كل سنة من السنين العشر باسم خاص. والعام الاول اطلق عليه: عام الاذن أيضاً في التنبيه والاشراف للمسعودي؛ فراجع.

كلام السهيلي:

اما السهيلي... فهو يصر على ان التاريخ الهجري قد نزل به

---

(١)— التراتيب الادارية ج ١ ص ١٨١، وليراجع المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٧.

(٢)— عنوان المعارف وذكر الخلائف ص ١١.

(٣)— الشماريخ في علم التاريخ للسيوطي ج ١٠ ط سنة ١٩٧١.

القرآن... و يقول ما ملخصه: ان اتفاق الصحابة على جعل الهجرة مبدأ للتار يخ، ان كان مستندا الى استفادتهم ذلك من القرآن، فنعم الاستفادة هي، وذلك هوالظن بهم. وان كان اجتهادا ورايا منهم، فهو ايضاً نعم الاجتهاد والراي، اشار القرآن الى صحته من قبل ان يفعلوا...

فان قوله تعالى: «لمسجد أُسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه» (١).

قد علم: انه ليس المقصود منه: اول الايام كلها. كما انه لايوجد لفظ ظاهر، اضيف اليه لفظ: يوم؛ فتعين اضافته الى مضمر، ولايعقل قول القائل: فعلته اول يوم، الا بالاضافة الى عام، اوشهر، اوتار يخ معلوم.

ولاقر ينة هنا، لاحالية ولامقالية، تدل الاعلى تقدير: «من اول يوم حلول النبي (ص) المدينة». وهو اول يوم من التار يخ...

وقول بعض النحاة: لابد من تقدير: «من تأسيس اول يوم»؛ لان (من) لا تدخل على الزمان... لايصح... لانه حتى على هذا لابد من تقدير الزمان ايضاً؛ فيقال: «من وقت تأسيس»، فاضمار كلمة تأسيس لايفيد شيئا... هذا بالاضافة الى ان كلمة: (من) تدخل على الزمان، وعلى غيره، قال تعالى: «من قبل ومن بعد». انتهى كلام السهيلي ملخصا. (٢).

وقال الكتاني ماملخصه: وقدعقب الحافظ في فتح البارى على كلام السهيلي هذا بقوله: كذا قال: والمتبادر: ان معنى قوله: من اول يوم، اي دخل النبي (ص) واصحابه المدينة. (٣).

لكن ابن منير يرى: ان كلام السهيلي هذا تكلف وتعسف، وخروج عن تقدير الاقدمين الذين قدروه: «من تأسيس اول يوم» اي من اول يوم وقع

---

(١)— التوبة، الآية ١٠٨.

(٢)— الروض الانف ج ٢ ص ٢٤٦ ط سنة ١٩٧٢ وارشاد السارى ج ٦ ص ٢٣٤ عنه، وفتح البارى ج ٧ ص ٢٠٨—٢٠٩ عنه ايضاً ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨.

(٣)— ليراجع فتح البارى ج ٧ ص ٢٠٩.

فيه التأسيس، وهذا ما تقتضيه العربية، وتشهد له القواعد...

قال الكتاني: قلت: كلام السهيلي ظاهر المأخذ، فتأمله بانصاف ترى انه الحق، ولذا اقتصر عليه معجبابه شهاب الدين الخفاجي، في عناية القاضي، وكفاية القاضي، الى آخر كلامه (١).

وقال ياقوت الحموي: «ان قوله من اول يوم يقتضي مسجد قباء، لان تأسيسه كان في اول يوم من حلول رسول الله(ص) دار هجرته، وهو اول التاريخ للهجرة المباركة، ولعلم الله تعالى بان ذلك اليوم سيكون اول يوم من التاريخ سماه اول يوم ارخ فيه، في قول بعض الفضلاء. وقد قال بعضهم: ان هاهنا حذف مضاف، تقديره: تأسيس اول يوم، والاول احسن...» (٢).

هذا... و يلاحظ: انه قد نقل عن ابن عباس في تفسير الآية المذكورة نفس ماتقدم نقله عن السهيلي... (٣).

و إذا صح كلام هؤلاء، فمن المناسب ان يبادر النبي (ص) نفسه قبل كل احد الى العمل بمقتضى الآية، وهو ماحصل فعلا، كماسنرى...

وإذا ماقيل:ماذكره هؤلاء—السهيلي وغيره— بعيدفي بادئ الراي.

فاننا نقول: هو على الاقل من المحتملات في معنى الآية الشريفة، وان لم يكن متعينا، ونحن انما ذكرناه استئناسا به وتاييداً لا لنستدل به، ونستند اليه.

مانستند اليه:

في اعتقادنا: ان النبي(ص) هو اول من ارخ بالهجرة، ونستند الى الامور التالية:

١— ماروي عن الزهري: من ان رسول الله (ص) لما قدم المدينة

---

(١)— التراتيب الادارية المسمى بـ: نظام الحكومة النبوية ج ١ ص ١٨١—١٨٢.

(٢)— معجم البلدان ج ٥ ص ١٢٤.

(٣)— تنوير المقباس هامش الدرالمنثورج ٢ ص ٢٢٤.

مهاجرا امر بالتاريخ، فكتب فى ربيع الاول (١).

وفي رواية أخرى عن الزهرى قال: التاريخ من يوم قدم النبي(ص) مهاجرا (٢).

قال القلقشندى: «وعلى هذا يكون ابتداء التاريخ عام الهجرة (٣)» وتقدمت وستاتي كلمات غيره فى ذلك.

ولكن العسقلاني وغيره قد وصفوا هذا الحديث فى الفتح وغيره بانه: خبر معضل،والمشهور خلافه.(٤) ووصفه الجهشيارى بانه خبر شاذ (٥) و يقرب منه كلام السخاوى،والديار بكرى... (٦).

اما المسعودى فقد اورد عليه: بانه خبر مجتنب من حيث الاحاد، ومرسل من عند من لايرى قبول المراسيل،وان ماحكاه اولا: من ان عمر هوالذى ارخ بالهجرة، باشارة علي عليه السلام، هوالمتفق عليه؛اذكان ليس فى هذا الخبر وقت معلوم ارخ به، ونقل كيفية ذلك... (٧).

لكن ايراد المسعودى، وهؤلاء غير وارد على خبرالزهرى، لان

---

(١)— فتح البارى ج ٧ ص ٢٠٨، وارشاد السارى ج ٦ ص ٢٣٣، والتنبيه والاشراف ص ٢٥٢، وتاريخ الطبرى ط دارالمعارف ج ٢ ص ٣٨٨، ونزهة الجليس ج ١ ص ٢١، ومناقب آل أبى طالب ج ٢ ص ١٤٢، والبحار ج ٤٠ ص ٢١٨ عنه، وعلي والخلفاء ص ٢٤١ عن البحار، وصبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤٠، والتراتيب الادارية ج ١ ص ١٨٠ وحكاه الاخيران عن النحاس فى صناعة الكتاب، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨، والشمار يخ فى علم التاريخ ص ١٠ ط سنة ١٩٧١ عن ابن عساكر عن يعقوب بن سفيان، ووفاء الوفاء للسمهودى ج ١ ص ٢٤٨، والمواهب والزرقانى وغيرها حكوه عن الحاكم فى الاكليل مفصلا. والكامل لابن الاثيرج ١ ص ١٠ صادر. وفى المواهب اللدنية ج ١ ص ٦٧: ذكر ذلك من دون ان ينسبه الى الزهرى.

(٢)— الشمار يخ فى علم التاريخ ص ١٠.

(٣)— صبح الاعشى ج ٦ ص ٢٤٠.

(٤)— فتح البارى ج ٧ ص ٢٠٨، وارشاد السارى ج ٦ ص ٢٣٣ عنه، وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٤٨.

(٥)— الوزراء والكتاب ص ٢٠.

(٦)— الاعلان بالتوبيخ ص ٧٨، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٣٨.

(٧)— التنبيه والاشراف ص ٢٥٢.

ارساله— لوسلم— وكونه خبر واحد لايصحح اجتنابه، بل لابد من الاخذ به، حتى ممن لايرى قبول المراسيل وذلك لوجود روايات اخرى فى المقام، وايضاً ادلة اخرى تدل على ذلك .... ستاتى كلها فى مايلي (١):

٢— مارواه الحاكم، وصححه، عن عبدالله بن عباس، انه قال: كان التاريخ فى السنة التى قدم فيها رسول الله (ص) المدينة، وفيها ولد عبدالله بن الزبير (٢).

٣— قال السخاوى: «... واما اول من ارخ التاريخ، فاختلف فيه، فروى ابن عساكر فى تاريخ دمشق عن انس،قال: كان التاريخ من مقدم رسول الله(ص) المدينة. وكذا قال الاصمعى: انما ارخوا من ربيع الاول شهر الهجرة...» (٣). ثم ذكر رواية الزهرى المتقدمة.

ثم اورد على ذلك كله بمخالفته للصحيح والمشهور: من ان الامر به كان فى زمن عمر، وان اول السنة ليس شهر ربيع الاول، وانما شهر محرم...

---

(١)— وللزهرى رواية أخرى تدل على ان التاريخ كان من زمن النبى(ص) فى تهذيب تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٢١: ان الزهرى قال: «ان قريشا كانوا يعدون بين الفيل والفجار اربعين سنة، وكانوا يعدون بين الفجار وبين وفاة هشام بن المغيرة ست سنين وبين وفاته وبين بنيان الكعبة تسع سنين، وبينهما وبين ان خرج رسول (ص) الى المدينة خمس عشر سنة، منها خمس سنين قبل ان يوحى اليه ثم كان العدد. يعنى: بعدالتاريخ» فيظهر من هذه العبارة الاخيرة: انهم اعرضوا عن السابق وبدأوا يؤرخون بالهجرة.

لكن يبقى فى الرواية اشكال وهو ان المعروف: هو ان بين الفيل والفجار عشرين سنة لا اربعين كما صرح به الطبرى ج ٢ والبداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ١٩٦، وابن الاثير والمسعودى.

لكن قول الزهرى: ان النبى(ص) قد ولد بعد عام الفيل بثلاثين سنة، كما نقله عنه فى البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٦٢. يدل على ان الزهرى قد تفرد بالقول بان بين الفجار والفيل اربعين سنة مخالفا بذلك المعروف والمشهور. لكن كل ذلك لايضر فى دلالة كلامه على مانقول كمالايخفى.

(٢)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣—١٤ وصححه على شرط مسلم وتلخيص المستدرك للذهبى هامش نفس الصفحة ومجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٦ عن الطبرانى فى الكبير والاعلان بالتوبيخ ص ٨٠، والطبرى ج ٢ ص ٣٨٩—٣٩٠ بسندين، وج ٣ ص ١٤٤ والتاريخ الكبير للبخارى ج ١ ص ٩، والشماريخ ص ١٠ عن البخارى فى التاريخ الصغير، والخطط للمقريزي ج ١ ص ٢٨٤.

(٣)— الاعلان بالتوبيخ لمن يذم التاريخ ص ٧٨.

ولكن ايراده كايراد المسعودى غير وارد كماسنرى... لان مجرد كون ذلك خلاف المحفوظ والمشهور لايوجب فساده. بل لابد من الاخذ به، والعدول عن المحفوظ والمشهور، حين يقوم الدليل القاطع على خلافه...

ولسوف نرى: ان لدنيا بالاضافة ماذكرنا مايزيل اي شك، اوريب فى ذلك...

٤ــ ان المؤرخين يقولون: ان الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قد هاجر الى المدينة فى شهر ربيع الاول... و يرى الزهرى وغيره: انه وصلها فى اول يوم منه، وجزم ابن اسحاق والكلبى بانه انما خرج من مكة فى اليوم الاول منه. و بعضهم يرى: انه خرج من الغار فى اوله... (١).

واذا ما اردنا تاييد دخوله للمدينة فى اوله بما تقدم من كتابة علي (ع) فى كتابه: «منذولج رسول الله(ص) المدينة».فان فى مقابل ذلك مايؤيد الراي الاخر،وهو اشارته:بان يجعل مبدأ التاريخ:منذ ترك الرسول(ص) ارض الشرك اومنذهاجر... الا ان يدعى الاجمال فى هذه الفقرة، لانهم كانوا فى صدد تعيين السنة التى يبدأون بها بشكل عام... فلا تصادم ظهور الفقرة الاولى فيما قلناه...

المهم فى الامر هنا: ان الهجرة كانت فى اول ربيع الاول... فاذا اضفنا الى ذلك ماتقدم عن مالك والاصمعى ،وكذلك مارواه الزهرى واستظهرناه من علي (ع): من ان اول السنة الاسلامية كان ربيع الاول... فاننا سوف نطمئن الى ان التاريخ كان قد وضع قبل زمان عمر، الذى جعل اول السنة شهر محرم، بدلا من ربيع الاول...

و يؤيد ذلك : ان بعض الصحابة كانوا يعدون بالاشهر من مهاجره (ص)، الذى هو شهر ربيع الاول الى اواسط السنة الخامسة...

---

(١)ــ راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٢٥ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٢٩ والروض الانف ج ٢ ص ٢٤٥ وكذلك لاباس بمراجعة دلائل النبوة ج ٢ ص ٢٢٦ والمواهب ج ١ ص ٦٧.

فابو سعيد الخدرى يقول: ان فرض رمضان، كان بعد ماصرفت القبلة فى شعبان بشهر على راس ثمانية عشر شهرا... (١).

و يتحدث عبدالله بن انيس عن سر يته الى سفيان بن خالد، فيقول: «خرجت من المدينة يوم الاثنين، لخمس خلون من المحرم، على راس اربعة وخمسين شهراً» (٢).

ومحمد بن سلمة ايضاً يقول عن غزة القرطاء: «خرجت فى عشر ليال خلون من المحرم، فغبت تسع عشرة، وقدمت لليلة بقيت من المحرم، على راس خمسة وخمسين شهرا...» (٣).

و بعد هذا يبدأ العد بالسنين، كما يظهر من قول سلمة بن الاكوع، و خالد بن الوليد، وغيرهما (٤).

لقد كانت تلك هي طر يقة الصحابة، وعلى ذلك جرى ديدنهم، وتبعهم المؤرخون على ذلك ايضاً فأرخوا بالاشهر الى اواسط السنة الخامسة بل الى آخرها... ومنها يبدأون بذكر السنين... (٥).

وذلك ان دل على شيء فانما يدل على ان التار يخ كان قد وضع من اول سني الهجرة... والا فلامعنى لان يُسأل صحابي عن واقعة حدثت له فى سنة خمس، فيعدل عن ذكر السنة، و يشرع فى اجراء حساب، و يقوم بعملية عدّ تحتاج الى تفكير وتأمل... و بعد مدة من التامل والتفكير يعطى الجواب.

الا ان يكون ذلك محفوظا لديه، وجرى ديدنه وطر يقته عليه مدة من الزمان، حتى انغرس فى ذهنه و حفظَه ووعاه... كما أن ذلك يعبر عن مدى اهتمام الصحابة فى المحافظة على جعل ربيع الاول مبدأ للتار يخ... وان كانوا

(١)— تار يخ الخميس ج ١ ص ٣٦٨.

(٢—٣)— مغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٣١—٥٣٤ على الترتيب.

(٤) — راجع: مغازى الواقدى ج ٢ ص ٥٣٧ وصفة الصفوة ج ١ ص ٦٥٢.

(٥)— راجع: طبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ فى غزواته(ص) لاسيما ص ٥٦ منه فى غزوة بواط ومغازى الواقدى ص ٩—١١—٣٦٣ والوفاء باخبار المصطفى ج ٢ ص ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ٦١ وتار يخ الخميس وغير ذلك .

قد غلبوا على ذلك فيما بعد...

٥ــ ان بين ايدينا نصا لعهد النبي (ص) لسلمان الفارسي. وهو مؤرخ بسنة تسع للهجرة...

قال ابونعيم: عن «الحسن بن ابراهيم بن اسحاق البرجي المستملي. واخبرنيه عنه محمد بن احمد بن عبدالرحمان قال: سمعته يقول: سمعت اباعلي الحسين بن محمد بن عمرو الوثابي يقول: رايت هذا السجل بشيراز، بيدسبط لغسان بن زاذان، بن شاذويه بن ماه بنداذ، اخى سلمان...

وهذا العهد بخط علي بن أبي طالب، مختوم بخاتم النبي (ص)، فنسخ منه ماصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من محمد رسول الله، سأله سلمان، وصية باخيه ماه بنداذ، واهل بيته، وعقبه... ثم ساق ابونعيم الكتاب الى ان قال فى آخره:

وكتب علي بن ابى طالب، بامر رسول الله (ص) فى رجب، سنة تسع من الهجرة وحضر ابوبكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير وعبدالرحمان، وسعد، وسعيد، وسلمان، وابوذر، وعمار، وعيينة، وصهيب، وبلال، والمقداد، وجماعة آخرون من المؤمنين...

وذكره ايضا ابومحمد بن حيان، عن بعض من عني بهذا الشأن: ان رهطا من ولد اخى سلمان بشيراز، زعيمهم رجل يقال له غسان بن زاذان، معهم هذاالكتاب، بخط علي بن ابى طالب، بيد غسان، مكتوب فى اديم ابيض مختوم بخاتم النبي (ص) وخاتم ابى بكر، وعلي رضى الله عنهما، على هذا العهد حرفا بحرف، الا انه قال: وكتب علي بن ابى طالب، ولم يذكر عيينة مع الجماعة...» (١).

---

(١)ــ ذكر اخبار اصفهان لابى نعيم ج ١ ص ٥٢ــ٥٣ وهذا غير كتاب مفاداة سلمان من عثمان بن الاشهل اليهودى الذى يقال: ان عليا عليه السلام قد كتبه باملاء النبي (ص) فى السنة الاولى من الهجرة. ←

٦— قد اورد البلاذرى نصا للكتاب، الذى كتبه النبي(ص) ليهود بلدة «مقنا،و بنى حبيبة. وقد صالحهم فيه على ربع عروكهم (خشب يصطاد عليه)، وغزولهم، وربع كراعهم، وحلقتهم، وعلى ربع ثمارهم.»

قال البلاذرى: «واخبرنى بعض اهل مصر: انه راى بعينه فى جلد احمر، دارس الخط، فنسخه، واملى علي فنسخته:

بسم الله الرحمان الرحيم: من محمد رسول الله، الى بنى حبيبة، واهل مقنا: سلم انتم،فانه انزل علي: انكم راجعون الى قريتكم، فاذا جاءكم كتابى هذا، فانكم آمنون، ولكم ذمة الله وذمة رسوله... ثم ساق البلاذرى الكتاب الى ان قال فى آخره: وليس عليكم امير الامن انفسكم، اومن اهل بيت رسول الله (ص)، وكتب علي بن ابوطالب (ع) فى سنة تسع...» (١).

وقد اورد المعلق على فتوح البلدان، محمدبن احمدبن عساكر على هذه الرسالة بايرادين:

احدهما: ان عليا الذى اخترع علم النحو، حتى لايختلط بكلام النبط، لايمكن ان يصدر منه اللحن و يقول: (علي بن ابوطالب) برفع كلمة: ابو...

← ولكن كتاب المفاداة هذا لايخلو من بعض الاشكال، اذ من جملة الشهود عليه ابوذر الذى لم يات المدينة الا بعد الخندق مع أن الكتاب مؤرخ بالسنة الاولى للهجرة كمانرى. يضاف الى ذلك: ان فيه توصيفا لابى بكر بـ (الصديق) مع كونه من شهود الكتاب وذلك ينافى ماهو مرسوم فى الكتب فى صدر الاسلام.

فاما ان يكون الكتاب من اساسه مجعولا وقد تنظر فيه الخطيب مع انه لم يذكر الشهود.

واما ان الشهود قد الحقوا به بعد... و يؤيد هذا الاحتمال الاخير: ان ابن عساكر والخطيب وصاحب نفس الرحمان قد اوردوا هذا الكتاب من دون ذكر للشهود. راجع فى ذلك كله: مكاتيب الرسول (ص) ج ٢ ص ٤٠٩—٤١٠.

(١)— فتوح البلدان للبلاذرى ص ٦٧ ط سنه ١٣١٨ هـ . ولابد من التامل فى تخصيصه الولاية باهل بيته... وليس ذلك الا دليلا واضحا على ان خراج هذه البلدة وهي التى اخذت صلحا دون ان يوجف عليها بخيل ولاركاب وهوالمسمى بالفيئ الذى هوالله ولرسوله قد اعطاه النبى (ص) لاهل بيته... وهي تدل ايضاً على أن آل الرسول (ص) هم اولوا الامر للمسلمين،واهل الذمة على حدسواء...

الثانى: ان صلح النبى (ص) لاهل مقنا كان فى غزوة تبوك على ما هو مذكور فى كتاب البلاذرى، و لاخلاف في ان عليا لم يكن فيها، فكيف يكون علي عليه السلام هو كاتب هذا الكتاب (١).

و نحن نكتفى فى الاجابة على هذين الايرادين بما ذكره العلامة المحقق الشيخ علي الاحمدى، حيث قال ما ملخصه مع بعض اضافات و زيادات يقتضيها المقام:

اما الجواب عن الاول: فقد ذكر الملا علي القارى فى شرحه لشفاء القاضى عياض، نقلا عن نوادر ابى زيد الاصمعى عن يحيى بن عمر: ان قريشا كانت لا تغير الاب فى الكنية، بل تجعله مرفوعا ابدا: رفعا، ونصبا، وجرا...

و فى نهاية ابن الاثير، فى لفظ (ابي) و شرح القارى لشفاء عياض: ان النبى (ص) كتب الى المهاجر بن ابى امية: (المهاجر بن ابوامية). ثم قالا: و لما كان ابوامية مشتهرا بالكنية ولم يكن له اسم معروف غيره، تركه رسول الله (ص). و مثّل القارى لذلك، فقال: (كما يقال: علي بن ابوطالب).

وفى مجموعة الوثائق السياسة عن الصفدى: ان بعضهم يكتب: علي بن ابوطالب بالواو، و يلفظ: ابي بالياء. و بعد ان نقل فى المجموعة عن التراتيب الادارية، ماتقدم عن نوادر الاصمعى قال: وفوق ذلك كله: انى لما كنت فى المدينة، فى شهر محرم سنة ١٣٥٨، وجدت فى الكتابة القديمة التى فى جنوب سلع: (انا علي بن ابوطالب)، و قد تكون هذه الكتابة بخط علي عليه السلام.

و قال فى مجموعة الوثائق ايضا: انه وجد كلمة: (علي بن ابوطالب) بالواو، فى اربعة مواضع فى الكتب المقروّة عن الشيوخ.

و نزيد نحن: وقال مغلطاى في سيرته/ ص ١٠ عن أبي طالب :

(١)— هامش/ ص ٦٧ من فتوح البلدان للبلاذرى.

«وقيل: اسمه كنيته فيما ذكره الحاكم. وفيه نظر».

وفى مروج الذهب ج ٢ ص ١٠٩ ط بيروت: انه قد تنوزع فى اسم ابي طالب، فمنهم من راى ان كنيته اسمه، و ان عليا (ع) قد كتب ليهود خيبر، باملاء النبى (ص): (وكتب علي بن ابى طالب)، فاسقاط الألف من كلمة: ابن، يدل على انه واقع بين علمين، لابين علم و كنية.

وفى فتوح البلدان للبلاذرى ص ٧٢: و قال يحيى بن آدم: و قد رايت كتابا فى ايدى النجرانيين، كانت نسخته شبيهة بهذه النسخة، و فى اسفله: (و كتب علي بن ابوطالب)، ولاادرى ما اقول فيه...

وفى كتابه بين ربيعة واليمن نراه قد كتب فى آخره— وهى الرواية المشهورة—: (كتب علي بن ابوطالب)، على ماذكره ابن ميثم البحرانى فى شرح النهج ج ٥ ص ٢٣١.

وفى عمدة الطالب ص ٢٠—٢١ ط نجف: عن محمدبن ابراهيم النسابة: انه راى خط اميرالمؤمنين فى اخره: (وكتب علي بن ابوطالب). و قال: انه كان فى المشهد الغروي الشريف، مصحف بخط علي (ع) احترق حين احترق المشهد سنة ٧٥٥ هـ. يقال: انه كان فى آخره: و كتب علي بن ابوطالب. ثم ذكر: ان الواو مشتبهة بالياء لتقار بهمافى الخط الكوفى، و ان الصحيح هو (علي بن ابى طالب) حسبما نقله اليه جده و غيره... الى غير ذلک مما لامجال لتتبعه و أستقصائه.

ونستطيع ان نستخلص مماتقدم: ان وجود كلمة: (ابو) لايضر، ولايوجب اشكالا فى الرواية، لاسيما اذالاحظنا مانقلوه من لغة قريش المتقدمة، ولانحتاج الى تأويل عمدة الطالب اوغيره.

واما عن ايراده الثاني: فيقول العلامة الاحمدي: انه لاصراحة في كلام البلاذرى، ولا دلالة له على ان هذا الكتاب قد كتب في تبوك ، كما ان الكتاب نفسه ليس فيه مايدل على ذلک. بل فيه مايدل على وفادة جماعة منهم الى النبي (ص) وانهم سوف يرجعون الى بلدتهم، فلعل وفادتهم اليه كانت الى

المدينة لغرض تجارى، اولاجل الحصول على هذا الكتاب، اوغير ذلك، فكتب النبى (ص) لهم هذا الكتاب... ومما يلاحظ هنا: ان عددا من المصادر يكتفى بالاشارة الى انه (ص) قد كتب لاهل مقنا كتاباً فى سنة تسع... (١).

هذا ما ذكره العلامة الاحمدى بزيادة و تصرف و تلخيص، وهو كاف و واف فى دفع الايراد على هذا الكتاب... ولايبقى ثمة مجال للاشكال على هذه الرواية، و التشكيك فى صحتها اصلا...

٧ــ كتاب صلح خالدبن الوليدلاهل دمشق. قال ابن سلام: «حدثنا محمدبن كثير، عن الاوزاعى عن ابن سراقة: ان خالدبن الوليد كتب لاهل دمشق: «هذا كتاب من خالدبن الوليد لاهل دمشق: انى قد امنتهم على دمائهم، و اموالهم، و كنائسهم. قال ابوعبيد: ذكر كلاما فيه لااحفظه، و فى آخره: شهد ابوعبيدة الجراح، وشرحبيل بن حسنة، وقضاعي بن عامر، وكتب سنة ثلاث عشرة...» (٢).

---

(١)ــ راجع: مكاتيب الرسول(ص) ج ١ ص ٢٨٨ــ٢٨٩ــ٢٩٠. ولمعاهدة مقنا نص آخر، مؤرخ بسنة خمس للهجرة بخط علي عليه السلام ولكنه لايخلو من بعض الاشكالات التاريخية وان كان يمكن الاجابة عنها كلا او بعضا. فراجع: مكاتيب الرسول (ص) ج ١ ص ٢٩٣ــ٢٩٤.

وهناك عهد للنصارى مورخ فى الثانية للهجرة، بخطه ايضاً عليه السلام وعهد آخر لهم مورخ فى السنة الرابعة يقال: انه بخط معاوية وكلا العهدين محل اشكال لاسيما الثانى منهما لان معاوية لم يسلم الاعام الفتح... فراجع مكاتب الرسول (ص) ايضاً/ ج ٢ ص ٦٣٧ و ٦٣٤ وغير ذلك.

(٢)ــ الاموال/ ص ٢٩٧ وذكره البلاذرى فى فتوح بلدانه ص ١٢٨ بدون تاريخ مع بعض اختلاف، وفى فتوح البلدان ايضاً ص ١٣٠ عن الواقدى: ان خالدالم يؤرخ الكتاب ولكن لما اراد المسلمون النهوض الى اليرموك جدد خالد للنصارى كتاب الصلح واثبت فيه شهادة ابى عبيدة وشرحبيل و يزيدبن ابى سفيان وارخه بسنة خمس عشرة فى ربيع الآخر... واضاف ابن كثير الى الشهود: عمرو بن العاص.

ولايمنع ان يكون هذا كتاباً آخر كتبه لهم فيما يتعلق بكنائسهم حين نهوضه الى اليرموك كما ربما يستظهر من عبارة ابن كثير فى البداية والنهاية ج ٧ ص ٢١ فراجع. وحتى لوكان تاريخ الكتاب هوسنة ١٥ فان ذلك لايضر فى دلالته على المطلوب لان من المتفق عليه ان قضية عمر كانت بعد ذلك اي فى سنة ١٦ هـ أو ١٧ هـ.

ومن الواضح انهم يقولون: ان عمر قد وضع التاريخ: اما فى سنة ١٦ هـ . و اما فى سنة ١٧ هـ .ولا احد يدّعي اطلاقا: ان وضعه كان قبل ذلك... ولاسيما بملاحظة: ان فتح دمشق كان فى اول خلافة عمر، بل قبل ان يصل الى جند المسلمين فى الشام خبر وفاة ابى بكر و تولي عمر.

نقول هذا... على الرغم من اننا نرى:ان كلمات اهل المغازى قد اختلفت فى وقت فتح دمشق: هل كان فى سنة ١٣ هـ اوفى سنة ١٤ هـ . وفى ان من صالح اهلها:هل هو ابوعبيدة،ام خالد بن الوليد. و كذلك فى ان ايهما كان الامير على جندالمسلمين فى الشام؟...

نقول هذا... لان لدينا مايشبه اليقين فى ان فتح دمشق كان قبل وصول الخبر بوفاة ابى بكر فى سنة ١٣ هـ . او على الاقل قبل اظهار ابى عبيدة للخبر... و ان الذى صالحهم هو خالدبن الوليد الذى كان اميرا على الجند آنئذ.

و قد نص ابوعبيدة، و ابن قتيبة، و الواقدى، والبلاذرى (١). وكثيرون غيرهم: على ان المصالحة كانت على يد خالد، مما يعنى انه هوالذى كان اميرالجيش الى حين الصلح.

بل يذكر لنا الواقدى: مشادة عنيفة حصلت بين ابى عبيدة و خالد، بسبب صلح خالد لهم، تظهر لنا بوضوح مدى عناد خالد فى موقفه وضعف ابى عبيدة معه (٢)، الامر الذى ينسجم كثيرا مع مانذهب اليه،من ان قيادة الجيش كانت لخالد آنذاك ...

بل لقد ذكر البلاذرى وغيره: ان ابا عبيدة كان على الباب الشرقي؛ فدخلها عنوة، فجاء اهل المدينة الى خالد، فصالحوه، و كتب لهم كتابا، و فتحوا له الباب... ثم نقل قول ابى مخنف، الذى يعكس القضية، ثم قال:

---

(١)– المعارف لابن قتيبة ص ٧٩ ط سنة ١٣٩٠ بيروت وفتوح الشام ج ١ ص ٥٨–٥٩ وفتوح البلدان ص ١٢٨ حتى ١٣١ وغير ذلك .

(٢)– فتوح الشام ج ١ ص ٥٨–٦٠.

والاول اثبت... (١).

ونحن نقول: نعم... ان ذلك هو الاثبت لان اكثر المؤرخين يقولون، وتلك الرسالة المذكورة فى اول هذا الكلام... وغير ذلك، يدل دلالة قاطعة على ان خالدا كان هو المصالح لاهل دمشق... ومن ثم على انه كان هو امير الجيش...

واما عزل خالد فقد جاءهم وهم محاصرون لدمشق، فكتمه عنه ابوعبيدة نحو عشرين ليلة، حتى فتحت دمشق، حتى لايوهن امر خالد، وهم بازاء العدو(٢) ...

وقال الواقدى: ان فتحها كان فى ليلة وفاة ابى بكر (٣).

وقال زينى دحلان: «وقيل: انما جاء خبر وفاة ابى بكر، بعد فتح دمشق فى سنة ثلاث عشرة، و ان وفاة ابى بكر (رض)، كانت فى الليلة التى دخلوا فيها دمشق، و كان ذلك لثمان بقين من جمادى الاخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة. و القائلون بان خبر وفاته انما جاء بعد فتح دمشق هم القائلون بان وقعة اليرموك كانت بعد فتح دمشق، و انها سنة خمس عشرة» (٤).

وقال ابن كثير: «ظاهر سياق سيف بن عمر يقتضى: ان فتح دمشق وقع فى سنة ثلاث عشرة. ولكن نص سيف على ما نص عليه الجمهور من انها فتحت فى نصف رجب سنة اربع عشرة...» (٥).

و عن عبدالرحمان بن جبير: ان ابا عبيدة نفسه قد ذهب ليبشر ابابكر بفتح دمشق، فوجده قد توفى، وامّره عمر على الناس. فلما عاد الى دمشق قالوا: «مرحبا بمن بعثناه بريدا فقدم علينا اميرا» (٦).

---

(١)— فتوح البلدان ص ١٢٩ وليراجع ايضاً: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢١ ونقله عن آخرين.

(٢)— البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٣ وفتوح البلدان ص ١٢٧—١٢٩.

(٣)— فتوح الشام ج ١ ص ٥٨—٥٩.

(٤)— الفتوحات الاسلامية ج ١ ص ٤٧.

(٥)— البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢.

(٦)— البداية والنهاية ج ١ ص ٢٤.

و على كل حال... فان كتاب الصلح المتقدم، و سائر الدلائل والشواهد المتقدمة، كل ذلك يشهد: بان خالدا هوالذى صالح اهل الشام وفاقا لاكثر المؤرخين... و قد قلنا: انه حتى ولوكان الكتاب مؤرخا بسنة ١٥ —او كان ذلك كتابا آخر، فانه ايضا يدل دلالة واضحة على ان التاريخ كان قد وضع قبل خلافة عمر...

و اما لماذا يعدل الرواة والمؤرخون عن الحقيقة، فلعل تقارب الاحداث وتتابعها قد اوقعهم فى الخلط والاشتباه... و لعله ... حين نريد ان نحسن الظن بهم —وهم اهل ومحل لذلك !!— كان لتعمد اظهار: ان عهد عمر كان عهد الفتوحات العظيمة و التوسع الكبير... و ايضا فثمة اهتمام خاص ظاهر للعيان فى اثبات شجاعة خالد، و إظهار قوته و بطولاته فى مواقفه، و انه —دون كل احد— رجل السيف والسنان، ولوكان ذلك عن طريق الكذب و الدجل و التزوير...

واما ان اي ذلك الذى ذكرناه هوالسبب الحقيقي فى العدول عن الحقيقة فلست ادرى، ولعل القارئ الفطن الذكي يدرى...

٨— «ونقل السيوطى عن مجموعة بخط ابن القماح ذكر فيها: ان ابن الصلاح قال: ذكر ابوطاهر، محمد بن محمش الزيادى فى تاريخ الشروط: ان رسول الله (ص) ارخ بالهجرة حين كتب الكتاب لنصارى نجران و امر عليا: ان يكتب فيه: انه كتب لخمس من الهجرة. قال: فالمؤرخ بهذا اذن رسول الله (ص)، و عمر تبعه فى ذلك (١)».

و قال السيوطى ايضا: «... و قد يقال: هذا صريح فى انه يقال: ارخ سنة خمس. والحديث الاول (يعنى رواية الزهري المتقدمة) فيه: انه ارخ يوم قدوم المدينة. ويجاب: بانه لامنافاة فان الظرف و هو قوله: (يوم قدم المدينة) ليس متعلقا بالفعل و هو امر، بل بالمصدر و هو (التاريخ). اى امر بان يؤرخ بذلك

---

(١)— راجع الشماريخ فى علم التاريخ للسيوطى ص ١٠ والتراتيب الادارية ج ١ ص ١٨١ عنه.

اليوم، لا ان الامر كان فى ذلك اليوم.. (١)» هذا كلام السيوطى.

ولكن ثمة جواب اوضح واظهر، و هو انه (ص) قد امر بالتاريخ من اول قدومه، و جعل مبداه اول ربيع الاول... واستعمله النبى (ص) نفسه حين كتب لنصارى نجران فى سنة خمس.

وعلى كل حال... فقد قال السخاوى: «فان ثبت فيكون عمر متبعالا مبتكراً»(٢).

وقال السيد عباس المكى: «التاريخ سنة ماضية، وطريقة راضية، امر بها رسول الله (ص) حين كتب الى نصارى نجران، فامر عليا رضي الله عنه: ان يكتب فيه: (كتب لخمس من الهجرة)(٣)». ثم نقل رواية ابن شهاب المتقدمة...

٩ــ خبر الصحيفة السجادية الذى يظهر منه: ان جعل هجرة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم مبدأ للتاريخ كان مرتبطا بالمبدأ الاعلى جل و علاحيث جاء فى الخبر: ان جبرئيل (ع) قال للنبى (ص): «... تدور رحى الاسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشرا، ثم تدور رحى الاسلام على راس خمس و ثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمسا...» (٤).

١٠ــ «وعن ام سلمة قالت: قال رسول الله (ص) يقتل حسين بن علي على راس ستين من مهاجري» (٥).

---

(١)ــ الشماريخ ص ١٠.

(٢)ــ التراتيب الادارية ج ١ ص ١٨١. (٣) ــ نزهة الجليس ج ١ ص ٢١.

(٤)ــ البحار ج ٥٨ ص ٣٥١ بعد تصحيح ارقام صفحاته وسفينة البحار ج ٢ ص ٦٤١ والصحيفة السجادية ص ١٠ وقد روي هذا عن النبي(ص) بطرق اخرى ذكرها فى البداية والنهاية ج ٢٠٦ــ٢٠٧ و ج ٧ ص ٢١٩ و ص ٢٧٥ــ٢٧٦ عن احمد وابى داود وابن داود ولكن باختلاف وتصرف وحذف فراجع: وراجع: سنن ابى داود نشر دارالكتاب العربى ج ٤ ص ١٥٩ــ١٦٠ وغير ذلك.

(٥)ــ مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٠ عن الطبرى ولم يطعن فى سنده الا فى سعد بن طريف وليس ذلك الا لتشيعه حسبما صرحوا به.

←

١١— وعن أنس قال: «حدثنا اصحاب النبي (ص): ان النبي (ص) قال: لا تاتى مئة سنة من الهجرة ومنكم عين تطرف (١)».

١٢— واخيراً... فقد ذكرت الدكتورة سعاد ماهر محمد في كتابها: (مشهد الامام علي في النجف الاشرف) ص ١٠٤—١٠٥ نصاً للكتاب الذي كتبه خالدبن الوليد لاهل الحيرة، وجاء في آخره: (... وان غدروا بفعل او بقول فالذمة منهم بريئة وكتب في شهر ربيع الاول من سنة اثنتي عشرة).

و من المعلوم ان فتح الحيرة على يدخالدكان في زمن ابي بكر، و ذلك معناه ان التاريخ كان قد وضع و استعمل قبل خلافة عمر، فكيف يكون عمر هو واضع التاريخ في سنة ست عشرة؟ وقد يمكن تأييد ذلك بماتقدم عن السهيلي و ابن عباس و غير ذلك ممالا مجال لذكره...

١٣— مارواه الحافظ عبدالرزاق عن ابي هريرة قال: (و يل للعرب من شرّ قد اقترب على رأس الستين تصير الامانة غنيمة الخ) (٢).

١٤— مارواه عبدالرزاق ايضاً عن ابن مسعود قال: (اذا كانت سنة خمس و ثلاثين حدث امر عظيم، فان تهلكوا فبالحرا، و ان تنجو فعسى. و اذا كانت سبعين رأيتم ماتنكرون) (٣).

فان ابن مسعود و اباهريرة انما علما ذلك عن طريق النبي (ص) لانه تنبؤ بالغيب كماترى، و هذا يدل على انه (ص) هو واضع التاريخ الهجري.

← وتاريخ بغداد ج ١ ص ٣٤٩، والالمام ج ٥ ص ٢٩٩، وكنزالعمال ج ١٣ ص ١١٣ ط حيدرآباد، وميزان الاعتدال ج ١ ص ٢١٢ عن الطبراني، والخطيب، وابن عساكر. ومنتخب كنزالعمال هامش مسند أحمد ج ٥ ص ١١١، ومقتل الحسين (ع) للخوارزمي ج ١ ص ١٦١، واحقاق الحق ج ١١ ص ٣٥٤ عن بعض ماتقدم وعن مفتاح النجا ص ١٣٦ مخطوط، وعن المعجم الكبير للطبراني.

(١)— مجمع الزوائد ج ١ ص ١٩٧ عن ابى يعلى وله الفاظ وطرق عديدة كثيرة اخرى لكن بلا ذكر كلمة: من الهجرة.

(٢ و ٣)— مصنف عبدالرزاق/ ج١١ ص ٣٧٣ و ٣٧٥.

١٥— «وفي حديث رواته ثقات: نعوذ بالله من رأس الستين وفي رواية: من سنة ستين، و من امارة الصبيان» (١).

١٦— «عن مالک، عن نافع، عن ابن عمر (رض) مرفوعاً: اذا كان على رأس السبعين ومئة فالرباط بجدة من افضل مايكون من الرباط (٢)».

عود على بدء:

وبعد كل ماقدمناه يتضح ان ما اشتهر بين الناس من ان واضع التاريخ الهجرى الاسلامى هو عمر بن الخطاب مما لايمكن القبول به ولا المساعدة عليه... و ان ماحدث فى زمن عمر هو فقط: جعل مبدأ السنة الهجرية شهر محرم بدلا من ربيع الاول، اما باقتراح من عمر نفسه، او باشارة من عثمان... ومحرم— كما هو معلوم— كان هو مبدأ السنة فى الجاهلية!!...

وليس من البعيد: ان يكون التاريخ الهجرى الذى وضعه النبي (ص) وارخ به اكثر من مرة، لم يكن قد اشتهر بين الناس بسبب قلة احتياجهم للتاريخ فى تلك الفترة فجمع عمر الصحابة ليتفقوا على تاريخ حسبما تقدم بيانه (٣).

ولكننا راينا فى الاجتماع دعوات مغرضة لتناسى ذلك التاريخ الذى امر به ووضعه الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فهذا يشير بتاريخ الروم... وبعض مسلمى اليهود يشير بالتاريخ الذى يرجع الى زمان الاسكندر والهرمزان... يستشيره عمر— مع ان عمر كان يكره الفرس كراهية شديدة جدا— فيشير عليه بتاريخ الفرس كلما هلك ملك ارخوا من ولاية الذى بعده... ورابع: يشير بجعل مبدأ التاريخ مولد النبى (ص)... عام الفيل... الذى كان العرب يؤرخون به فى جاهليتهم المتأخرة: وهكذا «وكثر منهم القول وطال الخطب فى تواريخ الاعاجم وغيرها» على حد تعبير

(١)— تطهير الجنان واللسان/ ص ٦٦ سنة ١٣٧٥.

(٢)— لسان الميزان/ ج ٢ ص ٧٩.

(٣)— احتمل ذلك العلامة المحقق السيد مهدى الروحانى فى مقال له نشرته مجلة الهادى فى السنة الاولى عدد ٤ ص ٤٨.

المسعودى... (١).

ولكن عليا حافظ الدين ورائد الحق... اعلن فى الوقت المناسب: التاريخ الهجرى الذى وضعه الرسول (ص) وارخ به هو نفسه فى حياة النبي (ص) العديد من الكتب و المعاهدات...

فلم يكن ثمةبـد من قبول رأيه والاذعان لمشورته لأنها حق والحق يعلوولا يعلى عليه...

واتخاذه الهجرة مبدأ للتاريخ دون يوم ولادته و وفاته (ص) انما هولأهمية الهجرة في صنع التاريخ والانسانية، كما انه يكون بذلك (ع) قد ابعد كل المواقف المخزية او الاحداث التي تختص بالطواغيت والظلاّم عن ان تجعل مبدأ للتاريخ...

والتاريخ المسيحي اذن... لماذا؟

وبعد... فان ما هو جدير بالملاحظة والتسجيل هنا: اننا نرى— و بكل اسف واسى.

ان الغربيين وغيرالمسلمين يحافظون على تراثهم وعلى خصائصهم مهما كانت تافهة وحقيرة، و غير ذات اهمية ولايتنازلون عنها فى اي من الظروف والأحوال حتى انهم عند مايكتبون عن الشؤون والتواريخ الاسلامية نراهم يصرون على تحوير التاريخ الهجرى الذى ضبطت به الى الميلادى، مهما كان ذلک موجبا لضياع كثير من الحقائق والغلط والخلط فيها...

ولكننا نلاحظ من الجهة الاخرى: اننا نتنازل عن كثير من الاشياء التى قد يكون الكثير منها رئيسيا واساسيا بدعوى التقدمية والثقافة الى غير ذلک من الفاظ خلابة و شعارات براقة تخفى وراءها الكثير الكثير من المهالک والاخطار.

ولقد راينا: اننا تخلينا اخيراً وبكل يسر وسهولة عن هذا التاريخ

---

(١)— التنبيه والاشراف ص ٢٥٢.

الهجرى الذى هو مصدر عزتنا، وعليه يقوم تاريخنا وتراثنا... الى التاريخ المسيحي الشمسي الذى انما ظهر واستقر فى القرن الرابع الهجرى على وجه التقريب... فنرى العديد من الدول التى تطلق على نفسها: انها دول اسلامية، والعديد من الشعوب التى تنسب نفسها الى الاسلام قد اتخذت هذا التاريخ المسيحي لاالفارسي والاالرومي الذين اقترحا على الصحابة فى الصدر الاول...

نعم... لقد اعتمدوا التاريخ المسيحى بدعوى الثقافة والتقدمية وما الى ذلك من شعارات وتركوا ما هو مصدر عزتهم و ما عليه يقوم تاريخهم و تراثهم، كما تنازلوا عن الكثير الكثير مما هواعظم واهم، والتنازل عنه امر واخطر، وادهى...

دعوة مخلصة:

«فنحن ندعوا الامم الاسلامية الى اعتماد التاريخ الهجرى فى تقاويمهم و تواريخهم لان بذلك يتصل ماضيهم بحاضرهم و يذكرهم بسر مجدهم وعزتهم، وهو هذا الدين الذى اختاره الله لهم وللانسانية جمعاء...

مضافا الى انه لوكان المفروض جعل اعظم الحوادث مبدأ للتاريخ فاي حادثة اعظم من ظهور نبى الاسلام، وما تلا ذلك من الحوادث العظام.

اقول ذلك للامم الاسلامية جميعا وللعرب خاصة... ولو تنزلنا عن ذلك من حيث الدين فليلا حظوا ذلك بما انهم عرب... واذكّرهم بالكلمة القوية التى اطلقها الحسين سيدالشهداء عليه السلام: ان لم يكن لكم دين وكنتم لاتخافون المعاد فارجعوا الى احسابكم ان كنتم عرباً. (١)».

نسأل الله ان يعيدالهم صوابهم و يجعلهم يسترشدون بعقولهم و ضمائرهم...

واذا كانوا يقلدون غيرهم فى كل شيئ تحت ظل مثل تلك الشعارات فليقلدوهم فى هذه النقطة ايضا... اي فى عدم التنازل عن الخصائص الخيرة

(١)— هذه دعوة السيد مهدى الروحاني.

والتراث العظيم، ثم الاستجداء من الاخرين والاخذ منهم ما قد يكون بل هو كائن فعلا — ضرره اكثر من نفعه...

«قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا و من اتبعني» والحمدلله وصلاته على عباده الذين اصطفى...

٣ — المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

و بعد خمسة أشهر أوثمانية أو أقل أو اكثر(١) من مقدمه صلى الله عليه وآله المدينة آخى بين أصحابه من المهاجرين والانصار. وزاد ابن سعد: انه آخى في نفس الوقت بين المهاجرين والمهاجرين(٢).

آخى بينهم على الحق والمساواة (وقيل: والتوارث) فنزلت سورة الانفال التي تجعل الارث لأولي الارحام قبل أن يموت أحد من المتآخين (٣)؛ لأن أول من مات من المهاجرين — كمايقولون — هو عثمان بن مظعون، مات بعد بدر(٤).

و نحن نشك في أن يكون قد آخى بينهم على التوارث، لانه إن كان رفعه نسخاً فلامعنى للنسخ قبل حضور وقت العمل كما أنه يلزم أن يكون تشريع التوارث للمتآخيين عبثاً، و بلا فائدة... إلا أن يقال: إن نفس جعل الحكم، وأن يعيش المسلمون هذه الأجواء الأخوية والشديدة التلاحم إلى هذا الحد... كان ضرورياً في تلك الفترة من الزمن...

ولكن الذي تطمئن اليه النفس هو أن نفس المسلمين، أو بعضهم هم الذين تخيلوا أن هذه الأخوة ربما تمتد إلى حد توريث بعضهم من بعض...

و إلا فلماذا لم يورث النبي (ص) ممن استشهدوا في بدر من المهاجرين

---

(١)— راجع البحار ج ١٩ ص ١٢٢ و هامش ص ١٣٠ عن مناقب ابن شهراشوب ج ١ ص ١٥٢ و عن المقريزي، عن المنتقى في مولود المصطفى، والمواهب اللدنية ج ٢ ص ٧١، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥، عن اسدالغابة، و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٧، و فتح الباري ج ٧ ص ٢١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٢.

(٢)— طبقات ابن سعد ط. ليدن ج ١ قسم ٢ ص ١.

(٣)— راجع بحارالانوار للعلامة المجلسي رحمه الله ج ١٩ هامش ص ١٣٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣/٩٢.

(٤)— الاصابة ج ٢ ص ٤٦٤، والكامل لابن الاثير ط صادر ج ٢ ص ١٤١.

أوالأنصار، مع ان ذلك قدكان قبل نزول آية «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض».

بل إن كون عثمان بن مظعون مات بعد نزول الآية الرافعة للحكم السابق غيرمعلوم...

عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم:

و يقولون: إن المسلمين كانوا حين المؤاخاة تسعين رجلاً،خمسة و أربعين رجلاً من الانصار،ومثلهم من المهاجرين... و يدعي ابن الجوزي؛أنه احصاهم فكانوا جميعاً ستة وثمانين رجلاً. وقيل:مئة رجل (١) ثم استمر صلى الله عليه وآله يجدد المؤاخاة بحسب من يدخل في الاسلام، أويحضر إلى المدينة من المسلمين(٢) و يدل على ذلك:أنهم يذكرون أنه (ص) قد آخى بين أبي ذر والمنذر بن عمرو مع أن اباذر انما قدم المدينة بعد احد كما انه قد آخى بين الزبير و ابن مسعود، وقد وصل ابن مسعود إلى المدينة والنبي (ص) يتجهز إلى بدر(٣).

ولكن... ربما يشكل على ذلك بان المسلمين كانوا أكثر من ذلك بكثير، فقد بايعه من أهل المدينة في العقبة الثانية اكثر من ثمانين... كما أنه جهزجيشاً بعد عشرة أوثلاثة عشر شهراً إلى بدر قوامه ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً...

ويمكن الجواب... **أولاً**: بما ذكره البعض من أن المؤاخاة كانت بين مئة وخمسين من الانصار، ومئة وخمسين من المهاجرين(٤)...

وثانياً: لوقلنا بعدم صحة ذلك باعتبار أن الذين خرجوا من المهاجرين إلى بدر كانوا ما بين الستين والثمانين— على اختلاف النقل— فاننا نقول: ان الانصار كانوا اكثر بكثير من المهاجرين والمهاجرون هم الذين كانوا خمسة وأربعين، على مايظهر فكانت المؤاخاة بين هؤلاء و بين مثلهم

(١)— راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٠ والبحارج ١٩ ص ١٣٠ عن المنتقى، والمقريزي...

(٢)— فتح الباري ج ٧ ص ٢١١.

(٣)— فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٤)— راجع: البحارج ١٩ ص ١٣٠.

من الانصار، ثم استمرت المؤاخاة كلما ازداد عدد المهاجرين، حتى بلغوامئة وخمسين رجلاً، كمافي النص الآنف...

المؤاخاة بين كلٍ ونظيره:

وكان صلى الله عليه وآله وسلم يؤاخي بين الرجل ونظيره، كما يظهر من ملاحظة المؤاخاة قبل الهجرة، وبعدها، فقد آخى قبل الهجرة— على الظاهر— بين أبي بكر وعمر، وبين طلحة والزبير، وبين عثمان وعبدالرحمان بن عوف، وبين نفسه وعلي (١)... ولكن ابن حبان يذكر أن ذلك كان في المؤاخاة الثانية في المدينة، وزاد فيهم سعدبن أبي وقاص، وعمار بن ياسر(٢) وهؤلاء كلهم من المهاجرين...

وفي المدينة آخى بين أبي بكر، وخارجة بن زهير، وبين عمر وعتبان بن مالك، وهكذا... ثم أخذ بيد علي فقال: هذا أخي... وآخى أيضاً... بين حمزة وزيدبن حارثة، وبين جعفر بن أبي طالب، ومعاذبن جبل...

وقد أورد على هذا الأخير بأن جعفراً كان حينئذٍ في الحبشة(٣).

والجواب هو ماتقدم، من أنه صلى الله عليه وآله استمر يؤاخي بين المسلمين كلما قدم المدينة منهم أحد... وقد أجاب البعض بأنه أرصده لأخوته حين يقدم(٤).

فيردسؤال: ماهوالسبب في تخصيص جعفر بهذا الأمر؟! إلا أن يقال: إن المقصود هواظهار الاهتمام بشان جعفر والتنبيه على فضله...

مؤاخاة النبي (ص) لعلي:

وروى أحمد بن حنبل وغيره: أنه (ص) آخى بين الناس، وترك

(١)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١ والاستيعاب...

(٢)— الثقات ج ١ ص ١٣٨— ١٤٢.

(٣)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥١ والسيرة الحلبية، وغير ذلك...

(٤)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩١.

علياً، حتى الأخير، حتى لايرى له آخاً... فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك وتركتني؟، فقال: انما تركتك لنفسي، انت أخي، وأنا أخوك ،فان ذكرك أحد، فقل: أنا عبدالله وأخورسوله، لايدعيها بعدك إلا كذاب. والذي بعثني بالحق، ما أخرتك إلالنفسى، وأنت منى بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لانبي بعدي، وأنت أخي و وارثي(١).

و من طريف الأمر: أنه عليه السلام، قد قال لهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله هذه الكلمة: أنا عبدالله وأخو رسوله وذلك ، في خضم الاحداث التي انتهت بغصب الخلافة من وارث النبي صلى الله عليه وآله، فكذبوه؟! وقالواله: أما عبدالله فنعم، وأما أخو رسوله فلا...

وقوله: وانت أخي و وارثي يطرح علينا سؤالاً، وهو أنه إذا كان المراد: أنه وارث لعلم النبي (ص) دون غيره، فمن غيره أولى بمقام النبي صلى الله عليه وآله، و إن كان المراد: أنه وارثه بقول مطلق، حتى المال، فان المال كان حقاً لفاطمه عليها السلام، كما قاله الامام الباقر(ع)... وقد استولى الذين جاؤابعد النبي(ص) على اموالها ومنها فدك وغيرها؟!...

تواتر حديث المؤاخاة:

وعلى كل حال... فان حديث المؤاخاة متواتر لايمكن انكاره،ولاسيما مؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع)، سواء في المؤاخاة الأولى في مكة، أم في الثانية في المدينة، وهو مروي عن عشرات من الصحابة والتابعين كما يعلم من المصادر التي في الهامش(٢).

---

(١) راجع: نهج الحق في ضمن دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٧، و ينابيع المودة ص ٥٦،و تذكرة الخواص ص ٢٣ عن أحمد في الفضائل، وصححه، وابن الجوزي، ونقل عن: كنزالعمال ج ٦ ص ٣٩٠ والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٩، و تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٢١،و كفاية الشنقيطى ص ٣٥ و ٤٤.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣، ووفاء الوفاءج١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨، و ينابيع المودة ص ٥٦ و ٥٧ عن مسند أحمد، وتذكرة الخواص ص ٢٢—٢٤، وحكي عن الترمذي أنه صححه، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و ٩٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤، والثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣٨، وفرائدالسمطين ج ١ الباب العشرون، والفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ و ٢٩

و عليه فلا يصغى لدعوى أن النبي آخى بين علي و عثمان،(١) أو بين النبي (ص) و عثمان... فان ذلك لا ريب في بطلانه (٢)... فان المقصود من ذلك هو الرفع من شأن عثمان، و تكذيب فضيلة لعلي عليه السلام، بل و جعل عثمان و علي (ع) في مستوى واحد... و كيف؟! و أنى؟!

تكنية علي بأبي تراب:

و يذكر البعض هنا: أن علياً(ع) لما رأى أنه(ص) لم يؤاخ بينه و بين أحد خرج كئيباً إلى المسجد، فنام على التراب فجاءه(ص) فجعل ينفض التراب عن ظهره، و يقول: قم يا أبا تراب، ثم آخى بينه و بين نفسه (٣).

ولكن الظاهر هو أن هذه التسمية كانت في مناسبة أخرى غير هذه،

والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٢٦ و ج ٧ ص ٣٥، وتاريخ الخلفاء ص ١٧٠، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٨—٢٧٠ عن كنزالعمال، وعن البيهقي في سننه، والضياء في المختارة، وعبدالله بن أحمد في زيادات المسند ثمانية احاديث وأبيه في المسند وفي الفضائل، وأبي يعلى و الطبراني، و ابن عدي، والجمع بين الصحاح الستة، وأخرج الخوارزمي اثني عشر حديثاً، وابن المغازلي ثمانية أحاديث وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٠.

والغدير ج ٣ ص ١١٢ حتى ص ١٢٥ عن بعض من تقدم و عن المصادر التالية: جامع الترمذي ج ٢ ص ١٣، ومصابيح البغوي ج ٢ ص ١٩٩، والاستيعاب ج ٢ ص ٤٦٠، ترجمة أمير المؤمنين، وعد حديث المؤاخاة من الآثار الثابتة، وتيسير الوصول ج ٣ ص ٢٧١ و مشكاة المصابيح هامش المرقاة ج ٥ ص ٥٦٩، والمرقاة ص ٧٣—٧٥، والاصابة ج ٢ ص ٥٠٧ والمواقف ج ٣ ص ٢٧٦، وشرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣، وطبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥، وتاريخ القرماني هامش الكامل ج ١ ص ٢١٦، و سيرة دحلان هامش الحلبية ج ١ ص ٣٢٥، و كفاية الشنقيطي ص ٣٤، والامام علي تاليف محمد رضا ص ٢١، والامام علي لعبد الفتاح عبدالمقصود ص ٧٣ والفتاوى الحديثية ص ٤٢ و شرح النهج ج ٢ ص ٦٢ و صححه وعده مما استفاض من الروايات، و كنزالعمال ج ٦ ص ٢٩٤ و ٢٩٩ و ٣٩٠ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٥٤.

---

(١)— تاريخ ابن خلدون ج ٢ ص ٣٩٧ و الغدير ج ٩ ص ٩٤ و ٩٥ و ٣١٨ عن الرياض النضرة ج ١ ص ١٧، و عن الطبري ج ٦ ص ١٥٤ و عن كامل ابن الاثير ج ٣ ص ٧٠ و عن المعتزلي ج ١ ص ١٦٥ و لكنه في ج ٢ ص ٥٠٦ ذكر نفس الحديث عن الطبري من دون ذكر المؤاخاة!!!...

(٢)— طبقات ابن سعد ط ليدن ج ٣ ص ٤٧ و الغدير ج ٩ ص ١٦ عنه...

(٣)— الفصول المهمة لابن الصباغ ص ٢٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١١ عن الطبراني في الكبير والاوسط، و مناقب الخوارزمي ص ٧، وعن كفاية الطالب ص ١٩٣ عن ابن عساكر...

ولسوف نتعرض لها حين الحديث عن السرايا في الآتي القريب إن شاء الله تعالى...

مع المنكرين لمؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع):

و بعد كل تلك المصادر المتقدمة والتي هي غيض من فيض نجد ابن حزم وابن كثير ينكران صحة سند حديث المؤاخاة (١) و أنكره أيضاً ابن تيمية واعتبره باطلاً و موضوعاً، بحجة: أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار إنما كانت لارفاق بعضهم ببعض، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض؛ فلا معنى لمؤاخاة النبي (ص) لأحدٍ منهم، ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري (٢).

و نحن نقول:

إن إنكار سند حديث مؤاخاة النبي (ص) لعلي (ع) لامعنى له بعد أن صححه كثير من الأعلام، و بعد أن تواتر في كتب سائر المسلمين عن عشرات الصحابة والتابعين، وغيرهم... ولاسيما إذا كان هذا الانكار من الابناء الثلاثة: كثير، و حزم، و تيمية، المعروفين بالنصب، والتعصب ضد فضائل علي، و اهل بيته الطاهرين...

و أما ماذكره ابن تيمية تعليلاً لانكاره؛ فنحن نذكر:

أولاً: ما أجاب به غير واحد: «من ان هذا رد للنص بالقياس، و غفلة عن حقيقة الحكمة في ذلك. و بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة، و الارتفاق ممكن، فآخى بينهم ليعين بعضهم بعضاً...» ثم طبقوا هذا الاحتمال على علي (ع) و النبي لأنه (ص) كان يقوم بامر علي قبل البعثة (٣)

---

(١)— راجع: البداية والنهاية ج ٧ ص ٢٢٣ و ٣٣٦،

(٢)— راجع: منهاج السنة ج ٢ ص ١١٩ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٢٧، و فتح الباري ج ٧ ص ٢١١ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ و دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٧٢.

(٣)— وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨، وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥، والغدير ج ٣ ص ١٧٤—١٧٥ عن الفتح عن الزرقاني في شرح المواهب ج ١ ص ٣٧٣.

اي أن التآلف وا لمحبة مطلوبان أيضاً بين المهاجرين؛ لأنهم كانوا من فئات مختلفة، ومستويات متفاوتة: عقائدياً وفكرياً، واجتماعياً الخ... بل لقد صرح نص المؤاخاة بأنها كانت على الحق والمساواة.. كما أنه قدهاجر من قبيلةٍ و احدٌ ومن أخرى عشرة... كما و يدعون أن بعض المهاجرين قد حمل ماله معه؛ فيمكن أن يعين بعضهم بعضاً...

ولكننالا نوافق على قولهم الاخير بالنسبة لعلي (ع) والنبي (ص)، لأن علياً قد بلغ منزلة يستطيع معها أن يعول نفسه بالعمل والحصول على مايحتاج إليه، أو بالزراعة، أو التجارة، بل والغنائم أيضاً...

و إنما الغرض من مؤاخاة الرسول (ص) له هوتعريف منزلته، و اظهار فضله على غيره، لأنه كان يؤاخي بين الرجل و نظيره— كما صرح به المؤرخون— وكما يظهر من دراسة عملية المؤاخاة نفسها، لأن ذلك أقرب إلى التعاضد والتعاون، وأوجب للتآلف والمحبة (١).

وثانياً: قد أخرج الحاكم، و ابن عبدالبر، بسند حسن: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم «آخى بين الزبير و ابن مسعود» وهما من المهاجرين. و أخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطبراني، و يصرح ابن تيمية بأن أحاديث المختارة أصح و أقوى من أحاديث المستدرك (٢) ولكن لابد وأن يكون ذلك بعد قدوم ابن مسعود إلى المدينة لأنه كان من مهاجرى الحبشة، وقدم المدينة بعد قضية المؤاخاة العامة حين كان (ص) يتجهز الى بدر (٣)

وآخى أيضا— على ما ذكره ابن حبان و غيره— بعد الهجرة بين أبي بكر وعمر، وعثمان وعبدالرحمان بن عوف، وطلحة والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر و بينه(ص) و بين علي (ع).(٤)

(١)— راجع: دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٧٢/ ٢٧٣

(٢)— فتح الباري، و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨، والغدير ج ٣ ص ١٧٤ و ١٧٥ عن الفتح، و عن شرح المواهب للزرقاني ج ١ ص ٣٧٣.

(٣)— فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٤)— الثقات لابن حبان ج ١ ص ١٣٨— ١٤٢ و راجع: الغدير ج ١٠ ص ١٠٣— ١٠٧ فانه ذكره عن غير واحد وراجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٦٨ والسيرة ←

كما و ثبتت أيضاً مؤاخاة زيد بن حارثة لحمزة و هما مهاجريان، ولذا-كما يقولون- تنازع زيد وعلي وجعفر في ابنة حمزة، وكانت حجة زيد: أنها ابنة أخيه(١)...

و قضية الخلاف حول من يكفل ابنة حمزة تحتاج إلى تحقيق و تمحيص، نسال الله أن يوفقنا لذلك في فرصة أخرى إن شاء الله تعالى...

مع قضية المؤاخاة:

الف: ا لسمو بالعلاقات الانسانية:

لقد أريد بعملية المؤاخاة السمو بعلاقات هذا الانسان عن المستوى المصلحي و جعلها علاقة إلهية خالصة تصل إلى درجة الأخوة، وليكون أثرها في التعامل بين المسلمين اكثر طبيعية وانسجاماً، و بعيداً عن النوازع النفسية، التي ربما توحي للأخوين المتعاونين بأمور من شأنها أن تعقد العلاقات بينهما ولو نفسياً على أقل تقدير...

باء: دورالمؤاخاة فى بناء المجتمع الجديد:

لقد كان الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم بصدد بناء مجتمع جديد، يكون المثل الأعلى للصلاح و الفلاح، قادراً على القيام بأعباء الدعوة إلى الله، و نصرة دينه في أي من الظروف والأحوال...

وقد تقدمت- عندالبحث عن عملية بناء المسجد- الاشارة إلى واقع وجود الفوارق الكبيرة بين المهاجرين أنفسهم، والانصار أنفسهم، والمهاجرين والانصارمعا- الفوارق- الاجتماعية، والقبلية، والثقافية، والنفسية، والعاطفية، وحتى العمق العقيدي، وغير ذلك... هذا بالاضافة إلى الظروف النفسية والمعيشية، التى كان يعاني منها المهاجرون بالخصوص...

الحلبية ج ٢ ص ٢٠، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٥٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٢١١، والاستيعاب.و ذكر عثمان،وقد كان في الحبشة، وكذا عبدالرحمان بن عوف،يؤيد:أن ذلك كان فى المؤاخاة الثانية بعد الهجرة إلى المدينة...

(١) صحيح البخاري ج ٣ ص ٣٧ ط الميمنية، و مستدرک الحاكم ج ٢ ص ١٢٠ وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة وغير ذلك من المصادر.

ومع ملاحظة حجم التحدي، الذي كان يواجه هذا المجتمع الناشئ الجديد، سواء في الداخل: من الخلافات بين الاوس والخزرج، الذين كانوا لايزالون على شركهم، ثم من المنافقين، ومن يهود المدينة... ومن الخارج: من اليهود، والمشركين في جزيرة العرب؛ بل والعالم بأسره...

ومع ملاحظة عظم المسؤولية التي يتحملها هذا المجتمع في صراعه من أجل إقامة هذا الدين الجديد والدفاع عنه...

مع ملاحظة كل ذلك... كان لابد من إيجاد روابط وثيقة تشد هذا المجتمع بعضه إلى بعض، و بناء عواطف راسخة، قائمة على أساس عقيدي، تمنع من الاهمال و من الحيف على أي فرد من أفراد هذاالمجتمع الجديد، بحيث يكون الكل مشمولين للرعاية التامة، التي تجعلهم يعيشون الحب والحنان بأسمى و أجل معانيه... كما أنها تمنع من ظهور تلك الرواسب النفسية، والعقد التاريخية— بل وتقضي عليها تدريجاً— بين افراد هذا المجتمع،ولاسيما بعد أن أصبح يعيش مع بعضه البعض... الأمر الذي يجعل خطر ظهورها— لأتفه الاسباب— أشد، و تدميرها أعظم و أوسع...

و كانت تلك الرابطة الوثيقة هي عملية: «المؤاخاة»، التي روعيت فيها الدقة إلى الحد الذي يضمن معه أن يحفظ في هذا المجتمع الجديد معها— التماسك والتعاضد إلى أبعد مدى ممكن، وأقصى غاية تستطاع. ولاسيما وأنه كان يؤاخي بين الرجل ونظيره، كما يقولون...

و سر ذلك يرجع إلى أن هذه المؤاخاة قد أقيمت على أساسين اثنين:

الأول: الحق:

فهوالقاسم المشترك بين الجميع، عليه يبنون علاقاتهم، وهوالذي يحكم تعاملهم مع بعضهم البعض في مختلف مجالات الحياة...

نعم... الحق هوالاساس، و ليس الشعور الشخصي النفسي، ولا المصلحة الشخصية أوالقبلية، أوالحزبية!!

و بديهي: أن الحق إذا جاء عن طريق الأخوة و الحنان والعطف، فان ذلك يكون ضمانة لبقائه واستمراره، والتعلق به، والدفاع عنه.

أما إذا فرض هذا الحق فرضاً عن طريق القوة والسلطة فبمجرد أن تغيب السلطة، والقوة؛ فلنا أن نتوقع غياب الحق، لأن ضمانة بقائه ذهبت، فأي مبرر يبقى لوجوده، و بقائه؟!. بل ربما يكون وجوده و بقاؤه مثاراً للاحقاد والاحن، التي ربما يتولد عنها الظلم والطغيان في ابشع صوره و أخزاها...

الثاني: المؤاساة:

فهذه الأخوة إذن ... ليست مجرد توهج عاطفة، أوشعور نفسي، وإنما هي أخوة مسؤولة ومنتجة، تترتب عليها آثار عملية بالفعل، يحسّ الانسان فعلاً بجدواها و فعاليتها، تماماً كالأ خوة التي فى قوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم (١)» حيث جعل مسؤولية الصلح بين المؤمنين متفرعة وناشئة عن الأخوة الايمانية... و إذا كانت أخوّة خيرّة ومنتجة—، فمن الطبيعي أن تبقى، وأن تستمر. ومن الطبيعي أيضاً أن يستمر الاحتفاظ بها، والحفاظ عليها إلى أبعد مدى ممكن...

وقد كانت لهذه المؤاخاة نتائج هامة في تاريخ النضال والجهاد... وقد امتنّ الله على نبيه في بدر بقوله:

«و إن يريدوا أن يخدعوك ؛ فان حسبك الله، هوالذي أيدك بنصره و بالمؤمنين، وألف بين قلوبهم، لوأنفقت مافي الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم، ولكن الله ألف بينهم، إن الله عزيز حكيم(٢)».

خلّة أبي بكر:

و يروون: أنه (ص) قال: لوكنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً (٣)...

---

(١)— الحجرات ١٠ (٢)— الانفال ٦٢

(٣)— مصنف عبدالرزاق ج ١٠ ص عن ابن الزبير، وفى هامشه عن سعيد بن منصور، والغدير ج ٩ ص ٣٤٧ عن صحيح البخاري ج ٥ ص ٢٤٣ باب المناقب، و باب الهجرة ج ٦ ص ٤٤.

ولكن كيف يصح هذا وهم يروون:

١— ان خليلي من أمتي أبوبكر (١).

٢— ويروون:، لكل نبي خليل، و خليلي سعد بن معاذ (٢) أوعثمان بن عفان(٣).

والحقيقة هي: أن حديث خلة عثمان قد وضعه اسحاق بن نجيح الملطي (٤).

وحديث خلة أبي بكر موضوع في مقابل حديث اخاء النبي صلى الله عليه و آله لعلي، كمانص عليه المعتزلي (٥).

على أبي ذر أن لايعصي سلمان:

وقد روى الكليني عن أبي عبدالله عليه السلام: آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين سلمان وأبي ذر، واشترط على أبي ذر: أن لايعصي سلمان (٦).

و واضح: أن ذلك يعني: أن اطاعة أبي ذر لسلمان لم تكن: الا لأنها توصل الى الحق، وتؤدى إلى الاحتفاظ به والحفاظ عليه والا لأنه يمثل الوعي الرسالي الرائد في أعلى مستو ياته، يدعم هذا الوعي و يحميه، و يرفده إيمان ثر، وعقيدة راسخة... توجه الفكر والرأي، والوعي، وكل الحركات نحوالهدف الاسمى، والمبدأ الأعلى، لتعيش في ظلاله، وتفنى كلها فيه بكل ما لهذه الكلمة من معنى...

---

(١)— ارشادالساري ج ٦ ص ٨٣ و ٨٤ و الغدير عنه و عن كنزالعمال ج ٦ ص ١٣٨ و ١٤٠ و الرياض النضرة ج ١ ص ٨٣.

(٢)— الغدير ج ٩ ص ٣٤٧ عن كنزالعمال ج ٦ ص ٨٣، و منتخب كنزالعمال هامش المسند ج ٥ ص ٢٣١

(٣)— تاريخ بغداد للخطيب ج ٦ ص ٣٢١، والغدير ج ٩ ص ٣٤٦ / ٣٤٧.

(٤)— راجع: الغدير ج ٩ ص ٣٤٧.

(٥)— شرح النهج للمعتزلي ج ١١ ص ٤٩.

(٦)— روضة الكافي ص ١٦٢

فان الايمان عشر درجات، و سلمان كان في العاشرة، وابوذر في التاسعة، والمقداد في الثامنة (١).

و إن اطاعة أبي ذر لسلمان لتعطينا: أن الميزان والمقياس في الطاعة ليس إلا ذلك الذي أشرنا إليه، و اعتبره القرآن وسيلة لنيل التقوى، واليقين: «هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون (٢)» و: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» (٣) و: «إن اكرمكم عندالله اتقاكم (٤)».

و إذن... فليس للعرق، ولااللون، ولا للجاه، ولاللمال ولا غير ذلك ... أي دور في التفاضل واعطاء الامتيازات— من أي نوع كانت ولأي كان، و إنما الميزان والمقياس في كل ذلك هوالتقوى والتقوى فقط... التي يدعمها الايمان الراسخ، والفكر النير، والوعي الرسالي الرائد، ولا جل ذلك كان على ابي ذر: ان لايعصى سلمان، الذي بلغ من العلم والمعرفة بحيث لواطلع أبوذر على مافي قلب سلمان لقتله (٥) وعن الفضل: مانشأ في الاسلام رجل من كافة الناس كان افقه من سلمان الفارسي (٦).

ولاجل ذلك بالذات كان لابد من اطاعة ائمة الهدى، الذّين هم القمة في العلم والمعرفة... ومن ثم في التقوى، والذين يمثلون خلافة الله حقاً على الارض، دون غيرهم من المتغلبين الجهلة، والطواغيت والجبارين...

٤— اسس العلاقات في المجتمع الجديد

و بعد مدة و جيزة من قدومه(ص)للمدينة، و يقول البعض: بعد خمسة أشهر(٧) كتب صلى الله عليه وآله كتاباً أووثيقة بينه و بين اليهود، أقرهم فيها على دينهم وأموالهم، واشترط عليهم أن لايعينو اعليه أحداً، و إن دهم أمر فعليهم النصر، كما أن على المسلمين ذلك في المقابل... ولكن سرعان مانقض اليهود العهد، وعادوا إلى المكر والغدر، ولايحيق المكر السيء إلا بأهله...

(١)— قاموس الرجال ج ٤ ص ٤٢٣ عن الخصال للصدوق.
(٢)— الزمر ٩ (٣)— فاطر ٢٨ (٤)— الحجرات ١٣
(٥)— راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٤١٨ وغيرها... (٦)— المصدرالسابق
(٧)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٣.

ويلاحظ: أن الوثيقة المشار اليها لم تقتصر على تنظيم علاقات المسلمين مع غيرهم، و إنما تعرض جانب كبير— بل هو الجانب الأكبر— منها إلى تقرير قواعد كلية، واسس عملية للعلاقات بين المسلمين أنفسهم، كان لابد منها لتلافي الاخطاء المحتملة قبل أن تقع...

فهذه الوثيقة بمثابة دستور عمل يتضمن اسس العلاقات في الدولة الناشئة، سواء فى الداخل أوفي الخارج...

وهذه الوثيقة هي بحق من أهم الوثائق القانونية، التي لابد وأن يدرسها علماء القانون والتشريع بدقة متناهية، لاستخلاص الدلائل والاحكام منها... وأيضاً لمعرفة الغايات التى يرمي إليها الاسلام، والضوابط التي يرتضيها، ومقارنتها بغيرها مما يتهالك المستضعفون— فكريا— من هذه الامة عليه، من القوانين القاصرة عن تلبية الحاجات الفطرية و غيرها للانسان... و إليك نص الوثيقة كما هو:

نص الوثيقة:

قال ابن اسحاق:

وكتب رسول الله (ص) كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم و أموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم...

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب من محمد النبي (ص) بين المؤمنين والمسلمين من قريش و يثرب، ومن تبعهم؛ فلحق بهم وجاهد معهم، إنهم أمة واحدة من دون الناس، المهاجرون من قريش على ربعتهم (١) يتعاقلون بينهم، و هم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

و بنو عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى، كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين...

---

(١)— الربعة: الحال التي جاء الاسلام وهم عليها. والعاني: الاسير. والمعاقل: الديات.

و بنو ساعدة على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى. وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

و بنوالحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين... و بنوجشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى، و كل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

و بنو النجار على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأولى. وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين...

و بنو عمرو بن عوف على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الأ ولى، وكل طائفة— تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. و بنو النبيت على ربعتهم، يتعاقلون معاقلهم الاولى و كل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين. و بنوالأوس على ربعتهم يتعاقلون معا قلهم الأولى، كل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

و إن المؤمنين لايتركون مفرحا (١) بينهم، ان يعطوه بالمعروف في فداء أوعقل.

و إن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة (٢) ظلم، أواثم أو عدوان، أوفساد بين المؤمنين. و إن أيديهم عليه جميعاً، ولوكان ولد أحدهم...

ولايقتل مؤمن مؤمناً في كافر. ولاينصر كافراً على مؤمن.

و إن ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم

و ان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس.

و إن من تبعنا من يهود؛ فان له النصر والاسوة، غير مظلومين، ولا متناصرين عليهم.

---

(١)— المفرح: المثقل بالدين و الكثير العيال. (٢)— الدسيعة: العظمية.

و ان سلم المؤمنين واحدة، لايسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم. و ان كل غازية غزت معنايعقب بعضها بعضا. و إن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بمانال دماء هم في سبيل الله.

و إن المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه.

و انه لايجير مشرك مالا لقريش، ولانفساً، ولايحول دونه على مؤمن.

و انه من اعتبط (١) مؤمناً قتلاً عن بينة، فانه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول، وان المؤمنين عليه كافة، ولايحل لهم إلاقيام عليه.

و إنه لايحل لمؤمن أقربما في هذه الصحيفة، وآمن بالله واليوم الآخر: أن ينصر محدثاً، و لايؤو يه، و ان من نصره أو آواه؛ فان عليه لعنة الله وغضبه يوم ا لقيامة، ولايؤخذ منه صرف ولاعدل.

وانكم مهما اختلفتم في شيء؛ فان مردّه إلى الله عزوجل، والى محمد (ص).

و ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين. و إن يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وانفسهم إلا من ظلم وأثم؛ فانه لايوتغ(٢) إلا نفسه، وأهل بيته. و إن ليهود بني النجار مثل ماليهود بني عوف، و إن ليهود بني الحارث مثل ماليهود بني عوف. و إن ليهود بني ساعدة مثل ماليهود بني عوف. و إن ليهود بني الاوس مثل ماليهود بني عوف. و إن ليهود بني ثعلبة مثل ماليهود بني عوف. إلا من ظلم و أثم، فانه لايوتغ إلا نفسه، و أهل بيته.

و إن جفنة— بطن من ثعلبة— كأنفسهم. و إن لبني الشطيبة مثل ماليهود بني عوف. و ان البرّدون الاثم. و ان موالي ثعلبة كأنفسهم. و إن بطانة (٣) يهود كأنفسهم.

و إنه لايخرج منهم أحد إلا بأذن محمد (ص).

---

(١)— اعتبطه: قتله بلاجناية منه توجب قتله

(٢)— يوتغ: يهلك. (٣)— بطانة الرجل: خاصته وأهل بيته.

و انه لاينحجز على ثارجرح. و إنه من فتك فبنفسه فتك، و أهل بيته، إلا من ظلم. و إن الله على أبرّ هذا (١)...

و ان على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

و ان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة

و ان بينهم النصح و النصيحة، و البردون الاثم.

و إنه لم يأثم امرؤ بحليفه. و ان النصر للمظلوم

و ان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محار بين

و إن يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة.

و ان الجار كالنفس، غير مضارٍ ولا آثم. و إنه لاتجار حرمة إلا باذن أهلها.

و إن ماكان بين أهل هذه الصيحفة من حدث أواشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عزوجل، و الى محمد (ص).

و ان الله على اتقى ما في هذا الصحيفة و أبرّه.

و انه لاتجار قريش، ولا من نصرها... و إن بينهم النصر على من دهم يثرب، و إذا دعوا إلى صلح يصالحونه و يلبسونه، فانهم يصالحونه و يلبسونه، و إنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين، إلا من حارب في الدين، على كل أناس حصتهم، من جانبهم الذي قبلهم. و إن يهود الأوس، مواليهم و انفسهم على مثل مالاهل هذه الصحيفة، مع البر المحض من أهل هذه الصحيفة.

و ان البردون الاثم، لايكسب كاسب إلا على نفسه. و إن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة و أبرّه. و انه لايحول هذا الكتاب دون ظالم و آثم...

---

(١)— أي على الرضا به

و إنه من خرج آمن، و من قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم و أثم.

و ان الله جارلمن بر واتقى، و محمد رسول الله (ص)...(١)

كانت تلك هي الو ثيقة الهامة التي لم يهتم بشأنها المؤر خون، وأهمل دراستها وتمحيصها الكتاب و الباحثون... نوجه إليها أنظار الطامحين إلى البحث والتدقيق والتمحيص... و نأمل أن تحظى منهم بما يليق بها من اهتمام والله هوالموفق والمسدد.

٥ــ موادعة اليهود:

و جاءت يهود قر يظة، والنضير، وقينقاع، و طلبوا الهدنة من رسول الله(ص) ، فكتب لهم بذلك، على أن لايعينوا عليه أحداً، و لايتعرضوا لاحد من اصحابه بلسان، و لايد، ولابسلاح، و لابكراع، في السر، ولا في العلانية، لابليل و لابنهار؛ فان فعلوا فرسول الله (ص) في حلّ من سفك دمائهم، وسبي ذراريهم ونسائهم، وأخذ اموالهم... وكتب لكل قبيلة كتاباً على حدة (٢).

ولكن اليهود عادوا بعد ذلك الى الغدر والمكر كماسيأتي إن شاء الله مع علمهم بأنه النبي الحق، كما تدل عليه تصريحاتهم المختلفة.

---

(١)ــ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٧ــ ١٥٠، و البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٢٤ــ ٢٢٦.

(٢)ــ اعلام الورى ص ٦٩ والبحارج ١٩ ص ١١٠ / ١١١ عنه، والسيرة النبوية لدحلان ج ١ ص ١٧٥.

الفصل الثالث:

قضايا وأحداث غير عسكرية

عودة بعض المهاجرين الى الحبشة:

و بلغ المسلمين في الحبشة نبأهجرة الرسول صلى الله عليه و آله وسلم والمسلمين الى المدينة، فرجع منهم ثلاثة و ثلاثون رجلاً، و ثمانى نسوة، فمات منهم رجلان في مكة، و حبس سبعة، و انتهى بقيتهم الى رسول الله (ص) في المدينة، و شهد بـــدراً منهم أربعة و عشرون (١).

و استمروا يخرجون إليه (ص) إلى المدينة(٢) إلى أن قدم جعفر عليه السلام مع الجماعة الباقية في سنة سبع حين فتح خيبر، كما سيأتى إن شاء الله تعالى...

و هؤلاء الثلاثون المشار إليهم هنا هم غير الذين عادوا الى مكة في السنة الخامسة من البعثة قبل الهجرة إلى المدينة بثمان سنوات.

و أما السبب في مرورهم على مكة مع أنها البلد الذي فروا منه... هو أن طريقهم إلى المدينة كان يمر بقرب مكة— على مايظهر (٣) فأرادوا

---

(١)— راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٩

(٢)— راجع: طبقات ابن سعد ج ١ قسم ١ ص ١٣٩ و زادالمعادج ١ ص ٢٥ و ج ٢ ص ٢٤/ ٤٥ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ١٥٢، و فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٣)— و يدل على ذلك ماوردفي المصنف ج ٥ ص ٣٦٧: «فلما قاتل رسول الله (ص) كفار قريش، حالت الحرب بين مهاجرة أرض الحبشة، و بين القدوم على رسول الله، حتى لقوه بالمدينة زمن الخندق» انتهى.

الحصول على أموالهم التي كانت في مكة، و تجديد العهد بأهلهم و ذويهم، و بالبيت العتيق، ثم يسافرون إلى المدينة...

ولكن قريشاً واجهتهم بالعنف والقسوة، ولم ترع لهم حرمة، ولا غربة، ولا قرابة...

و واضح: أن وصول مهاجرى الحبشة إلى المدينة كان بعد عدة أشهر من وصول النبي صلى الله عليه و آله وسلم إليها، إذ أن وصول نبأ هجرة النبي(ص) إليهم، ثم هجرتهم إلى مكة، و تصفية علاقاتهم بها، ثم ماجرى لهم مع قريش، ثم هجرتهم الى المدينة، يحتاج إلى وقت طويل... حتى إن العسقلاني يذكر: أن ابن مسعود كان من جملة الثلاثين العائدين إلى مكة، فالمدينة... فوصل إلى المدينة حين كان النبي(ص) يتجهز إلى بدر(١).

عائشة في بيت النبي (ص):

وفي السنة الاولى من الهجرة، و قيل في التي بعدها، انتقلت عائشة إلى بيت النبي صلى الله عليه وآله، وذلك في شهر شوال... وقالوا: إنه لم يتزوج بكراً غيرها. ولكننا لانطمئن إلى صحة ذلك، وذلك بملاحظة ماتقدم حين الكلام على زواجه(ص) بخديجة. ولربما نشيرالى ذلك فيما ياتي انشاءالله تعالى...

ولا نعرف لما ذا كان زفاف عائشة غير ذي أهمية لدى النبي صلى الله عليه وآله؛ فقد روي: أنه صلى الله عليه وآله ماأولم على عائشة بشيء— رغم قدرته على ذلك في تلك الفترة— غير أن قدحاً من لبن أهدي إليه من بيت سعدبن عبادة، فشرب النبي صلى الله عليه وآله بعضه، وشربت عائشة منه!! (٢).

ولا يصح أن يعدّ ذلك وليمة عرس لها؛ إذ من الطبيعي أن لايغفل النبي عن عرض الطعام على جليسه فضلاً عن زوجته...

---

(١)— فتح الباري ج ٧ ص ١٤٥.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢١.

استدلال طريف:

هذا... وقد كانت عائشة تستدل على حظوتها عندالنبي(ص) بأنه قد تزوجها في شوال؛ فتقول:

تزوجني رسول الله (ص) في شوال، فأي نساء رسول الله(ص) كانت أحظى عنده مني... (١).

وهو استدلال طريف حقاً، فمتى كان لشوال هذه الفضيلة، العظيمة التي تدل على الحظوة؟!

كما أن مما لاشك فيه: أن خديجة وأم سلمة، و سائر نسائه (ص) قد كن أحظى عنده منها، ولذا فقد كانت تحسد هن، و تؤذيهن، و تسيئ إليهن حتى أمام رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم نفسه كثيراً، وقد تقدم بعض مايدل على ذلك حين الكلام على العقد على عائشة قبل الهجرة...

و أطرف من ذلك: أننا نجد البعض يحكم باستحباب العقد في شوال(٢).

و يبدو أن حبهم لعائشة، و تقديرهم لرغباتها، وهي التي كانت الساعد الأيمن للهيئة الحاكمة بعد النبي، والتي حاربت علياً الشوكة الجارحة في أعينهم، والتي لم تكن تقدر أن تذكره بخير أبداً(٣)... إن ذلك هوالذي دفعهم إلى وضع هذا التشريع... مع أنهم يروون أن النبي صلى الله عليه و آله تزوج بجويرية، وبحفصة في شعبان، وبزينب بنت خزيمة في شهر رمضان، وبزينب بنت جحش في ذي القعدة كمايقال: فالنبي إذن... قد ترك هذا المستحب، ولم يفعله الا بالنسبة لعائشة وحدها، و وحدها فقط!! إن ذلك عجيب! و أي عجيب!!.

---

(١)— تاريخ الطبري ط الاستقامة ج ٢ ص ١١٨، و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٨.

(٢)— راجع: نزهة المجالس للصفوري الشافعي ج ٢ ص ١٣٧.

(٣)— فتح الباري ج ٢ ص ١٣١ و مسند أحمد ج ٦ ص ٢٢٨، و الغدير ج ٩ ص ٣٢٤.

فاتحة عهد جديد:

و على كل حال... فان بدخول عائشة الى بيت النبي الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم بدأت في هذا البيت، الذي كان مثالاً للهدوء والسكينة، والجلال... حتى عهد قريب— بدأت— فيه تحولات وتغيرات ذات طابع معين، حينما صار مجالاً لكثير من التناقضات، التي كانت مصدراً لهمّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغمه أحياناً كثيرة... و كانت عائشة هي السبب المباشر، والمحرك في القسم الأعظم منها.

ولا نقول ذلك من عند أنفسنا، و إنما نستند في ذلك إلى ما أثبته التاريخ والحديث المتواتر عنها... بل إنها هي نفسها تصرح: بأنها كانت السبب في كل ما كان يجري فس بيته (ص) من مشاحنات، وتناقضات... كما جاء في بعض المصادر، على ماذكره لي بعض المحققين.

تشريع الأذان:

و يذكرون هنا: أن الأذان قد شرع في السنة الأ ولى من الهجرة، وقيل: في الثانية، ولايهمنا تحقيق ذلك كثيراً.

أما كيفية تشريعه فتحكى على النحوالتالي: إن النبي (ص) اهتم للصلاة، كيف يجمع الناس لها. فقيل له: انصب راية؛ فاذارأوها آذن بعضهم بعضاً، فلم يعجبه ذلك، فذكرواله القبع— يعني الشبور، شبور اليهود— فلم يعجبه ذلك،وقال: هو من أمر اليهود. فذكرواله الناقوس. فقال: هو من أمر النصارى. وكأنه كرهه أولاً، ثم أمر به، فعمل من خشب.

فانصرف عبدالله بن زيد و هومهتم لهمّ رسول الله(ص) فأري الأذان في منامه.

قال: فغدا على رسول الله(ص) فأخبره، فقال له: يا رسول الله، إني لبين نائم و يقظان إذ أتاني آت، فأراني الأذان...

قال: و كان عمر بن الخطاب قد رآه قبل ذلك؛ فكتمه عشرين يوماً، ثم أخبر به النبي(ص) فقال: مامنعك أن تخبرني؟! قال: سبقني عبدالله زيد، فاستحييت، فقال رسول الله (ص): يا بلال، قم فانظر مايامرك به عبدالله بن زيد فافعله. قال: فأذن بلال الحديث.

كان هذا أحد نصوص رواية كيفية تشريع الأذان... وللرواية نصوص كثيرة ومختلفة جداً، فراجع المصادر التي في الهامش(١).

مناقشة روايات الأذان:

و نحن نعتقد بعدم صحة ذلك... و ذلك استناداً إلى مايلي:

أولاً: تناقض الروايات الشديد، كمايظهر بالمراجعة والمقارنة... فمثلاً:

الرواية المتقدمة تذكر أن ابن زيد رأى الأذان بين المنام واليقظة، و أخرى تقول: رآه في المنام وثالثة تقول: إن ابن زيد قال: «لولاأن يقول الناس لقلت: اني كنت يقظان غير نائم».

و رواية تقول: إن ابن زيد رآه فأخبر به النبي(ص) وأخرى تقول: إن

---

(١)— راجع في نصوص الحديث المختلفة: المصادر التالية:

سنن أبي داود ج ١ ص ٣٣٥— ٣٣٨، والمصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٥٥— ٤٦٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣— ٩٧، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٩، والموطأ ج ١ وشرحه للزرقاني ج ١ ص ١٢٠— ١٢٥، والجامع الصحيح للترمذي ج ١ ص ٣٥٨— ٣٦١، و مسند أحمد ج ٤ ص ٤٢، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ١٢٤، و سنن البيهقي ج ١ ص ٣٩٠ / ٣٩١، و سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٤ / ١٥٥ و ١٢٥، و نصب الراية ج ١ ص ٢٥٩— ٢٦١، و فتح الباري ج ٢ ص ٦٣— ٦٦، وطبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٨، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٢/ ٢٣٣، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١، ومنتخب كنز العمال هامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٣ و ٢٧٥، وتبيين الحقائق للزيلعي ج ١ ص ٩٠، والروض الأنف ج ٢ ص ٢٨٥/ ٢٨٦، و حياة الصحابة ج ٣ ص ١٣١ عن كنز العمال ج ٤ ص ٢٦٣/ ٢٤٦ و نقل أيضاً عن أبي الشيخ، و ابن حبان، وابن خزيمة، و سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٤١/ ٢٤٢/ و ٢٤٥. و غير ذلك من المصادر الكثيرة التي لامجال لتتبعها واستقصائها...

جبرئيل أذن في سماء الدنيا فسمعه عمر و بلال، فسبق عمر بلالاً، فأخبر النبي(ص)، ثم جاء بلال، فقال له: سبقك بها عمر.

و رواية تقول: إن ابن زيد رآه. واخرى تقول: إن سبعة من الانصار رأوه. وقيل: أربعة عشر، ورواية تزيد عبدالله بن أبي بكر... ورواية تقول: إن بلالاً كان يقول: أشهدأن لا اله إلا الله حي على الصلاة، فقال له عمر: أشهد أن محمداً رسول الله، فقال النبي (ص) لبلال: قل كما قال عمر...

و رواية تفرد فصول الاقامة، و رواية تثنيها....

الى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي لامجال لذكرها... فراجع المصادر و قارن بين الروايات إن شئت.

و ثانياً: إن سماع عمر و بلال لجبرئيل، أورؤية ابن زيد للاذان في اليقظة— لايمكن قبوله؛ لأن معنى ذلك هو أن يكون هؤلاء من الانبياء، لأنهم قدرأواجبرئيل عياناً، وسمعوا منه أمراً تشريعياً؛ توقيفياً وذلك من مختصات الانبياء.

و إن كان الصحيح، هو رواية الرؤية في المنام... فقد قال العسقلاني:

«وقد استشكل في اثبات حكم الأذان برؤيا عبدالله بن زيد، لأن رؤيا غير الانبياء لايبنى عليها حكم شرعي. أجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك !؟(١)».

ولكنه جواب بارد؛ فإن مجرد الاحتمال لايجدي، مع كون الرواية المعتمدة عندهم لم تذكر ذلك، ولم تشر إليه، بل اكتفت بمجرد أمره(ص) بلالاً بالتعلم من ابن زيد... ثم لماذا لم ينزل الوحي عليه من أول الأمر وحينما كان متحيراً في أمره، مهموماً مغموماً لايدري مايفعل...

و يبقى سؤال: انه لم اختص الأذان بأن شرع بهذه الكيفية، دون سائر

---

(١)— فتح الباري ج ٢ ص ٦٢.

الاحكام؟! و أجاب السهيلي بأن في الأذان تنويها بشأنه، ورفعاً لذكره، فلأن يكون على لسان غيره أنوه وأفخم لشأنه (١).

ولكنه جواب بارد ايضاً— و إن استحسنه العسقلاني وغيره— لأنه لوصح لوجب أن يكون تشريع الصلاة والزيارات، والأدعية بل وكذا ايجاب الشهادتين، وغير ذلك أيضاً على لسان غيره لأنها كلها تنويه بذكره وتفخيم لأمره، وكذا بالنسبة للآيات القرآنية التي تتمدحه صلى الله عليه وآله وتثني عليه كقوله تعالى: و إنك لعلى خلق عظيم، و غير ذلك ...

و بعد كل ماتقدم... فاننا لابد وأن نقول: إن حكم النبي (ص) بالعمل برؤ يا ابن زيد يكون من النطق عن الهوى، وعدم الاستناد إلى الوحي، وهو ينافى قوله تعالى: وماينطق عن الهوى...

ومشورة النبي(ص)لأصحابه في أمرديني مستحيلة؛لأنه مستغن عنهم بالوحي، نعم هو كان يستشيرهم في أمور دنيوية، يطلب منهم هم القيام بها، لاسباب ستأتي إن شاء الله في غزوة بدر وأحد...

و ثالثاً: ثم إنه كيف كره موافقة اليهود و النصارى، ثم عاد فرضي بها، فهل كان ذلك قبيحاً ثم صارحسناً ؟!... أم أنه كان مضطراً إلى موافقتهم؛ حيث سدت السبل فى وجهه؟! ولم لايجعل منادياً ينادي الناس للصلاة، كما كانوا يفعلون حينما كانوا ينادون: بالصلاة جامعة، في كل مناسبة اقتضت ذلك ؟ ولماذايهتم رسول الله وعبدالله بن زيد وقد انحل المشكل؛ ولم يبق مايستدعي ذلك؟...

والاهم من ذلك: إنهم يروون— و إن كنا نحن لانصدق بل ونجزم بكذب ذلك—: إنه(ص) كان يحب موافقة أهل الكتاب في كل مالم ينزل فيه وحي (٢)... فلماذا كره ذلك هنا واهتم و اغتم لأجله... فما هذاالتناقض القبيح فيماينسبونه إلى النبي الاكرم صلى الله عليه و آله وسلم...

---

(١)— الروض الأنف ج ٢ ص ٢٨٥.

(٢)— لسوف تأتي الاشارة إلى ذلك حين الكلام على صوم يوم عاشوراء إن شاء الله تعالى...

و رابعاً: ١ـ عن الصباح المزني، وسِدير الصيرفي، و محمد بن النعمان الأحول، و عمر بن اذينة، إنهم حضروا عند أبي عبدالله عليه السلام، فقال: يا عمر بن أذينة ماترى هذه ا لناصبة في أذانهم وصلاتهم؟ فقال: جعلت فداك ، إنهم يقولون: إن أبي بن كعب الأنصاري رآه في النوم.

فقال عليه السلام: كذبوا والله، إن دين الله تعالى أعز من أن يرى في النوم.

و على حسب نص آخر إنه (ع) قال: ينزل الوحي به على نبيكم، فتزعمون: أنه أخذه عن عبدالله بن زيد؟! (١).

٢ـ عن أبي العلاء، قال: قلت لمحمد بن الحنفية: إنالنتحدث: أن بدء هذا الأذان كان من رؤيا رآها رجل من الانصار في منامه. قال: ففزع لذلك محمد بن الحنفية فزعاً شديداً. و قال: عمدتم إلى ماهو الأصل في شرايع الاسلام، ومعالم دينكم؛ فزعمتم: أنه من رؤيا رآها رجل من الأنصار في منامه، تحتمل الصدق والكذب، وقد تكون أضغاث أحلام؟!.

قال: فقلت: هذا الحديث قد استفاض في الناس؟!.

قال: هذاوالله هوالباطل؛ ثم قال: و إنما اخبرني أبي: أن جبرئيل عليه السلام أذّن في بيت المقدس ليلة الاسراء و أقام، ثم أعاد جبرئيل الاذان لماعرج بالنبي(ص) إلى السماء (٢).

٣ـ والامام الحسن عليه السلام قدأنكر ذلك أيضاً، حيث تذاكروا عنده الاذان، و ذكروا رؤيا ابن زيد، فقال: إن شأن الاذان اعظم من ذلك .أذّن جبرئيل في السماء مثنى مثنى، و علمه رسول الله، و أقام مرة مرة؛ فعلمه رسول الله(ص) (٣).

---

(١)ـ البحار ج ١٨ ص ٣٥٤ عن علل الشرايع ص ١١٢/ ١١٣ والكافي ج ص والنص والاجتهاد ص ٢٠٥ عن الشهيد في الذكرى.

(٢)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٦، والنص والاجتهاد ص ٢٠٥

(٣)ـ النص والاجتهاد ص ٢٠٥ عن مشكل الآثار، وابن مردو يه، وعن كنزالعمال ج ٦ ص ٢٧٧.

ولكن كون الاقامة مرة مرة مخالف لما هوثابت قطعاً عن أهل البيت عليهم السلام، فانه لايرتاب أحد أنهم يرون أنها مثنى مثنى. وذلك هو مذهب كثير من الصحابة والتابعين وفقهاء الاسلام. وجعلها مرة مرة كان على يد الأمراء؛ فان ذلك أمر استخفته الأمراء (١) و إلا فان الاقامة مرتين مرتين.

و خامساً: عن عبدالله بن زيد نفسه: سمعت أذان رسول الله(ص) فكان أذانه واقامته مثنى مثنى(٢).

فلوكان هوالذي أري الأذان، فهو يكون أعرف الناس به من كل أحد...

وسادساً: حكى الداو ودي عن ابن اسحاق: أن جبرئيل أتى النبي(ص) بالأذان قبل أن يراه عبدالله بن زيد و عمر بثمانية أيام...

و يؤيد ذلك مارو وه أيضاً: من أن عمر قد ذهب ليشتري ناقوساً، فأخبر: أن ابن زيد قدأري الأذان في المنام؛ فرجع ليخبر رسول الله(ص) فقال له: «سبقك بذلك الوحي» (٣)

و سابعاً.. : اننا نرجح أن تشريع الأذان كان في مكة قبل الهجرة، و ذلك لما تقدم عن ابن الحنفية و لمايلي:

١— عن زيد بن علي، عن آبائه عليهم السلام: إن رسول الله علم الأذان ليلة أسري به، و فرضت عليه الصلاة... و كذا روي عن أميرالمؤمنين عليه السلام، وعن ابن عمر، والامام الباقر عليه السلام و عائشة(٤)... وقد

---

(١)— المصنف لعبد الرزاق ج ١ ص ٤٦٣، و سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥،

(٢)—مسند أبي عوانة ج ١ ص ٣٣١، و راجع سنن الدار قطني ج ١ ص ٢٤١.

(٣)— المصنف لعبدالرزاق ج ١ ص ٤٥٦، تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠، وليراجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٦ و ٩٧.

(٤)— منتخب كنزالعمال هامش مسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٣ عن الطبراني في الاوسط، والسيرة الحلبية ج ١ ص ٣٧٣ و ج ٢ ص ٩٣ و ٩٥، و مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٢٩ و ٤٢٨ ونصب الراية ج ١ ص ٢٦٢ و ٢٦٠، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٧١ و ٧٢، و فتح الباري ج ٢ ص ٦٣، ←

جاء بسند صحيح عن الامام الباقر عليه السلام ما هوقريب من ذلك(١).

٢— عن أنس: إن جبرئيل أمرالنبي(ص) بالأذان حين فرضت الصلاة (٢).

وصحح السهيلي الرواية التي عن الباقر عليه السلام الدالة على تشريع الأذان حين الاسراء. و التي اشرنا إليها فيما سبق.

ولكنهم أوردوا عليه بأن في سنده زياد بن المنذر، وفيه شيعية(٣) و بأن النبي (ص) لم يأمر بالأذان حين الهجرة(٤)...

ولكن ايرادهم الأول كماترى، و ايرادهم الثاني أيضاً لاوقع له؛ فان هذا هومحل النزاع...

هذا... وقد ورد: أن جبرئيل نادى بالاذان لآدم حين اهبط من الجنة(٥)...

و بعد ما تقدم فاننا نعرف عدم صحة: ماروواعن ابن عباس، من أن فرض الأذان كان مع نزول آية: ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة(٦) بحيث يكون الأذان قدشرع حين نزول سورة الجمعة، بعد السنة السابعة، بعد وفاة عبدالله بن زيد، الذي قتل في أحد، أو بعدها بقليل...

→

والروض الانف ج ٢ ص ٢٨٥ ٢٨٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، و حاشية تبيين الحقائق، والبزار، و نقله في النص والاجتهاد ص ٢٠٥ عن مشكل الآثار، وعن كنز العمال ج ٢ ص ٢٧٧، رقم ٣٩٧ عن ابن مردو يه، و عن الشهيد في الذكرى...

(١)— الكافي ج ٣ ص ٣٠٢.

(٢)— المواهب اللدنية ج ١ ص ٧٢ و فتح الباري ج ٢ ص ٦٣.

(٣)— نصب الراية ج ١ ص ٢٦١.

(٤)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٣٣، و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٧١، و نصب الراية ج ١ ص ٢٦١، وسكت عنه الحاكم لكن الذهبي طعن في نوح بن دراج. ولعله لأجل انه كان يتشيع، كما هودابهم.

(٥)— فتح الباري ج ٢ ص ٦٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣.

(٦)— فتح الباري ج ٢ ص ٦٢، والدرالمنثور ج ٦ ٢١٨ عن ابي الشيخ...

و لذلك قال الحاكم: «وانما ترك الشيخان حديث عبدالله بن زيد في الاذان والرؤيا، لتقدم موت عبدالله(١)»... ولكن عبارة الدرالمنثور هكذا: «الاذان نزل على رسول الله(ص) مع فرض الصلاة. يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة إلخ.» فيحتمل أن يكون مقصوده هو أن الاذان قد شرع في مكة مع فرض الصلاة، ثم استشهد بالآية للاشارة إلى أن الله قد أومأ الى الاذان في القرآن ايضاً... فاذا صح هذا فان هذه الرواية لا تعارض ماتقدم...

وثامناً: عن عائشة، وعكرمة، وقيس بن أبي حازم، وغيرهم، في قوله تعالى: ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً: ركعتان فيما بين الاذان والاقامة(٢).

وواضح أن هذه الآية قد وردت في سورة فصلت، وهي مكية، ممايدل على أن الأذان والاقامة قد شرعا في مكة، وجاءت الآية لتبين حكماً متعلقاً بهما...

ودعوى: أن الآية مما تأخر حكمه عن نزوله،لاشاهد لها إلا رواية ابن زيد المتقدمة... وقد عرفنا أنها لا تصلح للاعتماد عليها. بل الدليل قائم على كذبها...

الكلمة الأخيرة:

واخيراً فقد ورد بالسند الصحيح عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام، قال: لماهبط جبرئيل على رسول الله (ص) بالأذان، أذّن جبرئيل وأقام. وعندها أمر رسول الله (ص) علياً (ع) أن يدعو له بلالاً فدعاه، فعلمه رسول الله (ص) الاذان، وأمره به(٣)... وبالنسبة لما جرى بالمدينة فلعل

(١)— مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٣٤٨.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٩٣ والدر المنثور ج ٥ ص ٣٦٤ عن عبدبن حميد، والخطيب في تاريخه، وسعيدبن منصور، وابن أبي حاتم، وابن مردو يه، وابن أبي شيبة، وابن المنذر.

(٣)— الوسائل ج ١ ص ٣٢٦ والكافي ج ٣ ص ٣٠٢ والنص والاجتهاد ص ٢٠٥، ونقله الصدوق والشيخ رحمهما الله تعالى.

الاقرب هو الرواية التى تقول: إنه حين قدم المسلمون المدينة كانوا يجتمعون يتحينون الصلاة، وليس ينادى بها. وكلموه يوماً في ذلك ، فقال بعضهم لبعض: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى، وقال بعضهم: بوقاً مثل بوق اليهود، فقال عمر (رض): ألا تبعثوا رجالاينادون بالصلاة. فقال رسول الله (ص): «قم يا بلال فأذن»(١).

فهذه الرواية الأخيرة تفيد: أن المسلمين هم الذين اختلفوا فيما بينهم واقترحوا ذلك على بعضهم البعض... فحسم(ص) النزاع بأمره بلالاً بالأذان، مما يظهر منه أن الأذان كان قد شرع قبل ذلك، وحين الاسراء مثلاً...

وعلى كل حال... فلا بأس أخيراً بالتنويه هنا بالبحث الضافي حول هذا الموضوع للامام شرف الدين في كتابه القيم: «النص والاجتهاد»من ص ١٩٧ حتى ص ٢٠٥ فليراجعه من أراده...

حَيَّ عَلىٰ خَيْرِالعَمَل في الأذان

ان من الامور التى وقع الخلاف فيها بين المسلمين، بين مثبت وناف هو قول: «حي على خيرالعمل» فى الاذان مرتين، بعد قول حي على الفلاح...

فذهبت طائفة تبعا لائمتهم الى ان هذه الفقرة «حي على خيرالعمل» لايصح ذكرها فى الاذان، وهؤلاء هم جمهور اهل السنة والجماعة. وعبر بعضهم بلفظ: يكره، معللا ذلك بانه لم يثبت ذلك عن النبي، والزيادة فى الاذان مكروهة...(٢).

وذهب اهل البيت وشيعتهم الى ان هذه الفقرة جزء من الاذان والاقامة، لايصح بدونها، وهذا الحكم اجماعي عندهم(٣) لاتجد فيه مخالفا على الاطلاق... و يستدلون على ذلك بالاجماع، و بالروايات الكثيرة عن اهل

---

(١)— سنن الدار قطني ج ١ ص ٢٣٧.

(٢)— سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥ والبحر الرائق ج ١ ص ٢٧٥ عن شرح المهذب.

(٣)— الانتصار للسيد المرتضى ص ٣٩.

البيت عليهم السلام في ذلك كرواية ابى الربيع، وزرارة، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مهران عن ابى جعفر (ع)، ورواية فقه الرضا عن الرضا (ع). ورواية ابن سنان، ومعلى بن خنيس، وابى بكر الحضرمى، وكليب الاسدى عن ابى عبدالله (ع). ورواية ابى بصير عن احدهما. ورواية محمد ابن ابى عمير عن ابى الحسن، ورواية علي، ومحمد بن الحنفية عن النبى (ص)، ورواية عكرمة عن ابن عباس (١).

ونحن ازاء هذا الاختلاف لانجد مناصا من الاخذ بمذهب اهل البيت (ع) وشيعتهم، ولانستند فى ذلك فقط الى الاجماع المذكور، والى ماورد عن اهل البيت الذين هم احد الثقلين، والذين اذهب الله عنهم الرجس...

وانما الى العديد من الادلة والشواهد الاخرى التى نجدها عند غيرهم ايضاً...

فمن ذلك على سبيل المثال:

وبعضه ورد بالاسانيد الصحيحة عن:

١ــ عبدالله بن عمر. ٢ــ على بن الحسين، زين العابدين.

٣ــ سهل بن حنيف. ٤ــ بلال...

٥ــ علي امير المؤمنين عليه السلام. ٦ــ ابي محذورة

٧ــ ابن ابي محذورة ٨ــ زيد بن ارقم.

٩ــ الباقر عليه السلام. ١٠ــ الصادق عليه السلام.

فاما عبدالله بن عمر، فقد رُوِي عن:

١ــ مالك بن انس، عن نافع، قال: كان ابن عمر احيانا اذا قال: حي على الفلاح، قال على اثرها: حي على خير العمل (٢).

٢ــ عن الليث بن سعد عن نافع قال: كان ابن عمر لايؤذن فى سفره، وكان يقول: حي على الفلاح، واحيانا يقول: حي على خير العمل (٣).

(١)ــ راجع الوسائل وجامع احاديث الشيعة والبحار، ومستدرك الوسائل ابواب الاذان.

(٢)ــ سنن البيهقى ج ١ ص ٤٢٤.

(٣)ــ سنن البيهقى ج ١ ص ٤٢٤.

٣— وعن الليث بن سعد عن نافع، قال: كان ابن عمر ربما زاد في اذانه: حي على خير العمل:

ورواه عبدالله بن عمر عن نافع...(١)

٤— عن محمد بن سيرين عن ابن عمر: انه كان يقول ذلك في اذانه(٢).

٥— وكذلك رواه نسر بن ذعلوق عن ابن عمر، وقال: في السفر(٣).

٦— عبدالرزاق، عن ابن جريح، عن نافع عن ابن عمر: انه كان يقيم الصلاة في السفر، يقولها مرتين او ثلاثا، يقول حي على الصلاة، حي على الصلاة، حي على خير العمل(٤).

٧— عبدالرزاق عن معمر، عن يحيى بن ابي كثير، عن رجل: ان ابن عمر كان اذا قال في الاذان: حي على الفلاح، قال: حي على خير العمل، ثم يقول: الله اكبر الله اكبر، لا اله الا الله (٥).

ورواه ابن ابي شيبة (٦) من طريق ابن عجلان، وعبيدالله عن نافع عن ابن عمر.

واما ماورد عن علي بن الحسين عليه السلام:

٨—فمن حاتم بن اسماعيل، عن جعفر بن محمد عن ابيه: ان علي بن الحسين كان يقول في اذانه، اذا قال: حي على الفلاح قال: حي على

---

(١)— سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٤، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٥٥ عن مبادئ الفقه الاسلامي للعرفي ص ٣٨ عن شرح التجريد وقد رواه ابن ابي شيبة ونقله في الشفاء كما ورد في جواهر الاخبار والآثار المستخرجة من لجة البحر الزخار للصعدي/ ج ٢ ص ١٩٢.

(٢)— سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

(٣)— نفس المصدر.

(٤)— مصنف عبدالرزاق ج ١ ص ٤٦٤.

(٥)— نفس المصدر ج ١ ص ٤٦٠.

(٦)— عن مصنف ابن أبي شيبة ج ١ ص ١٤٥ وهامش مصنف عبدالرزاق ج ١ ص ٤٦٠ عنه.

خيرالعمل، و يقول: هو الاذان الاول (١) .

وليس يجوز ان يحمل قوله هو الاذان الاول الا على انه اذان رسول الله (ص) (٢) .

٩— ونَقَل ذلك عن علي بن الحسين، الحلبي، وابن حزم وغيرهما كما سياتي...

واما سهل بن حنيف فقد:

١٠— روى البيهقي: ان ذكر حي على خيرالعمل فى الاذان قد روي عن ابى امامة: سهل بن حنيف (٣) .

١١— ونقل ابن الوزير، عن المحب الطبرى الشافعى فى كتابه احكام الاحكام مالفظه «...ذكر الحيعلة، بحي على خيرالعمل: عن صدقة بن يسار، عن ابى امامة، سهل بن حنيف: انه كان اذا اذن قال: حي على خيرالعمل. اخرجه سعيد بن منصور» (٤) .

وعن بلال ايضاً:

١٢— عن عبدالله بن محمد بن عمار، عن عمار وعمر أبني حفص بن عمر عن آبائهم عن اجدادهم، عن بلال: انه كان ينادى بالصبح، و يقول: حي على خيرالعمل، فامره النبي ان يجعل مكانها: الصلاة خير من النوم، وترك حي على خيرالعمل (٥) .

ولكن ذيل الرواية لعله من تزيُّد الرواية، وذلك لان عبارة «الصلاة

---

(١)— سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامى ص ٣٨ عن مصنف ابن ابى شيبة. و جواهر الاخبار والآثار ج ٢ ص ١٩٢.

(٢)— دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامى ص ٣٨.

(٣)— سنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥.

(٤)— دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامى ص ٣٨.

(٥)— مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٣٠ عن الطبرانى فى الكبير، ومصنف عبدالرزاق ج ١ ص ٤٦٠، وسنن البيهقي ج ١ ص ٤٢٥، وكنزالعمال ج ٤ رقم ٥٥٠٤، ومنتخب الكنز هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٦، عن ابى الشيخ فى كتاب الاذان، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٩٩.

خير من النوم» قد اضيفت الى الاذان بعد زمان النبي صلى الله عليه وآله، كما صرحت به العديد من الروايات (١) ولعلنا نوفق للبحث حول هذه المسالة ايضاً فى فرصة اخرى.

١٣— عن بلال: كان بلال يؤذن بالصبح، فيقول: حي على خيرالعمل. (٢)

يضاف الى كل ذلك :

١٤— ماقاله القوشجى وغيره: من ان عمر خطب الناس، وقال: ايهاالناس، ثلاث كن على عهد رسول الله (ص)، انا انهى عنهن، واحرمهن، واعاقب عليهن، وهي: متعة النساء، ومتعة الحج، وحي على خيرالعمل... (٣).

وقد اعتذر القوشجى متكلم الاشاعرة عن ذلك بقوله: «... ان مخالفة المجتهد لغيره فى المسائل الاجتهادية ليس ببدع...» (٤).

وهو اعتذار غير وجيه، اذا اخذنا بعين الاعتبار: ان النبى (ص) لاينطق عن الهوى، ان هو الا وحي يوحى، وغير ذلك من الآيات...

ولكن وجه العذر الحق هو ان الخليفة الثانى قدراى— فى نظره—: ان الناس اذا سمعوا: ان الصلاة هي خيرالعمل، فانهم سوف يتّكِلون على

---

(١)— راجع: موطأ مالك ج ١ ص ٩٣، وسنن الدار قطنى، ومصنف عبدالرزاق ج ١ رقم ١٨٢٧ و ١٨٢٩ و ١٨٣٢ ص ٤٧٤ و ٤٧٥، وكنزالعمال ج ٤ رقم ٥٥٦٧ و ٥٥٦٨ ومنتخبه هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٨، وفيه: انه قال انها بدعة، والترمذى وابوداود، وغير ذلك.

(٢)— منتخب كنزالعمال هامش المسند ج ٣ ص ٢٧٦، ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ٩٩ عن كنزالعمال ج ٤ ص ٢٦٦.

(٣)— شرح التجريد للقوشجى مبحث الامامة ص ٤٨٤، وكنزالعرفان ج ٢ ص ١٥٨ عن الطبرى فى المستنير، والغدير ج ٦ ص ٢١٣ وقال: اخرجه الطبرى فى المستبين عن عمر، وحكاه عن الطبرى الشيخ على البياضى فى كتابه: الصراط المستقيم وجواهر الاخبار والآثار/ ج ٢ ص ١٩٢ عن التفتازاني في حاشيته على شرح العضد.

(٤)— شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٤.

الصلاة و يتركون الجهاد، كما سيصرح به الخليفة نفسه فيما يأتى...

١٥— وقال الحلبى: «... ونقل عن ابن عمر، وعن علي بن الحسين رضي الله تعالى عنهم: انهما كانا يقولان فى اذانيهما، بعد حي على الفلاح: حي على خيرالعمل...» (١) .

١٦— وقال علاءالدين الحنفى، فى كتاب التلويح فى شرح الجامع الصحيح: «واما حي على خيرالعمل، فذكر ابن حزم: انه صح عن عبدالله بن عمر، وابى امامة، سهل بن حنيف: انهما كانا يقولان: حي على خيرالعمل... ثم قال: وكان علي بن الحسين يفعله...» (٢) .

١٧— وقال السيد المرتضى: «... وقد روت العامة: ان ذلك مما كان يقال فى بعض ايام النبى صلى الله عليه وآله وسلم، وانما ادعي ان ذلك نسخ ورفع، وعلى من ادعى النسخ الدلالة، ومايجدها...» (٣) .

١٨— عبدالرزاق عن معمر عن ابن حماد عن ابيه عن جده عن النبي (ص) فى حديث المعراج قال: ثم قام جبرئيل فوضع سبابته اليمنى فى اذنه، فاذن مثنى مثنى يقول فى اخرها: حي على خيرالعمل، مثنى مثنى (٤) .

١٩— وكان ابن النباح يقول فى اذانه: حي على خيرالعمل.(٥) .

٢٠— وقال محمد سعيدالعرفى: «... واما حي على خيرالعمل، فمذاهب العترة زيادتها بين حي على الفلاح، وبين الله اكبر، ودليلهم على ذلك عداعما فى كتبهم مايلى:

---

(١)— السيرة الحلبية ط سنة ١٣٨٢، باب الاذان ج ٢ ص ١٠٥.
(٢)— دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامى للعرفى ص ٣٨، المحلى ج ٣ ص ١٦٠.
(٣)— الانتصار ص ٣٩.
(٤)— سعدالسعود ص ١٠٠ والبحار ج ٤ ص ١٠٧، وجامع احاديث الشيعة ج ٢ ص ٢٢١.
(٥)— راجع: الوسائل، وجامع احاديث الشيعة، وقاموس الرجال.

روى البيهقي الخ... (١) ثم ذكر بعض ما اشرنا اليه آنفا... وبعد هذا... فلايصح قول البعض: ان ذلك مكروه لانه لم يثبت عن النبي، (٢) فقد عرفت انه قد وردت الروايات الصحيحة عمن ذكرنا، وانهم كانوا يقولونها، وانه مذهب اهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة... الذين هم احد الثقلين... وقد بقي قول حي على خيرالعمل شعار العلويين، واهل البيت وشيعتهم على مدى الاعصار، حتى ان ابتداء ثورة الحسين بن علي صاحب فخ، كان بان:

٢١— «صعد عبدالله بن الحسن الافطس المنارة التى عند راس النبي صلى الله عليه وآله، عند موضع الجنائز، فقال للمؤذن: اذن بحي على خيرالعمل، فلما نظر الى السيف بيده اذن بها، وسمعه العمرى (يعنى والى المدينة من قبل المنصور) فاحس بالشر، ودهش، وصاح: أغلقوا البغلة— الباب—، واطعمونى حبتي— ماء» (٣).

٢٢— وذكر التنوخى: ان ابا الفرج اخبره انه سمعهم فى زمانه يقولون فى اذانهم بالقطيعة: حي على خيرالعمل (٤).

٢٣— وقال الحلبي: «... وذكر بعضهم: ان فى دولة بنى بويه كانت الرافضة تقول، بعد الحيعلتين: حي على خيرالعمل، فلما كانت السلجوقية، منعوا المؤذنين من ذلك، وامروا ان يقولوا فى اذان الصبح بدل ذلك الصلاة خير من النوم مرتين، وذلك فى سنة ثمان و اربعين واربعماءة.. (٥).

٢٤— روي عن علي عليه السلام، انه قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: اعلموا: ان خير اعمالكم الصلاة، وامر بلالا ان يؤذن: حي على

---

(١)— دلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادى الفقه الاسلامى للعرفى ص٣٨.

(٢)— البحر الرائق ج ١ ص ٢٧٥ عن شرح المهذب، وسنن البيهقى ج ١ ص ٤٢٥.

(٣)— مقاتل الطالبين ص ٤٤٦.

(٤)— نشوار المحاضرات ج ٢ ص ١٣٣.

(٥)— السيرة الحلبية ط سنة ١٣٨٢ باب الاذان ج ٢ ص ١٠٥.

خيرالعمل. حكاه فى الشفاء (١) .

٢٥— روى محمدبن منصور فى كتابه الجامع باسناده عن رجال مرضيين عن ابي محذورة احد مؤذنى رسول الله (ص)، انه قال: امرني رسول الله (ص) ان اقول فى الاذان: حي علىٰ خيرالعمل (٢) .

٢٦— روى عن محمدبن منصور: ان [أبا] القاسم (ع) امره ا ن يؤذن و يذكر ذلك (يعنى حي على خيرالعمل) فى اذانه قال: ان رسول الله (ص) امر به، هكذا فى الشفاء (٣) .

٢٧— عن ابى بكر، احمدبن محمدالسري: انه سمع موسى بن هارون، عن الحماني، عن ابى بكربن عياش، عن عبدالعزيزبن رفيع، عن ابى محذورة، قال: كنت غلاما، فقال لي النبي (ص): اجعل فى آخر اذانك: حي على خيرالعمل. (٤) .

٢٨— وفى الشفاء، عن هذيل بن بلال المدائني، قال: سمعت ابن ابى محذورة يقول: حي على الفلاح، حي على خيرالعمل (٥) .

٢٩— عن زيدبن ارقم: انه أذن فى حي على خيرالعمل (٦) .

٣٠— وقال الشوكانى نقلا عن كتاب الاحكام: وقد صح لنا: ان حي على خيرالعمل كانت على عهد رسول الله (ص) يؤذن بها، ولم تطرح الا فى زمن عمر (٧) .

٣١— وهكذا قال الحسن بن يحيى (٨).

---

(١)— جواهر الاخبار والآثار، المستخرجة من لجة البحر الزخار/ ج ٢ ص ١٩١، والامام الصادق (ع) والمذاهب الاربعة ج ٥ ص ٢٨٤.

(٢)— البحر الزخار/ ج ٢ ص ١٩٢ وجواهرالاخبار والآثار هامش نفس الصفحة.

(٣)— جواهر الاخبار والآثار/ ج ٢ ص ١٩١.

(٤)— ميزان الاعتدال للذهبى/ ج ١ ص ١٣٩، ولسان الميزان للعسقلانى ج ١ ص ٢٦٨.

(٥)— المصدران السابقان ص ١٩٢، جواهر الاخبار والبحر الزخار.

(٦)— الامام الصادق (ع) والمذاهب الاربعة ج ٥ ص ٢٨٣.

(٧ و ٨)— نيل الاوطار ج ٢ ص ٣٢.

٣٢— روينا عن علي بن الحسين عليه السلام: ان رسول الله (ص) كان اذا سمع المؤذن قال كما يقول، فاذا قال: حي على الصلاة، حي على الفلاح، حي على خيرالعمل، قال: لاحول ولاقوة الا بالله الخ... (١) .

٣٣— عن محمدبن علي، عن ابيه علي بن الحسين (ع): انه كان اذا قال: حي على الفلاح قال: حي على خيرالعمل... (٢) .

٣٤— قال الزركشي في البحر المحيط: ومنها ما الخلاف فيه موجود، كوجوده في غيرها، وكان ابن عمر، وهو عميد اهل المدينة، يرى افراد الاذان والقول فيه، حي على خيرالعمل... (٣) .

٣٥— وفي كتاب السنام ما لفظه: الصحيح ان الاذان شرع بحي على خيرالعمل... (٤) .

٣٦— وفي الروض النضير: وقد قال كثير من علماء المالكية، وغيرهم من الحنفية والشافعية: انه كان (حي على خيرالعمل) من الفاظ الاذان... (٥) .

٣٧— وقال ابن قاسم النويري الاسكندراني: «فحين وصل المعز الى مصر امر بان يؤذن على جامع عمرو بن العاص، وجامع ابن طولون بحي على خيرالعمل فاستدام ذلك في الاذان، الى حين انقضاء دولة العبيديين في سنة سبع وستين وخمسمأة، فانقرض حينئذ ذكر حي على خيرالعمل بانقراض دولتهم. ابطل ذلك السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين ايوب...» (٦) .

و يقول: «ان العبيديين الزاعمين انهم فاطميون كانوا شيعة، يقولون

---

(١)— دعائم الاسلام ج ١ ص ١٤٥ والبحار ج ٨٤ ص ١٧٩ عنه.
(٢)— جواهر الاخبار والآثار للصعدي ج ٢ ص ١٩٢.
(٣)— الروض النضير ج ١ ص ٥٤٢.
(٤)— نفس المصدر.
(٥)— نفس المصدر.
(٦)— الالمام بالاعلام فيما جرت به الاحكام ج ٤ ص ٢٤.

في اذانهم بعد الحيعلتين: حي على خير العمل يقولونها مرتين كما تقولها الزيدية في اذانهم بمكة والمدينة في غير ايام الحج، وكذلك بصعدة ايضا وغيرها من ارض اليمن...» (١)

سبب حذف هذه العبارة:

وأما لماذا حذفت هذه العبارة من الأذان؟! فقد صرح الخليفة الثاني نفسه بسرذلك ،فقد قال ابن شاذان، مخاطباً أهل السنة والجماعة:

٣٨— «وروي عن أبي يوسف القاضي، رواه محمدبن الحسن، وأصحابه، وعن أبي حنيفة، قالوا: كان الأذان على عهد رسول الله (ص)، و على عهد أبي بكر، وصدراً من خلافة عمر ينادى فيه: حي على خير العمل.

فقال عمر بن الخطاب: إني أخاف أن يتكل الناس على الصلاة، إذا قيل: حي على خير العمل، و يدعوا الجهاد، فأمر أن يطرح من الأذان: حي على خير العمل (٢)».

٣٩ و ٤٠ و ٤١— وروي مثل ذلك عن أبي عبدالله الصادق، وأبي جعفر الباقر، وابن عباس (٣).

كلمة حول هذا الرأي:

ونحن وإن كنانرى: أن امر الجهاد في زمن الرسول(ص) أعظم، والناس إليه أحوج منهم على عهد عمر... ممايعني: أننا لانستطيع أن نجزم بأن

---

(١)— الالمام ج ٤ ص ٣٢، وليراجع ص ٤٠ و ٤١ منه...

(٢)— الايضاح لابن شاذان ص ٢٠١/٢٠٢

(٣)— راجع: دعائم الاسلام ج ١ ص ١٤٢ والبحار ج ٨٤ ص ١٥٦ و ١٣٠، وعلل الشرايع ج ٢ ص ٥٦، والبحر الزخار، و جواهر الاخبار والآثار بهامشه كلاهما ج ٢ ص ١٩٢ ودلائل الصدق ج ٣ قسم ٢ ص ١٠٠ عن مبادئ الفقه الاسلامي لمحمد سعيدالعرفي ص٣٨ عن سعد الدين التفتازاني في حاشيته على شرح العضد، على مختصر الاصول لابن الحاجب، وسيرة المصطفى للسيد هاشم معروف الحسني ص ٢٧٤ عن: الروض النضير ج ٢ ص ٤٢.

اجتهاد الخليفة الثاني كان على درجة من القوة والكفاية... كما أنه لم تلحظ جميع جوانب وخلفيات هذه القضية بالشكل الكافي والمقبول...

إلا أننا نجدفي نفس الوقت: أن تعليل عمر الآنف الذكر يدل على أن ترك هذه الفقرة من الأذان كان لاسباب وقتية وآنية اقتضت ذلك بنظره... وربما لم يكن يفكر— أبداً— في استبعاد هذه الفقرة من الاذان إلى الأبد، و إنما فقط إلى فترة محدودة، رآها تتطلب هذا الاجراء...

وإذا كان ذلك هو ما حدث بالفعل... فاننا لانستطيع أن نفهم المبرر للاستمرار على ترك هذه الفقرة في هذا الزمان الذي لم يعد فيه ذلك المبرر قائماً.

ولماذا لانعود جميعاً إلى سنة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وأهل بيته الطاهرين؟!...

الزيادة في الصلاة

و ورد في بعض الروايات المعتبرة(١): أن الصلاة كانت في أول الأمر ركعتين ركعتين، فرضها الله تعالى على العباد مباشرة، وفوض لرسوله زيادة معينة يزيدها عليها في الوقت المناسب، من دون حاجة الى وحي جديد، فزاد (ص) في المغرب ركعة واحدة، وفي الظهر والعصر والعشاء ركعتين ركعتين...

وقيل: إن هذه الزيادة كانت في السنة الأولى من الهجرة، وقيل: بعد ولادة الحسنين عليهما السلام... ولعل الأول هوالأصح، لورود ذلك فى تحويل القبلة— الذى سيأتى الكلام فيه هو و فرض الزكاة بعد بدر— وذلك كان قبل ولادتهما عليهما السلام...

و على كل حال... فان هذه الزيادة غير مستهجنة، فان تشريع

---

(١)— الوسائل ج ٣ في أبواب اعداد الفرائض و نوافلها. باب عدد الفرائض اليومية، وجملة من احكامها.

الأحكام كان تدريجاً... وعلى الأخص تلك الأحكام التي ربما يصعب الالتزام بها على العربي؛ لمخالفتها لما اعتاد عليه، وركن وسكن إليه...

قول آخر في فرض الصلاة:

وبعد ما تقدم... فاننا لن نصغي إلى تلك الروايات التي يظهر منها: أن الصلاة قد فرضت تامة من أول الأمر، أو على الأقل كانت تامة في مكة، فقد قالوا:

١ـ كان أول صلاة صلاها رسول الله (ص) الظهر، فأتاه جبرئيل، فقال: إنا لنحن الصافون، وانا لنحن المسبحون(١)... قال: فقام جبرئيل بين يدى رسول الله (ص)، والنبي (ص) خلفه، ثم الناس خلف رسول الله، والنساء خلف الرجال، قال: فصلى بهم الظهر أربعاً، حتى إذا كان العصر، قام جبرئيل ففعل مثلها... ثم تذكر الرواية صلاة المغرب ثلاثاً والعشاء أربعاً(٢) و واضح: أن سورة الصافات مكية، فالرواية تدل على أن الصلاة فرضت تماما في مكة...

٢ـ وعن نافع بن جبير وغيره: لما أصبح رسول الله (ص) ليلة أسري به فيها، لم يرعه إلا جبرئيل يتدلى حين زاغت الشمس... ثم تذكر الرواية أنه صلى بهم الظهر أربعاً، والعصر كذلك الخ...(٣).

٣ـ وعن الحسن البصرى: إن صلاة الحضر أول مافرضت فرضت أربعاً(٤).

ولكننا لانستطيع أن نأخذ بهذا، وذلك لوجود الروايات الثابتة والصحيحة عندالشيعة وعند غيرهم، الدالة على أن صلاة الحضر قد فرضت

---

(١)ـ سورة الصافات ١٦٥.

(٢)ـ المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ١ ص ٤٥٣، وسنن البيهقي ج ١ ص ٢٦٢ وعن أبي داود في مراسيله والدر المنثور ج ٥ ص ٢٩٣.

(٣)ـ مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١ ص ٤٥٥، وفي هامشه عن أبي داود.

(٤)ـ البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣١، وتفسير الطبري في سورة النساء الآية ١٠١.

أولا ركعتين، ثم زيد فيها...

إلا أن يكون المراد: أن الصلاة ابلغت إلى النبي (ص) أولاً كاملة، ولكن المصلحة كانت تُلزِم أولاً بركعتين، ثم صارت تُلزم بالكل، وفوض إلى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله، أمر تبليغ ذلك في الوقت المناسب... ولذلك فقد اعتبرت الركعتان الاوليان فريضة، أي مافرض من الله مباشرة، على العبد والباقي سنة، و هو ما أبلغ حكمه للنبي (ص) ليبلغه في صورة وجود موضوعه، وهوالمصلحة المقتضية له...

فرض الزكاة:

و يقولون: إن فرض زكاة الاموال كان بعد بدر في السنة الثانية، وذلك بعد فرض زكاة الفطر. وقيل: بل فرضت الزكاة في السنة الثالثة. و قيل: في الرابعة(١).

ولكن ذلك غير صحيح، والصحيح— هو ماذهب إليه البعض(٢)— من أن فرض الزكاة كان في مكة. وذلك بدليل:

١— إن عدة آيات قرآنية نزلت في مكة تأمر بايتاء الزكاة، ونذكر من ذلك :

قوله تعالى: «فسأكتبها للذين يتقون، و يؤتون الزكاة» الاعراف الآية ١٥٦ وهي مكية.

وقوله: «والذين هم للزكاة فاعلون». المؤمنون ٤ وهي مكية.

وقوله تعالى: «الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة» النحل ٣ مكية وكذا فى سورة لقمان المكية الآية ٤.

وقوله تعالى: «الذين لايؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون»

---

(١)— راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٧، و غير ذلك ...

(٢)— وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٧٧.

فصلت ٧ مكية... ولتراجع: سورة الروم المكية الآية ٣٩، والانبياء المكية الآيتان فيها.

٢ً— وروي عن أبي طالب: أنه حدث عن النبي(ص): إن ربه أرسله بصلة الارحام، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة(١).

٣ً— عن جرير بن عبدالله البجلي، قال: لما بعث النبي(ص) أتيته لابايعه، فقال: لأي شيئ جئت ياجرير؟ قلت: جئت لاسلم على يديك، فدعاني إلى شهادة أن لاإله إلاالله، وأني رسول، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤتي الزكاة المفروضة(٢)...

٤ً— وقد روى الكليني عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن حماد، عن حريز عن محمدبن مسلم، وأبي بصير، وبريد، وفضيل كلهم عن أبي جعفر، وأبي عبدالله عليهما السلام، قال: فرض الله الزكاة مع الصلاة(٣)...

وسند هذه الرواية جيد. كماترى...

٥ً— ويؤيد ذلك أيضاً أن جعفر بن أبي طالب قد ذكر الزكاة لملك الحبشة، على انها مماأمرهم الله به (٤).

رواية تعارض ماسبق:

ولكن ربما ينافي ماقدمناه ماجاء في رواية صحيحة السند، تفيد: أنه

---

(١)— الاصابة ج ٤ ص ١١٩ والبحار ج ٣٥ ص ١٥١، والطرائف ص ٣٠٤، والغدير ج ٧ ص ٣٦٨ عن نهاية الطلب للشيخ ابراهيم الحنبلي...

(٢)— تدريب الرواي ج ٢ ص ٢١٢ عن الطبراني في الاوسط، وذكر الشطر الأول من الحديث في الاصابة ج ١ ص ٢٣٢.

(٣)— الوسائل ج ٤ ص ٥، وفروع الكافي ج ٣ ص ٤٩٨.

(٤)— الثقات لابن حبان ج ١ ص ٦٥، وحلية الاولياء ج ١ ص ١١٦/١١٤ عن ابن اسحاق، البداية والنهاية ج ٣ ص ٧٠ و ٧٤ و ٦٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٠، وسنن البيهقي ج ٩ ص ١٤٤ وسيرة ابن هشام ج ١ ص ٣٦٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٧ و ٢٤ عن الطبراني واحمد، ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٥٤ و ٣٥٧، عن بعض من تقدم، وعن فتح الباري ج ٧ ص ٣٠ وحسّن اسناده...

لما أنزلت آية الزكاة، التي في سورة التوبة وهي مدنية، ومن أواخر مانزل، أمر صلى الله عليه وآله مناديه فنادى في الناس: ان الله فرض عليكم الزكاة... وبعد أن حال الحول أمرمناديه فنادى في المسلمين: أيها المسلمون زكوا أموالكم تقبل صلاتكم، قال: ثم وجه عمال الصدقة وعمال الطسوق(١)...

ولكن... هذه الرواية تنافي عشرات الآيات التي نزلت حول الزكاة قبل سورة التوبة، والتي ربما تصل إلى ثلاثين آية... وحملها كلها على الاستحباب أو على خصوص زكاة الفطرة بعيد جداً...

وعليه... فلابد من حمل هذه الرواية على أن الزكاة وان كانت قد شرعت قبل هذا الوقت... إلا أن النبي(ص) لم يضع الجباة إلابعد نزول هذه الآية... وإذا كان هذا خلاف ظاهر الرواية، فاننا لانستطيع الالتزام بها، كماقلنا...

فرض زكاة الفطرة:

و إذا كانت زكاة الفطرة قد فرضت قبل زكاة الأموال ... فتكون هي أيضاً قد فرضت في مكة، و يدل على ذلك :

١ـ الرواية الآنفة...

٢ـ ماورد في سفر السعادة من أنه(ص) كان يرسل منادياً ينادي في الاسواق والمحلات والازقة في مكة: ألا إن صدقة الفطر واجبة على كل مسلم و مسلمة(٢).

فرض الصيام:

و يقولون: إن صيام شهر رمضان المبارك قدفرض في المدينة في السنة الثانية (٣) حين نزول قوله تعالى: كتب عليكم الصيام كماكتب على الذين

(١)ـ راجع الكافي ج ٣ ص ٤٩٧، وتفسير البرهان ج ٢ ص ١٥٦.
(٢)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٦.
(٣)ـ البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٥٤.

من قبلكم... إلى قوله: شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن، هدى للناس و بينات من الهدى والفرقان؛ فمن شهد منكم الشهر فليصمه (١)...

وأما قبل فرض صوم شهر رمضان فكان الناس يصومون أياماً، كما ذكره القمى (٢).

ومما يدل على فرض الصيام في مكة، كلام جعفر المتقدم لملك الحبشة أن النبي صلى الله عليه وآله أمرهم بالصلاة والزكاة والصيام...

وقول البعض: إنه يغلب على ظنه أن تكون قصة جعفر و ملك الحبشة موضوعة، بدليل ذكر الصيام فيها، وهو لم يشرع إلا بعد الهجرة إلى الحبشة (٣).

هذا القول... لااعتبار به؛ إذ لماذا لايكون نفس كلام جعفر هذا دليلاً على تشريع الصيام في مكة... يضاف إليه قول القمي المتقدم. و قول الحلبي: إنه (ص) كان قبل فرض شهر رمضان يصوم هو وأصحابه ثلاثة أيام، وهي الايام البيض من كل شهر(٤) إلا أن يكون مراد البعض خصوص صيام شهر رمضان...

بل إننا نستطيع أن نقول: إن شهر رمضان قد فرض في مكة، وذلك بدليل: أنه لما أسلم عمرو بن مرة الجهني، وأرسله (ص) إلى قومه، قال لهم: «إني رسول من رسول الله إليكم: أدعوكم إلى الجنة، وأحذركم من النار، وآمركم بحقن الدماء، وصلة الارحام، وعبادة الله، ورفض الاصنام، وحج البيت، وصيام شهر رمضان، شهر من اثني عشر شهراً، فمن أجاب فله الجنة» و كان ذلك في أول بعثة النبي صلى الله عليه وآله(٥).

---

(١)— البقرة ١٨٣—١٨٥.

(٢)— تفسير القمي ج ١ ص ٦٥.

(٣)— فجر الاسلام ص ٧٦.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٦ تفسير ابن كثير ج ١ ص ٢١٣ و راجع ص ٢١٤.

(٥)— البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٥٢ عن أبي نعيم، ومجمع الزوائد ٨ ص ٢٤٤ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ١ ص ١٩١ عنهما، وعن كنز العمال ج ٧ ص ٦٤ عن الروياني، وابن عساكر...

هذا... ولابد من الاشارة هنا إلى أن الصوم كان مشرعاً في الامم السالفة، قال تعالى: كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم أياماً معدودات الخ... والمراد بالايام المعدودات هو شهر رمضان المبارك، كما فسرتها الآية نفسها...

صيام يوم عاشوراء:

و يذكرون هنا أيضاً: أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما قدم المدينة، وقبل أن يفرض صوم شهر رمضان، وجدیهود المدينة يصومون يوم عاشوراء وهو يوم العاشر من المحرم (١)—فسالهم عن ذلك، فقالوا على مافي الصحيحين و غيرهما: «هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى و قومه، وغرق فرعون وقومه. فقال (ص) فأنا أولى بموسى، و أحق بصيامه منكم، فصامه رسول الله (ص)، وأمر بصيامه (٢)».

وفي الصحيحين وغيرهما أيضاً: عن عائشة، وغيرها: كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية، وكان رسول الله (ص) يصومه، فلما هاجر إلى المدينة صامه، وأمر بصيامه. فلما فرض شهر رمضان قال: «من شاء صامه، و من شاء تركه»(٣).

و يذكر مسلم وغيره: أن صيامه صلى الله عليه وآله ليوم عاشوراء كان قبل وفاته(ص) بسنة (٤).

---

(١)— اسدالغابة ج ٥ ص ٥٠٧.

(٢)— المصنف ج ٤ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ البخاري ط الميمنية ج ١ ص ٢٤٤ و صحيح مسلم ط صبيح بمصر ج ٣ ص ١٥٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠، والبداية والنهاية و ج ١ ص ٢٧٤ ج ٣ ص ٣٥٥، و راجع تفسير ابن كثير ج ١ في آيات صيام شهر رمضان في سورة البقرة و مشكل الآثار ج ٣ ص ٨٥—٩٠.

(٣)— المصادر المتقدمة، والموطأ ج ١ ص ٢٧٩. والبخاري ط مشكول ج ٥ ص ٥١ و مشكل الآثار ج ٣ ص ٨٦ و ٨٧.

(٤)— صحيح مسلم ج ٣ ص ١٥١.

كذب تلك الروايات:

ونحن نعتقد ونجزم: بأن ذلك كله من نسج الخيال...

١ً- فبعد غض النظر عن المناقشة في أسانيد تلك الروايات، و كون اكثر روا تها محل تهمة وريب، كما أن فيهم من لم يأت إلى المدينة إلا بعد عدة سنين من الهجرة كأبي موسى الاشعرى، وفيهم من كان حين الهجرة طفلاً صغيراً كابن الزبير، فضلاً عن شهوده لما قبلها، و من لم يسلم إلا بعد سنوات من الهجرة كمعاوية.

٢ً- و بعد غض النظر أيضاً عن تناقضها فيما بينها، و يكفي أن نذكر:

أن رواية تقول: إنه صام يوم عاشوراء في المدينة متابعة لليهود، ولم يكن يعلم به. واخرى تقول: إنه كان يصومه هووالمشركون في الجاهلية... وثالثة: إنه ترك يوم عاشوراء بعد فرض شهر رمضان... وأخرى تقول: إنه لماصامه قالوا له: إنه يوم تعظمه اليهود، فوعد أن يصوم اليوم التاسع في العام المقبل؛ فلم يأت العام المقبل حتى توفي(ص)(١).

إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف التى تظهر بالتتبع والمقارنة...

إننا بعد غض النظر عماتقدم نشير إلى مايلي:

أولاً: إن الرواية الأولى تفيد: أن النبي (ص) كان يجهل بسنّة أخيه موسى، وأنه تعلمها و استفادها من اليهود، وقلدهم فيها... ولاضيرعند هؤلاء في ذلك؛ فانهم يروون- ونحن نستغفرالله من ذلك- أنه كان يحب موافقة أهل الكتاب في كل مالم يؤمر به(٢)...

ولكن هذا الرسول يناقض نفسه دائماً، حتى في هذا المورد، فهوالذي

---

(١)- صحيح مسلم ج ص ١٥١.

(٢)- صحيح البخاري الميمنية ج ٤ ص ٦٧ باب فرق الشعر في اللباس، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٢.

يكره في الاذان بوق اليهود، وناقوس النصارى، ويخالفهم في معاملة الحائض، و يأمر بصبغ الشعر مخالفة لليهود والنصارى، و ينهى عن تقليدهم في الاسلام(١).

بل لقد بلغ في مخالفته لهم حداً جعل اليهود يقولون: «مايريد هذا الرجل أن يدع من أمر ناشيئاً إلا خالفنا فيه(٢).»

وقال ابن الحاج: «وقد كان عليه الصلاة والسلام يكره موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم حتى قالت اليهود: إن محمداً يريد أن لايدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه(٣).»

وقد ورد في الحديث: «من تشبه بقوم فهو منهم»(٤)...

وثانياً: إن اطلاق كلمة عاشوراء على العاشر من المحرم إنما حصل بعد استشهاد الامام الحسين عليه السلام، وأهل بيته وصحبه صلوات الله وسلامه عليه أجمعين... ثم اقامة المآتم بهذه المناسبة من قبل ائمة أهل البيت (ع) وشيعتهم رضوان الله عليهم...

ولم يكن معروفاً قبل ذلك على الاطلاق، وقد نص اهل اللغة على ذلك ، فقد قال ابن الاثير، «هو اسم اسلامي»(٥). وقال ابن دريد: إنه اسم اسلامي لايعرف في الجاهلية(٦).

وثالثاً: إننا لم نجد في شريعة اليهود صوم يوم عاشوراء، ولاهم يصومونه

---

(١)— راجع في ذلك كله مفتاح كنوز السنة فقد نقل ذلك عن: البخاري كتاب ٦٠ و ٧٧ باب ٥٠ و ٦٧ و صحيح مسلم كتاب ٣ حديث ١٦ و كتاب ٣٧ باب ٨، والترمذي كتاب ٤٤ حديث ٢٤ وكتاب ٢٢ باب ١٠ و كتاب ٤٠ باب ٧ والنسائي كتاب ٣ و ٤٨ و ٨٣ على الترتيب إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة المختلفة فراجع: مفتاح كنوز السنة، وغيره...

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١١٥.

(٣)— المدخل لابن الحاج ج ٢ ص ٤٨.

(٤)— المصدر السابق.

(٥)— نهاية ابن الاثير ج ٣ ص ٢٤٠.

(٦)— الجمهرة في لغة العرب ج ٤ ص ٢١٢.

الآن. ولا رأيناهم يعتبرونه عيداً أو مناسبة لهم (١).

و بعد كل ماتقدم فلايبقى مجال لجعل عدول النبي (ص) عن صوم يوم عاشوراء من اسباب حقد اليهود على المسلمين، كما ذكره البعض(٢)

من فضائل يوم عاشوراء أيضاً:

وعلى كل حال... فاننا نجد في فضل عاشوراء روايات أخرى أغرب وأعجب،حتى إن من يقرؤها يخرج بانطباع: أنه لاأفضل من ذلك اليوم على الاطلاق— حتى ولا ليلة القدر... ففيه كانت اهم الاحداث التي لايمكن أن ينساها التاريخ البشري. أو أن يتجاهلها... حتى ولادة النبي (ص) و هجرته، اللتين هما في ربيع الأول بالاتفاق!!!(٣).

يوم عزاء ... ويوم عيد:

و يقول أبوريحان البيروني في الآثار الباقية: بعد ذكر ماجرى على الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء:

«فأما بنوا أمية فقد لبسوا فيه ماتجدد،وتزينوا واكتحلوا، وعيدوا، وأقاموا الولائم و الضيافات، وأطعموا الحلاوات والطيبات. وجرى الرسم في العامة على ذلك أيام ملكهم، و بقي فيهم بعد زواله عنهم...

وأما الشيعة، فانهم ينوحون و يبكون أسفاً لقتل سيدالشهداء فيه الخ...(٤)»

و يقول المقريزي— بعد أن ذكر: أن العلويين المصريين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن، تتعطل فيه الاسواق—:

---

(١)— راجع؛ مقال حسن السقاف في مجلة الهادي سنة ٧ عدد ٢ ص ٣٦.

(٢)— اليهود في القرآن ص ٢٠ و ٢٦.

(٣)— راجع في بعض هذه الفضائل: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٠ و ٣٦١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٣ و ١٣٤، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ١٠٨—١١٦. وغير ذلك .

(٤)— الكنى والالقاب ج ١ ص ٤٣١.

«فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، و ينبسطون في المطاعم، و يتخذون الأواني الجديدة، و يكتحلون، و يدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشام، التي سنها لهم الحجاج في أيام عبدالملك بن مروان؛ ليرغموا به آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه؛ الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء و حزن على الحسين بن علي (ع)؛ لأنه قتل فيه...

قال: وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ عاشوراء يوم سرور وتبسط(١)»

وضع الأحاديث:

وقد وجد أعداء أمير المؤمنين و ولده(ع) و شيعته (رض)— وجدوا من أولئك الذين با عوا آخرتهم بدنياهم من يضع لهم الأحاديث على لسان النبي(ص) في فضل هذا اليوم، و اظهار الزينة، و الخضاب، والسرور، والتوسعة على العيال، ولبس الجديد فيه، وصومه، و طبخ الحبوب، والاطعمة، والاغتسال، والتطيب، والاكتحال... إلى غير ذلك من مظهرات النصب والعداء لأهل البيت عليهم السلام(٢).

ولكن الذي يهون الخطب: أن العلماء والنقاد قد حكموا على هذه الأحاديث— الا ماشذ منها— بالوضع والاختلاق من قبل الكذابين(٣).

وسيعلم الذين ظلموا حق آل محمد، وفرحوا في يوم حزنهم أي منقلب ينقلبون...

---

(١)— الخطط للمقريزي ج ١ ص ٤٩٠.

(٢)— راجع: اللآلى المصنوعة في الاحاديث الموضوعة ج ١ ص ١٠٨— ١١٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٤، ونوادر الاصول للحكيم الترمذي ص ٢٤٦.

(٣)— تذكرة الموضوعات للفتني ص ١١٨، و اللآلي المصنوعة ج ١ ص ١٠٨— ١١٦ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٣٤، و غير ذلك...

أساليب مقاومة عاشورا:

لقد بقيت عاشوراء الشوكة الجارحة فى أعين اعداء أهل البيت،(ع) فحاولوا مقاومتها بكل مالديهم، فعداعما تقدم من اتخاذ هم عاشوراء عيداً،نشير الى مايلي:

١ً- قال ابن العماد: «تمادت الشيعة في هذه الأعصر في غيّهم بعمل عاشوراء باللطم والعويل والزينة، وشعار الاعياد يوم الغدير فعمدت غالية السنة وأحدثوا في مقابلة يوم الغدير..... إلى أن قال: و جعلوا بازاء يوم عاشوراء بعده بثمانية أيام يوم مصعب بن الزبير، وزاروا قبره يومئذ بمسكن، و بكواعليه ونظّروه بالحسين؛ لكونه صبر و قاتل حتى قتل؛ ولأن أباه ابن عمة النبي إلخ (١)...»

ولكن... هيهات أن يكون مصعب طالب الدنيا، والسلطان... و المناوئ لأهل البيت... كأبي الشهداء ريحانة رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، و إمام الأمة، طالب الحق، وناصرالدين، الامام الحسين صلوات الله وسلامه عليه...

ولكنها الاحقاد الدفينة، والأحن القديمة، والنصب لأهل بيت النبوة، و معدن الرسالة... الذين أمرالله تعالى بمودتهم: «قل: لاأسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى... (٢)».

٢ً- قال ابن كثير في حوادث سنة ٣٦٣: «فيها في عاشوراء عملت البدعة الشنعاء على عادة الروافض، و وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين أهل السنة والرافضة، وكلا الفريقين قليل عقل أوعديمه، بعيد عن ا لسداد، وذلك أن جماعة من أهل السنة اركبوا امرأة و سموها عائشة، و تسمى بعضهم

---

(١)- شذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٠ عن العبر والامام الصادق والمذاهب الاربعة ج ١ ص ٩٥ عنه و بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٥ والمنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ٢٠٦.

(٢)- الشورى ٢٣.

بطلحة، و بعضهم بالزبير، وقالوا: نقاتل أصحاب علي، فقتل بسبب ذلك من الفريقين خلق كثير(١)».

٣ً- استعمال القوة والعنف، فانك تجد في كتب التاريخ «في تاريخ مستهل كل عام: وفي هذا اليوم (أي عاشوراء) اقتتلت الروافض والسنة: فراجع المنتظم لابن الجوزي (٢)».

و لعل أعظم محنة، وا شدّها نكاية وقعة الكرخ ببغداد، التي أحرق فيها دور شيعة أهل البيت، وقتلوا الرجال والاطفال...

ونكتفي هنا بهذا القدر فان استقصاء ذلك وتتبعه لامجال له في هذه العجالة...

آية الصلح بين المؤمنين:

و يذكر البعض أن من الحوادث التي كانت قبل غزوة بدر:(٣) أن الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله وسلم ذهب ليعود سعدبن عبادة في بني الحرث بن الخزرج، و ذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي؛ بن سلول؛ فمر(ص)- وهو على حماره- بمجلس ابن أبي، و في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود، و فيهم عبدالله بن رواحة... فثار غبار من مشي الحمار، فخمّر ابن أبي انفه بردائه وقال: لا تغبروا علينا...

فنزل إليهم رسول الله(ص)، ودعا هم إلى الله... فقال له ابن ابي: أيها المرء إنه لا أحسن مماتقول إن كان حقاً، فلا تؤذينا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك؛فمن جاءك فاقصص عليه...

فقال ابن رواحة، بلى يا رسول الله فاغشانا، فانا نحب ذلك...

---

(١)- البداية و النهاية ج ١١ ص ٢٧٥، والامام الصادق والمذاهب الاربعة ج ١ ص ٩٤، و بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٤/ ١٤٥.

(٢)- بحوث مع أهل السنة والسلفية ص ١٤٥.

(٣)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤.

فاستب المسلمون والمشركون، حتى كادوا يتبادرون، فلم يزل رسول الله(ص) يخفضهم حتى سكنوا...

ثم دخل على سعد بن عبادة، فحدثه بماجرى. فطلب منه سعد أن يصفح عن ابن أبي؛ لأنهم كانوا على وشك أن يتوجوه قبل قدومه(ص)،فلما قدم انصرفواعن ذلك...

وفي رواية أخرى: إنه(ص) ذهب ومعه المسلمون إلى ابن أبي تألفاً لقومه، فلما أتاه قال له: إليك عني، والله لقد أذاني ريح حمارك . فقال أحد الأنصار: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، فتعصب لابن أبي رجل من قومه فشتمه، فغضب لكل منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والنعال... فنزل قوله تعالى: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما ...إلخ(١).

و في مجمع البيان: أن الذي قال لابن أبي ذلك ، هو عبدالله بن رواحة. وأن التضارب كان بين رهط ابن رواحة من الأوس، ورهط ابن ابي من الخزرج...

ولكن... لاتخلو كلا الروايتين من الاشكال...

فأولاً إن آية الصلح بين المؤمنين لايمكن أن تنطبق على الرواية الأولى؛ فان النزاع فيها كان بين المشركين والمسلمين، وليس بين طائفتين من المؤمنين... بل لم يظهر من الرواية الثانية كون النزاع كان بين طائفتين من المؤمنين... فاذا جعلنا الروايتين رواية واحدة؛ لتقارب سياقهما و مضمونهما... لم يمكن الاطمينان إلى صحة كون الآية قد نزلت بهذه المناسبة...

و ثانياً: إن الآية موجودة في سورة الحجرات، و هي قد نزلت بعد

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٣/ ٦٤، والدرالمنثورج ٦ ص ٩٠، عن مسلم، والبخارى، وأحمد، والبيهقي في سننه، وابن مردو يه، وابن جر ير، وابن المنذر، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٧٨/ ٥٧٩ و ٥٦٠ عن البخاري ج ١ ص ٣٧٠ و ٣ ص ٨٤٥.

سنوات من الهجرة لانها نزلت بعد المجادلة والا حزاب، و غيرهما... وتقدم قولهم: إن هذه القضية قد حصلت قبل بدر...

هذا كله عداعن التنافي بين مضمون كل من الروايتين كما هو ظاهر.

ولكن ذلك لايعني أن الرواية مختلقة من الاساس... فلربما تكون قد حصلت بعد سنوات من الهجرة بعد نزول سورة الحجرات، و بعد اظهار ابن أبي للاسلام... و يكون النزاع كان بين طائفتين من المؤمنين... و بذلك تكون الرواية الثانية هي الارجح...

اسلام سلمان المحمدي:

و في السنة الأ ولى من الهجرة، و يقال: في جمادى الاولى منها (١) كان اسلام سلمان المحمدي، المعروف بسلمان الفارسى، حشرنا الله معه و في زمرته، والذي قال النبي(ص) وغير واحد من الأئمة عنه: سلمان منا أهل البيت...(٢)

والذي كان قد هاجر من بلاده في طلب الدين الحق، وتعرض في هجرته تلك إلى المصائب والمصاعب، حتى ابتلي بالرق، و أعتق على يدالنبي صلى الله عليه وآله(٣).

---

(١)— راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥١.

(٢)— راجع: قاموس الرجال ج ٤ ترجمة سلمان...

(٣)— و ملخص ذلك — على ما في المصنف ج ٨ ص ٤١٨ أنه كان في بلده راهب، فأخذ عنه بعض التعاليم، و علم أهله با لأمر، فأخر جوا الراهب من البلد، فخرج معه بالسرعن أهله، فجاء الموصل، فوجد أربعين راهباً، و بعد أشهر ذهب مع أحدهم إلى بيت المقدس، ورأى عبادة الراهب و اجتهاده، ثم ضاع عنه، فسأل عنه ركباً من الأنصار؛ فقالوا: هذا عبد آبق، فأخذوه إلى المدينة، وجعلوه في حائط لهم. وكان الراهب قدأخبره أن نبياً من العرب سيخرج، لايأ كل الصدقة، و يأكل الهدية، و بين كتيفه خاتم النبوة وأمره باتباعه. هذا موجز القضية، وتفصيل مالاقاه سلمان من المتاعب والمصاعب يطلب من كتب الحديث، والتاريخ والتراجم.

وفى المدينة— و بالذات في قباء كما يقولون— التقى بالنبي صلى الله عليه و آله وسلم، فقدم إليه رطباً على أنها صدقة، فأبى النبي صلى الله عليه وآله أن يأكل منها، وأمر أصحابه فأكلوا، وعدها سلمان و احدة.

ثم التقى به في المدينة، فقدم إليه رطباً على أنها هدية، فقبلها واكل منها، فعدها سلمان ثانية...

ثم التقى به في بقيع الغرقد و هوفي تشييع جنازة بعض أصحابه، فسلم عليه، ثم استدار خلفه، فكشف النبي صلى الله عليه و آله له عن ظهره، فرأى خاتم النبوة؛ فانكب عليه يقبله و يبكى، ثم أسلم، وأخبره بقصته، و بعد ذلك كاتب سيده، واستمر يعمل من أجل أداء الكتابة، وأعانه النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ذلك...

وكان أول مشاهده الخندق، ثم شهد ما بعدها من المشاهد، و قال ابن عبدالبر: إن أول مشاهده بدر. و هوالمناسب لمعونة النبي صلى الله عليه و آله له، فراجع في سيرة سلمان و فضائله كتب الحديث والتراجم (١).

ملاحظة:

و يلاحظ هنا: أن سلمان لم يسلم بدافع عاطفي أومصلحي، ولم يسلم أيضاً استجابة لضغوط، أولجو معين... و إنما دخل في الاسلام عن قناعة فكرية خالصة، و بعد ان سعى من أجل الوصول إلى الدين الحق، ولاقى المصاعب والمتاعب الطويلة في سبيل ذلك وذلك يؤيد فطرية الدين، وكونه ينسجم مع أحكام ا لعقل، ومقتضيات الفطرة السليمة... وقد أشرنا إلى ذلك أيضاً حين الكلام على اسلام أبي ذر فليراجع...

بئر رومة في صدقات عثمان:

وقد ذكروا في جملة فضائل عثمان: أنه لما قدم رسول الله(ص) المدينة، وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة، قال: من يشتري بئر رومة من

---

(١)— مثل: قاموس الرجال ج ٤، والاصابة ج ٢ ص ٦٢ والاستيعاب، وغير ذلك...

خالص ماله؛ فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين، بخيرٍ له منها في الجنة؟. فاشتراها عثمان من صلب ماله، و جعل دلوه فيها مع دلاء المسلمين... ثم لما حصر عثمان منعوه من الشرب منها حتى شرب ماء البحر...

وللروايات نصوص مختلفة جداً كما سنرى، وسنشير إلى بعض مصادرها فيما يأتي... ونحن نشك في صحتها... وذلك استناداً إلى مايلي:

أولاً: تناقض نصوصها الشديد جداً، حتى لاتجد نصاً إلا و يوجد ماينافيه و يناقضه... و نذكر على سبيل المثال:

إنهم يذكرون ان عثمان قدناشد الصحابة في ذلك أيضاً حين الثورة عليه... فرواية تقول: إنه اطلع عليهم من داره و هو محصور. و أخرى تقول: في المسجد...

ورواية تقول: انه اشترى نصفها بماءة بكرة، والنصف الآخر بشيء يسير. وأخرى تقول: إنه اشتراها بأربعين الفاً. و ثالثة: بخمس و ثلاثين. و رابعة: انه اشترى نصفها باثني عشر ألف درهم، والنصف الآخر بثمانية آلاف.

ورواية تقول: إنها كانت ليهودي لايسقي أحداً منها قطرة إلابثمن. وأخرى: انها كانت لرجل من مزينة. و ثالثة: لرجل من بني غفار... ورواية تقول: إنه اشترى البئر، وأخرى تقول: إنه حفرها... والجمع بأنه اشتراها، ثم احتاجت إلى الحفر (١)... لايصح، لأنهم يقولون: إن عثمان قال ذلك حين المناشدة، والمناشدة كانت واحدة لم تتكرر.

ورواية تقول: إنها كانت عيناً (أي فيها نبع و سيلان على وجه الارض) و أخرى تقول: كانت بئراً... و رواية تقول: إنه اشتراها عند مقدم النبي(ص) والمسلمين المدينة، وأخرى تقول: إنه اشتراها و هو خليفة.

ورواية تقول: إن النبي طلب منه ذلك، وأخرى تقول انه(ص) ناشد

---

(١)— هذا الجمع ذكره السمهودي في وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٧٠.

المسلمين من يشتريها منهم وثالثة تقول: إن غفارياً أبى بيعها للنبي بعينين في الجنة!! فبلغ ذلك عثمان فاشتراها منه بخمس وثلاثين ألفاً(١).

وثمة تناقضات كثيرة أخرى لامجال لذكرها... فمن أراد المزيد فليراجع وليقارن.

وثانياً إن ماورد في الرواية— كما عند النسائي وأحمد والترمذي— من أنه(ص) قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب... لايصح بوجه، فقد كان في المدينة آبار كثيرة عذبة. وقد استمر النبي(ص) على الاستقاء والشرب منها إلى آخر حياته، و منها بئرالسقيا، و بئر بضاعة، و بئرجاسوم، و بئر دار أنس التي تفل فيها النبي(ص) فلم يكن في المدينة بئر أعذب منها(٢)، وغير ذلك من آبار كثيرة لامجال لذكرها، فراجع وفاء الوفاء للسمهودي، فصل: آبار المدينة...

وثالثاً: لوصح حديث بئر رومة؛ فلابد إذن من الاجابة على التساؤلات في المجالات التالية:

١ً— إنه إذا كان عثمان قدقدم من الحبشة جديداً، و لم يكن له مال... فمن أين جاء عثمان بالاربعين، أوالخمس و ثلاثين، أو العشرين ألفاً من الدارهم، أوالمئة بكرة؟! ومتى وكيف اكتسب هذا المال؟!...

٢ً— ولماذا لايعين المسلمين في حرب بدر بشيء من تلك المبالغ الهائلة من الدراهم؟ أو بشيئ من تلك البكرات التي اخرج منها مئة من صلب ماله

---

(١)— راجع في الروايات وقارن بينها: وفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٩٦٧—٩٧١، وسنن النسائي ج ٦ ص ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٤ ومنتخب كنزالعمال ج ٥ ص ١١ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨٩ عن الطبراني وابن عساكر، ومسند أحمد ج ١ ص ٧٥ و ٧٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٥، وروي ذلك أيضاً عن البغوي، وابن زباله، وابن شبة، والترمذي ص ٦٢٧ وابن عبدالبر، والحازمي، وابن حبان، وابن خزيمة.

وراجع: حلية الأولياء ج ١ ص ٥٨، والبخاري هامش الفتح ج ٥ ص ٣٠٥ وفتح الباري ج ٥ ص ٣٠٥/٣٠٦ وسنن البيهقي ج ٦ ص ١٦٧ و ١٦٨.

(٢)— راجع وفاء الوفاء للسمهودي ج ٣ ص ٩٧٢ و ٩٥٦ ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٥١.

حسبما تنص عليه الرواية؟!... مع أن المسلمين كانوا بأمس الحاجة إلى أقل القليل من ذلك، وكان الاثنان والثلاثة منهم يعتقبون البعير الواحد، ومع أنه لم يكن معهم إلا فرس واحد، ولم يكن معهم إلا ستة أدرع وثمانية سيوف، والباقون يقاتلون بالعصي وجريد النخل، كما سيأتي بيانه...

فلماذا لايعينهم عثمان بشيئ من ماله؟! أم يعقل أن يكون قد بذل كل مالديه حتى أصبح صفر اليدين؟!؛ فمن أين جاء إذن بعد ذلك بأضعاف أضعاف هذه المبالغ حينما جهزجيش العسرة؟؟!— حسبما يدعون وسيأتي بطلانه أيضاً إن شاء الله تعالى...

ولماذا لايطعم المسلمين، ويسد حاجاتهم، ويكفيهم مغونة الأنصار؟! ولماذا لايعين النبي نفسه بشيئ من ماله، وقد كان يعاني اشد الصعوبات ولم يتسع الحال عليهم إلا بعد سنوات من الهجرة؟!...

٣ً— وتقول روايات المناشدة: إنهم قد منعوه من الشرب منها حتى اضطر إلى الشرب من ماء البحر... عجيب!! فإنه إذا كان يستطيع الحصول على الماء فلماذا لايشرب من غيرها من العيون العذبة التي كانت في المدينة و التي تعد بالعشرات؟!...

كما أن من كان يمنعه من شرب الماء، فإنه لم يكن ليسمح بدخول أي ماء كان إليه، ومن أي مصدر كان... وقد أراد عمار أن يدخل إليه روايا ماء؛ فمنعه طلحة (١) ولم يستطع الحصول على الماء إلا من قبل علي الذي أرسل إليه الماء مع أولاده، وعرضهم للاخطار الجسيمة، كما هو معلوم... وهل صحيح: أنه شرب من ماء البحر حقاً؟ مع أن البحر يبعد مسافة لايستهان بها عن المدينة أم أن ذلك كناية عن شربه للمياه غير العذبة والمالحة؟؟!!.

٤ً— و إذا كان عثمان قد بذل هذا المال حقاً... فلما ذا لم تنزل فيه ولو آية واحدة تمدح فعله، و تثني عليه، و كيف استحق علي أن تنزل فيه آيات حينما تصدق بثلاثة أقراص من شعير، و حينما تصدق بخاتمه، وحينما

---

(١)— وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٦٨.

تصدق باربعة دراهم، وحين قضية النجوى؟! وهذا عثمان يبذل عشرات الآلاف ومئة بكرة من الابل ولايذكره الله بشيء، ولا يشيرله بكلمة ولا حرف؟! بل إن الرواية التى تنقل هذه الفضيلة الكبرى عنه نراها متناقضة متهافتة، لا تقوى ولا تثبت امام النقد العلمي الحر والصريح... ولماذا امتنع — مع غيره — عن التصدق بدرهم في آية النجوى، حتى نزل القرآن يلوم الصحابة وهو معهم على إشفاقهم: أن يقدموا بين يدي نجواهم صدقة؟!!...

بئرأريس:

و أخيراً... فلسنا ندري لماذا اختصت بئر رومة بهذا التعظيم والتبجيل، دون بئر أريس... مع أنها أيضا — كمايدعون!! — قد اشتراها عثمان... وقداشتراها أيضاً من يهودي. و كذلك هوقد تصدق بها(١)!! بارك الله في آبار عثمان، وليمت اليهود بغيظهم؛ فانهم يملكون الآبار، و يشتريها منهم عثمان، و يتصدق بها، و ينال الاوسمة و يحصل على الفضائل والكرامات!!...

حقيقة القضية

و بعد كل ما تقدم؛ فان الظاهر هو أن الصحيح في القضية هو مارواه ابن شبة: «عن عدي بن ثابت، قال: أصاب رجل من مزينة بئراً يقال لها: رومة، فذكرت لعثمان بن عفان، وهو خليفة، فابتاعها بثلاثين ألفاً من مال المسلمين، وتصدق بها عليهم(٢)».

وقد ضعف السمهودى الرواية بأن في سندها متروك . ورواها الزبير بن بكار في عتيقه، وردها بقوله: وليس هذا بشيئ، وثبت عندنا أن عثمان اشتراها بماله، وتصدق بها على عهد رسول الله (ص) (٣).

ونقول نحن... إنه بعد أن ثبت عدم صحة تلك الروايات التي أشار

---

(١)— وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٤٥.

(٢)— وفاء الوفاء ج ٣ ص ٩٦٧ عن ابن شبة. وروى ذلك الزبير بن بكار أيضاً...

(٣)— المصدر السابق...

إليها الزبير بن بكار بأي وجه، ولاسيما مع تناقضها، ومع ماتقدم من الايراد عليها بمالا مدفع له كما أن في أسانيدها نقاشاً كثيراً. فان وجود المتروك في سند هذه الرواية لايضر... مادامت منسجمة مع الواقع التاريخي، ومع الظروف التي كانت قائمة آنذاك.

ومادام لايمكن ان يصح غيرها، فالظاهر: أنها قد حرفت وحورت ليمكن الاستفادة منها في اثبات فضيلة لعثمان لايمكن ان تثبت له بدون هذا التحوير والتزوير.

ولكننا لم نفهم قوله: «ابتاعها بثلاثين الفامن مال المسلمين، وتصدق بها عليهم...» فانها إذا كانت من مالهم، فما معنى الصدقة بها عليهم...

الا أن يقال، كما قلنا في أواخر مقالنا: «أبوذر شيوعي، أم اشتراكي، أم مسلم»: إن عثمان والهيئة الحاكمة كانوا يرون أنهم يملكون بيوت الاموال حقاً، وقد جئنا بالشواهد والدلائل على نظرتهم هذه، فراجع...

تأبير النخل:

و يقولون: إن النبي (ص) لما قدم المدينة مر بقوم يؤبرون النخل، أي يلقحونه— أوسمع ضجتهم— فقال: لولم تفعلوا لصلح، فتركوا تلقيحه، فخرج شيصاً(١)، فمر بهم (أوقيل له) فقال: مالنخلكم؟ قالوا: قلت: كذا وكذا قال: انتم اعلم بأمور دنياكم. أوقال: إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فاني إنما ظننت ظناً، فلاتؤ اخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوابه، فاني لن اكذب على الله عزوجل(٢).

ونحن نشك في صحة ذلك، إذ مضافاً إلى الاختلاف الظاهر في نصوص الرواية، كما يظهر بالمراجعة والمقارنة... لابدو أن نسأل:

---

(١)— الشيص هو: رديئ التمر، وهوالذي لايشتدنواه.

(٢)— راجع: صحيح مسلم ج ٧ ص ٩٥، وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٢٥ كتاب الرهون باب ١٥، ومسند أحمد ج ٦ ص ١٢٣، والبرصان والعرجان ص ٢٥٤، ومشكل الآثار ج ٢ ص ٢٩٤.

لماذا يتدخل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيما لايعنيه؟!، وماليس من اختصاصه؟ ألا يعلم: أن الناس يهتمون بكل كلمة تصدر منه، و يرتبون الأثر عليها، و يلتزمون بها؟!...

ولماذا يعرض الناس إلى هذا الضرر الجسيم؟! ومن هو المسؤول عن هذه الأضرار التي سببتها مشورته تلك ؟!... ثم إنه كيف يقول ذلك لهم... وهو الذي أمر عبدالله بن عمرو بن العاص بأن يكتب منه كل مايسمع؛ فانه لايخرج من بين شفتيه إلاحق؟!والرواية معروفة جداً؛ ولذا فلاحاجة إلى ذكر مصادرها...

وأيضاً... هل يمكن أن نصدق أنه (ص) وقد جاوز الثلاث والخمسين سنة، وهو يعيش في المنطقة العربية— هل يمكن أن نصدق: أنه لم يكن يعرف تأبير النخل وفائدته، وأن النخل لاينتج بدونه؟... وكيف لم يسمع طيلة عمره المديد شيئاً عن ذلك ، وهو يعيش بينهم ومعهم... او على الأقل بالقرب منهم؟!...

وأخيراً... هل صحيح: أنه ليس على الناس أن يطيعوه في أمور دنياهم؟! وأنه كان يقول برأيه؟!... وهل صحيح: أن الاسلام يفصل بين الدين والدنيا، وأن مصب اهتماماته هو ماعدا أمور دنياهم؟! أليس هذا بهتاناً على الاسلام وافتراءً عليه؟!! ألا يتنافى ذلك مع القرآن والسنة والاسلام بمجموعه؟!...

الفصل الرابع:

الجهاد في الاسلام

الاسلام... والسيف!!

لقد اهتم المبشرون الحاقدون على الاسلام في اظهار الاسلام على أنه دين السيف والقهر... حتى لقد صوروا— في بعض كتبهم— كاريكاتوراً يمثل النبي صلى الله عليه وآله حاملاً القرآن في يد، والسيف في يد، و يقف فوق رأسه أشخاص، وكتبوا عبارة تقول: «آمنوا بالقرآن، و إلا... ضربت رقابكم بالسيف»... فهم يريدون أن يقولوا: إن الاسلام الذي يقول: «أدع إلى سبيل ربك بالحكمة، والموعظة الحسنة» ليس صادقاً فيما يقول، و إنما هو يقول: أدع بالسيف...

وقد ساعد على ذلك : أن المسلمين أنفسهم قد اعتادوا على ترديد عبارة: «ان الاسلام قام بمال خديجة، وسيف علي (ع)»(١)، مع عدم تعمقهم في مدلول هذه العبارة... بل إن بعض القصاصين الأقدمين، قد ساعدوا على انتزاع هذا المفهوم عن الاسلام، كما يظهر من ملاحظة كتاب: «فتوح الشام للواقدي»؛ فانه لا تكاد تخلومنه صفحة من بطولات خارقة، وأحداث مدمرة. كل ذلك من أجل جلب انتباه العوام إليهم، ولأهداف أخرى ليس هنا محل بحثها... فاشكل الأمر حتى على كثير من المسلمين أنفسهم، وذهبوا يميناً وشمالاً فى محاولات الاجابة على ذلك ، حسبما رأوه مناسباً،

---

(١)— جاء ماتقدم في مقال للمفكر والفيلسوف الاسلامي الكبير، المرحوم الشهيد، الشيخ مرتضى المطهري، نشرته جريدة: «جمهورى اسلامي» الفارسية بتاريخ ١٠ جمادى الثانية سنة ١٤٠٠ رقم ٢٦١.

و بالطريقة التى جادت بها قرائحهم.

وهذا الأمر... و إن كان ربما يكون ارتباطه بالتاريخ، وعلاقته به ليس قوياً جداً، بحيث لايسمح المجال لنا بالتوسع في الكلام فيه بالشكل الذي يرضي تحمسنا،ولكننا... مع ذلك لابد وأن نشير ولو بشكل خاطف وسريع إلى مانراه ونعتقده في هذا المجال، فنقول:

١ً- الحرب في الاسلام... وفي غيره:

قد قدمنا لمحة سريعة جداً عن توصيات النبي (ص) لجيوشه، حين الكلام على السرايا...ومن أراد المزيد،فعليه بمراجعة البحار، والكافي، وغير ذلك من كتب الحديث.

كما أنه لاينبغي الغفلة عن المعاملة المثالية من قبل المسلمين للأسرى، كما سنلمح إليه في غزوة بدر إن شاء الله تعالى...

و يقابل ذلك:

الف: ماورد في الانجيل: «ماجئت لألقي على الارض سلاماً بل سيفاً».

باء: وفي التوراة: «حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها إلى الصلح، فان أجابت إلى الصلح، وفتحت لك؛ فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير و يستعبد،وإن لم تسالمك بل عملت معك حرباً، فحاصرها؛ و إذا دفعها الرب الهك إلى يدك ، فاضرب جميع ذكورها بحد السيف... وأما النساء والاطفال، والبهائم، وكل ما في المدينة كل غنيمتها،فتغنمها لنفسك، وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جداً التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا...

وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب الهك نصيباً فلا تستبق منها نسمة مّا(١)».

---

(١)- سفر التثنية الاصحاح ٢٠ فقره ١٠-١٧.

جيم: وفي التوراة أيضاً: «فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحدالسيف، وتحرقها بكل مافيها مع بهائمها بحدالسيف، تجمع كل أمتعتها إلى ساحتها، وتحرق بالنار المدينة، وكل امتعتك كاملة للرب الهك ،فتكون تلاً إلى الابد(١)».

وثمة نصوص كثيرة أخرى في هذا المجال لامجال لتتبعها... فراجع: سفر التثنية الاصحاح ٧ فقرة ١—٢ وليراجع سفر صموئيل الأول الاصحاح ١٥، ورسالة بولس إلى العبرانيين الاصحاح ١١ فقرة ٣٢ فما بعدها، وانيس الاعلام ج ٥ ص ٣٠٢—٣١٦، وغير ذلك.

اشارة:

وأما إدانة الاسلام من خلال ماكان يفعله الامويون والعباسيون وغيرهم، وماقتلوه في حروبهم، وارتكبوه مع خصومهم... فهو تجّن على الاسلام؛ إذلم يلتزم الاسلام بان يكون مسؤولاً عن أفعال المنحرفين عنه، فان تصرفات المنحرفين شيئ، والاسلام شيئ آخر...

٢ـ حيث لابد من الحرب:

الف— إن شخصية الانسان وملكاته، وسجاياه، ومختلف جهات تكوينه النفسي، والفكري، والعاطفي وغير ذلك— إن هذه الشخصية تتكون عادةً في الاكثر— بعد غض النظر عن عامل الوراثة وغيره من العوامل— من المحيط الذي يعيش فيه، ومن الأفكار التي يتلقاها عن طريق والديه، ومعلمه، وصديقه إلخ... بما في ذلك المفاهيم والقيم الدينية...

فقد ينشأ خواراً جباناً إذاكان الذين اشرفوا على تربيته يستعملون معه اسلوب الارعاب والتخويف... وقد ينشأ شجاعاً مقداماً، إذاكان التعامل معه على خلاف ذلك ...

كما أن من يلقى حناناً وعناية فائقة في صغره يكون تكوينه النفسي

(١)— سفر التثنية الاصحاح ١٣ فقره ١٥.

مختلفاً تماماً عن ذلك الذي يواجه بالجفاء والقسوة، حتى ولو عاشا في بيت واحدٍ، وكانا أخوين توأمين...

بل واكثر من ذلك. فان هذه الصور الذهنية التي يتلقاها الانسان عن طريق الحواس، تمثل المصدر الهام لمعارفه... فلو فرضنا توأمين يعيشان معاً، و يتلقيان نفس المعاملة، ولنفرض أن هذا التوافق مستمر في مجال التعليم، والتربية، والظروف المعيشية و والخ... فاننا مع ذلك نجدهما مختلفين بوضوح في افكارهما ونفسيتيهما، وعواطفهما... وذلك بسبب اختلاف الصور التي تلقاها ذهنهما، وكونت عناصر التفكير لديهما، وأثرت بشكل أو بآخر في انفعالاتهما المختلفة...

فان ذهن كل منهما — حتى وهما يجلسان في غرفة واحدة أو يسيران في الشارع، أوفي المدرسة... — يستقبل صورةً تختلف ولو جزئياً عن تلك التي يستقبلها ذهن الآخر، بسبب توجه نظر كلٍ منهما إلى نقطة تختلف عن تلك التي يتوجه إليها نظر الآخر... وكذا الحال بالنسبة للاصوات والمشمومات و والخ...

فهذه الصورة لابد وأن تشغل حيزاً، وتؤثر أثراً، وتغير من اتجاه الحركات الفكرية لديه، فتعينه تارة، وتقف في وجهه أخرى...

ولسوف يكون لاختلاف تلك الصور التي وصلت إلى ذهنيهما أثر في النتائج، التي سوف يتوصلان إليها... كما أن تلك الصور — كما أشرنا إليه — سوف تؤثر آثاراً مختلفة في نفسية وسلوك وعواطف كل منهما...

وهذا يعرفنا إلى أي حد يتأثر الناس بعضهم ببعض في السلوك والافكار والانفعالات والاخلاق وغير ذلك... حتى إنك لتحس بالفرق في نفسك ومشاعرك لو وقفت على بائع عبوس فظ غليظ، ثم وقفت على آخر مهذب، يواجهك بابتسامته الرقيقة، ويخاطبك بكلمات عذبة ومهذبة... وهذا ولاشك لسوف يترك أثراً على نفسك، ثم على تصرفاتك مع أطفالك وأصدقائك وغيرهم...

و بعد هذا... فانه إذا كان الفكر شديد الحساسية إلى حد أن يتقرر معه اتجاه الانسان، و يؤثر في شخصيته بشكل عام... فاننا نعرف: أن أي انحراف يظهر في المجتمع مهما كان على نطاق ضيق ومحدود، فان أثره لايقتصر على مرتكبه، و إنما يتعداه— ولو بشكل جزئي ومحدود— إلى كل من يعاشره، و يراه، أو يرتبط به من قريب أومن بعيد... ثم يتعداهم إلى غيرهم، وهكذا...

ومن هنا... فاننا نجدالاسلام يحارب المنكربكل قوة، حتى اعلامياً، فيمنع من غيبة غير المتجاهر بالمنكر، حتى لايعتادالناس على سماع خبرالمنكر والانحراف، و بعد ذلك يسهل عليهم ارتكابه وممارسته... فهو إذن... لايريد أن تمر حتى صورة المنكر في أذهانهم، حتى لا تترك أثراً يرغب الاسلام في الابتعاد عنه، فضلاً عن ممارسة المنكر نفسه...

وليتأمل قليلاً في اطلاق لفظ المنكر، وعدم المعروفية على مثل هذه الأمور

هذا بالاضافة إلى أنه يريد أن يمنح ذلك المرتكب فرصة للتخلي عن سيئته تلك ، ويهيئ له الجو الاجتماعي المناسب لنمو شخصيته، والاحتفاظ بعزته وكرامته إلى غير ذلك مما لسنا بصدد بيانه فعلاً...

و بعد كل ماتقدم... فانه إذا كان ضرر الانحراف لايقتصر على نفس من يمارسه،بل يتعداه الى غيره...فانه يكون من حق ذلك الغيران يدفع ذلك الضرر عن نفسه. وهذا مايحكم به العقل والفطرة، حتى ولولم يكن شرع أصلاً... ولكن الشرع لم يكتف بالاعتراف بحق الدفاع عن النفس هذا... بل زاد على ذلك؛ فأوجبه عليه، حين حكم بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل أحد...

وذلك من أجل الحفاظ عليهم أولا، وحتى لايتسرب ذلك الانحراف منهم إلى غيرهم ثانياً(١).

---

(١)— و إنما لم يعاقب المرتكب للمنكر عقابين: أحدهما على المنكر، والآخر على تسببه بالاضرار ←

وكل ماقدمناه يوضح لنا السر في اعتبارهم عليهم السلام المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى...

وعلى هذا... فليس من حق من تنهاه عن المنكر، أوتأمره بالمعروف: أن يقول لك: وماذا يعنيك؟. أو: أناحر... أوما شاكل...

لا... بل الأمر يعنيك... وهوليس حراً، إلا بمقدار لايعتدي فيه على غيره بأي نحو من أنحاء الاعتداء، ولايضر بحريته... والانحراف هو أخطر اشكال الاعتداء، وأبشع أنواعه...

وواضح: أنه في مقام دفع اخطار الانحراف، والقضاء على المنكر، لابد من مراعاة مقدار الضرورة، فلو اساء ولدك نهيته أولاً، وبينت له خطأه، ثم لمته، ثم تهددته، ثم ضربته، ثم طردته... الخ... كل ذلك بحكم الشرع والفطرة...

واذا مرض أحد اعضاء الانسان فانه يعالجه بالدواء، ثم بالعملية الجراحية... ولربما تصل النوبة إلى قطعه، إذا كان مرضه خبيثا وخطيراً؛ حيث إنه بالاضافة إلى أنه أصبح يشكل عبئاً ثقيلاً على سائر الاعضاء، حيث يفترض فيها أن تقوم بمهماتها ومهماته... فقد أصبح يشكل خطراً عليها... هذا عداعن أنه يؤثر فيها ألماً وضعفاً ووهنا، ويمنعها من القيام بوظائفها على النحو الاكمل والأفضل...

وعلى هذا... فلو لم يقطع الطبيب ذلك العضو؛ فانه يكون قد أضر بهذا الانسان وخانه..وحين يعتبر الاسلام، والعقل، والفطرة المسلمين كالجسد

بالغير. بل له عقاب واحد، من جهة أنه لم يسلب عنصر الاختيار الذى لدى الآخرين، كما أنه لم يقصد هوذلك... فيكون فعله من ممهدات وقوع الغير في المعصية وليس الجزء الأخير للعلة...

وبادخال عنصر القصد في المعصية وفي استحقاق العقوبة وعدمه، يعرف الفرق بين مانحن بصدده، وبين قولهم: من سن سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن سنة سيئة، فعليه وزرها ووزر من عمل بها...

الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى— وليس المسلمين فقط، بل الانسانية جمعاء— فان المنحرف عقائدياً، وسلوكياً، واخلاقياً، لابد من استئصال انحرافه أولاً، بالدعوة بالحكمة، والموعظة الحسنة، ثم بالانذار، ثم بالشدة والعنف... حتى إذا أفلست كل تلكم الوسائل فان آخر الدواء الكي. وحيث يكون الداء خطيراً وخبيثاً... فانه لابد من الاستيصال...

و يكون عدم قطع هذا العضو الفاسد، والمفسد خيانة للأمة، وللاجيال وللانسانية جمعاء.

بل يمكن القول: إن خطر الانحراف الديني والعقائدي يفوق خطر المرض الجسدي؛ فان مرض الجسد ربما لايتعداه إلا في نطاق محدود جداً... أما المرض العقائدي والديني، والفكري، والانحراف الاخلاقي، فقد يتسبب في تدمير المال، والجاه، والانسان، بل والمجتمع بأسره، و يؤثر على الاجيال الآتية أيضاً... وذلك عندما لا تبقى لدى ذلك المنحرف أية روادع تمنعه من ارتكاب أية جريمة، والمبادرة إلى كل عظيمة. حينما يكون المقياس عنده، والمنطق له هو مصالحه الشخصية، ولذا ذاته الفردية، ولاشيئ سواها؛ فلايهتم لرضا الله، ولا لمصلحة الأمة، ولا لأحكام الشرع والدين، ولا حتى للعقل والمنطق...

وهكذا... فان الجهاد من أجل منع الانحراف، يكون من الاحكام العقلية والفطر ية، فضلاً عن الشرع والدين...

و بعد كل ماتقدم؛ فاننا نستطيع أن نقول بكل جرأة: إن الاسلام لولم يقم بالسيف لم يكن دين الحق والعدل، ولادين الفطرة والعقل، ولكان خائناً للمجتمع، بل وللانسانية جمعاء على مدى التار يخ...

كما أننا نعلم: أن السياسة من صميم الاسلام الذي هو لاقامة العدل، ورفع الظلم، قال تعالى: «ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان؛ ليقوم الناس بالقسط، وانزلنا الحديد فيه بأس شديد،

ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوي عزيز(١)».

و إن ديناً يتخذ الخيانة ديدناً، وتجاهل مصالح الاجيال طريقة، و يكون فيه هذا الخلل الكبير في تشريعاته لن يكون المجتمع والانسانية بحاجة إليه، ولامعنى للتضحية في سبيله والحفاظ عليه، ولا للعمل من أجل رفع شأنه، واعلاء كلمته.

ومن هنا... فقد كان الجهاد باباً من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه. وهو لباس التقوى. ودرع الله الحصينة، وجُنَّتُه الوثيقة... إلى آخر كلام أميرالمؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

وليلاحظ: أن بحثنا هذا ناظر الى الجانب الفكري التشريعي فقط... أما حقيقة ماجرى تاريخياً في عهدالرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فهو مالابد من الاشارة إليه، والتعرف من خلال البحث والتمحيص عليه، إن شاءالله تعالى...

باء: الدفاع عن النفس فى مقابل المكيين، الذين كانوا يفتنون المسلمين عن دينهم، و يصدون عن سبيل الله... ومن حق كل أحد: أن يقاتل من أجل أن يمتلك حرية الرأي والفكر والعقيدة وحرية الدعوة إلى الله... ولاسيما حين يكون الطرف الآخر مصراً على استعمال العنف، وليس المنطق والحجة، ضده، وضد مايدعو إليه...

فالاسلام... لايريد أن يجبر أحداً على أن يدخل فيه، و إنما هو يضع أمام من ينتصر عليهم عدة خيارات ليس اعتناق الاسلام إلا واحداً منها... وكان من يعتنق الاسلام إنما يعتنقه بملء رغبته، وحريته وارادته، ومن دون أي ضغط حتى اعلامي من قبل المسلمين... ولقد اعتنقت كثير من البلدان الاسلام بمجرد اطلاعها عليه، من دون انتظار الفتح الاسلامي...

ولكن... ذلك لايعني أن يقف الاسلام والمسلمون مكتوفي الأيدى

---

(١)— الحديد ٢٥.

أمام كل اضطهاد، أو أي اعتداء أوظلم يمارس ضد هم وأن يخضعوا لكل الضغوط والارادات الأخرى التي لن ترضى إلا بالقضاء عليه وعليهم نهائياً...

كما أن ذلك لايعني بأن لايعد المسلمون لاعدائهم ما استطاعوا من قوة، ومن رباط الخيل يرهبون به عدوالله وعدوهم... لأن الاسلام الذي يدعون إليه، و يطالبون بحر ية التفكير والنظر فيه، ليس مجرد طقوس فردية، وتزكية نفسية، وانما هو نظام عام شامل ير يد أن يقود عملية تغيير شاملة على مستوى عالمي شامل... الأمر الذي يحتم أن تتوفر الحماية الكاملة لهذا الاسلام، الذي لابد وأن يصطدم بأصحاب الاطماع، والاهواء، و بالجبار ين الذين يحكمون الناس بوحي من مصالحهم ورغباتهم...

نعم... لابد من الحماية الكافية واستعمال اسلوب العنف إذا لم يمكن تأمين حر ية الفكر، والرأي، والعقيدة إلا بذلك... وليوجد الجو والمناخ المناسب لتطبيق الجانب التشر يعي في الاسلام...

وحتى لايتحول الاسلام إلى اسلام حكام يخضع لرغباتهم، و يتطور حسب مصالحهم، واهوائهم... كما كان الحال بالنسبة لبعض الفرق والمذاهب التي ابتليت بهذا الداء الوبيل...

وأيضاً حتى لايتحول جانب عظيم ورئيس في هذا التشر يع، ليكون مجرد فكرميت، يوضع في المتاحف... و يكون الجانب الحي هوخصوص الجانب الفردي، الذي لايتصل بالحياة الاجتماعية، ولايتفاعل معها، لامن قر يب ولامن بعيد.

و إذا توفرت حر ية الفكر والرأي والعقيدة، فان ذلك سوف يشجع الآخر ين على الدخول في الاسلام، آمنين من العذاب والأذى ومن مختلف أنواع الضغوط، ومن الفتنة التي هي اكبر من القتل بنظر الاسلام...

فالمسلمون إذن... إذا قاتلوا... فانما يقاتلون طلباً بحقهم الذي جعله الله لهم، على حد تعبير الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم، كما سيأتي

انشاء الله تعالى... وكما قرره الله تعالى حيث يقول:

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وأن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا: ربنا الله...(١)»... فالاذن بالقتال للمسلمين إنما هو في صورة كون غيرهم قد بدأهم به بالاضافة إلى كونهم قد أخرجوا من ديارهم... ولكن من يراجع كتب المغازي يخرج بتصور: أن الاسلام دين القتل والتدمير، فليراجع فتوح الشام للواقدي؛ فلعل ذلك من اجل اظهار قدرة الامويين، وعظمتهم، كما اشار إليه بعضهم(٢).

جيم: وبعد كل ماتقدم، فقد كان النبي (ص) والمسلمون ملتزمين بعرض خيارات منصفة على الطرف الآخر، حتى ليعترف المشركون: بان حربهم لهم بعد هذا العرض تكون ظلماً وبغيا كما سيأتي... ولكن الباقين لايقبلون بالعرض، لأنهم كانوا مصممين على الحرب، منذ قتل ابن الحضرمي في سرية ابن جحش(٣).

مع أنه كان بالامكان تلافي قضية ابن الحضرمي، إما بالثار على نطاق أضيق، أو بقبول الدية، وكلاهما عن خلق العرب ليس ببعيد...

دال: مناهضة ناقضي العهود، وايقافهم عند حدهم، كما كان الحال بالنسبة لليهود، ثم بالنسبة لمشركي مكة، الذين نقضوا عهد الحديبية...

هاء: الدفاع عن النفس في وجه الغزاة والمهاجمين، وملاحقة من قام بالغارة على المدينة...

وأخيراً... فاننا نلاحظ: أن المشركين قد استمروا يغزون المسلمين، والمسلمون يدافعون عن أنفسهم إلى ماقبل صلح الحديبية، حيث يروى البخاري: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال بعد منصرفه من بني قريظة: الآن نغزوهم ولايغزوننا.

---

(١)— سورة الحج ٣٩/٤٠.

(٢)— هوالمحقق البحاثة السيد مهدي الحسيني الروحاني حفظه الله...

(٣)— راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣١ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١١٦.

هل الاسلام قام بالسيف؟!

و بعد كل ماتقدم يتضح لنا: أنه ليس معنى قيام الاسلام بسيف علي عليه السلام: أنه كان يجعل السيف فوق رأس الانسان، و يقول له: إما أن تسلم و إما أن تقتل...

و إنما معنى ذلك... أن سيف علي عليه السلام كان أبعد أثراً في الدفاع عن الاسلام، وصد اعتداء المعتدين، وتأمين حرية الفكر والعقيدة، والرأي... حسبما قدمناه...

ولأجل أن حروب الاسلام كانت تهدف للحفاظ على الانسان، والدفاع عن النفس، وتأمين الحرية الفكرية... نلاحظ: أنه يقتصر في حروبه على أقل قدر ممكن ترتفع به الضرورة، و يلتزم بضبط النفس الكامل والواعي، حتى في أحلك اللحظات، وأخطرها.

ولذا... لم يستطع الباحثون إيصال القتلى في حروب النبي (ص) طيلة عشر سنين، والتي تعد بعشرات الحروب والسرايا— لم يستطيعوا إيصالها إلى الالف قتيل(١)... رغم أن هذه الحروب كانت تتجه نحو تهيئة الجو لبسط النفوذ الاسلامي على مختلف أرجاء الجزيرة العربية، و يتعداها إلى غيرها مما حولها...

هذا ما أحببنا الاشارة إليه في هذه العجالة، والكلام حول الجهاد طويل ومتشعب، لابدفيه من التوفر على دراسة النصوص القرآنية، وكلمات النبي (ص) والائمة (ص) ومواقفهم وممارساتهم الجهادية بدقة ووعي...

وقد صدر مؤخراً كتاب للعلامة الجليل السيد محمدحسين فضل الله باسم: «الاسلام ومنطق القوة» ولم تتوفر لي الفرصة للاطلاع عليه بعد... ولكنني على ثقة بأن فيه ماينقع الغلة، و يشفي الغليل فى هذا المجال... فمن أراده فليراجعه...

---

(١)— راجع مقالاً حول هذا الموضوع للسيد هادي الخسروشاهي في كتاب: سيماي اسلام... (فارسي).

الفصل الخامس:

سرايا و غزوات قبل بدر...

غزواته (ص) و سراياه

وهنايبدأ المؤرخون بذكر غزواته و سراياه صلى الله عليه وآله... و يقصدون بـ «الغزوة»: الجيش الذي يخرج فيه صلى الله عليه وآله بنفسه، و بـ «السرية»: البعث الذي لايكون فيه رسول الله صلى الله عليه وآله...

وقد اختلفت كلماتهم في عدد غزواته وسراياه اختلافاً كثيراً... ولا نرى حاجة لاطالة الكلام في تحقيق ذلك ...

ولسوف نكتفي بذكر الغزوات التي كان فيها قتال، مع الاشارة الخفيفة إلى غيرها من الغزوات والسرايا، إلا إذا وجدنا فيها مايقتضي التوقف قليلا... فنقول:

المهاجرون... أولاً:

١ــ وبعد سبعة أشهر من مقدمه صلى الله عليه وآله المدينة ــ وقيل غير ذلك ــ عقد الرسول (ص) لحمزة بن عبد المطلب على ثلاثين من المهاجرين، (وقيل: ومن الأنصار. لكنه غير معتمد، لأنه لم يبعث أحداً من الأنصار قبل بدر، كما ذكروه(١) ــ) ليلقوا أباجهل. فلقوه، وهو في ثلاث مئة من المشركين... لكن مجدي بن عمرو الجهني ــ وكان موادعاً للفريقين ــ حجز بينهما، وانصرفوا من غير قتال...

---

(١)ــ تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٥٦، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٢.

ويذكر العلماء هنا: إنه في أول الأمر لم يكن يجوز فرار واحد من المسلمين من عشرة من المشركين...

ثم جاء التخفيف من قبل الله عن المسلمين؛ ليختص بفرار واحد في مقابل اثنين، وذلك في قوله تعالى:

«يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا؛ بأنهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم، وعلم أن فيكم ضعفاً، فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله، والله مع الصابرين(١)...»

٢ـ وعلى رأس ثمانية أشهر من مهاجره الشريف عقد لعبيدة بن الحارث ابن المطلب على ستين رجلاً؛ ليلقوا أباسفيان في بطن رابغ، وكان في مئتين...

وفي هذه السرية فرالمقداد وعتبة بن غزوان إلى المسلمين.

٣ـ وبعد ذلك كانت سرية سعدبن أبي وقاص على فريق من المهاجرين أيضاً؛ ليعترضوا عيراً لقريش، فسبقتهم. وقيل: كان ذلك بعد بدر.

٤ـ ثم كانت غزوة الابواء بعد مقدمه صلى الله عليه وآله بسنة أوأكثر، أو أقل، خرج فيها النبي صلى الله عليه وآله بنفسه يريد قريشاً، وبني مرة بن بكر. فتلقاه سيد بني مرة بالأبواء، فصالحه، ثم رجع (ص) إلى المدينة..

٥ـ وبعدها كانت غزوة بواط، جبل لجهينة، قرب المدينة خرج(ص) في ماءتين من المهاجرين أيضاً يعترض عير بني ضمرة؛ فبلغ بواطا ورجع، ولم يلق كيدا...

---

(١)ـ الانفال ٦٥/٦٦.

٦ً— وبعدها بأيام قلائل كانت غزوة العشيرة، ووادع فيها بني مدلج، وحلفاء هم من بني ضمرة، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وفيها كني علي عليه السلام بأبي تراب، كماسنرى...

٧— سرية عبدالله بن جحش إلى بطن نخلة:

ثم كانت سرية ابن جحش في رجب أوجمادى الثانية من السنة الثانية، في ثمانية، أواثني عشر من المهاجرين...

فقد كتب له النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كتاباً، وأمره أن لاينظر فيه حتى يسير يومين (ولعله لاجل أن لايطلع على مضمونه أعداء المسلمين من اليهود والمشركين فتتسرب الأخبار إلى اعدائه)— فلما سار يومين فتح الكتاب، فاذا فيه بعد البسملة:

«أما بعد، فسرعلى بركة الله بمن تبعك من أصحابك، حتى تنزل بطن نخلة، فترصد بها عيرقريش— وفي رواية: قريشاً— حتى تأتينا منها بخبر»...

فاقام هناك فمرت بهم عيرلقريش، فتجرأ المسلمون عليهم، فقتلوا منهم رجلاً، وأسروا إثنين، وأخذوا مامعهم، وكان ذلك في أول يوم من رجب أو آخر يوم منه...

فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله، أوقف العير والاسيرين، وأبى أن يأخذ منها شيئاً (ولكن أبا هلال العسكري يقول: «ورد عبدالله بن الجحش بالخمس على رسول الله (ص)، وقسم الباقي بين أصحابه، فكان أول خمس خمسه(١)»—.)

و عنفهم إخوانهم من المسلمين.

وقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، وسفكوا فيه الدماء، وأخذوا فيه الأموال، وأسروا فيه الرجال. وعيروا المسلمين بذلك، وكتبوا فيه.

---

(١)— الأوائل ج ١ ص ١٧٦ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ١٥٧ والاستيعاب ترجمة عبدالله بن جحش.

و تحرك اليهود أيضاً، ليزيدوا الطين بلة... فلما أكثروا نزل قوله تعالى، مبيناً عذر المهاجرين فيما أقدموا عليه: «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه؟ قل: قتال فيه كبير، وصد عن سبيل الله، وكفر به، والمسجد الحرام، واخراج أهله منه اكبر عندالله، والفتنة اكبر من القتل.؟.(١)»

وقيل: نزلت الآية حينما جاء مشركوا مكة، وسألوا النبي(ص) عن ذلك على جهة العيب والانتقاص. ففرج الله بذلك عن المسلمين. و بعثت قريش بفداء الاسيرين، فأفداهما (ص)...

٨— ثم كانت غزوة بدر الأولى بعد غزوة العشيرة بأيام، حيث أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة، فخرج النبي صلى الله عليه وآله في طلبه، حتى بلغ وادي سفوان من جهة بدر، وفاته كرز، فرجع صلى الله عليه وآله إلى المدينة...

وصية النبي (ص) للسرايا:

و يلاحظ هنا: أنه صلى الله عليه وآله كان إذا أراد أن يبعث سرية دعاهم، فأجلسهم بين يديه، ثم يقول:

«سيروا باسم الله، و بالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله. ولا تغلوا ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولاصبياً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها؟ وأيما رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر إلى رجل من المشركين، فهو جار، حتى يسمع كلام الله؛ فان تبعكم، فأخوكم في الدين، وإن أبى فأبلغوه مأمنه، واستعينوا بالله عليه الخ... (٢)». وهي وصية طويلة...

كما أنه صلى الله عليه وآله مابيّت عدواً قط (٣).

---

(١)— البقر ٢١٧.

(٢)— الكافي ج ١ ص ٣٣٤ و ٣٣٥، والبحار ج ١٩ ص ١٧٧— ١٧٩.

(٣)— المصدر ان المتقدمان...

هذا... ولابد وأن نبحث هنا عدة أمور هامة نرى أنها ترتبط بما تقدم... وهي على النحو التالي:

أ- تكنية علي بأبي تراب:

وفي غزوة العشيرة كنى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين علياً عليه السلام بـ: «أبي تراب»، و كانت أحب كناه إليه، ولكن الأمويين كانوا يعيرونه بها...

وملخص القضية: كما يروى لنا عمار بن ياسر: انه بعد أن نزل الرسول ومن معه في موضع هناك، ذهب عمار وعلي(ع) لينظرا إلى عمل بعض بني مدلج، كانوا يعملون في عين لهم ونخل، فغشيهما النوم، فانطلقا حتى اضطجعا على صور من النخل، وفي دقعاء من التراب. قال عمار: فوالله ما أهبنا إلا رسول الله (ص) يحركنا برجله، وقد تربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها؛ فيومئذ قال رسول الله عليه الصلاة والسلام لعلي بن أبي طالب: مالك يا أباتراب، لما يرى عليه من التراب... الحديث(١)...

وقد تقدمت الاشارة إلى رواية تكنيته بابي تراب حين الحديث عن المؤاخاة أيضاً...

---

(١)- البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٤٧، والآحاد والمثاني مخطوط في كوبرلي رقم ٢٣٥، وصحيح ابن حبان مخطوط والبحار ج ١٩ ص ١٨٨، و مسند أحمد ج ٤ ص ٢٦٣/٢٦٤، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٢٣-١٢٤ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢ ط صادر، و سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٤٩/٢٥٠، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٤٠ و كنزالعمال ج ١٥ ص ١٢٣ و ١٢٤ عن المصنف، والبغوي، والطبراني في الكبير، وابن مردويه و أبي نعيم في معرفة الصحابة، وابن النجار، وغيرهم وعن ابن عساكر... و شواهد التنزيل ج ٢ ص ٣٤٢، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٦ و ١٠٠ عن الطبراني في الاوسط والكبير، والبزار و أحمد، ووثق رجال عدد منهم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦٤، وترجمة الامام علي(ع) من تاريخ ابن عساكر ج ٣ ص ٨٦ بتحقيق المحمودي، وانساب الاشراف ج ٢ ص ٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٦، وطبقات ابن سعد والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٦٣.

ونقل أيضاً عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل رقم ٢٩٥، والغدير ج ٦ ص ٣٣٤، وعيون الأثر لابن سيد الناس ج ١ ص ٢٢٦، والامتاع للمقريزي ص ٥٥...

وعلى كل حال فان من يراجع غزوة العشيرة في كتب التاريخ والحديث يجد هذا الحديث مثبتاً ثمة في اكثر تلك المصادر...

وقد أحسن عبدالباقي العمري حيث يقول مشيراً إلى هذه القضية:

يا أبا الاوصياء انت لطه صهره، وابن عمه، وأخوه
إن لله في معانيك سراً اكثر العالمين ماعلموه

أنت ثاني الآباء في منتهى الدور، وآباؤه تعد بنوه.

التزوير والافتراء:

و يقولون هنا: انه عليه السلام كان اذا عتب على فاطمة، وضع على رأسه التراب؛ فاذارآه النبي (ص) عرف ذلك، وخاطبه بهذا الخطاب(١).

و يقولون أيضاً: إنه غاضب فاطمة، وخرج إلى المسجد، ونام على التراب، فعرف النبي (ص)، فبحث عنه؛ فوجده؛ فخاطبه بهذا الخطاب(٢).

و يقولون أيضاً... إنه حين المؤاخاة لم يؤاخ النبي (ص) بينه و بين أحد،فاشتد عليه ذلك ،وخرج إلى المسجد،ونام على التراب، فلحقه (ص)، ولقبه بهذا اللقب...

ولكن كل ذلك لايمكن أن يصح. وذلك لما يلي:

١ـ إن فاطمة أجلّ من أن تغضب علياً عليه السلام، وأتقى وأرفع من ذلك،وهي الصديقة الطاهرة التي أذهب الله عنها الرجس وطهرها تطهيراً بنص الكتاب العزيز... كما أن علياً أجل وأتقى وأرفع من أن يغضب فاطمة؛ وسيرته، وتطهيرالله له من الرجس، وكل مشين، بنص كتابه العزيز أدل دليل على ذلك ...

---

(١)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٧ وانساب الاشراف ج ٢ ص ٩٠.

(٢)ـ البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٤٧، والغديرج ٦ ص ٣٣٦ عن سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٧، وعمدة القاري ج ٧ ص ٦٣٠. والسيرة النبوية لابن كثيرج ٢ ص ٣٦٣ عن صحيح البخاري والمناقب للخوارزمي ص ٧، وانساب الاشراف ج ٢ ص ٩٠ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص ٢١١.

٢ً- وقد قال علي عليه السلام- وكأنه يتنبأ بما سوف يفتريه عليه الحاقدون: «فوالله، ما أغضبتها، ولاأكرهتها على أمر، حتى قبضها الله عزوجل. ولا أغضبتني، ولاعصت لي أمراً، ولقد كنت أنظر إليها؛ فتنكشف عني الهموم والأحزان(١)».

٣ً- وعداعن ذلك كله... فان وضعه التراب على رأسه كلما غاضبها لايصدر من رجل عاقل حكيم لبيب، له علم ودراية أميرالمؤمنين عليه السلام، لأنه أشبه بلعب الأطفال...

٤ً- وأيضاً... فان أميرالمؤمنين عليه السلام الذي هو قسيم الجنة والنار لم يكن ليؤذي الله تعالى والنبي صلى الله عليه وآله... لأن جزاء من يؤذى الله والنبي (ص) ليس هوالجنة قطعاً... وقد قال النبي: إن من آذى فاطمة فقد آذاه، اومن أغضبها فقد أغضبه(٢).

٥ً- وأخيراً... فان علياً لم يكن ليغضب من النبي (ص)، و يعتب عليه... وهو يعلم أنه لايأتى بعمل من عند نفسه... كما أن سيرة علي مع النبي، لتؤكد على أنه كان يلتزم حرفياً بكل ما يصدرعنه، حتى إنه، حينما أمره النبي(ص) أن يسير لفتح خيبر ولايلتفت، مشى(ع) ماشاء الله ثم وقف فلم يلتفت، وقال: يا رسول الله الخ... (أنساب الاشراف ج ٢ ص ٩٣ بتحقيق المحمودى).

ولماذا يغضب و يعتب؟ أليس قد آخاه بنفسه قبل الهجرة؟!. ثم هو لم يزل يؤكد على أخوته له، كلما اقتضت المناسبة ذلك ...

وعلى كل حال... فنحن لن نكذب النبي (ص) والقرآن، ونصدق هؤلاء... فنحن نذر هذه الترهات لهم. تدغدغ أحلامهم، وترضي حقدهم، على علي وأهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين...

---

(١)- مناقب الخوارزمي ص ٢٥٦، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٣، والبحارج ٤٣ ص ١٣٤.
(٢)- البخاري ط مشكول ج ٥ ص ٣٦.

لماذا الوضع والاختلاق:

ولعل سر وضع هذه الترهات... هو أنهم يريدون أن يظهروا أنه قد كان في بيت علي عليه السلام من التناقضات والمخالفات... مثل ذلك الذي كان في بيت النبي (ص) نفسه، مما كانت تصنعه بعض زوجاته صلى الله عليه وآله، ويمكن — من ثم — أن يقال: إن ذلك أمر طبيعي، ومألوف، وهو من مقتضيات الحياة الزوجية... و إذن... فلا غضاضة فيه على أحد... ولا موجب للطعن والاشكال على أي كان... فزوجة النبي تتصرف كما كانت تتصرف بنت النبي (ص)...

ومن الجهة الثانية فكما أن قوله (ص): من أغضبها (أي فاطمة) فقد أغضبني... ينطبق على فلان وفلان... فانه ينطبق أيضاً على علي نفسه، و إذن... فلا يجب أن يكون ذلك موجباً للاشكال على اولئك دونه.

قيمة هذه الكنية:

إن الامام علياعليه السلام لايعتبر الدنيا له هدفاً، يعيش من أجله وفي سبيله... و إنما يعتبرها وسيلة إلى هدفه الاسمى، وغايته الفضلى... و إذا رأى نفسه يتصرف منسجماً مع هدفه، ومع نظرته؛ فانه سوف يرتاح، و ينشرح لذلك.... فكانت هذه الكنية من النبي (ص) له بمثابة اعلام له: بأنه سوف يبقى فى مواقفه وتصرفاته محتفظا بالخط المنسجم مع أهدافه، وأنه لسوف يبقى يضع الدنيا في موضعها الذي يليق بها، ولن تغره بزبارجها وبهارجها، ولن يبتلي بالتناقض بين مواقفه وتصرفاته، و بين مايدعي أنه هدف له... ومن أجل ذلك كانت هذه الكنية أحب كناه إليه عليه السلام.

وأما الأمويون... فقد كان موقفهم أيضاً منسجماً مع نظرتهم، ومع مايعتبرونه من القيم لهم... فان غايتهم وهدفهم هوالدنيا، وعلى أساس وجدانها وفقدانها يقيّمون الاشخاص والمواقف، فيحترمون أويحتقرون... و إذا كان علي أباتراب، ولايهتم بالدنيا، ولايسعى لأن ينال منها إلا ما يحفظ له

خيط حياته، و يبلغه إلى أهدافه... فان بني أمية لسوف يرونه فاقداً للعنصر الأهم، الذي به يكون المجد، والكرامة والسؤدد بنظرهم. و يكون من الطبيعي أن يعيروه بكنية كهذه؛ فان ذلك هوالذي ينسجم كل الانسجام مع غاياتهم، ونظرتهم تلك التي تخالف الدين والقرآن،والفطرة السليمة والمستقيمة.

٢ـ لماذا المهاجرون فقط:

و يلاحظ: أنه صلى الله عليه وآله كان قبل بدر لايخرج في غزواته، ولايرسل في سراياه إلا المهاجرين. وهنا يرد سؤال:

لماذا يتعمد النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ؟ وماهي الحكمة فيه؟!...

لربما يقال في مقام الاجابة على ذلك إنه يريد أن يفهم الأنصار: أنه مصمم على الوصول إلى أهدافه، ولو لم يعاونوه؛ فلايجب أن يظنوا: أنه يريد أن يجعلهم وسيلة لمآربه وغاياته، مع احتفاظه بأصحابه المهاجرين... الأمر الذي يولد عندالأنصار الشعور بالمظلومية والغبن...

ولكننا نرى أنه لابد من نظرة أعمق إلى هذا الأمر،وذلك يحتم علينا أن لانقنع بما تقدم، ولذا فنحن نجمل ملاحظاتنا هنا على النحو التالى:

الف: على الانصار نصره (ص) في دارهم:

إنه يبدوأن الأنصار كانوا يرون: أن عليهم نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دارهم، إن دهمه أمر؛ فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم... أما إذا كان هو نفسه المهاجم لغيره، أوكانت الحرب في غير بلدهم، فلانصرة له عليهم. وذلك هو ظاهر ماتمّ الاتفاق علية في بيعة العقبة كماتقدم...

و يدل على ذلك : أن المؤرخين يصرحون في غزوة بدر: أنه (ص): «كان يخشى ألا تكون الأنصار ترى عليهم نصرته إلا ممن دهمه في المدينة،

وليس عليهم أن يسير بهم». وسيأتي ذلك حين الحديث عن غزوة بدر إن شاء الله تعالى...

باء: مسألة الحرب والسلم:

إن مسألة الحرب ليست سهلة بالنسبة إلى المدنيين، و إذا كانوا هم الذين سوف يتحملون مسؤولياتها، و يضحون فيها بأموالهم وأنفسهم. وهم الذين سوف يواجهون نتائجها وعواقبها على صعيد علاقاتهم، وروابطهم الاجتماعية والاقتصادية، وغيرها، وهي اخطر وأهم مسألة لدى العربي، لأنها مسألة الدم والثار، والموت والحياة، والسعادة والشقاء...

إذا كانت الحرب إنما تعني ذلك ... فلابد فيها من توفر القناعات الكاملة بها من قبلهم أنفسهم، ولابد و أن يقرر واهم الدخول فيها وعدمه...

وأما إذا فرضت عليهم فرضاً... فلربما يؤدي دخولهم فيها الى نتائج عكسية، وربما خطيرة جداً، تجر على المسلمين، وعلى مستقبل الاسلام الكثير من الرزايا والبلايا، التي قد تعسر معالجتها، والخروج منها على النحو المرضي والمشرف، والمنسجم مع الهدف الاسمى والغاية الفضلى.

وهذا هو السر في استشارته صلى الله عليه وآله أصحابه في الحرب وشؤونها في بدر وفي أحد، كما سنشير إليه ثمة إن شاء الله تعالى...

ظروف الانصار الخاصة:

و إذا كان الأنصار في بلدهم، و يعيشون حياة الأمن والدعة — على صعيد علاقاتهم بمن يحيط بهم طبعاً — و يشرفون على زراعتهم، وأمور معاشهم، و يستفيدون من أرضهم... فان ذلك يجعلهم اكثر تعلقاً بالحياة، وحباً لها... ولابد من توفر دافع نفسي أقوى يسهّل عليهم الخروج إلى جو آخر... فيه الكثير من المشاكل والاخطار الجسام، إن حاضراً، و إن مستقبلاً...

و أيضاً... فانه إذا كان الأنصار سوف يحاربون قريشاً، أعظم قبائل العرب خطراً ونفوذاً، وحتى قدسية، فإن عليهم أن يعدوا إلى العشرة قبل أن يقدموا على أي إجراء من شأنه أن يعرض علاقاتهم بمكة إلى الخطر... ولاسيما إذا كان من الممكن أن يجر عليهم خطر عداء العرب قاطبة، فضلاً عن غيرهم... وعلى الأخص إذا كان المدنيون في موقع المعتدي في نظر الناس...بل إن التاريخ يحدثنا:«عن أبي بن كعب قال: لما قدم النبي (ص) واصحابه المدينة وآوتهم الانصار رمتهم العرب عن قوس واحدة، فكانوا لايبيتون إلا في السلاح، ولايصبحون إلا فيه»(١).

أما ظروف المهاجرين، فانها كانت مختلفة تماماً عن ظروف الانصار من هذه الجهة؛ لأن اتخاذهم قرارالحرب ضد قريش يكون أسهل وأيسر، فان وقوفهم ضد قريش له مبرراته النفسية والاجتماعية كاملة، فانها هي تلك القوة الغاشمة التي أهانتهم، وعذبتهم وأخرجتهم من ديارهم، وسلبتهم أموالهم... و وإلخ...ولأنهم كان مشردين مقهورين، يشعرون بظلم قريش وخروجها على كل النواميس الأخلاقية والاعراف الاجتماعية، والاحكام العقلية والدينية والفطرية... فاندفاعهم إلى محاربتها، والوقوف في وجهها يكون أعظم وأشد... كما أن تحريكهم إلى مضايقة قوافلها— التي تمثل اغراءً لهؤلاء الذين فقدوا أموالهم، وكل مالديهم على أيدي أصحاب هذه القوافل نفسها— يكون أسهل وأيسر...

وأيضاً... فإنه لايمكن أنه ينظر الى وقوفهم في وجه قريش على أنه تجنٍ واعتداء. بل هي حرب محقة وعادلة لمن كانت هذه معاملتهم، وتلك حالتهم وسلوكهم... مع من؟!... مع أحب الناس وأقربهم نسباً إليهم... فكيف تكون الحال لوكان الأمر مع غيرهم، ممن لا تربطهم بهم رابطة قربى، ولا وشائج رحم...

---

(١)— منتخب كنزالعمال ج ١ ص ٤٦٥ بهامش مسند احمد عن البيهقي في الدلائل، وابن مرديه، وابن المنذر وعن كنزالعمال ج ١ ص ٢٩٥ عن هؤلاء وعن الطبراني، والحاكم، وسعيدبن منصور، وعن روح المعاني ج ٦ ص ٩٨.

جيم: الحالة النفسية للمهاجرين:

إنه بالاضافة إلى أن هذه التحركات قد أعطت المهاجرين الغرباء عن المنطقة فرصة للتعرف عليها جغرافياً، ولو بشكل محدود — بالاضافة إلى ذلك — فان المهاجرين كانوا مصدومين نفسياً، و يشعرون بالغربة عن المنطقة، فكانوا بحاجة إلى حركة تعيد لهم الثقة بأنفسهم ورفع معنوياتهم، وتركزفيهم الشعور بالقوة، والاستقلالية، والحرية. فكانت تحركاتهم هذه تشعرهم: بأن باستطاعتهم — الآن — مضايقة قريش، والضغط عليها... وأنهم يملكون أنفسهم بكل ماهذه الكلمة من معنى...

كما أن مما عزز ذلك فيهم هو موادعاتهم لغيرهم من القبائل.

وقد كان الأنصار في غنى عن كل ذلك بملاحظة ظروفهم وأحوالهم...

يضاف إلى ذلك: أنه إذا كان بين هؤلاء المهاجرين من أثرت فيه المحنة، وزعزعت يقينه الصدمة، ومن أجل أن لايوقعه ضعف نفسه بين براثن الشيطان... فان هذا المسلم إذارأى نفسه يعمل في سبيل هذاالدين، وهذه العقيدة و يضحي من أجلها وفي سبيلها، ويجد أن عمله هذا يؤثر و ينتج، و يتقدم من حسن إلى أحسن... إن هذا المسلم سوف يعود إليه ثباته، وتطمئن نفسه، و يصير تأثير المحنة عليه أقل، والتفاعل معها أندر.

دال: العربي... و قضية الدم:

ولقد كان العربي لايغفر قضية الدم، ولايتجاوزها، وعلى أساس الثأر للدم يتقرر مصير العلاقات بين القبائل والفئات سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، وغير ذلك ... ولربما يستمر العداء الثاري بين القبائل أجيالاً عديدة...

و إذا كان لابد من قيام مجتمع إسلامي متكافل، متماسك كالجسد

الواحد، فلابد من حصر قضايا الدم والثار في أضيق دائرة ممكنة، تفادياً للاحقاد التي تتأصل في النفوس، و يظهر أثرها ولو بعد أجيال... وعشرات، بل مئات السنين...

ولذا نلاحظ: أن حرب بدر رغم أن الكثرة فيها كانت للأنصار بنسبة واحد إلى أربعة أوخمسة من المهاجرين— نلاحظ—: أن أكثر قتلى المشركين كانت نهايتهم على يدالمهاجرين القرشيين، كماسنرى إن شاء الله تعالى...

ولاجل هذا بعينه؛ وأيضاً من أجل تقليل القتلى ما أمكن نجد أميرالمؤمنين عليه السلام قال للأزد في صفين: اكفوني الأزد، ولخثعم: اكفوني خثعماً. وأمر كل قبيلة من أهل العراق أن تكفيه أختها من أهل الشام، إلاقبيلة ليس منهم بالشام أحد. مثل: بجيلة، لم يكن بالشام منهم إلاعددييسير؛ فصرفهم إلى لخم(١)... وكذلك جرى أيضاً في حرب الجمل(٢).

كما أنه عليه السلام يرسل منادياً ينادي في جيش عائشة في حرب الجمل: اتقوا سيف الاشتر، وجندب بن زهير(٣).

نعم... لأن علياً لايريد أن يقتل الناس، وإنما يريد قمع الفتنة، واقامة الدين الذي تحيابه الأمم، بأقل قدرٍ ممكن من الخسائر...

كما أن المختار عندما أمر ابراهيم بن الاشتر أن يسير:إما إلى مضر، أو إلى أهل اليمن، عاد فرجح أن يسير إلى مضر، قال الطبري: «فنظر المختار، وكان ذا رأي، فكره أن يسير إلى قومه، فلايبالغ في قتالهم، فقال: سر إلى مضر بالكناسة إلخ...(٤)».

وخلاصة الامر: انه إذا كانت الحرب بين أفراد أوفئات القبيلة الواحدة؛ فلربماتكون أقل ضراوة من جهة، ولأن العاطفة النسبية، والقربى

---

(١)— وقعة صفيّن لنصر بن مزاحم ص ٢٢٩ وراجع انساب الاشراف ج ٢ ص ٣٠٥.

(٢)— الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٢٩٩.

(٣)— لباب الآداب ص ١٨٧ والاصابة ج ١ ص ٢٤٨.

(٤)— تاريخ الطبري ط مطبعة الاستقامة ج ٤ ص ٥٢١.

القبلية تسهل على الناس تناسي الاحقاد وتجاوزها، و من ثم يتهيأ الجو للعودة إلى الحياة الهادئة، والمحبة، والتصافي بسرعة... من جهة أخرى.

والشاهد على صحة مانقول: ان قريشاً لم تنس مع طول العهد جراحاتها من الانصار... ولم تأل وسعاً ولم تدخر جهداً في الثار لنفسها كماسنرى في الفقرات التالية...

قريش... والأنصار:

وأول مايطالعنا في مجال استكشاف مشاعر قريش، ونوايا هاتجاه الأنصار ماقاله أبوسفيان بعد حرب بدر:

«آليت، لاأقرب النساء، ولا يمس رأسي وجلدي الغسل،
حتى تبيروا قبائل الأوس والخزرج، إن الفؤاد يشتعل.»

كما أن الأنصار أنفسهم كان يشعرون بهذا الأمر، فانهم عندمامات النبي (ص) كانوا يبكون؛ لأنهم لايدرون مايلقون من الناس بعده صلى الله عليه وآله(١)...

ولم تكن مبادرتهم إلى محاولة مبايعة سعدبن عبادة إلاانطلاقاً من هذا الشعور، الذي عبرعنه الحباب بن المنذر بقوله يوم السقيفة: «ولكنا نخاف أن يليها بعدكم من قتلنا أبناءهم وآباءهم، واخوانهم» نعم... لقد بادروا إلى ذلك بعد أن عرفوا أن العرب وقريشاً لن تمكن علياً من الوصول إلى الحكم، ولاسيما بعد أن رأوا قضية المنع عن كتابة النبي (ص)، للكتاب وتأخير جيش أسامة، وغيرذلكمن قرائن وأحوال لاتخفى...

وبعد وفاة النبي حاق بالانصار البلاء، وحلت بهم الرزايا... واستأثر المهاجرون بكل الامتيازات، وكان في ذلك تصديق لما أخبرهم به النبي (ص) من أنهم سيلقون بعده اثرة، ثم أمرهم بالصبر حتى يلقوه على الحوض...

---

(١)— مسند أحمد ج ٦ ص ٣٣٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤ عنه.

ومما يدل على ماذكرناه:

١ً— ان محمدبن مسلمة حين رأى القرشيين وهم يرفلون بالحلل أعلن بالتكبير في المسجد، فطالبه بذلك عمر، فأخبره بما رأى من الأثرة، ثم قال: استغفرالله ولا أعود(١).

مع أن محمدبن مسلمة كان من المقربين للهيئة الحاكمة، ومن أعوانها الاوفياء الذين كانت تطمئن اليهم، وتعتمد عليهم...

٢ً— كما أن عمر قدهمّ في أواخر خلافته: بأن يأخذ فضول أموال الاغنياء، و يقسمها بين فقراء المهاجرين(٢).

٣ً— كما أنه كان يركب كل جمعة ركبتين: احداهما: ينظر فى أموال يتامى ابناء المهاجرين. والثانية: ينظر أرقّاء الناس مايبلغ منهم(٣).

٤ً— كما أن عمر بن الخطاب لايقضي حاجة للأنصار إلا بعد توسط ابن عباس.

٥ً— ولم يكن يبر الأنصار أحد إلا بنوهاشم(٤).

وقد اشتد البلاء بعد ذلك العهد على الأنصار، حتى لقد:

٦ً— طلب يزيد لعنه الله من كعب بن جعيل أن يهجو الأنصار. فقال له كعب: أرادّي انت إلى الشرك ؟!. أهجو قوماً نصروا رسول الله (ص) وآووه. ثم دلّه على الأخطل النصراني، الذي قال فيهم:

ذهبت قريش بالسماحة والندى واللؤم تحت عمائم الأنصار(٥).

---

(١)— حياة الصحابة ج ١ ص ٤١٣، عن كنزالعمال ج ١ ص ٣٢٩ عن ابن عساكر.

(٢)— راجع أواخر مقالنا: أبوذر اشتراكي أم شيوعي أم مسلم في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام.

(٣)— المصنف ج ٢ ص ٣٤٩ وفي هامشه عن مالك ج ١ ص ٦٩ مختصراً.

(٤)— راجع: حياة الصحابة ج ١ ص ٤١٤ و ٤١٥.

(٥)— الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٠٢.

٧ـ ثم توّج يزيد لعنه الله جناياته ومخازيه بوقعة الحرة، التي أذل فيها عزيزهم، وهتك فيها حرماتهم، وأباح أعراضهم، وقتل رجالهم... ولم تزل ولا تزال وصمة عار على جبين الحكم الأموي تؤذن بالخزي والعار لذلك الحكم البغيض، ولكل من يسير على نهجه، و ينسج على منواله...

تزوير التاريخ...

«قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب، قال: قال لي خالدبن عبدالله القسري: اكتب لي النسب؛ فبدأت بنسب مضر، وما أتممته فقال: اقطعه، اقطعه، قطعه الله مع أصولهم، واكتب لي السيرة. فقلت له: فانه يمر بي الشيئ من سير علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، فأذكره؟ فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم، لعن الله خالداً ومن ولاّه، وقبحهم وصلوات الله على أمير المؤمنين(١)».

وهكذا جرى أيضاً للانصار قال الزبير بن بكار: ما ملخصه: ان سليمان بن عبدالملك قدم حاجاً، وهو ولي عهد؛ فمر بالمدينة، فأمر أبان بن عثمان أن يكتب له سيرة النبي (ص) ومغازيه، فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر بنسخها فنسخت له، فلما صارت إليه نظر؛ فاذا فيها ذكر الانصار في العقبتين، وذكر الانصار في بدر. فقال: ما كنت أرى لهؤلاء هذا الفضل، فاما أن يكون أهل بيتي غمصوا عليهم، واما أن يكونوا ليس هكذا.

فقال أبان بن عثمان: أيها الأمير، لايمنعنا ماصنعوا بالشهيد المظلوم من خذلانه، إنّ القول بالحق: هم على ما وصفنالك في كتابنا هذا.

قال: ماحاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأميرالمؤمنين، لعله يخالفه. فأمر بذلك الكتاب فحرق.

فلمارجع وأخبرأباه، قال عبدالملك: وماحاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل؟ تعرّف أهل الشام أموراً لانريد أن يعرفوها؟! فأخبره

---

(١)ـ الاغاني ج ١٩ ص ٥٩.

بتخريق ما كان نسخ، فصوب رأيه. وكان عبدالملك يثقل عليه ذلك...

وبعد أن ذكرت الرواية: أن سليمان أخبر قبيصة بن ذؤيب ماجرى، وجواب قبيصة له، قالت:

فقال سليمان: يا أبا اسحاق، ألاتخبرني هذا البغض من أميرالمؤمنين وأهل بيته لهذا الحي من الانصار، وحرمانهم إياهم، لم كان؟!...

فقال: يابن أخي، أول من أحدث ذلك معاوية بن أبي سفيان، ثم أحدثه أبو عبدالملك، ثم أحدثه أبوك. فقال: علام ذلك؟! قال: فوالله ما أريد الا لأعلمه واعرفه.

فقال: لأنهم قتلوا قوماً من قومهم، وماكان من خذلانهم عثمان (رض)، فحقدوه عليهم، وحنقوه، وتوارثوه، وكنت أحسب لأميرالمؤمنين أن يكون على غير ذلك لهم، وأن أخرج من مالي، فكلمه...

فقال سليمان: أفعل والله. فكلمه وقبيصة حاضر، فأخبره قبيصة بماكان من محاورتهم.

فقال عبدالملك: والله ما أقدر على غير ذلك، فدعونا من ذكرهم.

فأسكت القوم(١).

ولكن ماذكره قبيصة من أن أول من حرمهم هو معاوية في غيرمحله، فقد بدأحرمانهم من زمن عمر بن الخطاب كما يظهر مماتقدم، بل ومن زمن أبي بكر، وليس تحقيق ذلك محط نظرنا الآن...

وعلى كل حال... فقد قال رجل من الانصار:

ويل امها أمة لو أن قائدها ... يتلو الكتاب، ويخشى العاروالنارا
اما قريش فلم نسمع بمثلهم ... غدراً واقبح في الاسلام آثارا
ضلوا سوى عصبة حاطوا نبيهم ... بالعرف عرفاً وبالانكار انكارا

---

(١)— أخبار الموفقيات ص ٣٣٢—٣٣٤.

وقال بعض الأنصار أيضاً:

دعاها إلى حرماننا وجفائنا ... تذكّر قتلى في القليب تكبكبوا
فان يغضب الابناء من قتل من مضى ... فوالله ماجئنا قبيحاً فتعتبوا(١)

و يقول آخر:

وخبر تمونا: انما الأمر بيننا ... خلاف رسول الله يوم التشاجر
فهلا وزيراً واحداً تحسبونه ... إذا ماعددنا منكم الف آمر(٢)

تأكيد النبي (ص) على برالأنصار:

ولم يكن بغض الامويين للأنصار إلا انطلاقاً من بغضهم للاسلام...

ولربما يكون هذا هوالسر في تأكيدات النبي (ص) المتكررة على لزوم حب الأنصار، واحترامهم وتقديرهم— ولاسيما وأنهم هم الذين آووا ونصروا ودافعوا عن هذا الدين بكل مالديهم...

فنراه (ص) يعتبر حب الأنصار ايماناً، و بغضهم نفاقاً وقال: من أحب الأنصار، فبحبي أحبهم، ومن أبغض الانصار، فببغضي أبغضهم(٣).

كما أنه ربما يكون التزامهم في الاكثر بخط أهل البيت ونصرتهم لأميرالمؤمنين عليه السلام على خلاف كثير من المهاجرين... في الجمل، وصفين، والنهروان، ووقوفهم إلى جانب أميرالمؤمنين، والتزام الهاشميين ببرهم تنفيذاً لوصية النبي (ص)، بل وقولهم يوم السقيفة، بعد أن فشلت محاولة البيعة لسعدبن عبادة: «لانبايع إلا علياً»(٤). وعلي عليه السلام هو قاتل صناديد قريش، وجبابرتها كما هو معلوم.

---

(١)— الحورالعين ص ٢١٥ للامير نشوان الحميرى. (٢)— المصدر السابق.

(٣)— راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٧٦ عن الطبراني في الصغير والكبير، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٠٣، وفتح الباري ج ١ ص ٦٠/٥٩، وليراجع باب حب الانصار في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٢٨ حتى ٤٢، وأي كتاب في الحديث فان كثيراً من كتب الحديث قد عقدت فصلاً لفضائل الانصار.

(٤)— تاريخ ابن الأثيرج ٢ ص ٣٢٥.

ربما يكون كل ذلك ، ومعه عمق ايمانهم، والتزامهم القوي بالدين، والتفقه فيه حتى من نسائهم هوالسبب في ذلك...

وعن نساء الانصار قالت عائشة: «إن لنساء قريش لفضلاً، و إني والله مارأيت أفضل من نساء الأنصار، ولا أشد تصديقاً لكتاب الله، ولا إيمانا بالتنزيل، لقد انزلت سورة النور، وليضربن بخمرهن إلخ(١)»...

وعنها ايضاً قالت: نعم النساء نساء الأنصار لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين(٢).

لاغنى في الحرب عن الأنصار:

ولكن كل ماقد مناه لايعني: أنه لايجب أن يشترك الأنصار في حرب أبداً... فان قضية الاسلام، التي هي قضية الأمم والانسانية جمعاء على مدى التاريخ تفوق في أهميتها وخطرها أهمية وخطر ماسيواجهه الأنصار من قريش فيما بعد... وعلى الاخص إذا كان الاسلام قد وضع الضمانات اللازمة لتفادي أي رد فعل من هذا النوع... و إنما حدث ماحدث بسبب عدم رعاية الأمة لقوانين الاسلام، وعدم أخذها تلك الضمانات بنظر الاعتبار...

نعم لم يكن ثمة محيص عن اشتراك الانصار في الحرب... كما أنه لم يكن مفرمن العمل على تخفيف حدة حقد قريش، والموترين من قبل الاسلام... لتكون المشاكل المستقبلية، التي سوف يواجهها الانصار أقل، ووقعها أخف نسبياً... وهكذا كان...

وسيأتي إن شاء الله بعض الكلام ايضاً عن قريش والأنصار في غزوة بدر العظمى، فلابد من ملاحظة ذلك .

---

(١)— الدرالمنثور ج ٥ ص ٤٢ عن ابن أبي حاتم، وأبي داود، وابن مردويه، وتفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٨٤.

(٢)— راجع البخاري هامش فتح الباري ج ١ ص ٢٠٢، والمصنف لعبدالرزاق ج ١ ص ٣١٤ وفي الهامش عن البخاري ومسلم، وابن أبي شيبة، وعن كنزالعمال ج ٥ رقم ٣١٤٥.

٣ً- لماذا السرايا:

لقد عرفنا فيما سبق أن بعض تلك السرايا كان هدفه الاستطلاع، ومراقبة تحركات قريش في المنطقة...

وبعض آخر كان هدفه تعقب المغيرين على سرح المدينة، كتعقبهم لكرز بن جابر...

وعرفنا أيضاً: أن تلك السرايا، التي لم يلق المسلمون فيها كيداً، قد جرأت المسلمين، وأعادت لهم الثقة بأنفسهم، وأعدّتهم ليواجهوا- على قلة العدد والعدّة- ألف فارس من قريش، في أوج خيلائها وعزتها... ولم يعد ذلك مفاجأة للمسلمين، ولا مرهبا لهم..

ولكننا مع ذلك نرى أن علينا أن لانقنع بماذكر؛ بل لابد لنا من إعادة النظر بدءاً وعوداً لنعرف الجديد مما كانت تهدف إليه تلك السرايا التي كان الهدف المعلن لها هو اعتراض عير قريش... والذي يلفت نظرنا هنا هو الامران التاليان:

الأول: الموادعات والتحالفات:

فلقد نتج عن تلك السرايا مهادنات وموادعات، وتحالفات على النصر ضد العدو بين المسلمين، وبين كثير من القبائل في المنطقة، الأمر الذي من شأنه أن يلقي الرعب في قلوب سائر القبائل القريبة من المدينة؛ بحيث لابد لتلك القبائل من التفكير ملياً قبل ان تقدم على أي عمل ضد المدينة مباشرة، أو بواسطة التحالف مع أعداء المسلمين...

وذلك لأنها ترى بالفعل: أن ثمة قوة ضاربة، لابد من صياغة التعامل معها بحيث لايضر بمستقبل مصالحها في المنطقة...

وبهذا يتحقق للمدينة نوع من الشعور بالأمن والاستقرار. ويمكّن المسلمين- من ثم- من أن يتحركوا بحرية اكثر في مواجهاتهم لقريش، ومناهضاتهم لها. وهو ماظهر في حرب بدر، وبعدها...

كما أن هذه الموادعات والتحالفات كانت بمثابة صدمات نفسية، بل هي صفعات مؤلمة لقريش، التي ترى الآن كيف أن المسلمين قد أصبحوا قوة يرهب جانبها، و يسعى الكثيرون إلى عقد التحالفات الدفاعية معها... وعلى الأخص من قبائل تقع على طريق تجارة مكة، وكانت تعتبرها قريش سنداً وعوناً لها، كلما أهمها أمر، أو تعرضت لخطر.

أضف إلى ذلك كله... انه لم يعد باستطاعة قريش أن تعقد تحالفات مع تلكم القبائل القريبة من المدينة وتتخذ منها قوة ضاغطةً على المدينة، ووسيلة لمضايقتها.

الثاني: مضايقة قريش:

إن هذه السرايا كانت تهدف إلى الضغط على قريش اقتصادياً، وكذلك نفسياً أيضاً... وتعريفها: أنهم سوف لن يتركوها حرة في المنطقة، مادامت قد شردتهم، وآذتهم وسلبتهم أموالهم... وقتلت منهم...

و يلاحظ: أنه لم يكن ثمة اصرار على قتال قريش، ومناجزتها؛ ولذلك قبل حمزة بوساطة الجهني. كما أن عبيدةبن الحارث لم يتعقب القافلة التي تجاوزته. كما أن ثمة ثلاث خرجات أخرى تمر عيرقريش فيها بسلام، ولم يصل إليها المسلمون في الوقت المناسب... بل وحتى في وقعة بدر لم يفز المسلمون بعير قريش، و إنما كانت قريش هي التي تصدت لقتال المسلمين كما سنرى إن شاء الله تعالى...

فالمقصود إذن... هو تعريف قريش: أنها لم تعد تملك حرية الحركة في المنطقة، ولاهي سيدة الموقف. ولا تستطيع بعد الآن أن تأمن على قوافلها التجارية إلى الشام إلا بالعودة إلى منطق التعقل والروية والحكمة، والتخلي عن منطق الظلم والغطرسة، والتجبر، وأن عليها مراجعة حساباتها... لتقتنع بأنه إذا كان حسم الموقف عسكرياً صعباً جداً بالنسبة إليها، فما عليها إلا أن ترضخ للامر الواقع، وتعترف بما لابد لها من الاعتراف به، إن عاجلاً، و إن آجلاً...

و إلا... فلتأذن بحرب من الله و رسوله لا تنتهي الا بتدمير عنفوانها، وتحطيم كبريائها، وهكذا كان...

و إنما اكتفى المسلمون بالتعرض إلى قوافل قريش، دون أن يصروا على أخذها، ومصادرتها، و إن كان من حقهم ذلك ، لأنه قصاص عادل لقريش، التي بدأت بالعدوان، وتمادت في الظلم والطغيان... ولامانع من ممارسة هذا الحق إذا لم يكلف ذلك المسلمين غالياً— نعم... إنما اكتفى المسلمون بذلك — من أجل أن يبقوا الباب مفتوحاً أمام قريش، و يعطوها الفرصة للتأمل والتدبر في الأمر...

وأما ماذكره البعض من أن المقصود من تلك السرايا لم يكن هوالحرب بدليل قلة عدد المقاتلين المسلمين المرسلين ...

فلانراه مقنعاً ولا كافياً في فهم حقيقة الدوافع لارسال تلك السرايا؛ لأن الاغارة على قافلة تجارية لم يكن يحتاج إلى عدد كبير من المقاتلين... و يكفي أن نذكر هنا: أن اكبر قافلة تجارية ترسلها قريش بعد تحرشات المسلمين بتجاراتها(وذلك يدفعها طبعاً لزيادة عدد المحافظين عليها) وهي القافلة التي سببت حرب بدر، وكانت بقيادة أبي سفيان، لم يكن معها إلا بضعة وعشرون رجلاً فقط، مع أن فيها اكثر من الفي بعير. وفيها أموال قريش...

٤ـ وصاياه (ص) لبعوثه:

وأما ماتقدم مما كان يوصي به البعوث والسرايا، فانه يؤكد على أن هذا النبي لم يبعث إلا ليعمر الأرض، وليقطع دابر الفساد فيها. وليس جهاده للمنحرفين والظالمين إلا من هذا المنطلق وفي هذا السبيل، على اعتبار: أن آخر الدواء الكي...

وعليه فكل تصرف لايأخذ بنظر الاعتبار ذلك الهدف؛ فهو محكوم عنده، ومنفور لديه، حتى و إن كان من أصحابه،ومن أقرب الناس إليه...

و إن وصاياه صلى الله عليه وآله تلك لتحتاج إلى دراسة معمقة،

للتعرف على الكثير من الحقائق التي يهم الانسان المنصف ذاالضمير الحي، والوجدان المتيقظ: أن يتعرف عليها، و يستفيد منها منهاجاً، ونبراساً له في سلوكه وأعماله، ومواقفه...

محاولة قرشية فاشلة:

وكتب كفار قريش إلى عبدالله بن أبي ابن سلول، ومن كان يعبد الاوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله (ص) يومئذٍ بالمدينة— قبل وقعة بدر، يقولون:

«إنكم آو يتم صاحبنا. وانكم أكثر أهل المدينة عدداً، و إنا نقسم بالله، لتقتلنه، أو لتخرجنه، أولنستعن(١) عليكم العرب، أولنسيرن إليكم باجمعنا، حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساء كم».

فلما بلغ ذلك ابن أبي ومن معه من عبدة الاوثان تراسلوا؛ فاجتمعوا. وأجمعوا لقتال النبي (ص) وأصحابه...

فلما بلغ ذلك النبي (ص) لقيهم في جماعة، فقال:

«لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ماكانت لتكيدكم بأكثر مماتريدون أن تكيدوابه أنفسكم. فأنتم هؤلاء تريدون أن تقتلوا أبناء كم واخوانكم».

فلما سمعوا ذلك من النبي (ص) تفرقوا...

فبلغ ذلك كفار قريش.

وكانت وقعة بدر(٢).

---

(١)— الظاهر أن الصحيح: «لنستعينن».

(٢)— مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٥٨/٣٥٩.

الباب السادس

بدرالعظمى:

الفصل الأول: في أجواء القتال:
الفصل الثاني: نتائج الحرب
الفصل الثالث: الغنائم والاسرى...
الفصل الرابع: بحوث ليست غريبة عن السيرة

الفصل الأول:

في أجواء القتال:

الانتداب إلى بدر:

وفي السنة الثانية في السابع عشر من شهر رمضان المبارك كانت حرب بدر العظمى بين المسلمين ومشركي مكة...

وذلك أن العير التي طلبها المسلمون في غزوة العشيرة، وأفلتت منهم إلى الشام، ظل النبي صلى الله عليه وآله يترقبها، حتى علم بعودتها، وكانت بقيادة أبي سفيان، مع ثلاثين أو أربعين أو سبعين راكباً... وفيها أموال قريش، حتى قيل: إن فيها ماقيمته خمسون الف دينار، في ذلك الوقت الذي كان فيه للمال قيمة كبيرة.

فندب رسول الله (ص) المسلمين للخروج إليها... فانتدب الناس؛ فخف بعضهم، وثقل آخرون، والظاهر: أنهم تخوفوا من كرة قريش عليهم، حينما لابدلها من محاولة الانتقام لهذا الإجراء الذي يستهدف مصالحها الحيوية.

يقول عدد من المؤرخين: «وأبطأ عن النبي (ص) كثير من أصحابه، وكرهوا خروجه، وكان في ذلك كلام كثير واختلاف. وتخلف بعضهم من أهل النيات والبصائر، لم يظنوا أن يكون قتال، إنما هو الخروج للغنيمة، ولو ظنوا أن يكون قتال ماتخلفوا(١)».

---

(١)– راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٥، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢١/٢٠ ج ١ والبحار ج ١٩ ص ٣٢٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٣.

وقال الواقدي: «كره خروج رسول الله (ص) أقوام من أصحابه إلى بدر، قالوا: نحن قليل، وما الخروج برأي، حتى كان في ذلك اختلاف كثير(١)».

وقد حكى الله تعالى ذلك فقال: «كما أخرجك ربك من بيتك بالحق، و إن فريقاً من المؤمنين لكارهون. يجادلونك في الحق بعد ماتبين، كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون(٢)» نعم لقد كرهوا ذلك لعلمهم بأن قريشاً لن تسكت على أمر خطير كهذا.

ومن هنا نعرف: أن قول بعضهم: إن من تخلف لم يكن يظن أن النبي (ص) يلقى حرباً(٣) في غير محله، بل هو محاولة إيجاد عذر للمتخلفين مهما كان فاشلاً وغير معقول... و إلا فالآية الكريمة خير دليل على عدم صحة هذا القول...

وخرج المسلمون يريدون العير، وعلم أبوسفيان بالأمر، فأرسل إلى قريش يستنفرهم لنجاة العير.

الذين يخشون الناس:

و يذكرهنا: أن عبدالرحمان بن عوف، و سعد بن أبي وقاص، والمقداد، وقدامة بن مظعون كانوا يؤذَون في مكة، فكانوا يستأذنون النبي (ص) بقتال المشركين، فلا يأذن لهم، فلما أمروا بالقتال، والسير الى بدر شق على بعضهم؛ فنزل قوله تعالى: «الم تر إلى الذين قيل لهم: كفوا أيديكم، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله، أو أشد خشية، وقالوا: ربنا لم كتبت علينا القتال، لولا أخرتنا إلى أجل قريب،

---

(١)- مغازي الواقدي ج ١ ص ١٣١.
(٢)- الانفال ٥-٦.
(٣)- الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١١٦.

قل: متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى(١).»

ونحن نقول: إن نفسية المقداد ومواقفه تأبى أن يكون ممن شق عليهم ذلك بدليل موقفه العظيم الآتي، انشاء الله حينما استشار النبي صلى الله عليه وآله الناس في حرب قريش... كما أن الرواية والآية نفسها تدلان على أن فريقاً من أولئك المذكورين أولاً قد شق ذلك عليهم، وليس الكل...

وأما الآخرون... فان تعلقهم بالدنيا الذي تظهره سيرة حياتهم ومواقفهم المختلفة تؤيد أن ذلك قد شق عليهم فعلاً... فأما عبدالرحمان بن عوف فلايشك في كونه من الذين قالوا ذلك كما يفهم من بعض النصوص(٢) فقد ترك من المال ماهو معروف و مشهور، وقد جرى بين أبي ذر و عثمان وكعب الاحبار ماجرى بسبب ذلك ... وموقفه في يوم الشورى معروف أيضاً...

وأما قدامة فقد حده عمر في الخمر، وتخلف عن بيعة علي عليه السلام.

وأما سعد، فقد أبى أن يبايع عليا(ع) وقعد عنه في حروبه، وقطع عليه السلام عنه العطاء، وصارمه عمار وأخذ بعض أموال بيت مال الكوفة(٣). الخ...

فهؤلاء... هم الذين يمكن أن يكونوا محط نظر الآية والرواية و إنما أخفت الرواة اسماءهم وخلطتهم بغيرهم لأن السياسة كانت ترغب في ذلك، كما هو معلوم...

---

(١)— البحار ج ١٩ ص ٢٠٩ و مجمع البيان ج ٣ ص ٧٧، والدر المنثور ج ٢ ص ١٨٤ عن: النسائي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والحاكم، وصححه، والبيهقي في سننه، وعبدبن حميد، وابن المنذر.

(٢)— يفهم ذلك من إطلاق روايات الدر المنثور...

(٣)— راجع: قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٢— ٣١٥.

رؤيا عاتكة:

و يقولون: إن عاتكة بنت عبدالمطلب كانت قد رأت رؤيا: أن رجلاً أقبل على بعير له ينادي: يا آل غالب، أغدوا إلى مصارعكم، ثم دهده حجراً من أبي قبيس؛ فما ترك داراً بمكة إلا أصابتها منه فلذة.

فأخبرت عاتكة العباس برؤياها، فأخبر العباس عتبة بن ربيعة، فقال: هذه مصيبة تحدث في قريش. أما أبو جهل، فقال: هذه نبية ثانية في بني عبدالمطلب، واللات والعزى، لننظرن ثلاثة أيام، فان كان مارأت حقاً، و إلا لنكتبن كتاباً بيننا: إنه مامن أهل بيت من العرب اكذب رجالاً، ونساء من بني هاشم...

فلما كان اليوم الثالث جاءهم النذير يناديهم: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة، اللطيمة...

قريش تتجهز...

وما بقي أحد من عظماء قريش إلا أخرج مالاً لتجهيز الجيش، وقالوا: من لم يخرج نهدم داره، فلم يتخلف رجل إلا أخرج مكانه رجلاً...

وبعث أبولهب العاصي بن هشام على أربعة آلاف درهم، كانت له عليه من مال المقامرة— حسبما قيل...

موقف أمية بن خلف:

وكان أمية بن خلف معرضاً عن الخروج... وسبب ذلك أن سعد بن معاذ كان قد قدم مكة معتمراً، فنزل على أمية، لصداقة بينهما، وخرج سعد ليطوف، ومعه أمية، فلقيهما أبوجهل، فقال لسعد: ألا أراك تطوف بمكة آمنا، وقد أويتم الصباة، وزعمتم أنكم تنصرونهم، وتعينونهم، أما والله لولا أنك مع أبي صفوان مارجعت إلى أهلك سالماً...

فقال له سعد— وقد رفع صوته—: أما والله، لئن منعتني هذا لأمنعنك

ما هو أشد عليك منه، طريقك على المدينة...

فاعترض أمية عليه لرفعه صوته على سيد أهل الوادي بزعمه...

فقال سعد: دعنا عنك ، فوالله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول: إنهم قاتلوك .فقال أمية: بمكة؟قال سعد: لاأدري. قال أمية: والله ماكذب محمد، وفزع فزعاً شديداً (وقيل: أحدث في ثيابه فزعاً)، وعزم على ألاّ يخرج.

فلما كان يوم بدر أصر عليه أبوجهل ليخرج، حتى ليقال: إنه أرسل إليه عقبة بن أبي معيط بمجمرة فيها بخور، حتى وضعها بين يديه، وقال: استجمر، فإنك من النساء. فتحمس حينئذٍ، وتهيأ للخروج، فنهته زوجته وقالت:

«والله، إن محمداً لايكذب». فأبى إلا المسير، فقتل في بدر(١).

مع قضية ابن خلف:

ولابد لناهنا من تسجيل النقاط التالية:

١ً- إن مما يلفت النظر هنا تهديد سعد لابي جهل بقطع طريقه على المدينة، واعتباره هذا الاجراء أشد على أبي جهل من منع المدنيين من الوصول إلى مكة...

وذلك أمر واضح؛ فان الحياة الاقتصادية للمكيين قائمة على التجارة، وأهم المراكز التجارية لهم هوالشام... وإذا ماتعرضت مكة لضغط اقتصادي قوي، وأصبحت بحاجة إلى الآخرين؛ فان ذلك سوف يؤثر على وضعها السياسي والاجتماعي أيضاً، حيث تفقد هيبتها واهميتها ونفوذها في القبائل العربية...

ولماذا وعلى أي شيئ كانت تحارب محمداً(ص) والمسلمين... أليس

---

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥، وراجع: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة بدر وباب علامات النبوة والسيرة النبوية لابن كثيرج ٢ ص ٣٨٤/٣٨٥ ورواه احمد.

لأجل النفوذ والزعامة، التي تعتبرها فوق كل شيئ، وأعز وأجل شيئ؟!...

وقد تقدم بعض الكلام في هذا الموضوع حين الكلام على الهجرة...

٢ـ إننا نلاحظ: أن أمية بن خلف لم تكن مواقفه وتصرفاته محكومة لعقله، واعماق ضميره ووجدانه... فهو يقتنع بصدق محمد (ص) ولكنه لايقعد عن حربه ـ حين يقعد ـ من أجل ذلك، وإنما خوفاً على نفسه وحفاظاً عليها، كما أنه لايحاربه حين يحاربه من أجل تبدل الرؤية لديه، وإنما بوحي من تحمسه الكاذب، ونخوته الجاهلية... فأورده ذلك المهالك في الدنيا وفي الآخرة، وقد حكى الله تعالى حالة أمثاله، بأجلى بيان، وأوجز عبارة، فقال: «وجحدوابها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواً فانظر كيف كان عاقبة المفسدين(١)».

٣ـ في هذه القضية ايضاً دلالة واضحة على المكانة السامية التي كانت للنبي صلى الله عليه وآله في نفوس الناس جميعاً، وعلى أنهم يرونه صادقاً فيما يخبر به حين يرجعون إلى ضميرهم ووجدانهم، وإلى مافي قرارة نفوسهم من قناعة واقعية إلى حدأنهم يقسمون على صدقه فيما يخبر به وأنه لايكذب... ولكنهم في نفس الوقت يشعرون أنهم بحاجة إلى اظهار العناد والتكذيب لمصالح دنيوية، واعتبارات قبلية، أو غير ذلك ...

رجوع طالب بن أبي طالب عن الحرب:

وخرج مع المشركين من بني هاشم: العباس، وعقيل، ونوفل بن الحارث، وطالب بن أبي طالب...

فأما طالب فخرج مكرها، فجعل يرتجز و يقول:

يارب اما يغزون طالب ... في مقنب من هذه المقانب
فليكن المسلوب غير السالب ... وليكن المغلوب غير الغالب

---

(١)ـ النمل ١٤.

فجرت بينه وبين القرشيين ملاحاة وقالوا: والله، لقد عرفنا أن هواكم مع محمد...فرجع طالب فيمن رجع إلى مكة...ولم يوجد في القتلى، ولافي الاسرى، ولا فيمن رجع إلى مكة(١).

هكذا قالوا: ونحن نقول:

ألف: كيف لم يوجد فيمن رجع إلى مكة، و ابن هشام يذكر له قصيدة يمدح فيه رسول الله (ص)، و يبكي أهل القليب— على حد تعبير ابن هشام— و يطلب في شعره من بني عبدشمس ونوفل أن لايثيروا مع الهاشميين حرباً تجر المصائب والبلايا، والأهوال، وفيها يقول:

فما إن جنينا في قريش عظيمة سوى أن حمينا خير من وطأ التربا
أخاثقة في النائبات مرزأً كريماً الخ... الابيات(٢)...

وهذا يدل على أنه قد عاش إلى مابعد وقعة بدر... وأما بكاؤه أهل القليب، فالظاهر أنه كان مجاراة لقريش، كما يدل عليه مدحه للنبي (ص)، وطلبه من بني عبد شمس ونوفل أن لايحاربوا الهاشميين... و إلا... فكيف نفسر شعره المتقدم:

وليكن المسلوب غير السالب وليكن المغلوب غير الغالب.

باء: بل لقد ورد في رواية مرسلة عن ابي عبدالله عليه السلام:أن طالباً قد اسلم(٣)... وروي انه هوالقائل

وخير بني هاشم احمد رسول الاله على فتره(٤)

---

(١)— راجع: البحارج ١٩ ص ٢٩٤/٢٩٥، وروضة الكافي ص ٣٧٥، و تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤٤، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥ وراجع البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٦ وأنساب الاشراف ج ٢ ص ٤٢ وفيه أنه حضربدراً مع المشركين.

(٢)— سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٢٨/٢٧.

(٣)— البحارج ١٩ ص ٢٩٤.

(٤) — شرح النهج ج١٤ س٧٨.

المكرهون والراجعون:

وحينما خالف أبوسفيان في الطريق، ونجا بالعير، أرسل يطلب من قريش الرجوع، فأبى أبوجهل، إلا أن يرد بدراً، ويقيم ثلاثة أيام، ويأكل، ويشرب الخمور، حتى تسمع العرب بمسيرهم وجمعهم؛ فيها بونهم أبداً...

ولكن رجع الأخنس بن شريق ببني زهرة، ولم يشهدوا الحرب— وقيل: شهدها رجلان منهم قتلا في بدر، بل قال التلمساني في حاشية الشفاء: إن الاخنس نفسه قد قتل في بدر، وقيل مات في خلافة عمر...

وكذلك... لم يشهد بدراً من بني عدي أحد...

وأراد بنوهاشم الرجوع؛ فاشتد عليهم أبوجهل، وقال: لا تفار قناهذه العصابة حتى نرجع(١)...

موقف الرسول (ص) من المكرهين والراجعين:

فلاجل ماتقدم... ولأجل موقف الهاشميين من النبي (ص) والمسلمين، وحمايتهم لهم في مكة، نهى الرسول صلى الله عليه وآله عن قتل من خرج من بني هاشم... ونهى أيضاً عن قتل أبي البختري، الوليد بن هشام، لأنه كان يكف الناس عنه (ص) بمكة، وكان لايؤذيه، وهو ممن قام في نقض صحيفة المقاطعة... ولكنه أبى أن يستأسر في بدر إلا مع زميل له، فقتل هو و إياه...

وكذلك فقد نهى صلى الله عليه وآله عن قتل الحارث بن نوفل؛ لكراهته الخروج، فقتله من لم يعرفه... وكذلك جرى لزمعة بن الاسود...

نظرة في موقف النبي (ص) من هؤلاء:

وفي مجال الاستفادة مما تقدم نسجل النقاط التالية:

---

(١)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤.

١ً- إن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن- كما قدمنا- يهدف من الحرب إلى التغلب، والحصول على الملك والسلطان،ولا هو يرغب في سفك الدماء، ولا كان يعجبه أن يرى جثث القتلى، و يسمع أنين الثكالى... بل كان له هدف أسمى وغاية فضلى، ترجع بالنفع العميم على الأمة، وعلى الأجيال، و يريد الوصول إليها بأقل عدد ممكن من الضحايا...

٢ً- كما أنه كان يقدر مواقف الناس، التي تعبر عن حسن خلق وسجية، وشهامة وأريحية فيهم، مهما كانت هويتهم، وأيا كان موقفهم، لأنه هوالانسان الكامل ورسول الانسانية الفضلى، فهو الذي يمكن أن يدرك تلك الصفات والسجايا و يقدرها.

ومن هنا... فقد كان موقفه واحداً من جميع أولئك الذين أحسنوا السيرة والتصرف- ولو مرة- أو اكرهوا على الخروج...

ولم يكن ليختص بموقفه هذا أقاربه وأهل عشيرته، فانه لم يكن يتأثر في مواقفه بعواطف نسبية،بل ليس من مصلحته ذلك في مثل هذا الموقف من وجهة نظر المنطق، والتصرف العقلائي السليم...

٣ً- وهو بالتالي يقدّر، و يفهم الظروف الصعبة التي كان يعاني منها البعض،بحيث تفرض عليهم قريش موقفاًلاينسجم مع رغائبهم وقناعاتهم، أو على الأقل مع ميل وهوى نفوسهم... و إن كانوا مدينين من جهة أخرى، حيث كان بامكانهم أن ينصروا الحق، وأن يقفوا موقفاً عقلانياً سليماً،كما فعل غيرهم ممن أسلموا،وعرضوا أنفسهم للرزايا والنكبات...

النبي (ص) يستشير في أمر الحرب:

لما كان المسلمون قرب بدر، وعرفوا بجمع قريش، ومجيئها خافوا وجزعوا من ذلك ، فاستشار النبي صلى الله عليه وآله أصحابه في الحرب، أوطلب العير...

فقام أبوبكر، فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، ما آمنت

منذ كفرت، وماذلت منذ عزت. ولم تخرج على هيئة الحرب...

فقال له رسول الله (ص): اجلس. فجلس. فقال (ص): أشيروا علي.

فقام عمر، فقال مثل مقالة أبي بكر.

فأمره النبي (ص) بالجلوس، فجلس. ونسب الواقدي والحلبي الكلام المتقدم لعمر، وقالا عن أبي بكر: انه قال فأحسن(١).

ثم قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنها قريش وخيلاؤها، وقد آمنابك وصدقناك ، وشهدنا: أن ماجئت به حق من عندالله، والله لو أمرتنا: أن نخوض جمر الغضا (نوع من الشجر صلب)، وشوك الهراس لخضناه معك ، ولانقول لك ماقالت بنو اسرائيل لموسى: إذهب أنت وربك فقاتلا، إناهاهنا قاعدون(٢)، ولكنا نقول: إذهب انت وربك؛ فقاتلا، إنا معكم مقاتلون الخ...

فاشرق وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاله، وسرّ لذلك وضحك ، كما يذكر المؤرخون(٣).

ثم قال: أشيروا علـــي— وإنما يريد الانصار، لأن اكثر الناس منهم؛ ولأنه كان يخشى أن يكونوا يرون: أن عليهم نصرته في المدينة إن دهمه عدو، لا في خارجها— فقام سعد بن معاذ— وقيل ابن عبادة، وهو وهم؛ لأنه لم يشهد بدراً؛ لأنه كان قد لدغ، فلم يمكنه الخروج(٤)— فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، كأنك أردتنا؟ فقال: نعم— فقال: فلعلك قد خرجت على أمر قد أمرت بغيره؟— قال: نعم.

---

(١)— راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٤٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠، والدر المنثور ج ٣ ص ١٦٦ عن دلائل النبوة للبيهقي، والبحار ج ١٩ ص ٢٤٧، وتفسير القمي ج ١ ص ٢٥٨.

(٢)— المائدة ٢٤.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠ عن الكشاف.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٠.

قال: بأبي انت وأمي يا رسول الله، إنا قد آمنابك وصدقناك ، وشهدنا أن ماجئت به حق من عندالله؛ فمر نابما شئت... إلى أن قال: والله، لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعل الله يريك ماتقر به عينك ؛ فسر بنا على بركة الله...

فسر النبي صلى الله عليه وآله، وأمرهم بالمسير، وأخبرهم بأن الله تعالى قد وعده احدى الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، ثم قال: والله، لكأني أنظر الى مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة إلخ...

وسار حتى نزل بدراً...

هذا... ويظهر من بعض النصوص: أن الصحابة كانوا— في اكثرهم— يميلون إلى طلب العير، وترك النفير(١).

وقد ذكر الله تعالى ذلك في قرآنه المجيد، فهو يقول: «وإذ يعدكم الله احدى الطائفتين أنهالكم، وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم، ويريد الله أن يحق الحق بكلماته، ويقطع دابر الكافرين(٢).».

وقبل أن نمضي في الحديث لابد أن نشير الى الامور التالية:

١ً— استشارة النبي (ص) أصحابه:

لقد تحدثنا فيما سبق حينما تكلمنا عن سر ارسال المهاجرين في الغزوات، ولسوف نتحدث فيما يأتي في غزوة أحد انشاءالله تعالى عن موضوع استشارة النبي (ص) أصحابه بما فيه الكفاية...

ولكننا هنا نكتفي بالاشارة إلى أنه قدكان من الضروري ان يستشير صلى الله عليه وآله اصحابه في حرب بدر التي كانت حرباً مصيرية، سوف

---

(١)— الدر المنثور ج ٣ ص ١٦٣ و ١٦٩ عن ابن جرير، وأبي الشيخ، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والكشاف، والبيهقي، وعبدبن حميد والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣.

(٢)— الانفال ٧.

يتقرر على أساس نتائجها مصير الايمان والشرك في المنطقة في المستقبل المنظور على الأقل— بل ومطلقاً كما أشار إليه صلى الله عليه وآله وسلم في دعائه: «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد».

وواضح أنه (ص) لم يكن بحاجة إلى رأيهم، و إنما هو يستشير هم لأنهم هم الذين سوف يتحملون أعباء الحرب، و يعانون من نتائجها، على مختلف الأصعدة...

و يدل على مانقول: أن سعد بن معاذ يسأل النبي (ص): لعلك خرجت على أمر قد أمرت بغيره، فقال (ص): نعم... فهذا يدل على أن أمر الحرب مقضي ومأمور به من قبل الله تعالى... فليست استشارته (ص) لهم إلا لما قلناه هنا وقدمناه وسيأتي فى غزوة أحد... إن شاء الله تعالى.

٢ـ حرب قريش هوالرأي:

ومن الواضح: أن الرأي الحق هو حرب قريش، كما أراد الله ورسوله، وذلك لأن الأمر يدور بين: أن يرجع المسلمون دون أن يتعرضوا للعير، ولا لقريش، وفي ذلك هزيمة روحية ونفسية واضحة للمسلمين، واطماع لغيرهم بهم، من المشركين، أو اليهود، أو المنافقين.... أو أن يطلبوا العير فيدركوها، فيأخذوها بعد قتل أو أسر رجالها... ولن تسكت قريش على هذا الأمر... بل هي سوف تتعرض لحربهم على أوسع نطاق... هذا إذا لم يغتنم القرشيون فرصة قلة الرجال في المدينة لمهاجمتها، و إنزال الضربة القاصمة بالمسلمين بكل ما أوتوا من قوة وحول... فان قريشاً وهي بهذه العدة والعدد لن تسكت عن أمر كهذا. بل سوف تحاول رد هيبتها، والثأر لكرامتها.

أو أن يقفوا في وجه قريش بعد أن يعرضوا عليها عروضاً مقبولة ومعقولة...

و إذن... فحرب وقتال قريش هوالخيار الافضل والامثل في ظروف كهذه... ولاسيما إذا طلبوا العير، وربما يوجب ذلك أن يزيد الأمر تعقيداً واشكالاً بالنسبة إلى المسلمين بما لاقبل لهم به...

نعم... لابد من القتال... إذا أرادواالعزة والمنعة، وأن لايطمع بهم من حولهم والمشركون، واليهود، والمنافقون...

٣ـ التربية النفسية:

لقد كان هدف المسلمين أولاً هوالحصول على المال... فاراد الله ورسوله أن يرتفع بهم عن هذا الهدف الدنيوي إلى ما هو أغلى وأعلى وأسمى... و إلا.. فان قريشاً أيضاً قد كانت تهدف من وراء جمعها الجموع، و إثارة الحرب إلى أهداف دنيوية، اقتصادية، و إجتماعية، وسياسية...

٤ـ نظرة في الآراء حول الحرب:

و يلاحظ: أن اكثر المؤرخين قد حذفوا كلام عمر وابي بكر هنا، واكتفوا بقولهم: قام أبو بكر فأحسن، ثم قام عمر، فأحسن، ثم قال المقداد كذا وكذا(١)... وربما ينسبون إلى بعضهم كلاماً لاربط له بسؤال النبي (ص) أصلاً...

ولكن من الواضح: أن سرور النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكلام المقداد، ودعاءه له يدل على أن كلامها لم يكن منسجماً مع كان يهدف إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مشورته، وان مشورة المقداد كانت هي السليمة والمنسجمة مع المنطق، ومع الاهداف السامية التي كان يرمي اليها الرسول الاعظم(ص) وان ذلك هو ما كان يتوقعه(ص)، و يرمي الى الوصول اليه، والحصول عليه... ولذلك فقد استحق المقداد، مدح النبي(ص) ، ودعاءه له...

بل لقد ورد: انه حين بلغ النبي (ص) اقبال ابي سفيان شاور اصحابه، فتكلم ابو بكر، فاعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه(٢).

---

(١)ـ راجع على سبيل المثال: البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٢.

(٢)ـ صحيح مسلم باب غزوة بدر ج ٥ ص ١٧٠ ومسند احمد ج ٣ ص ٢١٩ بطريقين، وعن الجمع بين الصحيحين، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣ والسيرة النبوية لابن كثيرج ٢ ص ٣٩٤.

فإعراضه (ص) عنهما ليس الاّ لتخذ يلهما عن النفير الى حرب قريش، ومدحهم لهابانها: ماذلت منذ عزّت وما آمنت منذ كفرت الخ... لا لأنه كان يريد من الانصار ان يجيبوا وحسب... و إلاّ فلماذا سرّ من كلام المقداد، ودعا له، وهو من المهاجرين؟! حتى لقد قال ابن مسعود، عن موقف المقداد هذا: لان اكون صاحبه احب إلي مما عدل به(١)، و عن أبي ايوب، قال— في ضمن حديث له—: «فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا مثل ماقال المقداد احب الينا من مال عظيم»، فانزل الله عزوجل على رسوله: «كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقاً من المؤمنين لكارهون(٢)»...

اضف الى ذلك كله ان كلام رسول الله (ص) كان عاماً للجميع: للانصار والمهاجرين معاً... كما ان المهاجرين كانوا كالانصار من حيث انهم لم يبايعوه على الحرب...

٥ً— سرّ سروره (ص) بكلام سعد والمقداد:

وان التأمل في كلام سعد بن معاذ والمقداد يفيد: انهما لم يشيرا عليه لا بالحرب ولا بالسلام... بل مازادا على ان اظهرا التسليم والانقياد لاوامر النبي(ص) ونواهيه، ومايقضيه في الامور— نعم انهما لم يبديا رأياً، ولا قدّما بين يديه أمراً... وهذا هو منتهى الايمان... وغاية الاخلاص والتسليم... وقمة الوعي لموقعهما ووظائفهما وماينبغي لهما...

فهما ماكانا يريان لانفسهما قيمة في مقابل قضاء الله ورسوله، على حد قوله تعالى: «وماكان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم(٣)».

وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله،

---

(١)— صحيح البخاري باب تستغيثون ربكم ج ٣ ص ٣ ط الميمنية، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٢— ٢٦٣ وسنن النسائي.

(٢)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٣—٢٦٤ عن ابي حاتم وابن مردويه.

(٣)— الاحزاب ٣٦.

واتقوا الله إن الله سميع عليم(١)».

ولهذا الايمان العميق، والتسليم المطلق كان سرور رسول الله واستبشاره صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين...

الحباب ذوالرأي:

و يروون: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نزل أدنى ماء ببدر؛ فأشار عليه الحباب بن المنذر بأن ينزل أدنى ماء من القوم، ثم يصنع حوضاً للماء، و يغور سائر القلب؛ فيشرب المسلمون، ولايشرب المشركون. ففعل الرسول (ص) ذلك ، ثم صوّب رأي الحباب...

فسمي الحباب حينئذٍ «الحباب ذي الرأي»(٢).

ولكن هذه الرواية لا تصح، وذلك:

أولاً: إنه قد دل الدليل على أن النبي (ص) مصيب في كل مايفعل و يرتأي، ولايصغى لما يقال من جواز الخطأ عليه في الأمور الدنيوية، فانه مما يدفعه العقل والنقل... (وسيأتي البحث عن ان العصمة عن الخطأ والنسيان اختيارية في موضعه شاء الله تعالى).

وثانياً: قال في الكشاف وغيره من التفاسير: إن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء، وكانت أرضاً لابأس بها. ولاماء بالعدوة الدنيا، وهي خبار تسوخ فيها الأرجل. وكذا فى أنوار التنزيل، والمدارك ، وغير ذلك(٣).

---

(١)— الحجرات.

(٢)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٥؛ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٤٠٣ و ٤٠٢ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٦٧، وغير ذلك ...

(٣)— راجع: فتح القدير ج ٢ ص ٢٩١ عن الزجاج و ٣١١، والكشاف ج ٢ ص ٢٢٣/٢٠٣، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٩٢ عن ابن عباس، وقتادة، والسدي، والضحاك ، والدر المنثور ج ٣ ص ١٧١ عن ابن المنذر، وأبي الشيخ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٤. وسيرة ابن كثير ج ٢ ص ٤٠٠.

وثالثاً: إن المشركين هم الذين سبقوا بالنزول في بدر كما سيأتي ولايعقل أن ينزلوا في مكان لاماء فيه، و يتركوا الماء لغيرهم...

ورابعاً: وكذلك ...فان ابن اسحاق ينص على أن المشركين ور دوا الحوض فأمر النبي(ص) أن لايعترضوهم(١). كما أن أميرالمؤمنين علياً عليه السلام قد أباح الماء لأعدائه القاسطين في صفين، بعد أن كانوا قد منعوه إياه أولاً...

ولاينسجم منعهم من الماء مع أخلاقيات ومبادئ النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

فالصحيح هوالرواية التي تقول: إن المسلمين لم يكونوا على الماء، فأرسل الله السماء عليهم ليلاً حتى سال الوادي، فاتخذوا الحياض، وشربوا وسقوا الركائب، واغتسلوا وملأوا الاسقية(٢)...

وذلك هو سر بناء الحوض... وليس ماذكروه...

عدة وعدد المسلمين والمشركين:

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد خرج في ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، عدد أصحاب طالوت (وقيل: اكثر، وأقل) والأول هو قول عامة السلف(٣) وكان معهم من الابل سبعون بعيراً يتعاقبون عليها الاثنان والثلاثة. فكان النبي صلى الله عليه وآله، وعلي عليه السلام، ومرثد بن أبي مرثد، وقيل زيدبن حارثة يعتقبون بعيرا.

وكان معه من الخيل: فرس للمقداد قطعاً باجماع المؤرخين. قيل:

---

(١)— وراجع الكامل لابن الاثيرج ٢ ص ١٢٣.

(٢)— راجع: الكشاف ج ٢ ص ٢٠٣—٢٠٤، وتفسير ابن كثيرج ٢ ص ٢٩٢ غير أنه لم يذكر اتخاذ الحياض...

(٣)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٩.

فقط(١) وروي ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام(٢). وقيل: وفرس للزبير، أو لمرثد، أو هما معا...

ومعهم من السلاح ستة أدرع، وثمانية سيوف(٣).

ومعه من المهاجرين، قيل: أربعة وستون، وقيل: سبعون، وقيل: ثمانون، وقيل غير ذلك ... ومن الخزرج مئة وسبعون. وفي عدد الخزرج اختلاف أيضاً.

أما المشركون... فخرجوا وهم يشربون الخمور، ومعهم القيان، يضربن بالدفوف،— وأرجعوهن من الطريق.

وكان معهم سبع مئة بعير.

ومن الخيل، قيل: اربع مئة(٤) وقيل: مئتان وقيل: مئة فرس(٥)، وقيل غير ذلك... وكلهم دارع. ومجموع الدارعين فيهم ست مئة(٦).

وكان يتبرع بالاطعام رجل منهم كل يوم، فينحر لهم تسعاً، أو عشراً من الابل، فكان المطعمون اثني عشر رجلاً، منهم: عتبة، وشيبة، والعباس، وأبوجهل، وحكيم بن حزام. الذي أصبح فيما بعد من المؤلفة قلوبهم، كما هو

---

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧١ عن الكشاف، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٧، والبحار ج ١٩ ص ٣٢٣، وهو عن تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٥ و ٥٤، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٩٣ عن الترغيب ج ١ ص ١٣١٦ عن ابن خزيمة...

(٢)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٨.

(٣)— راجع: مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٧، والبحار ج ١٩ ص ٢٠٦، ومجمع البيان ج ٢ ص ٢١٤، وحسب طبعة دار احياء التراث المجلد الأول ص ٤١٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧١.

(٤)— تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٢.

(٥)— راجع: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٨٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦، والبحار ج ١٩ ص ٢٢٤ و ٢٠٦، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١١٨، ومجمع البيان، وغير ذلك والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧.

(٦)— التنبيه والاشراف ص ٢٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧.

معروف...

المشركون يدركون بغيهم وعدوانهم:

والتقى بعض المسلمين ببعض عبيد قريش على ماء بدر، فأخذوهم، وسألوهم عن العير، فأنكروا معرفتها، فضربوهم ورسول الله (ص) يصلي، فانفتل من صلاته، وقال: إن صدقوكم ضربتموهم، وإن كذبوكم تركتموهم؟، ثم سألهم عن عدة قريش، فقالوا: إنه لاعلم لهم بعددهم، فقال صلى الله عليه وآله: كم ينحرون كل يوم من جزور؟ قالوا: تسعة الى عشرة. فقال (ص): القوم تسعمئة إلى ألف رجل... (وقيل: اكثر، حتى لقد قال البعض: إنهم كانوا ثلاثة آلاف رجل. وهو بعيد).

فأمر بهم (ص) فحبسوا، فعلمت قريش، ففزعوا، وندموا على مسيرهم، حيث إنهم بعد ان علموا بنجاة العير أصروا على المجيئ إلى بدر لتهابهم العرب، كما تقدم.

وقد اعترف عتبة بن ربيعة— الذى كان ولده أبو حذيفة مع النبي (ص)—: بأن مسيرهم بعد نجاة عيرهم كان بغياً منهم وعدوانا. وبذلت محاولة للاتفاق على الرجوع، لكن أباجهل أبى ذلك ،وقال:

«... واللات والعزى حتى نقحم عليهم يثرب، أونأخذهم أسارى، فندخلهم مكة، وتتسامع العرب بذلك ، ولايكون بيننا وبين متجرنا أحد نكرهه...»

ورجع بنو زهرة حينئذٍ باشارة الأخنس بن شريق، كما تقدم.

مواقع الجيشين:

وسبق المشركون إلى بدر، فنزلوا في العدوة القصوى، أي في جانب الوادي مما يلي مكة، حيث الماء، وكانت العير خلف المشركين(١)، قال

(١)— لسوف ياتى: ان العير قد سلمت، لان اباسفيان قد سلك بها طريق البحر، وابتعد عن المدينة وعن مسير المسلمين.

تعالى والركب أسفل منكم. ومحل نزولهم كان صلباً. ونزل المسلمون في العدوة الدنيا، أي جانب الوادي مما يلي المدينة، حيث لاماء، وحيث الأرض رخوة، لا تستقر عليها قدم... مما يعني أن منزل المسلمين كان عسكرياً غير مناسب... ولكن الله أيد عباده ونصرهم على عدوهم، وجاء المطر ليلاً على المشركين، فأوحلت أرضهم... وعلى المسلمين؛ فلبدها، وجعلها صلبة، وجعلوا الماء في الحياض...

معنويات المسلمين والعنايات الربانية:

ولما بلغ المسلمين كثرة المشركين خافوا، وتضرعوا إلى الله... وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: لما نظر النبي صلى الله عليه وآله الى كثرة المشركين، وقلة المسلمين استقبل القبلة، وقال: «اللهم أنجزلي ماوعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض» فنزلت الآية: «إذ تستغيثون ربكم، فاستجاب لكم: أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين.وماجعله الله إلا بشرى، ولتطمئن به قلوبكم الآية(١)».

فالامداد بالملائكة إذن... ليس إلا للتطمين، واعطاء زخم روحي للمسلمين الذين يحسون بالضعف، و يستغيثون ربهم... حسب مدلول الآية الشريفة.

وفي الليل القى الله النعاس على المسلمين؛ فناموا، وقد ذكر الله سبحانه ذلك، وارسال المطر؛ فقال: «إذ يغشيكم النعاس أمنة منه، و ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به، و يذهب عنكم رجز الشيطان، وليربط على قلوبكم، و يثبت به الاقدام(٢)».

نعم... لقدكان ذلك النعاس ضرورياً لفئة تواجه هذا الخطر الهائل، وهي تدرك أنها لا تملك من الامكانات المادية شيئاً يذكر لدفعه... نعم...لابد من هذا النعاس...لئلا تستبد الوساوس بهم

---

(١)الانفال٩—١٠

(٢)الانفال١١

في هذا الليل البهيم، الذي تكبر فيه الأشياء وتتضخم، فكيف إذا كانت الاشياء كبيرة بطبيعتها...

لابد من هذا النعاس. حتى لايضعفوا عن مواجهة الخطر، وحتى يمكن لعقلهم وفكرهم أن يسيطر على طبيعة تصرفاتهم ومواقفهم، بدلا من الضعف، والانفعال، والتوتر... نعم... لابد منه ليربط على قلوبهم، حيث يطمئنون إلى أن الله ناظر إليهم، و إلى أن ألطافه وعناياته متوجهة نحوهم...

وفي مقابل ذلك ... فان الله تعالى: قد ألقى في قلوب الذين كفروا الرعب، والخوف، كما سنشير إليه إن شاء الله تعالى... وقد أخبر الله تعالى في السور المكية كسورة محمد(ص)، بعد ذكر الذين تحزبوا ضد أنبيائهم، وثمود وفرعون عن وقوع آية وحادثة شبيهة لماجرى لتلك الفئات، فقال: جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب(١). وليس ذلك الاوقعة بدر، كما قاله البعض.

أهداف الحرب:

والملاحظة الهامة هناهي: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصرح بأن حرب بدر حرب مصيرية، وأن هدفه من هذه الحرب هو التمكين لعبادة الله تعالى، وليس عبادة الذات، أوالمال، أو الجنس، أوالجاه، أوالسلطان، ولاغير ذلك .

أما هدف المشركين، فهم أنفسهم قد افصحوا عنه، وهوأن تهابهم العرب، وأن لايكون بينهم وبين متجرهم أحد يكرهونه...

وشتان مابين الهدفين، وكذلك مابين نتائج الحرب— كما سنرى— بالنسبة إلى الفريقين.

في المواجهة:

ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبّأ أصحابه، وكانت

---

(١)— سورة ص ١١.

رايته مع أمير المؤمنين(ع)(١).

وكان عليه السلام صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وآله في كل مشهد(٢) وسنثبت ذلك في غزوة أحد إن شاء الله تعالى...

وعليه... فما يقال: من أنه كان لرسول الله صلى الله عليه وآله في بدر اكثر من لواء... مع مصعب بن عمير، أو الحباب بن المنذر، في غير محله، وكذلك الحال في تفريقهم بين الراية واللواء، لأن كلاً منهما قد ورد أنه كان مختصا بأمير المؤمنين عليه السلام، كما يتضح من مراجعة النصوص في المصادر الموجودة هنا، وفي المصادر الآتية في واقعة أحد.

أضف إلى ذلك: أن ابن سعد وابن اسحاق قد ذكرا: أن الراية قد اتخذت بعد وقعة بدر، و بالذات في غزوة خيبر(٣).

هذا لوسلم وجود اختلاف بين اللواء والراية، و إلا فقد نص جماعة من أهل اللغة على ترادف اللواء والراية(٤).

و بعد أن عبأ النبي (ص) أصحابه، قال لهم: غضوا أبصاركم، ولا تبدؤوهم بالقتال، ولايتكلمن أحد(٥).

---

(١)— مناقب الخوارزمي ص ١٠٢ والآحاد والمثاني لابن أبي عاصم النبيل، مخطوط في مكتبة كوبرلى رقم ٢٣٥، ومسند الكلابي في آخر مناقب ابن المغازلي ص ٤٣٤، ومناقب ابن المغازلي نفسه ص ٣٦٦، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص ٣٣ و ٣٤، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١، وتلخيصه للذهبي بهامشه، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥... ونقل ذلك عن: شرح النهج للمعتزلي ط أولى ج ٢ ص ١٠٢، وجمهرة الخطب ج ١ ص ٤٢٨، والاغاني ط دار الكتب ج ٤ ص ١٧٥، وتاريخ الطبري ط دار المعارف ج ٢ ص ٤٣٠.

(٢)— ترجمة الامام أمير المؤمنين من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٤٥، وذخائر العقبى ص ٧٥ عن احمد في المناقب، وطبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١٤، وكفاية الطالب ص ٣٣٦ عنه وفي هامشه عن: كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبراني، والرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢، وقال: أخرجه نظام الملك في أماليه...

(٣)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧.

(٤)— المصدر السابق. ١٤٧—١٤٨.

(٥)— المصدر السابق...

هدوء ماقبل العاصفة:

وقد أثر هذا في قريش بشكل واضح، حتى إن أحدهم حين جال بفرسه حول المسلمين؛ ليعرف إن كان لهم مدد، أوكمين، رجع للمشركين، وقال: «مالهم كمين ولامدد، ولكن نواضح يثرب حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لايتكلمون؟يتلمظون تلمظ الأفاعي، مالهم ملجأ إلا سيوفهم، وما أراهم يولون حتى يقتلوا، ولايقتلون حتى يقتل بعددهم».

فشتمه أبوجهل؛ لأنه رآه يجبن أصحابه...

ولما رأى المشركون قلة المسلمين، قال أبوجهل: «ماهم إلا اكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد».

وأرسل إليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «معاشر قريش، إني اكره أن أبدأكم بقتال، فخلوني والعرب وارجعوا؛ فان أك صادقاً فانتم أعلى بي عيناً، وان أك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمرى...»

ويقال: إن عتبة بن ربيعة رجح قبول ذلك، فرماه أبوجهل بالجبن، وأنه انتفخ سحره(١) لما رأى محمداً وأصحابه، وأنه خاف على ابنه ابى حذيفة الذي هو مع محمد...

فلما بلغ عتبة قول ابي جهل، قال: سيعلم مصفراسته(٢) من انتفخ سحره أنا أم هو؟ وتحمس لذلك، ولبس درعه، هو وأخوه شيبة وولده الوليد، وتقدموا يطلبون البراز.

وأخيراً... فاننا نشير إلى الامور التالية:

---

(١)— انتفاخ السحر: كناية عن الجبن. والسحر: الرئة.

(٢)— والظاهر أنه يرميه بالأبنة؛ فان الأنصار كانوا يرمونه بذلك. راجع: مجمع الامثال ج ١ ص ٢٥١ عند قولهم: أخنث من مصفراسته، والبرصان والعرجان ص ١٠٢/١٠٣ متناوهامشاً، والغدير ج ٨ ص ٢٥١ عن صواعق ابن حجر ص ١٠٨ عن الدميري في حياة الحيوان...

ألف: سر رعب المشركين:

إن المشركين كانوايدركون مدى تصميم المسلمين على الحرب، وأنهم على استعدادٍ لأن يموتوا جميعاً، بعد أن يقتلوا بعددهم على الأقل في سبيل دينهم وعقيدتهم...

وهذا من شأنه أن يبعث الرعب في قلوب المشركين، الذين يقاتلون من أجل البقاء في هذه الدنيا، والتمتع بلذاتها وخيراتها حسب زعمهم.

و إذا كان المسلمون ساكتين واجمين، فان ذلك يزيد الجورهبة، و يؤكد و يزيد الخوف والرعب في نفوس المشركين، الذين سوف تزيد حيرتهم حيث لاشيئ يشير إلى طبيعة الحرب التي سوف يخوضونها،ومستواها، والاتجاه والطابع الذي سوف يعطونها إياه...

و إذا قيل: إن مايقال عن رعب المشركين، لاينسجم مع قول أبي جهل عن المسلمين: إنهم اكلة رأس...

فان الجواب عن ذلك هو:أننا لو قبلنا: أنه لم يقل ذلك على سبيل التشجيع لأصحابه... ولاسيما بعد أن رأى ترددهم وجبنهم عن المواجهة— فاننا لابد وأن نتذكر: أنه تعالى قد قلل المشركين في اعين المسلمين،وقلل المسلمين في أعين المشركين ليقضى أمراً كان مفعولا، ولسوف يأتي تتمة الكلام في ذلك إن شاءالله تعالى...

باء: نظرة في عروض النبي (ص) على المشركين:

لقد حاول النبي صلى الله عليه وآله أن يكلم المشركين من الزواية التي ينظرون منها، وتتلاءم، وتنسجم مع فكرهم ومنطقهم... وتتلاقى مع مصالحهم التي يدّعون أنهم جاؤا يحاربون من أجلها. وذلك حينما نراه يقول لهم: «فان اك صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً.» فان هذا ينسجم مع حبهم للرياسة والزعامة، الذي كان من القوة والطغيان بحيث جعلهم يؤثرونه على كل علاقاتهم النسبية والقبلية، ويحاربون قومهم، وحتى آباءهم وابناءهم في

سبيل تلك الزعامات والرياسات.

ثم هو يقول لهم: «وإن اك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمرى»... وهذا ينسجم أيضاً مع محبتهم للسلامة والحياة، ومع مصالحهم الاقتصادية...

وذلك يعوض مايرونه في رجوعهم عن حربه من تنازل واعتراف بقوته وشوكته...

ولكن طغيان قريش، وغطرستها يأبيان عليها الانصياع للمنطق الواعي، والرأي السليم... فتصر على الحرب والقتال... ومواجهة نتائجها الساحقة لها ولكبريائها الزائف وصلفها الأحمق...

جيم: النبي (ص) لايبدأ القتال:

وأخيراً... فاننا نجد: أن النبي صلى الله عليه وآله لايبدأ القتال، ويأمر المسلمين أن لايبدؤا به... ويحاول أن يعطي الطرف الآخر الفرصة، ويقدم له خيارات كلها فيها مخرج مشرف له... فاذا أبى ذلك، وطغى وبغى، واعتدى على المسلمين، فان من حقهم: أن يدافعوا عن أنفسهم... وأن يردوا كيد المعتدي، من كان، ومهما كان...

وهكذا كان أمير المؤمنين عليه السلام مع أعدائه، سواء في حياة النبي (ص)، أو بعد وفاته... بل إن ذلك هوشعار شيعة أهل البيت رضوان الله تعالى عليهم... اقتداء بامامهم، الذي يقتدى بالنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... ولسوف يأتي بحث حول ذلك وحول خصائص الشيعة بشكل عام بعد الانتهاء من غزوة بدر مع أبحاث أخرى بعنوان: «على هامش السيرة» إن شاء الله تعالى...

النبي (ص) في العريش:

ويقولون: إنهم صنعوا للنبي (ص) عريشا من جريد النخل فكان فيه وابوبكر معه، وليس معه غيره. ووافق (ص) على أن يضعوا نجائب وركائب مهيأة عنده، فإن انتصر فهو المطلوب وإن كانت الأخرى ركب

النجائب، ولحق بمن وراءهم من الصحابة في المدينة(١).

ولكن ذلك لايصح بأي وجه؛ فقد قال المعتزلي: «قلت: لأعجب من أمر العريش، من اين كان لهم اومعهم من سعف النخل مايبنون به عريشاً، وليس تلك الارض— اعني ارض بدر— ارض نخل؟ والذي كان معهم من سعف النخل، يجرى مجرى السلاح يسيرا جداً... قيل: إنه كان بأيدي سبعة منهم سعاف عوض السيوف، والباقون كانوا بالسيوف والسهام والقسي. هذا قول شاذ، والصحيح أنه ماخلا احد منهم عن سلاح... اللهم إلا أن يكون معهم سعفات يسيرة، وظلل عليها بثوب أوستر، و إلا فلا أرى لبناء عريش من جريد النخل هناك وجها(٢)».

ولكن استدراكه الأخير في غير محله؛ فان السعفات المظلل عليها بالثوب يقال لها: خيمة، وليس عريشاً بل لايقال لها خيمة ايضاً، كمايرى البعض كما أن ماذكره من عدتهم وسيوفهم محل نظر يعرف مماتقدم...

ونضيف نحن هنا:

أولاً: إن النبي (ص) لايمكن أن يفر من الزحف...

وثانياً: قوله(ص): «اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد» وهو مانقله مختلف المؤرخين— يكذب أن يكون (ص) أراد الفرار على نجائبه، لوربح المشركون هذه الحرب. إذ أن الله تعالى لايمكن أن يعبد في الارض حتى ولو رجع إلى أهل المدينة؛ فكيف يقول ذلك ثم يقدم على تصرف كهذا؟!...

وثالثاً: لو أن النبي (ص) خسر حرب بدر، فلن يتركه المشركون ينجو بنفسه منهم، ولن يعطوه الفرصة ليجمع لهم الجموع من جديد؟!... ولسوف لن يتركوا مهاجمة المدينة، والقضاء على مصدر متاعبهم فيها. وهم الآن بالقرب منها، و يعيشون نشوة النصر والظفر، ومعهم جيش على أحسن مايرام في عدده وفي عدته...

---

(١)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٢٢ و ٢٧٩ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٤٩ و ٥٥ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢٢، و شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١١٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٥/١٥٦ و ١٦١ وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

(٢)— شرح النهج ج ١٤ ص ١١٨.

ورابعاً: كيف يكون (ص) قد اتخذ العريش مكاناً له، وحرسه الحراس فيه، وهم يقولون: إنه (ص) رؤي يوم بدر في أثر المشركين مصلتاً السيف، يتلوا قوله تعالى: سيهزم الجمع و يولّون الدبر(١).

و يقولون أيضاً: إنه قد اشترك في حرب بدر بنفسه، وقاتل بنفسه قتالاً شديداً(٢).

ومما يدل على اشتراكه في الحرب أيضاً: أنهم يقولون: كان يوم بدر رجال يقاتلون، واحد عن يمينه وآخر عن شماله، وثالث أمامه، ورابع خلفه(٣)...

و يروون أيضاً عن علي: لما كان يوم بدر اتقينا المشركين برسول الله (ص)، وكان أشدّ الناس بأساً، وماكان أحد أقرب إلى المشركين منه(٤)...

و إذن... فلابد وأن نسأل: أين كان أبو بكر آنئذٍ؟ أمع النبي (ص) في ساحة القتال... أم في العريش وحده، ليكون في موقع القائد والرئيس كما يريد الجاحظ أن يدعى حسبما سيأتي... ولسوف يأتي بقية الحديث حول موضوع شجاعة أبي بكر، وحضوره في العريش في الفصل الذي يأتي بعد وقعة بدر ان شاء الله تعالى.

إشارة:

انه لو فرض صحة الحديث عن علي عليه السلام، فلابد وأن لايكون هو من الذين كانوا يتقون المشركين برسول الله؛ فان علياً لم يكن يخشى المشركين، ولم يكن ليحتاج إلى ملجأيحميه منهم... كيف وهو الذي قتل أكثر من نصف قتلى المشركين في بدر، وشارك في النصف الآخر كما سنرى...

---

(١)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٢.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣ و ١٦٧ لكنه حاول توجيه ذلك بما هو خلاف صريح الكلام، فقال: إن المراد بالجهاد: الدعاء!!... كل ذلك من أجل أن يصح حديث العريش!!...

(٣)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٧٨.

(٤)— راجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٣٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٣، والبداية والنهاية ج ٦ ص ٣٧ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٧٧ عن أحمد، والبيهقي.

و إذاكان كذلك فلايعنى ذلك عدم صحة الحديث المتقدم عنه عليه السلام،... فانه يصح أن يقول شخص مثلاً: إننا في بلادنا: نأكل أونلبس أونصنع الشيئ الفلاني... مع أن هذا القائل لم يأكل اولم يلبس، أولم يصنع ذلك الشيئ شخصياً...

المبارزة:

وكان أول من برز للقتال عتبة، وشيبة والوليد، فبرز إليهم ثلاثة من الأنصار فقالوالهم: ارجعوا؛ فانا لسنا إياكم نريد، إنما نريد الاكفاء من قريش، فأرجعهم النبي (ص)، وبدأ بأهل بيته؛ لأنه كره أن تكون البدأة بالأنصار(١)، وندب عبيدة بن الحارث، وحمزة وعلياً، قائلاً: «قم يا عبيدة، قم يا عم، قم يا علي، فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم إلخ».

فسأل عتبة عنهم، فأخبروه عن أنفسهم، وسأل شيبة عن حمزة، فقال له: أنا حمزة بن عبدالمطلب، أسدالله وأسد رسوله. فقال شيبة: قد لقيت أسد الحلفاء، فانظر كيف تكون صولتك يا أسدالله...

فقتل علي عليه السلام الوليد، وجاء فوجد حمزة معتنقاً شيبة، بعد أن تثلمت في أيديها السيوف، فقال: ياعم طأطئ رأسك، وكان حمزة طويلاً، فأدخل راسه في صدر شيبة؛ فاعترضه علي بالسيف فطير نصفه (أي نصف رأسه). وكان عتبة قد قطع رجل عبيدة، وفلق عبيدة هامته، فجاء علي فأجهز على عتبة أيضاً...

فيكون أميرالمؤمنين عليه السلام قد شرك في قتل الثلاثة(٢).

ومما يدل على أنه قد شرك في قتلهم جميعاً ماورد في كتاب «المقنع» من أن هنداً قالت:

ماكان لي عن عتبة من صبر ... أبي، وعمي وشقيق صدرى
أخي الذي كان كضوء البدر ... بهم كسرت ياعلي ظهري(٣)

---

(١)— تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٤، والبحار ج ١٩ ص ٣١٣ و ٢٥٣، وسعد السعود ص ١٠٢.
(٢)— راجع: المناقب ج ٣ ص ١١٩ عن صاحب الاغاني وغيره...
(٣)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٣، والعثمانية، قسم نقوض الاسكافي ص ٤٣٢، والبحار ج ١٩ ص ٢٩٢، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢١.

وقال السيد الحميرى رحمه الله في مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

ولـه بـبـدر وقعة مشهورة ... كانت على أهل الشقاء دمارا
فأذاق شيبة والوليد منية ... إذ صبحاه جحفلاً جرارا
وأذاق عتبة مثلها أهوى لها ... عضباً صقيلاً مرهفاً بتارا(١)

و يدل على ذلك أيضاً: ما أجاب به بعض بني عامر حسان بن ثابت على أبيات له، يقول ذلك البعض:

ببدر خرجتم للبراز فردكم ... شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما آتاهم حمزة وعبيدة ... وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقبلوا ... إليها سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية ... فدمرهم لما بغوا وتكبروا(٢).

وقد كتب عليه السلام في رسالة له لمعاوية: «فأنا ابوالحسن حقاً قاتل جدك عتبة، وعمك شيبة، وخالك الوليد، وأخيك حنظلة، الذين سفك الله دماءهم على يدي في يوم بدر، وذلك السيف معي، و بذلك القلب ألقى عدوي»(٣).

بعد قتل الفرسان الثلاثة:

وحمل حمزة وعلي عليه السلام عبيدة بن الحارث، وأتيابه إلى رسول الله (ص)، فاستعبر؛ وقال: يا رسول الله، ألست شهيداً؟! قال: بلى، أنت أول شهيد من أهل بيتي (مما يعني أنه لسوف تاتي قافلة من الشهداء من أهل بيته (ص)... وهكذا كان).

فقال عبيدة: أما لوكان عمك حياً لعلم أني أولى بما قال منه. قال: وأي اعمامي تعني؟ قال: أبوطالب، حيث يقول:

كذبتم و بيت الله يبزى محمد ... ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع دونه ... ونذهل عن ابنائنا والحلائل

---

(١)— ديوان السيد الحميري ص ٢١٥، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٢.
(٢)— المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٩، والبحار ج ١٩ ص ٢٩١.
(٣)— الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٤٣٥.

فقال (ص): أماترى ابنه كالليث العادي بين يدى الله ورسوله، وابنه الآخر في جهادالله بأرض الحبشة؟!.

قال: يا رسول الله، أسخطت علي في هذه الحالة؟

قال: ماسخطت عليك، ولكن ذكرت عمي، فانقبضت لذلك(١).

وقد روى كثير من المؤرخين هذه القضية من دون ذكر القسم الأخير منها...

ونزل في هؤلاء الستة قوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا في ربهم، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار...» وفي البخاري: أن أباذر كان يقسم: أنها نزلت فيهم(٢).

ونزل في علي، وحمزة، وعبيدة ايضاً قوله تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه(٣)... وقيل: نزلت في علي وحده(٤).

وثمة عدة آيات أخرى نزلت في بدر في الثناء على اميرالمؤمنين عليه السلام فراجع: المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٨ وغيره...

هذا.. ولابد وأن نشير هنا إلى الامور التالية:

---

(١)— تفسير القمي ج ١ ص ٢٦٥، والبحار ج ١٩ ص ٢٥٥، وفي شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٨٠: أن رسول الله استغفرله ولأبي طالب يومئذ. والغدير ج ٧ ص ٣١٦. وفي نسب قريش لمصعب ص ٩٤: أن عبيدة قال: «يا رسول الله ليت أبا طالب حياً حتى يرى مصداق قوله إلخ...» وربما يقال: إن هذا هوالانسب بأدب عبيدة واخلاصه ولكن لا... فان قوله الآنف لايضر في أدبه ولافي إخلاصه، حيث يرى نفسه قد ضحى بنفسه في سبيل الدين فلامانع من أن يقول ذلك.

(٢)— البخاري ط الميمنية ج ٣ ص ٤، ومناقب ابن شهر آشوب ج ٣ ص ١١٨ عن مسلم، من دون قسم أبي ذر، ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ٣٨٦وصححه هو والذهبي في تلخيصه، والغدير ج ٧ ص ٢٠٢ عن: تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢١٢، وتفسير ابن جزي ج ٣ ص ٣٨، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٦٩٨، وتفسير القرطبي ج ٢ ص ٢٥—٢٦، وصحيح مسلم ج ٢ ص ٥٥٠، وطبقات ابن سعد ص ٥١٨، وبهذا قال ابن عباس، وابن خثيم، وقيس بن عباد، والثوري، والاعمش، وسعيد بن جبير، وعطاء.

(٣)— الصواعق المحرقة ص ٨٠.

(٤)— مناقب الخوارزمي ص ١٨٨ والكفاية للخطيب ص ١٢٢.

الف: غضب النبي (ص) لابي طالب:

إنه إذا كان الرسول (ص) يغضب لذكر عمه، ولو بهذا النحو المهذب، والمحدود... فكيف إذن يكون موقفه ممن يرمي أباطالب بالشرك والكفر، و يعتبره مستحقاً للعذاب الاليم في نار الله المؤصدة؟!

فهل تراه سوف يكون مسروراً ومرتاحاً لهذا الكلام الذي لاسبب له إلا السياسة، وما أدراك ما السياسة؟!...

باء: بدء النبي(ص) بأهل بيته:

و إذا لاحظنا: ان النبي(ص) هوالذى أرجع الثلاثة الذين من الانصار، و امر حمزة وعلياً وعبيدةبن الحارث بالخروج إلى ساحة القتال اولاً(١) و يقول علي(ع) عن النبي(ص): « كان إذا حضر الباس، ودعيت نزال قدم أهل بيته فوقى بهم أصحابه فقتل عبيدة يوم بدر، وحمزة يوم أحد و جعفر يوم مؤتة إلخ»(٢). فاننا لابد وان نقول: إنه حين يبدأ الرسول الحرب بأهل بيته يكون قد أثبت بالفعل لابالقول وحسب، للانصار وللمهاجرين: أنه ليس فقط لايريد أن يجعلهم وسيلة للوصول إلى أهدافه، وأن يدفع بهم الخطر عن نفسه وأهل بيته... و إنما ثمة هدف أسمى لابد وأن يساهم الجميع في العمل من أجله وفي سبيله... وهو (ص) شريك لهم في كل شئ، في السراء والضراء، والشدة والرخاء... وهو يضحي و يقدم قبل أن يطلب من غيره ذلك. بل هو يحاول أن يدفع عن غيره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

---

(١)— وفي امالى المرتضى ج ١ ص ٢٧٥، واعلام الورى ص ٣٠٨ والبحار ج ٤٨ ص ١٤٤ ومناقب ابن شهر آشوب ج ٤ ص ٣١٦ ان الامام الكاظم(ع) قال لنفيع الانصارى: «... و إن كنت تريد المفاخرة، فوالله ما رضوا مشركوا قومي مسلمي قومك أكفاءهم حتى قالوا: يا محمد أخرج الينا اكفاء نامن قريش»... وأقول... لامنافاة بين الامرين فلعل المشركين لم يرضوابهم، كما أنه (ص) لم يرغب في البدأة بهم.

(٢)— انساب الاشراف ج ٢ ص ٨١ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٧٧ وكتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ٩٠ و نهج البلاغة باب الكتب الكتاب التاسع والعقد الفريد ج ٤ ص ٣٣٦ ومناقب الخوارزمي ص ١٧٦.

وذلك هو مايجب أن يكون المثل الأعلى لكل صاحب هدف، ولكل سياسي وقائد... فان عليه أن يضحي هو أولاً... حتى إذا احتاج إلى معونة غيره يكون طلبه منهم له مبرراته، و يراه كل أحد: أنه محق في طلبه ذاك ... وليس له أبداً أن يجلس في برجه العاجي، ثم يصدر أوامره للاخر ين، دون أن يرى نفسه مسؤولاً عن التحرك في اتجاه الهدف إلا في حدود الكلام و إصدار الأوامر، فان الكلام لن يكون كافياً في تحقيق الأثر المطلوب في مجال التحرك نحو الهدف، مهما كان ذلك الهدف مقدساً، وسامياً...

جيم: سخر ية شيبة:

لقد لاحظنا أن شيبة يسخر من كون حمزة أسدالله وأسد رسوله، و يعتز بكونه أسد الحلفاء... مع أن مقتضى الانصاف والواقع هو عكس ذلك تماماً... فقد تقدمت الاشارة الى بعض الاهداف الوضيعة، القائمة— على أساس المنطق القبلي، والمنافع الخاصة، التي توخاها الحلفاء من حلفهم...

وكلنا يعلم، وهم يعلمون: أن هدف الله ورسوله، وأسدالله من التضحيات على وجه الارض ليس إلا اسعاد البشر ية، ونجاة الانسانية إن دنيا و إن آخرة...

دال: الحق الذي جعله الله للمسلمين:

ثم... ماهو هذا الحق الذي أشار إليه النبي (ص) في قوله لعلي (ع) وحمزة وعبيدة: «فاطلبوا بحقكم الذي جعله الله لكم»... أليس هو حق حر ية الرأي والعقيدة، وحق الدفاع عن دين الله، وعن النفس، ورد البغي والعدوان؟... في مقابل القرشيين الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوا أموالهم، بل وقتلوا منهم من قتلوا، و بغوا عليهم؟.

و خلاصة الأمر: إنهم ير يدون أن يعيشوا أحراراً، وأن يدافعوا عن دين الله في مقابل من ير يد الاستمرار في الانحراف والتعدى... وللمظلوم حق في أن يطالب بانصافه من ظالمه والباغي عليه... ولاسيما بعد أن عرض النبي (ص) على قر يش تلك الخيارات المتقدم ذكرها، فلم ترعوعن غيها...

بل أرادت اطفاء نورالله، وحربهم و إذلالهم، قال تعالى:.

«أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وان الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا: ربنا الله(١)».

المعركة... ثم الهزيمة

ولما رأى أبوجهل مقتل عتبة وشيبة والوليد، حاول انقاذ الموقف؛ فقال: لاتعجلوا، ولاتبطروا، كما بطر ابنا ربيعة. عليكم باهل يثرب فاجزروهم جزراً، وعليكم بقريش، فخذوهم أخذاً، حتى ندخلهم مكة؛ فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها...

و يذكر ابن عباس، في قوله تعالى: «ومارميت إذرميت ولكن الله رمى»: أن النبي صلى الله عليه وآله— بعد أن أمره جبرئيل— قال لعلي: ناولني كفاً من حصباء، فناوله كفاً من حصباء (وفي رواية: عليه تراب) فرمى به في وجوه القوم؛ فما بقي أحد إلا امتلأت عينه من الحصا. وفي رواية: وأفواههم، ومناخرهم، ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم، و يأسرونهم(٢). فابن عباس انما يطبق الآية على هذا العمل الاعجازي.

وقد أمد الله المسلمين بالملائكة لتثبيت قلوبهم... وفي كونهم حاربوا خلاف، وظاهر القرآن ربما لايساعد عليه، وكانوا يتشبهون بأميرالمؤمنين علي عليه السلام(٣).

---

(١)— الحج ٣٩/٤٠.

(٢)— البحار ج ١٩ ص ٢٢٩ عن تفسير الثعلبي، والمناقب لابن شهر آشوب ج ١ ص ١٨٩، وليراجع الحلبية ج ٢ ص ١٦٧.

(٣)— البحار ج ١٩ ص ٢٨٥ عن المناقب. و يروى الآخرون: أنهم كانوا على هيئة الزبير الذي كان عليه عمامة صفراء فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر كما في مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٦١ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ عنه وعن كنزالعمال ص ٢٦٨ عن الطبراني وابن عساكر، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ٨٤ ولكن يعكر على هذا ما في دلائل النبوة لابي نعيم ص ١٧٠ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٦ عنه من أن الملائكة كان عليهم يوم بدر عمائم بيض...

وبالمناسبة... فان عائشة قالت في حرب الجمل: ناولوني كفاً من تراب، فناولوها؛ فحثت في وجوه أصحاب أمير المؤمنين، وقالت: شاهت الوجوه — كما فعل رسول الله (ص) بأهل بدر— فقال أمير المؤمنين: «ومارميت إذرميت ولكن الشيطان رمى، وليعودن وبالك عليك إن شاء الله(١)»... كما أن عائشة قد نظرت إلى علي عليه السلام وهو يجول بين الصفوف في حرب الجمل، فقالت: انظروا إليه كأن فعله فعل رسول الله (ص) يوم بدر، أما والله ماينتظر بكم إلا زوال الشمس(٢).

وهكذا كان... صدق أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه...

وهزم الله المشركين شر هزيمة. وقتل أبوجهل. وكان رسول الله (ص) قد أوعده أن يقتله الله بأضعف أصحابه، بل وعد بكل ماجرى في بدر قبل وقوعه(٣). فقتله رجل أنصاري، واحتز أسه ابن مسعود... وقيل: إنه وجده بآخر رمق فأجهز عليه، ولكن الأقرب هو الأول، لأن سلبه أخذه غير ابن مسعود...

وكان أول من انهزم في بدر ابليس لعنه الله، فانه كان قد تبدى للمشركين— كما في الرواية— بصورة سراقة بن مالك المدلجي، من أشراف كنانة، حيث إن قريشاً كانت قد خافت من بني بكر بن عبد مناف لدم بينهم؛ فتبدى لهم ابليس بصورة سراقة، وأعطاهم جواره... فلما رأى ماجرى للمشركين، ورأى الملائكة مع المسلمين نكص على عقبيه، فانهزم المشركون... وقال المكيون: هزم سراقة. فقال سراقة: ماشعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم. فلما أسلموا علموا أنه الشيطان.

وروى أن أبا سفيان لما أبلغ العير إلى مكة رجع، ولحق بجيش

---

(١)— كتاب الجمل للشيخ المفيد ص ١٨٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٢٥٧ وراجع الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٣٢٥.

(٢)— الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٢١٤.

(٣)— البحار ج ١٩ ص ٢٦٧ عن الاحتجاج، والتفسير المنسوب للامام العسكري ص ١١٨/١١٩.

قريش، فمضى معهم إلى بدر، فجرح يومئذ جراحات، وأفلت هارباً، ولحق بمكة راجلاً(١).

(١)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥.

الفصل الثاني:

نتائج الحرب...

نتائج الحرب

وقتل من المشركين سبعون، وأسر مثلهم. وقيل قتل خمس و أربعون، واسر مثلهم.

ولعل منشأ هذا الأخير هوتسمية البعض لهذا المقدار من القتلى، أو اكثر؛ فتخيلوا: أن ذلك هو العد دالنهائي، ولكن ذلك لايدل إلا على أن من عرفه ذلك الناقل هو هؤلاء... لاعلى أن هؤلاء هم كل من قتل من المشركين...

واستشهد من المسلمين، قيل تسعة، وقيل: أحد عشر. وقيل أربعة عشر، ستة من المهاجرين، وثمانية من الأنصار.

ولم يؤسر من المسلمين أحد، وغنموا من المشركين مئة وخمسين بعيراً، وعشرة أفراس، وعند ابن الأثير ثلاثين فرساً، ومتاعاً، وسلاحاً، وانطاعاً، وثياباً، وأدماً كثيراً(١).

بطولات علي عليه السلام:

وقتل أكثر قتلى المشركين على أيدي المهاجرين، بل لقد قتل اكثرهم

---

(١)— مغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٢/١٠٣ والكامل لابن الأثيرج ٢ ص ١١٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٣.

على يد أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، و بالذات على يد علي عليه السلام.

وقد سماه الكفار يوم بدر بـ «الموت الأحمر» لعظم بلائه ونكايته(١) وكيف لا... ونحن نرى الشعبي يقول: «كان علي اشجع الناس تقرله بذلك العرب»(٢). وقد تقدم قول بعض بني عامر في جواب حسان، وقول هند... وقال أسيدبن أبي إياس يحرض مشركي قريش على علي عليه السلام...

فـي كـل مجـمع غـاية أخزاكـم ... جـذع أبـر على المـذاكـي الـقـرح
لله دركـم ألـمّـا تـنـكـروا ... قد ينكر الحر الكريم و يستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم ... ذبحاً وقتلا قعصة لم يذبح
أعطوه خرجاً واتقوا تضريبه ... فعل الذليل و بيعة لم تربح
اين الكهول وأين كل دعامة ... في المعضلات واين زين الأبطح
أفناهم قعصاً وضرباً يفتري ... بالسيف يعمل حده لم يصفح(٣)

وقال عبدالله بن رواحة:

ليهن عـلـيـاً يـوم بـدر حضوره ... ومـشـهده بالخير ضرباً مرعبلا
وكائن له من مشهد غير خامل ... يـظـل لـه رأس الكمي مجدلا(٤)

إلى آخر الابيات:

ولماذا لايسمى عليه السلام بالموت الأحمر، وهو الذي تقول بعض الروايات: ان جبرئيل قد نادى بين السماء والارض في بدر: لافتى الا على لاسيف إلا ذوالفقار... و يقال: ان هذه المناداة كانت في أحد وستأتي انشاء الله وهو الذي قتل من المشركين في بدر نصف السبعين وشارك في

---

(١)ـ المناقب لابن شهر آشوب ج ٢ ص ٦٨.

(٢)ـ نورالقبس ص ٢٤٩.

(٣)ـ اسدالغابة ج ٤ ص ٢١/٢٠، وترجمة الامام علي (ع) من تاريخ دمشق، بتحقيق المحمودى ج ١ ص ١٥، وارشاد المفيد ص ٤٧، والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢١ والبحارج ١٩ ص ٢٨٢ وأنساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٨٨ وتيسير المطالب ص ٥٠.

والجذع: الأسد. والمذاكي: الخيل بعد مضى خمس سنين من عمرها، وضربه فأقعصه: أي قتله مكانه. ولم يصفح: أي لم يضرب بصفح السيف.

(٤)ـ المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٢٠، والبحارج ١٩ ص ٢٩٢. والمرعبل: المقطع.

النصف الآخر(١)...

وقد عد الشيخ المفيد ستة وثلاثين بأسمائهم ممن قتلهم علي(ع) (٢).

وقال ابن اسحاق: اكثر قتلى المشركين يوم بدر كان لعلي(٣).

وقال الطبرسى والقمي: إنه قتل منهم سبعة وعشرين(٤) وقال اسامة بن منقذ: قتل أربعة وعشرين سوى من شارك فيهم(٥)، وقال الشبلنجى: قال بعضهم: «إن أهل الغزوات أجمعت على أن جملة من قتل يوم بدر سبعون رجلاً قتل علي منهم أحداً وعشرين نسمة باتفاق الناقلين. وأربعة شاركه فيهم غيره، وثمانية مختلف فيهم(٦)».

وعد الواقدى اثنين وعشرين. ثمانية عشر منهم قتلهم علي، وأربعة مختلف فيهم(٧)، وعد المعتزلي وابن هشام والتلفيق بينهما تسعة وعشرين قتلهم علي، أوشرك في قتلهم من أصل اثنين وخمسين(٨).

وهذا الاختلاف ليس ذا أهمية... فان من يذكرون أسماءهم — في حدود الخمسين أو أقل أو اكثر بقليل(٩)... فمن هؤلاء نجد أن علياً قد قتل نصفهم أو أزيد... ولو أنهم اهتدوا إلى اسماء الباقين لا رتقى عدد من قتلهم علي (ع) الى نصف السبعين أوزاد، عداعمن شرك في قتلهم، ثم جاء من

---

(١)— راجع: نهج الحق الموجود في ضمن دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٣. ولم يعترض عليه ابن روزبهان بشيء.

(٢)— الارشاد ص ٤٤/٤٣، والبحار ج ١٩ ص ٢٧٧ و ٣١٦ عنه وعن اعلام الورى ص ٥٩/٥٠.

(٣)— المناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٢٠، والبحار ج ١٩ ص ٢٩١.

(٤)— راجع: تفسير القمي ج ١ ص ٢٧١ والبحار ج ١٩ ص ٢٤٠ عن مجمع البيان.

(٥)— لباب الآداب ص ١٧٣.

(٦)— نورالأبصار ص ٨٦.

(٧)— مغازي الواقدي ج ١ ص ١٤٧—١٥٢.

(٨)— راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٥—٣٧٢ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٠٨—٢١٢.

(٩)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٢ وابن هشام والواقدي وغيرهم...

بعدهم فذكروا من عدّوهم في ضمن الخمسين، واعتبروهم الجميع... ويلاحظ: أن البعض يعرف ممن قتلهم علي عليه السلام أشخاصاً، لايعرفهم البعض الآخر، وبالعكس... وذلك يؤيد صحة ماذكره الشيخ المفيد وغيره ويؤكده...

وعلى كل حال... فقد كان ممن قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام في بدر: طعيمة بن عدي، وأبوحذيفة بن أبي سفيان، والعاص بن سعيد بن العاص، الذي أحجم الناس عنه، ونوفل بن خويلد، وكان من شياطين قريش. والعاص بن هشام بن المغيرة(١).

رواية مكذوبة:

وزعم البعض أن عمر بن الخطاب هوالذي قتل العاص بن هشام بن المغيرة(٢)... ويروون: أن عمر قد قال لسعيد بن العاص: إنه ماقتل أباه، وانما قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة(٣).

وهوكلام مشكوك فيه:

فإن العاص هذا ليس خالاً لعمر؛ لأن حنتمة لم تكن بنت هشام بن المغيرة، وانما هي بنت هاشم بن المغيرة، وقد غلّط العلماء من قال: إنها بنت هشام(٤)...

وقال ابن حزم: إن هاشماً لم يعقب سوى حنتمة(٥).

وقال ابن قتيبة: «وأم عمر بن الخطاب حنتمة بنت هاشم بن

---

(١)— المنمق ص ٤٥٦، والأغاني ط ساسي ج ٣ ص ١٠٠.

(٢)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٦٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٥ وراجع نسب قريش لمصعب ص ٣٠١.

(٣)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٩٢، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨٩، ونسب قريش لمصعب ص ١٧٦، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٠، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨١، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣ والاصابة، والاستيعاب.

(٤)— تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ١٩.

(٥)— جمهرة أنساب العرب ص ١٤٤.

المغيرة، ابنة عم ابيه(١)».

بل لقد قيل: إن حنتمة هي بنت سعدبن المغيرة(٢)...

واحتمال البعض ان يكون أراد: أنه قتل هذا الذي من قبيلة أمه، و يعدّ الناس كل افراد قبيلة الأم أخوالاً، كما قال، الشاعر:

ولـو أنـي بـليـت بهاشـمي خـؤولـتـه بـنـي عـبـدالمـدان

هذا الاحتمال خلاف الظاهر المتبادر من كلمة «خالي» فان اطلاق كلمة أخوال على القبيلة لايلزم منه صحة أن يقول: فلان خالي، وهو ليس بخاله حقيقة فيصح قولهم: بنو مخزوم اخوالنا، ولايصح أن يقال: فلان المخزومي خالي، لأن هذا الثاني ينصرف إلى الخؤولة الحقيقية.

بل لقد انكر البعض أن تكون حنتمة مخزومية أصلاً، وقالوا: إن هاشماً وجدها مرمية في الطريق، فأخذها، ورباها، ثم زوجها الخطاب، وانما نسبت إلى هاشم بالتبني والتربية، كما هو عادة العرب(٣).

ماهوالصحيح إذن...

ولعل الأقرب إلى الاعتبار، والمنسجم مع الوقائع والاجواء السياسية والاحداث، هوالرواية التى ذكرها المعتزلي، والشيخ المفيد، وملخصها:

أن عثمان بن عفان، وسعيدبن العاص حضرا عند عمر أيام خلافته؛ فصار عثمان إلى مجلسه الذي يشتهيه، ومال سعيد إلى ناحية، فنظر إليه عمر، وقال:

مالي أراك معرضاً؟ كأني قتلت أباك ؟ إني لم أقتله، ولكن قتله أبوحسن. وفي رواية المفيد، أنه قال: فلما رأيت ذلك (يعني هياجه للحرب)

---

(١)— الشعر والشعراء ص ٣٤٨.

(٢)— تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٢٠.

(٣)— دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٥٦.

هبته وزغت عنه، فقال: الي أين يابن الخطاب، وصمد له علي فتناوله. فوالله مافارقت مكاني حتى قتله...

وكان علي عليه السلام حاضراً، فقال:

اللهم غفراً، ذهب الشرك بمافيه، ومحا الاسلام ماتقدم؛ فمالك تهيج الناس عليّ؟!

فكف عمر. فقال سعيد: أما إنه ماكان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمه علي بن أبي طالب(١)...

فهذه الرواية التي تتضمن نجاة عمر على يد علي، ليس فيها: أنه قتل خاله العاص بن هشام... والذي لم يكن خالاً له— كما قلنا— أو على الأقل يشك كثيراً في ذلك...

وفي هذه الرواية دلالات أخرى لاتخفى، ولاسيما في كلام علي عليه السلام، وسعيد.

اشارة:

و يلاحظ: أن حرب بدر وأحد وغيرها قد أثرت في قلوب القرشيين اثراً بعيداً، حتى: «قيل: كانت قريش إذا رأت أمير المؤمنين في كتيبة تواصت خوفاً منه. ونظر اليه رجل، وقد شق العسكر، فقال: قد علمت ان ملك الموت في الجانب الذي فيه علي»(٢).

قتلى المشركين في القليب:

وأمر رسول الله (ص) بالقليب أن تعوّر، ثم أمر بالقتلى، فطرحوافيها... ثم نادى أهل القليب رجلاً رجلاً: هل وجدتم ماوعدكم ربكم حقاً؛ فإني قد وجدت ماوعد ربي حقاً، بئس القوم كنتم لنبيكم، كذبتموني،

---

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٤٤/١٤٥، والارشاد ص ٤٦.

(٢)— محاضرات الادباء للراغب الاصفهاني ج ٢ ص ١٣٨.

وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس.

فقال عمر: يا رسول الله، أتنادي قوماً قدماتوا؟

فقال (ص): ما أنتم باسمع لما أقول منهم، ولكنهم لايستطيعون أن يجيبوني(١).

وقد انكرت عائشة قول النبي (ص) لقد سمعوا ماقلت. وقالت: إنما قال: لقد علموا. واحتجت لذلك بقوله تعالى: انك لا تسمع الموتى الآية... وبقوله تعالى... ومأأنت بمسمع من في القبور(٢).

وفي البخاري عن قتادة: إن الله رد إليهم أرواحهم فسمعوا. وبهذا أجاب البيهقي(٣).

ونقول: إنه لوثبت ماذكره وصح؛فلامانع من أن يكون معجزة لسيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله الطاهرين...

وأجاب الحلبي: بأنه لامانع من ابقاء السمع على حقيقته، لأنه اذا قوي تعلق أرواحهم بأجسادهم أمكنهم أن يسمعوا بحاسة سمعهم، لبقاء محل تلك الحاسة.

والسماع المنفي في الآيتين هوالسماع النافع، وقد أشار السيوطي إلى ذلك فقال:

سماع موتى كلام الله قاطبة ... جاءت به عندنا الآثار في الكتب
وآية النفي معناها سماع هدى ... لايقبلون ولايصغون للادب

لأنه تعالى شبه الكفار الاحياء بالأموات في القبور في عدم انتفاعهم

---

(١)ـ راجع: فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٤/٢٣٥، وصحيح البخاري هامش الفتح نفس الموضع، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ٢٩، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٣/٣٣٤.

(٢)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢ وليراجع، مسند أحمد ج ٢ ص ٣١ و ٣٨، وغير ذلك.

(٣)ـ راجع: البخاري باب غزوة بدر، وليراجع: كلام المعتزلي في شرح النهج ج ١٤ ص ٢٧٩.

بالاسلام النافع(١).

مهجع سيد الشهداء:

و يقولون: إن مهجع (مولى لعمر) هو أول من خرج بعد أن اصطفت الصفوف، فقتل، فنقل بعض المشايخ: أنه أول من يدعى من شهداء هذه الأمة، وأن النبي (ص) قال يومئذٍ: مهجع سيد الشهداء(٢).

ولكن ذلك مشكوك فيه... اذ :

١ــ لما ذا كان أول من يدعى من شهداء هذه الأمة، ولماذا لايكون ياسر والدعمار أو أمه سمية هما أول من يدعى من شهداء هذه الأمة؟!...

ولماذا لايكون عبيدة بن الحارث، الذي قتل قبل مهجع هو أول من يدعى منهم؟!...

٢ــ قولهم: إنه أول من خرج بعد أن اصطفت الصفوف لايمكن قبوله . فان أول من خرج من المسلمين هم: علي وحمزة وعبيدة بن الحارث...

٣ــ وكيف يمكن الجمع بين كون مهجع هو سيدالشهداء، وروايتهم: ان حمزة هو سيدالشهداء، كما سيأتي في غزوة احد ان شاء الله؟..
و يقولون أيضاً: إن علياً قد ذكر ذلك بقوله: «وحمزة سيدالشهداءعمي»، وفي قوله: «ومنا سيدالشهداء حمزة(٣)».

٤ــ وكيف يجتمع قولهم: بأن أول قتيل من المسلمين هو مهجع، مع قولهم: إن أول قتيل من المسلمين هوعمير بن الحمام(٤)؟!...

---

(١)ــ راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٢.
(٢)ــ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١، وراجع المصنف ج ٥ ص ٣٥١.
(٣)ــ الاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٢٧٣، والاصابة ج ١ ص ٣٥٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١ وترجمة حمزة في كل كتاب رجال...
(٤)ــ الاصابة ج ٣ ص ٣١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٦١.

وحاول الحلبي الجمع: بأن عميراً أول قتيل من الأنصار، وذاك أول قتيل من المهاجرين. ثم أجاب عن هذا بأن أول قتيل من الأنصار هو حارثة بن قيس... ثم رده بأن حارثة كان أول قتيل بسهم لم يدر راميه(١).

ولكن من الواضح: أن ذلك ليس إلا تلاعباً بالالفاظ... فانه إذا قيل: فلان أول قتيل من المسلمين، أو في بدر، لاينظر في ذلك الى آلة قتله أو بلده، أونسبه... وإلالقال أول قتيل من المهاجرين مثلاً، أومن الانصار، أوبسهم، أو نحو ذلك...

ذوالشمالين:

واستشهد في بدر ذوالشمالين (سمي بذلك لأنه كان يعمل بيديه جميعاً): عمير بن عبد عمرو بن نضلة، بن عمرو بن غبشان(٢) وتذكرهنا قضية سهو النبي، وحيث إن الكلام فيها يطول، فنحن نرجئ، الكلام عنها إلى الفصل الآتي بعد وقعة بدر بعنوان: بحوث ليست غريبة السيرة... فإلى هناك...

وقبل المضي في الحديث عن الاسرى والغنائم، وغير ذلك من موضوعات، نودأن نشير إلى الملاحظات التالية...

الف: اهتمام علي برسول الله في بدر:

عن علي عليه السلام قال: لما كان يوم بدر قاتلت شيئاً من قتال، ثم جئت مسرعاً لانظر إلى رسول الله (ص) مافعل. قال: فجئت، فاذا هو ساجد يقول: ياحي ياقيوم، ياحي ياقيوم، لايزيد عليها. فرجعت إلى القتال. ثم جئت، وهو ساجد يقول ذلك أيضاً... فذهبت إلى القتال، ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، حتى فتح الله عليه(٣).

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١.

(٢)— راجع: سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٧، والطبري في ذيل تاريخه ص ١٥٧، والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٤٩١، ونسب قريش لمصعب الزبيري، ص ٣٩٤، والاصابة ج ١ ص ٤٨٦ وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١١٩.

(٣)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٥ و ٢٧٦ عن البيهقي وعن النسائي في اليوم والليلة، وحياة ←

ولايعني ذلك: انه لم يشارك في القتال في بدر أصلا، فلعله شارك فيه في مراحله الأولى، حيث لابد من تشجيع المسلمين، وتقوية قلوبهم، حتى إذا تحقق له (ص) هذا الهدف انصرف إلى الابتهال والدعاء.

و يلاحظ هنا:

١ــ ان علياً عليه السلام يتعاهد النبي (ص) باستمرار، ولايغفل عنه لحظة واحدة، حتى في هذا الموقف، الذي تبلغ فيه القلوب الحناجر، وتزيغ الأبصار...

كما و يلاحظ: أنه (ع) كان باستمرار يتعاهد النبي (ص)، و يأخذ على عاتقه عهدة حفظه وحراسته، فقد:

قال يحيى: حدثنا موسى بن سلمة، قال: سألت جعفر بن عبدالله بن الحسين عن اسطوان علي بن أبي طالب. فقال: إن هذه المحرس كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر، ممايلي باب رسول الله (ص) يحرس النبي (ص)(١). وذكر السمهودي هذه الاسطوان في كتابه باسم «اسطوان المحرس».

٢ــ يلاحظ: مدى اهتمام الرسول (ص) في هذه اللحظات الحرجة بالدعاء، والاتصال بالمبدأ الأعلى، مصدر القوة والفتح والظفر... يتصل به ليهبهم اليقين، والصبر، وليشملهم بعناياته والطافه... فبدون ذلك لايمكن النصر، ولاقيمة للظفر...

٣ــ كما أننا نجد أميرالمؤمنين عليه السلام، رغم أنه كان اكثر الناس عناء في هذه الحرب، وهوالذي قتل نصف السبعين، وشارك في النصف الآخر ــ نجده ــ ينسب الفتح والظفر إلى النبي الاعظم صلى الله عليه وآله

الصحابة ج ١ ص ٥٠٢ عنه وعن كنزالعمال ج ٥ ص ٢٦٧ عن الحاكم، والبزار، وأبي يعلى، والفريابي.

(١)ــ وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٤٨.

وسلم، ولايرى له، ولا لغيره أثراً يستحق الذكر في هذا المجال...

باء: الحرب مصيرية:

لقد كان كل من الفريقين يعتبر: أن هذه الحرب مصيرية بالنسبة إليه... فالمسلمون يعتبرون: أنهم إن غلبوا فلن يعبدالله في الأرض بعد... والمشركون أيضاً يريدون أن يأخذوا المهاجرين أخذا ليعرفوهم ضلالتهم وان يجزروا اهل يثرب جزراً، حتى لايتجرؤاعلى ممالأة عدولهم ابداً، حتى لايستطيع أحد أن يعترض طريق تجارتهم... وحتى تهابهم العرب... نعم هذا هوالمهم لدى جماعة متهالكة على المال والجاه... ولأجل ذلك بالذات آذوا النبي (ص) ومن معه، وأخرجوهم، وحاربوهم... وهم أبناؤهم، وإخوانهم وآباؤهم، وذو واقرابتهم...

نعم... لقد كان حب الدنيا بالنسبة إليهم هو كل شيئ، وليس قبله ولا بعده شيئ، وهوالذي دفعهم لارتكاب تلك الجرائم والموبقات تجاه ذويهم: من التعذيب، والسخرية، ثم اخذ الأموال، والاخراج من الديار... ثم الحرب العوان لجذ أصلهم، واستئصال شأفتهم...

جيم: الهزيمة، وعدم تكافؤ القوى، والامداد بالملائكة

قد يحدث أن يغلب جيش قليل العدد نسبياً جيشاً اكثر عدداً، وذلك حينما تكون ثمة امتيازات في هذه القلة تفقدها تلك الكثرة، كالتسلح، او الانضباطية، اوالبراعة، أوكونها تملك خطة حربية معينة.

ولكن الأمر كان بين المسلمين والمشركين بالعكس تماماً... فالتجربة الحربية، والكثرة، والسلاح، والعدة وغير ذلك كله كان في جانب المشركين، مع عدم وجود خطة حربية معينة، لدى المسلمين، و إنما هم يواجهون حرباً فرضها عليهم عدوهم في الزمان والمكان الذي أراد...

مع وجود امتيازات لصالح المشركين حتى في هذه الناحية ايضاً.

أما أسلوب الحرب... فلا جديد فيه... و إنما على كل من الفريقين

أن يعتمد الاساليب المعروفة... وفي قريش مشاهير فرسان العرب... الذين امتازوا في الحروب التقليدية بخبرتهم وبعد صيتهم...

ولكن النتائج التي تمخضت عنها هذه الحرب، لا تتلاءم مع تلك العدة وذلك العدد، ولامع الامتيازات التي كان يتمتع بها أحدالفريقين دون الآخر.

فقد كانت خسائر المشركين أضعاف خسائر المسلمين... وماهو وجه النسبة بين ثمانية إلى أربعة عشر شهيداً من المسلمين... وبين سبعين قتيلاً وسبعين أسيراً من المشركين؟!... مع أن كل الامتيازات كانت في جانب هؤلاء على أولئك...

وما هوالسر، وماهو السبب ياترى؟!..

والجواب: ان الله تعالى قد قال: «إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم، ولتنازعتم في الأمر، ولكن الله سلم، إنه عليم بذات الصدور. و إذ يريكموهم إذا التقيتم في أعينكم قليلاً، و يقللكم في أعينهم، ليقضي الله أمراً كان مفعولاً(١)».

وقال تعالى: «و إذ زين لهم الشيطان أعمالهم، وقال: لاغالب لكم اليوم من الناس، و إني جارلكم(٢)».

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «نصرت بالرعب، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً(٣)».

ونستنتج من ذلك: أنه قد كان ثمة الطاف وعنايات، بل وخطة إلهية، تتلخص في:

١ً- تقوية قلوب المسلمين بما في ذلك اسلوب التقليل والتكثير المشار إليه في الآيات الشريفة...

---

(١)- الانفال ٤٣/٤٤. (٢)- الانفال ٤٨. (٣)- سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٣٣.

٢ً- ما أمدهم الله به من الملائكة.

٣ً- إلقاء الرعب في قلوب أعدائهم...

بيان ذلك : أن هدف كل من المتحاربين هوالذي يعين نتيجة الحرب، ومصيرها، على صعيد الخسائر المادية والبشرية، وحتى على صعيد التأثير في حركة التاريخ، من جميع الجهات، وعلى مختلف المستويات...

وقد بيّنا مراراً وتكراراً: أن هدف المشركين من الحرب هوالحصول على الحياة التي يريدون، وعلى الامتيازات التي يتوقعون أن يجدوا فيها مايحقق آمالهم العراض بالرفاهية والزعامة والسيادة...

و إذا كانوا يحاربون من أجل الحياة الدنيا... فكيف يمكن أن يضحوا بحياتهم... إن ذلك ليس الإنقضاً للغرض، وتضييعاً للهدف...

و يدلنا على هذا المعنى، انهم يذكرون: إنه لما رأى طليحة بن خويلد كثرة انهزام أصحابه قال: و يحكم مايهزمكم؟! قال رجل منهم: وأنا أحدثك مايهزمنا: إنه ليس منا رجل إلا وهو يحب أن يموت صاحبه قبله، و إنا لنأتي قوماً كلهم يحب أن يموت قبل صاحبه(١)».

ولما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال: «لوكان ابن صفية يعلم: أنه على حق ماولى الخ(٢)».

و يقول حميد الطوسى، أحد اكابر قواد المأمون: «إننا قد أيسنا من الآخرة. و إنما هي الدنيا؛ فلانحتمل والله لأحد تنغيصها علينا(٣)».

أما هدف المسلمين أو بالأحرى بعضهم، وهم الذين جزروا قريشاً جزراً، كعلي وحمزة وأمثالهما ممن كان لهم نكاية في العدو... فقد كان هوالفوز الأخروي، و يعتبرون أنهم إنما يقدمون على احدى

---

(١)- سنن البيهقي ج ٨ ص ١٧٦، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٧٧٠ عنه.

(٢)- مصنف عبدالرزاق ج ١١ ص ٢٤١، وهذا يؤيد أنه قتل وهو منهزم، كما يصرح به البعض.

(٣)- نشوار المحاضرات ج ٣ ص ١٠٠.

الحسنيين: النصر وهو فوز أخروى ودنيوى، أوالشهادة، وهي فوز أيضاً حتى دنيوياً...

و إذا كانوا يعدون الموت فوزاً كالنصر العسكري، و إذا كانوا يعتبرون فرارهم خذلاناً ووبالاً ودماراً وموتاً لهم، بل وشراً من الموت، حتى ولو أدى إلى حفظ حياتهم، وكانت في المستوى الأعلى من الرفاهية والراحة الجسدية والنعيم الدنيوي، لأنها سوف يعقبها الدمار في الآخرة والعذاب الأليم... فان حياتهم هذه تكون مرفوضة عندهم، ولايريدونها، بل هم يكرهونها ويهربون منها اكثر مما يكره المشركون الموت، ويهربون منه...

كما عبر عنه ذلك الرجل لطليحة بن خويلد كما قد منا...

و يذكر أيضاً: انه لماسمع عمير بن الحمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعدمن يستشهد بالجنة،وبيد عمير تمرات يأكلهن،قال: بخ بخ، مابيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء، أوقال: لئن حييت حتى آكل تمراتي، إنها لحياة طويلة. ثم رمى التمرات من يده، وقاتل حتى قتل(١)...

ومن هنا...فقدكان طعم الموت لدى أصحاب الحسين عليه السلام أحلى من العسل، كما هومعروف... بل وحتى الامهات كن إذا علمن بأن ولدهن في الجنة لم يجدن ألم المصاب،بل وربما فرحن لاستشهاد ابنائهن...وحين قتل حارثة بن سراقة بسهم غرب، قالت أمه: «يا رسول الله، أخبرني عن حارثة؛ فان كان في الجنة صبرت، و إلا فليرنّ الله ما أصنع، يعني من النياح. (وفي رواية: و إن كان غير ذلك اجتهدت عليه بالبكاء وفي رواية: لم أبك ولم أحزن، و إن يكن في النار بكيت ماعشت في الدنيا)...

وفي رواية: إنه (ص) لما اخبرها: أن ولدها في الجنان رجعت وهي

---

(١)— راجع: الكامل لابن الأثيرج ٢ ص ١٢٦، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٠، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧٩، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٧ عن مسلم وأحمد، وسنن البيهقي ج ٩ ص ٩٩، والحاكم مختصراً ج ٣ ص ٤٢٦ وحياة الصحابه ج ١ ص ٤٢٤ عن بعض من تقدم.

تضحك وتقول: بخ بخ يا حارث(١).

كما أن عمير بن أبي وقاص الذي استشهد يوم بدر، حينما أراد (ص) أن يخلفه بكى(٢) فاجازه وأمثال ذلك كثير.

وتقول هند بنت عتبة لرملة بنت شيبة، وكانت من المهاجرات:

لحى الرحمان صابئة بوج ومكة أو بأطراف الحجون
تدين لمعشر قتلوا أباها أقتل أبيك جاءك باليقين(٣)

وأمثال ذلك كثير لامجال لتتبعه واستقصائه...

ومن كل ماقدمناه يتجلى مدى حرص هؤلاء على الموت أوالنصر، وحرص أولئك على الحياة... فالمسلمون يرون الموت انتقالاً، والشهادة عطاء وأولئك يرون الموت خسراناً، والموت فناء ودماراً...

وقد تحدث الله عن بني اسرائيل الذين يهتمون بالدنيا: وليس للاخرة مكان في تفكيرهم، وحتى في عقائدهم، فقال: «قل: إن كانت لكم الدار الآخرة عندالله خالصة، من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين. ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم، والله عليم بالظالمين. ولتجدنهم أحرص الناس على حياة، ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة، وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر، والله بصير بما يعملون(٤)».

ومن كل ذلك يتجلى مدى حرص هؤلاء على الموت أوالنصر، وحرص أولئك على الحياة والسلامة...

---

(١)— راجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٠٨، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٤ عن الشيخين، وسنن البيهقي ج ٩ ص ١٦٧ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٥٢—٦٥٣ عنهم وعن كنزالعمال ج ٥ ص ٢٧٣ و ٢٧٥ وج ٧ ص ٧٦ وعن ابن سعد ج ٣ ص ٦٨.

(٢)— نسب قريش لمصعب الزبيري ٢٦٣، والاصابة ج ٣ ص ٣٥ عن الحاكم والبغوي، وابن سعد، والواقدي.

(٣)— نسب قريش لمصعب ص ١٥٦ والاصابة ج ٤ ص ٣٠٧.

(٤)— البقرة ٩٤—٩٦.

ولذلك ... احتاجت الحرب الى: أن يريهم الله في بادئ الأمر المسلمين قليلاً؛ ليتشجعوا على خوض الحرب براحة فكر واطمينان إلى السلامة والبقاء...

ثم... وبعد نشوب الحرب كان لابد وأن يروا المسلمين كثيراً؛ فأمد الله المسلمين بالملائكة، وكثرهم بهم، والقى في قلوب المشركين الرعب... وقد أخبر الله عن هذه المرحلة التي سوف تأتي بعد نشوب الحرب بقوله: «سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان(١)». وواضح: أن القضاء على الجبان الخائف مهما كان قوياً أيسر، وأسهل من القضاء على الضعيف المقدام، الذي لايبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه...

ومن هنا فقد كانت المعركة لصالح هؤلاء دون أولئك ، الذين لايمكنهم إلا أن يتجنبوا مواجهة الأبطال، وملاقات الرجال...

فالمسلمون والمشركون أنفسهم كانوا على المشركين... وهذا مايفسر قول أمير المؤمنين عليه السلام: «مالقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه(٢)».

وكان لإمداد المسلمين بالملائكة ناحية أخرى لابد من ملاحظتها، فانه حين يكون من الممكن أن لا تكون درجة المعرفة واليقين قد بلغت لدى بعض المسلمين المستويات العالية... وحين يكون احتمال الانهيار لدى البعض، أوعلى الأقل أن يضعفوا عن مواجهة هذه النازلة... موجوداً... فان الله يلطف بالمسلمين، ويمدهم بالملائكة بشرى منه، وتثبيتاً، و يقلل المشركين في أعينهم في بادئ الأمر، ليتشجعوا على حربهم... إلى غير ذلك من أسباب النصر التي تفضل عليهم بها...

ومن هنا أيضاً... نعرف لماذا كانت القتلى في جانب المشركين أضعاف الشهداء في جانب المسلمين، وأسر من المشركين سبعون، ولم يؤسر من

---

(١)ـ الانفال ١٢.

(٢)ـ نهج البلاغة/الحكم رقم: ٣١٨.

المسلمين أحد... وهذه النتائج لاتختص ببدر، و إنما تشمل كل المعارك التي كانت بين الايمان والكفر... وماحديث كربلاء عن أذهاننا ببعيد...

دال: حقد قريش على الأنصار:

١ــ لقد اتضح من كلمات أبي جهل المتقدمة: أن قريشاً كانت تتعمد الحاق اكبر عدد ممكن من الخسائر في صفوف الأنصار، حتى لقد أمر أبوجهل أصحابه بأن يجزروا أهل يثرب جزراً. ولكن موقفهم بالنسبة للقرشيين كان مختلفاً، فقد طلب أبوجهل: أن يأخذوهم أخذاً، ليدخولهم مكة، و يعرفوهم ضلالتهم... ولعل موقفهم هذا من القرشيين يرجع إلى رغبتهم في الحفاظ على علاقاتهم فيما بينهم، لأن كل قرشي من المسلمين له أقارب وعشيرة في مكة، ولن يرتاح هؤلاء لقتل ابنائهم، حتى و إن كانوا يخالفونهم في العقيدة والرأي... وهذا هو المنطق القبلي الذي كان يسيطر على عقليات المشركين، و يحكم تصرفاتهم، ومواقفهم حتى في هذه الظروف الدقيقه والحرجة بالذات...

٢ــ وأما بالنسبة إلى أهل يثرب فقد كان الحال مختلفاً تماماً... فقد كانت مراجل حقد قريش في أشد الغليان على أهل يثرب، الذين آووا و نصروا. وقد عبر أبوجهل عن ذلك لسعدبن معاذ في فترة سابقة، وها هو يعود فيامر بجزر أهل يثرب جزراً...

ولقد استمر هذا الحقد عشرات السنين، وقد اكده وزاده حدة: معارضة الأنصار في الخلافة في قصة السقيفة، ثم كونهم إلى علي عليه السلام أميل، وقد ناصروه في حروبه، التي تزعمت قريش الجانب الآخر منها(١) حتى لقد قال معاوية في صفين لنعمان‌بن بشير، ومسلمة بن مخلد: «ولقد غمني مالقيت من الأوس والخزرج، واضعي سيوفهم على عواتقهم، يدعون إلى النزال، حتى لقد جبنوا من أصحابي الشجاع، وحتى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلا قيل: قتله الأنصار، أم والله لالقينهم بحدي وحديدي(٢)...

---

(١)ــ راجع المصنف ج ٥ ص ٤٥٦/٤٥٨ وغير ذلك.

(٢)ــ شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٨٤/٨٥ وراجع ص ٨٧ و ٤٤.

إلى آخر الكلام.

و يقول النعمان بن بشير، في كلام له مع الأنصار: «ثم لم ينزل خطب قط إلا هونتم عليه المصيبة(١)».

ثم كان موقف الانصار تجاه شيخ بنى أمية عثمان بن عفان ومشاركتهم بشكل فعال في الثورة ضده، فزاد ذلك في حقد قريش عليهم وتمالؤها ضدهم، حتى ليقول معاوية، و إن كان ذلك لاهداف سياسية لاتخفى:

لاتحسبوا أنني انسى مصيبته وفي البلاد من الأنصار من أحد(٢)

وقد عمق معاوية هذا الحقدما استطاع الى ذلك سبيلاً، ثم جاء بعده يزيد فانتقم منهم في واقعة الحرة شر انتقام بعد أن قتل أهل بيت نبيهم في كربلاء...

وأخيراً... فقد روى أحمد حديث ابن عمر: الذي يقدم فيه اهل بدر من المهاجرين على أهل بدر من الأنصار(٣).

وقد تقدم جانب مما يتعلق بهذا الموضوع حين الكلام عن سر ارسال المهاجرين في السرايا في أول الأمر؛ فلاغنى لمن أراد استكمال هذا البحث عن مراجعة ذلك الموضع...

٣— ومن الجهة الثانية... فان قريشاً تريد أن تلقن الأنصار في حرب بدر درساً لن ينسوه، حتى لايعود والمثلها من الممالأة لأعداء قريش، إلى حدأنهم مكنوا للمسلمين: أن يبلغوا هذا القدر من القدرة والشوكة... حتى لقد طلب أبوجهل— الذي كان يثق أولاً بالنصر—: أن لايفلت من أيدى أهل مكة أحد من اليثربيين.

---

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ٨ ص ٨٨.

(٢)— شرح النهج ج ٨ ص ٤٤.

(٣)— مناقب الامام أحمد ص ٢٣٥.

أضف إلى ذلك كله: أن أهل المدينة كانوا قحطانيين، أما أهل مكة فعدنانيون.

لماذا أهل بيته أولاً:

ولعل كل ماقدمناه آنفاً وسواه هوالسر في تقديمه(ص) أهل بيته في الحرب؛لتكون التضحيات منه وفي نفسه اكثر، وذلك حفاظاً على مستقبل الأنصار، وليخفف من حدة أحقاد أعدائهم عليهم، والتي سوف تؤثر في المستقبل أثرها المرير والبغيض...

هاء: بدر... واثرها على علي (ع) وأهل بيته:

و يلاحظ هنا: أن اكثر قتلى المشركين كانت نهايتهم على أيدى المهاجرين، ولاسيما أميرالمؤمنين عليه السلام— ثم عمه حمزة—، فقد قدمنا: أن علياً(ع) قد قتل نصف السبعين وشارك في النصف الآخر...

ومن هنا نجد قريشاً لم تستطع أن تحب علياً واهل بيته، رغم أنها تتظاهر بالاسلام، وتحاول الحصول على الامتيازات عن طريقه، ورغم النصوص القرآنية والنبوية الآمرة بمحبتهم ومودتهم...

وقد أخرج الحاكم أن العباس جاء إلى رسول الله(ص)، وهو مغضب، فقال: ماشأنك؟ فقال: يا رسول الله، مالنا ولقريش؟. فقال: مالك ولهم؟ قال: يلقى بعضهم بعضاً بوجوه مشرقة، فإذا لقونا لقونا بغير ذلك. قال: فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى استدر عرق بين عينيه، فلما أسفر عنه، قال: والذي نفس محمد بيده، لايدخل قلب امرء الايمان حتى يحبكم لله ولرسوله إلخ(١)...

ولقد شكى أميرالمؤمنين عليه السلام من قريش: أنهم قطعوا رحمه

---

(١)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣٣ وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وراجع مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٦٩، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عمن تقدم...

ومالأوا عليه عدوه(١)— كما سنشير إليه في واقعة أحد إن شاء الله تعالى...

وعن ابن عباس: قال عثمان لعلي: «ما ذنبي إذالم يحبك قريش، وقد قتلت منهم سبعين رجلاً كأن وجوههم سيوف الذهب(٢)».

هذا... وقد ظل الأحلاف يتحينون الفرص للأخذ بثارات بدر وأحد، وغيرهما... وقدفشلوافي حرب الجمل وصفين... إلى أن سنحت لهم الفرصة— بزعمهم— في واقعة كربلاء المشهورة، ثم ما أعقبها من ظلم واضطهاد لاهل البيت وشيعتهم...

ونجد أن يزيد الطاغية لم يستطع أن يخفي دوافعه وكفره، وأنه يريد الثأر لاشياخه في بدر، فتمثل بأبيات ابن الزبعرى. واضاف إليها إنكاره الوحي والنبوة فقال:

وهو ينكت ثنايا سيد شباب أهل الجنة بالقضيب:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا: يايزيد لاتشل
قد قتلنا القرم من أشياخهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل...
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولاوحي نزل...
لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ماكان فعل...

وليراجع ماقاله قتادة لخالد القسري حول بدر(٣)... وقتادة من اكابر محدثي البصرة، وهو مشهور ومعروف.

---

(١)— و إذا كانت الضربات متوجهة إلى القائد المعصوم؛ فانه يستطيع أن يتحمل، وأن يصمد، و يواجهها بالحكمة والروية وبما أوتيه من علم وعقل وصبر... أما غيره فلربما يصعب عليه تحمل الصعاب، أو اتخاذ الموقف المناسب لتجاوزها... ولأجل هذا نجد النبي (ص) كان يؤثر أن يكون علي(ع) هوالمتعرض لقريش دون غيره...

(٢)— معرفة الصحابة لأبي نعيم الورق ٢٢ مخطوط في مكتبة طوب قپوسراي رقم ٤٩٧/١ ، و شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ٢٢.

(٣)— البحار ج ١٩ ص ٢٩٨—٣٠٠، وروضة الكافي ص ١١١—١١٣.

الشهداء من الانصار

ومع أن المهاجرين كانوا يمثلون خمس أوربع الجيش الاسلامي في بدر إلا أن الشهداء من المهاجرين كانوا بالنسبة إلى شهداء الأنصار بنسبة واحد إلى اقل من اثنين أوثلاثة على اختلاف النقل، مع أن الامر كان يجب أن يكون اكثر من ذلك بكثير إذا لوحظت الكمية العددية...

كلام هام للعلامة الطباطبائي:

وللعلامة الطباطبائي كلام هام يرتبط فيما نحن فيه، لابأس بإيراد موجز عنه هنا، وهو:

قال تعالى: «يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين، و إن يكن منكم مئة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ذلك بأنهم قوم لايفقهون.

الآن خفف الله عنكم، وعلم أن فيكم ضعفاً؛ فان يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين، و إن يكن منكم الف يغلبوا ألفين باذن الله، والله مع الصابرين... ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض،تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم(١)».

فعلل تعالى غلبة العشرين على المئتين بأن المئتين لايفقهون، أي ولأن العشرين يفقهون.

وذلك لأن المؤمنين إنما يقدمون عن ايمان بالله تعالى، وهذا الايمان قوة لاتدانيها قوة،لانه قائم على الفقه الصحيح، الموجب لتحليهم بكل السجايا الفاضلة،كالشجاعة والشهامة، والجرأة، والاستقامة، والوقار، والطمأنينة،والثقة به تعالى،واليقين بانه مقدم على احدى الحسنيين: النصر

---

(١)- الانفال ٦٥-٦٧.

أوالشهادة. و بأن الموت ليس فناء كما يعتقد الكفار، و إنما هو السعادة، والانتقال إلى دارالبقاء...

أما الكفار: فيعتمدون على تسويل الشيطان، وهوى النفس... ولا تثبت النفس على هواها الى حد تقبّل الموت الا فيما ندر...

ففقه المؤمنين، ومعه العلم والايمان، هوالسر في انتصارهم في بدر، وجهل الكفار ومعه الكفر والهوى هوالموجب لانهزامهم...

وأما بعد ذلك ... وحيث زاد عدد المسلمين. فقد ضعفوا في القوة الروحية، بسبب قلة نسبة الفقه المشار إليه في الآية الاولى بقوله تعالى: «ذلك بأنهم قوم لايفقهون» وقلة الصبر المشار إليه في الآية الثانية بقوله تعالى: «والله مع الصابرين».

وسبب هذا الضعف هو: أن كل جماعة أو فئة تسعى للوصول إلى هدف حيوي: دنيوياً كان أودينياً. فانها في بادئ الأمر تشعر بالموانع وتواجه المحن التي ترى أنها تهدد وجودها و بنيتها، فتستيقظ هممها الدافعة للجهاد في سبيل هدفها المشروع عندها، ويهون عليها بذل أنفسها وأموالها في سبيله...

فاذا جاهدت وتقدمت نحو غاياتها، وصفالها الجو بعض الصفاء، وكثر جمعها، فانها تبدأ بالاستفادة من نتائج تضحياتها، وتتنعم وترتاح وتطمئن لجنى ثمرات مابذلته وقدمته...

وتبدأ قواها الروحية المحركة بالخمود...

وواضح: أنه مهما قلت أفراد تلك الجماعة، أو ذلك المجتمع، فانهم ولاشك يكونون متفاوتين في درجات ايمانهم بهدفهم، وفي مستوى تفكيرهم ووعيهم. وفي سجاياهم بشكل عام.... وكلما كثر افراده كلما زاد فيهم ضعفاء الإيمان والمنافقون، والذين في قلوبهم مرض، و يتدنى مستوى القوى الروحية في متوسط الأفراد عموماً...

وقد اثبتت التجربة... أنه كلما قلت أفراد الجماعة وقوي خصومها

ومنا فسوها؛ وأحاطت بها المحن والفتن، فانها تكون اكثر نشاطاً في العمل، وأحد في الأثر...

وكلما كثر افرادها، فانها تصير اكثر خموداً، وأقل تيقظاً، وأسفه حلماً...

وغزوات النبي (ص) خير شاهد على مانقول. فليقارن بين عدة وعدد، وظروف وحالة المسلمين في غزوة بدر... و بين عدتهم وعددهم، وظروفهم في غيرها، وليلاحظ بين نتائجها، ونتائج غيرها، كأحد، والخندق، وخيبر، وحنين، وهي أقساها، حتى لقد قال تعالى: «و يوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً، وضاقت عليكم الارض بما رحبت، ثم وليتم مدبر ين... الايات(١)».

وهكذا... فانه يتضح مفاد الآيات التي نحن بصددها ولربما يشير إلى ذلك أيضاً الآية الثالثة المتقدمة التي اشارت إلى أنهم رغبوا في الاسرى لأنهم ير يدون عرض الدنيا...

هذا... و إذا كانت الآيتان الأوليان متضمنتين لبيان طبع القوى الروحية في زمانين مختلفين، فلامانع من نزول الآيتين دفعة واحدة، فان وجود حكمين مختلفين في زمانين لايوجب نزول الآية المتضمنة لاحدهما في زمان والمتضمنة وللاخر في زمان آخر. إذا كان ذلك الحكم حكما طبعيا وليس حكماً تكليفياً...

ثم ذكر أيده الله: أن ظاهر التعليل في الآية الاولى بالفقه، وفي الثانية بالصبر مع كون المقاتل مؤمناً في الآيتين، يدل على أن الصبر يرجح الواحد في قوة الروح على مثليه، والفقه يرجحه على خمسة أمثاله... فاذا اجتمعا في واحد ترجح على عشرة أمثال نفسه(٢) والصبر لايفارق الفقه وان جازالعكس(٣).

---

(١)ـ التوبة الآية ٢٥.

(٢)ـ مقتضى كلامه: أنهما لو اجتمعا رجح على سبعة امثال نفسه... ولكن ظاهر الآيتين: أن الفقه يرجحه على عشرة أمثال نفسه، لأن بالفقه يحصل الصبر، وسائر السجايا... والصبر ير جحه على مثليه...

(٣)ـ راجع: الميزان للعلامة الطباطبائي ج ٩ ص ١٢٢ـ١٢٥.

الفصل الثالث

الغنائم والاسرى

قسمة الغنائم:

وغنم المسلمون من المشركين مئة وخمسين من الابل، وعشرة أفراس، وعند ابن الأثير: ثلاثين فرساً، ومتاعاً وسلاحاً، وانطاعاً، وادماً كثيراً(١).

واختلف المسلمون في هذه الغنائم: هل تختص بالمهاجمين، أوتتعداهم إلى من كان خلفهم من الجيش يقوم بمهمات أخرى... فأرجأ النبي (ص) تقسيم الغنائم بسبب هذا الخلاف وجمع الغنائم، وسلمها لعبدالله بن كعب، وأمرهم بمعاونته في حملها وحفظها، ونزل قوله تعالى— كما يقال—:

«يسألونك عن الانفال، قل: الانفال لله وللرسول؛ فاتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين(٢)»...

هذا... ولم يقسم رسول الله (ص) الغنائم إلا وهو في طريقة إلى المدينة، وذلك من أجل أن تخف حدة الخلاف فيمابين أصحابه، وتعود إليهم حالتهم الطبيعية، بعيداً عن نزوات آمالهم الدنيوية...

فقسمها بينهم آنئذٍ، ولم يخرج منها الخمس...

---

(١)— راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٢ و ١٠٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٣ والكامل لابن الاثيرج ٢ ص ١١٨.

(٢)— الانفال الآية ١.

النبي (ص) لم يأخذ الخمس في بدر:

وأما لماذا لم يأخذ النبي(ص) الخمس من غنائم بدر؟

فيمكن أن يكون لأجل أن آية الخمس لم تكن قد نزلت بعد، مما يعني: أن تشريع الخمس قد تأخر عن غزوة بدر.. ونجد هنا من يقول: إن أول خمس خمسه كان في غزوة بني قينقاع(١).

ولكننا لانستطيع أن نطمئن إلى صحة ذلك ؛ وذلك لأن بعض النصوص تفيد: أن أول خمس أخذه(ص) كان في سرية عبدالله بن جحش أي قبل بدر بأشهر..

بل نجد أن ابن عساكر يذكر في حديث مناشدة علي عليه السلام لاصحاب الشورى قوله: «نشدتكم بالله، أفيكم أحد كان يأخذ الخمس مع النبي(ص) قبل أن يؤمن أحد من قرابته غيري وغير فاطمة؟. قالوا: اللهم لا(٢)».

فهذا النص يدل على أن تشريع الخمس كان في مكة في بدء الدعوة، وحتى قبل أن يسلم أحد من أهل بيته..

ولكن في هذا النص اشكال، وهو أن جعفراً قد اسلم في بدء الدعوة أيضاً وحمزة قد اسلم في حدود السنة الرابعة أو الخامسة، وكذلك أبوطالب... أي قبل ولادة فاطمة صلوات الله وسلامه عليها...

ويمكن أن يجاب عن ذلك:

أولاً: إن أباطالب لم يكن ثمة بحاجة للمال... وكذلك النبي (ص)

---

(١)— الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢١١.

(٢)— ترجمة الامام علي(ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٩٠ وراجع ص ٩٥ وراجع مناقب الخوارزمي ص ٢٢٥، وفرائد السمطين ج ١ ص ٣٢٢. وفي هامش ترجمة الامام علي ج ٣ ص ٨٨/٨٩ مصادر كثيرة لحديث المناشدة.

وخديجة... وقد كانوا في الشعب ينفقون من أموال خديجة وأبي طالب كما تقدم...

وأما جعفر... فلم يعلم: أنه كان يستحق من الخمس، فلعله كان ملياً من المال... وكذا حمزة...

وثانياً: يمكن أن يكون الخمس قد شرع في بدء البعثة، وقبل أن يسلم أحد، من أهل بيته(ص) فخمست خديجة أموالها؛ فنال علياً من ذلك مانالاه... وبعد أن ولدت فاطمة... صارت تشاطر علياً في الخمس...

ولايلزم من ذلك النص أن تكون فاطمة قد ولدت في أول البعثة، أوقبلها، كما ربما يتوهم...

ويمكن أن يكون (ص) لم يأخذ الخمس في بدر، لأنه أراد— باذن من الله، وسماحة من نفسه، ومن أولى القربى—:أن يعطي المحاربين سهاماً أوفر، تأليفاً لهم وترغيباً،خصوصاً وانها أول حرب يخوضونها ضد المشركين... ولاسيما بعد أن رأى حرصهم على الحصول على المال في هذه المناسبة بالذات، كما أشرنا إليه، و يتضح ذلك أكثر حين الحديث عن الاسرى...

النبي يردّ الخمس على أصحابه باستمرار:

بل يقولون: إنه(ص) لم يأخذ الخمس من الغنائم مطلقاً، بل كان يردّه على أصحابه، فقد جاء.

١ً— في قصة حنين: «ثم تناول (أي النبي(ص)) من الارض وبرة من بعير، أو شيئاً، ثم قال: والذي نفسي بيده، مالي مما أفاء الله عليكم ولامثل هذه إلا الخمس، وهو مردود عليكم(١)».

٢ً— وعن ابراهيم بن عطاء، عن أبيه: أن زياداً، أو ابن زياد، بعث عمر ان بن حصين (رض) ساعياً؛ فجاء ولم يرجع معه درهم. فقال له: أين

---

(١)— الموطأ ج ٢ ص ١٤ المطبوع مع تنوير الحوالك، والاموال لابي عبيد ص ٤٤٤ و ٤٤٧.

المال؟ قال: وللمال أرسلتني؟ أخذنا ها كما كنا نأخذها على عهد رسول الله(ص)، ووضعناها في الموضع الذي كنا نضعها على عهد رسول الله(ص)... قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد، وقال الذهبي: صحيح (١)...

ولايرد: أنه كيف يكون هذا صحيحاً، ونحن نعلم: انّه(ص) قد اعطى فاطمة بعض قلاع خيبر من الخمس... فان النبي(ص) كان يقسم الخمس على أصحابه ومستحقيه من أهل بيته، ومنهم فاطمة ولايأخذ هو منه شيئاً...

ولايعني ذلك: أن الخمس ليس حقاً وملكاً لاهل البيت... بل هو ملك لهم، ولكن النبي(ص) كان يوزعه على اصحابه معونة لهم، ورفقاً بهم وعطفاً عليهم...

وهذا... و إن كان غير مختص بالخمس... إلا انه يدل على أن السعاة الذين كان يرسلهم(ص) كانوا مفوضين بتقسيم المال على فقراء البلد، مهما كان ذلك المال كميةً، أونوعاً وجهةً...

٣ـ كما أن عمير بن سعد، قد فعل مثل مافعل عمران بن حصين، فسأله اوفعاتبه عمر بن الخطاب. فأنكر عليه عمير أن يسأله عن ذلك. ثم أخبره أنه قد وضعه مواضعه، ولو قد نال عمر منه شيئ لأتاه به. فقال عمر: فما جئتنا بشئ؟ قال: لا(٢).

نعم... هذا كان حال النبي(ص) معهم... ولكن غير النبي(ص) قد استأثر بالفيئ، ومنعه أهله... بل حرم ورثة النبي(ص) من ميراثه...

وعلى كل حال... فلو قيل ـ على سبيل الاستبعاد ـ: ومتى اخذ النبي(ص) خمس الأرباح وسائر الاموال، والذي تلتزم به الشيعة؟ قيل لهم:

---

(١)ـ مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٧١، وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٨١ عنه.

(٢)ـ راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٨٢، وحلية الأولياء ج ١ ص ٢٤٧، وحياة الصحابة ج ٢ ص ١٤٦ عنهما وعن: كنزالعمال ج ٧ ص ٧٩ عن ابن عساكر...

ومتى أخذ(ص) خمس الغنائم الذي لا تلتزمون بسواه؟!... فانه كان يرده عليهم، ولا يأخذ منه مقدار وبرة...

وأخيراً... فان من المناسب أن نتكلم حول تشريع الخمس في الأرباح والأموال. وذلك في فصل مستقل سيأتي إن شاء الله، بعد تمام الكلام على وقعة بدر في فصل: «بحوث تسبق السيرة». إن شاء الله تعالى، فإلى هناك ...

اكتفاء الناس في عهد علي عليه السلام:

أخرج أبوعبيد و غيره: «أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام أعطى العطاء في سنة ثلاث مرات، ثم أتاه مال من أصبهان. فقال: أغدوا إلى عطاء رابع، إني لست بخازنكم، فقسم الحبال، فأخذها قوم، وردها قوم فأكرههم على أخذها(١)».

وهذا يعني: أن الناس قد وصلوا في عهد امير المؤمنين عليه السلام إلى درجة الكفاية، حتى إنهم ليردّون العطاء.

وكيف لايصلون الى هذه الدرجة، وأمير المؤمنين(ع) هوالذي يقول: «أنا أهنت الدنيا(٢)».

وسيرته في بيت مال المسلمين أشهر من ان تحتاج إلى بيان؟!...

بينما نجد في عهد غيره: أن البعض ربما لايجد مايستر به نفسه سوى رقعتين، يجمع احداهما على فرجه، والأخرى على دبره، فكان يدعى: ذا الرقعتين(٣).

---

(١)— الأموال لابي عبيد ص ٣٨٤، وكنزالعمال ج ٤ ص ٣٧٨، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٣٦ وترجمة الامام علي(ع) من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ١٨١ وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٣٢.

(٢)— البداية والنهاية ج ٨ ص ٥ عن البغوى، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣١٠.

(٣)— مصنف عبدالرزاق ج ٦ ص ٢٦٧ وراجع ٢٦٨، وسنن البيهقي ج ٧ ص ٢٠٩.

ملاحظة هامة: الخمس... والطبقية:

ويمكن أن يرد سؤال: هل صحيح ان تشريع الخمس لآل الرسول معناه تبنّي مبدأ الطبقية، والالتزام به؟! وكذلك فهو يعني القبول بمبدأ التمييز العنصرى، كما يحلو للبعض أن يقول؟.

والجواب: لا... فان هذا الذي يعطى لهؤلاء لايعني سوى سد حاجتهم المادية— بعد ان حرمت عليهم الزكاة— كما كانت الزكاة لسد الحاجة المادية لغيرهم، من دون أن تعطي لذلك الغير أي امتياز

نعم... في اعطاء هذا الخمس لهؤلاء تكريم للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وتأكيد على قدسيته ومكانته في نفوس الناس، مع عدم الانتقاص من حق ولا من مكانة أحد... الأمر الذي يعطي للناس زخماً عقيدياً، ومن ثم سلوكياً تحتاج إليه الأمة... و يلاحظ اهتمام القرآن في هذا الأمر في غير مورد، كقوله تعالى: يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض... (الحجرات ٢٢)، كما انه تعالى قد امرهم بالصلاة والتسليم عليه...

كما أن هذا الاعطاء ليس بلا حدود، ولاقيود: بحيث لابد وأن تتكدس الأموال عند طائفة معينة، مع حاجة الآخرين إليها... فلا يعطى لكلٍ إلا بمقدار مؤونة سنته ومايرفع حاجته، كما في الروايات والفتاوى... كما أن أمر جميع الخمس: سهم الامام والسادة معاً بيدالامام، أو المجتهد... ولكننا نجد: أنه يمكن اعطاء مبالغ ضخمة من الزكاة لمستحقيها؛ بحيث ينتقلون من الفقر إلى الغنى دفعة واحدة...

ومن جهة ثانية... فان الخمس— إلى جانب امور اخرى— قد ساهم مساهمة فعالة في حفظ الدين على مدى التاريخ... فهو الذي حفظ ارتباط الناس بالمرجعية الدينية، وساهم في بعث الثقة، المتبادلة فيما بينهم، وساعد الناس على التغلب على آثار إهمال، واضطهاد الحكام لهم، وسد الكثير من حاجاتهم، وساهم في إنشاء المؤسسات التي تخدم المجتمع، وترفع من مستواه

روحياً، ومادياً وفكرياً... وجعل بامكان القيادة الدينية، وكذلك القاعدة الشعبية: أن تعيش حرة في تفكيرها، وفي مواقفها، من دون ارتباط بالحاكم الجائر، أوخضوع له، ولم يعد بامكانه أن يمارس ضدهم أي ضغط يرونه في غير صالح الدين، ولا أن يستعملهم أداةً لتحقيق مآربه، والوصول إلى غاياته... فهم لايستمدون مكانتهم واعتبارهم، ولالقمة عيشهم منه، ولايفترض عليهم أي ارتباط به، إلا في حدود الروابط العقيدية والدينية...

ومن هنا نعرف مدى تأثير الخمس في نجاح الثورة الاسلامية الايرانية، بقيادة زعيمها آيةالله العظمى، والقائد الديني: السيد روح الله الموسوى الخميني أطال الله عمره، ونصره على أعدائه بحق محمد وآله الطاهرين— بالاضافة إلى العوامل الأخرى التي ساهمت أيضاً في هذا النجاح...

ومن جهة ثالثة... فإنه من أجل حفظ هذا الدين... ومن أجل أن تبقى فئة تشعر بانها مسؤولة عن الدفاع عن هذا الدين، والمحاماة عنه... فان من الطبيعي أن يكون أقرب الفئات إلى الشعور بهذه المسؤولية الكبرى هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بدافع من الشعور الطبيعي... و يزيد هذا الشعور و يذكيه، ويجعلهم أكثر اندفاعاً إلى التضحية في سبيله جعل هذا الخمس ؛ بمثابة ضمانة لهم، ولعوائلهم، ووسيلة لتلبية حاجاتهم، التي تفرضها مسؤولياتهم تلك ...

و إنه إذا كانت الوهابية، وهي من اسخف العقائد، قد استطاعت بفضل هذه العصبية أن تفرض وجودها، وتحتفظ ببقائها؛ حيث وجدت من يعتبرون أن وجودهم مرهون بوجودها— وهم آل سعود— ورأوا أن العصبية لها والحفاظ عليها مما لابد منه في بقاء ملكهم وسلطانهم...

إنه إذا كان كذلك ... فان العقيدة الحقة، تكون أولى بتدبير إلهي كهذا، يحفظ وجودها، و يساعد على بقائها... ويخفف من الاخطار الجسام

التي سوف تواجهها... وقد رأينا: أن المذاهب التي لم يرض عنها الحكام، حينما وجهت بأدنى مقاومة أومعارضة كان مصيرها التلاشي والاندثار، لعدم وجود ضمانات بقاء لها— أما مذهب أهل البيت، الذي هو رسالة الله الصافية ففيه الكثير من الضمانات التشريعية... التي تساعد على استمراره وبقائه في وجه أعتى القوى الظالمة، والحاقدة ولو استمر الاضطهاد له ولأ تباعه القرون والقرون، كما قد كان ذلك بالفعل...

وليكن ذلك هو أحد الأدلة على عظمة هذا الدين، وعلى شمولية وصفاء الاسلام الحنيف...

بعض المتخلفين... وغنائم بدر:

الف: طلحة، وسعيد بن زيد:

ويقولون هنا: إن طلحة وسعيد بن زيد لم يحضرا بدراً، وذلك لأن رسول الله(ص) قد ارسلهما ليتجسسا له خبر العير؛ فرجعا إلى المدينة بعد خروجه(ص) إلى بدر، فخرجا إليها، فوجداه قد عاد منها... فضرب لهما النبي(ص) بسهميهما من الغنائم(١).

ولكن ذلك لايصح. وذلك:

١ً— إننا نجد نصاً آخر يقول: إنهما كانا في تجارة للشام، فقدما بعد رجوعه(ص) من غزوة بدر، فضرب لهما(ص) بسهميهما بعد رجوعهما(٢).

ولكن يرد سؤال: لماذا يضرب لهما بسهميهما دون سائر من تخلف؟! وهل لمن لايحضر غزاةً حق في غنائم تلك الغزاة شرعاً؟!...

---

(١)— راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧ و ١٨٥ وغيره...

(٢)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٣٩، ٣٤٠ والتنبيه والاشراف ص ٢٠٥، ولكنه ذكره بلفظ قيل. والاصابة ج ٢ ص ٢٢٩، والاستيعاب بهامشها ج ٢ ص ٢١٩.

و إذا كان النبي(ص) يتسامح مع المسلمين في الاموال؛فانما كان يتسامح مع من حضر الحرب دون من لم يحضر.

٢ً- إن السيوطي- تبعاً لغيره- لايقرّ بهذه الفضيلة لهما، بل ينكرها على كل من عدا عثمان، فهو يقول: «وضرب لعثمان يوم بدر، ولم يضرب لأحد غاب غيره، رواه أبوداود عن ابن عمر، قال الخطابي: هذا خاص بعثمان، لأنه كان يمرض ابنة رسول الله(ص)(١)»...

٣ً- لقد جاء في حديث مناشدة علي عليه السلام لأصحاب الشورى- وفيهم طلحة- قوله: «أفيكم أحد كان له سهم في الحاضر، وسهم في الغائب؟ قالوا: لا(٢)».

باء: عثمان بن عفان:

و يقولون: إن الرسول(ص) قد اسهم لعثمان بن عفان في غنائم بدر، لأن الرسول (ص) قد أمره بالتخلف ليمرض زوجته رقية بنت رسول الله(ص)، فضرب له(ص) بسهمه وأجره، وعدّوه من جملة البدريين(٣)...

ونحن لانصدق ذلك ، وذلك لمايلي:

١ً- ماتقدم من مناشدة علي عليه السلام لأصحاب الشورى، وفيهم عثمان...

٢ً- إن ثمة رواية اخرى تقول: إنه تخلف عن بدر، لانه كان مريضاً بالجدري(٤)، فأي الروايتين نصدق؟!

---

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٥.

(٢)- ترجمة الامام علي من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودي ج ٣ ص ٩٣، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٢.

(٣)- راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٦/١٤٧ و ١٨٥ وأي كتاب تاريخي آخر.

(٤)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٥ و ١٤٦.

٣ً- إن بعض نصوص رواية عثمان تذكر أن النبي(ص) قد خلف اسامة بن زيد مع عثمان لأجل رقية.. وأنه-يعني اسامة- كان له دور من نوع معين حينما جاء الخبر بانتصار المسلمين في بدر... مع أن أسامة لم يكن له من العمر حينئذٍ اكثر من عشر سنين!!...

٤ً- إننا نجد: أن عبدالرحمان بن عوف يعير عثمان بتخلفه عن بدر، فقد لقي الوليد بن عقبة؛ فقال له الوليد: مالى أراك قد جفوت أمير المؤمنين عثمان؟! فقال له عبدالرحمان: أبلغه: أني لم أفر يوم عينين- قال عاصم: يقول: يوم أحد- ولم أتخلف يوم بدر... ولم أترك سنة عمر... فخبر الوليد عثمان... فيقولون: إنه اعتذر عن تخلفه يوم بدر بتمريضه رقية(١)...

وبمثل ذلك اعتذر ابن عمر- كما يقولون- لذلك الذي كان يعترض على عثمان بمثل ذلك(٢)...

ولكن ماذكر من الاعتذار لايجدي؛ إذ كيف خفي هذا العذر على صحابي كبير، كعبدالرحمان بن عوف، ثم على ذلك الرجل الطاعن على عثمان؟!.

و إذا كان قد ضرب له بسهمه وأجره؛ فهذه فضيلة كبرى، لايمكن أن تخفى على ابن عوف الذي كان حاضراً في بدر واحد، ولاسيما وأن النبي(ص) كان قد آخى بين عبدالرحمان وعثمان في قضية المؤاخاة فكيف يعيره عبدالرحمان بما هو فضيلة له، وهوالذي زف له الخلافة، وآثره بها على سيد وخير الأمة بعد نبيها أمير المؤمنين عليه السلام؟!...

---

(١)- مسند أحمد ج ١ ص ٦٨ وراجع ٧٥ والأوائل ج ١ ص ٣٠٦/٣٠٥ ومحاضرات الادباء للراغب المجلد الثاني ص ١٨٤ والدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن أحمد، وابن المنذر والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧. وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٢/٢١، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٧٨، والغدير ج ٩ ص ٣٢٧ و ج ١٠ ص ٧٢ عن احمد وابن كثير والرياض النضرة ج ٢ ص ٩٧.

(٢)- مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٩٨، والجامع الصحيح للترمذي ج ٥ ص ٦٢٩ ومسند أحمد ج ٢ ص ١٠١ والبداية والنهاية ج ٧ ص ٢٠٧ عن البخاري والغدير ج ١٠ ص ٧١ عن الحاكم و ص ٧٠ عن أحمد وعن صحيح البخاري ج ٦ ص ١٢٢.

... أم أنهم قد افتروا عليه في ذلك، وطعنوا عليه بما كان الاجدر بهم أن يتمدحوه عليه؟!...

وابن مسعود أيضاً حينما أشخصه عثمان من الكوفة، وقدم المدينة، وعثمان يخطب على منبر رسول الله(ص)، فلما رآه عثمان قال: ألا إنه قد قدمت عليكم دويبة سوء، من يمشي على طعامه يقيء و يسلح.

فقال ابن مسعود: لست كذلك، ولكن صاحب رسول الله(ص) يوم بدر، و يوم بيعة الرضوان(١) فهو يعرض، بعثمان الذى تغيب عن هذين الموطنين...

وكذلك فقد دخل على سالم بن عبدالله رجل فطعن على عثمان بمثل ماتقدم من عبدالرحمان بن عوف، ومن ذلك الرجل مع ابن عمر(٢).

٥ـ وأخيراً... فاننا نستبعد أن يكون(ص) قد خلفه على ابنته ليمرضها... فان الظاهر: أن عثمان لم يكن مهتما كثيراً لحال رقية، ولا لمرضها... وهوالذي قارف ليلة وفاتها ـ ومنعه رسول الله(ص) من النزول في قبرها كما سيأتي في بحث وفاة رقية إن شاء الله تعالى...

ونرجح: أنه تخلف عن بدر في جملة من كرهوا الخروج مع النبي(ص)... كما تقدم في أول الحديث عن بدر.

الغارات على الفضائل:

ولا أدرى... فان ثمة رواية تقول:

إن أبا أمامة بن ثعلبة كان قد اجمع الخروج إلى بدر، وكانت أمه مريضة، فأمره النبي(ص) بالمقام على أمه، وضرب له بأجره وسهمه،

---

(١)ـ انساب الاشراف ج ٥ ص ٣٦، والغدير ج ٩ ص ٣ عنه و ص ٤ عن الواقدي.

(٢)ـ الغدير ج ١٠ ص ٧٠ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٩٤.

فرجع(ص) من بدر، وقد توفيت، فصلى رسول الله(ص) على قبرها(١).

فترى أنه لافرق بين هذه الرواية، ومارووي بالنسبة لعثمان... فأي الروايتين قد حرفت وغيرت الشخصيات فيها لصالح الآخرين؟!..

و إننا بعد أن قدمنا مافي رواية عثمان من الاشكال... وبعد أن كان ثمة جهازيهتم في وضع الفضائل لشيخ بنى أمية، حتى ليكتب معاوية الى الافاق في ذلك ... فاننا نرجح أن رواية أبي أمامة هي التي أغار محترفو التحريف والتزوير عليها، ليعوضوا عثمان عمافاته من شرف حضور حرب بدر...

ولكن يبقى أن اعطاء النبي(ص) سهما من الغنائم لغير علي ينافيه حديث المناشدة السابق. إلا أن يقال: إن النبي(ص) قد اعطاه من الخمس الذي كان يرده عليهم، كما قد منا...

قتل اسيرين:

وقد أسر من المشركين سبعون كماتقدم، وتحرك (ص) نحو المدينة، فلما بلغ الصفراء أمر أميرالمؤمنين علياً عليه السلام بأن يضرب عنق أسيرين هما: عقبة بن أبي معيط، ذوالسوابق السيئة المعروفة مع المسلمين والنبي(ص) في مكة، والنضر بن الحارث(٢)، الذي كان يعذب المسلمين في مكة...

فقال عقبة: يا محمد، ناشدتك الله والرحم. فقال له(ص): وهل انت إلا علج من أهل صفورية؟. وفي نص آخر: أنه(ص) قال له: وأنت من قريش؟ ما أنت إلا علج— أويهودي— من أهل صفورية، لانت في الميلاد اكبر من أبيك الذي تدعى له، حنّ قدح ليس منها، قدمه ياعلي ، فاضرب

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧، وراجع: الاصابة ج ٤ ص ٩ عن أبي أحمد الحاكم، والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٤، وأسدالغابة ج ٥ ص ١٣٩.

(٢)— وقد نص على أن علياً هوالذي ضرب عنق النضر بن الحارث في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨ عن الزهري وغيره.

عنقه، فقدمه علي فضرب عنقه(١).

وفي رواية: أن عقبة قال أيضاً: يا محمد، من للصبية؟ قال: النار(٢).

وعند السهيلي: إن الذي قال: حسن قدح ليس منها، هو عمر بن الخطاب(٣).

وقد كان لعقبة هذا موقف سيئ تجاه رسول الله(ص) قبل الهجرة؛ فأوعده رسول الله(ص) إن هو وجده خارجاً من جبال مكة، أن يضرب عنقه صبراً(٤). وهكذا كان...

و يلاحظ هنا:

الف: نسب عقبة:

إن سر قول النبي(ص) له: انه علج من أهل صفورية، هو أنهم يقولون إن أمية جد أبيه كان في صفورية، فوقع على أمة يهودية لها زوج، فولدت أبا عمرو—وهو ذكوان—على فراش اليهودي، لكن أمية استلحقه بنفسه بحكم الجاهلية... وقيل: كان ذكوان عبداً لامية، فتبناه. فلما مات أمية خلف ذكوان على زوجته. وعند السهيلي: يقال: كان أمية قد ساعى أمة، أو بغت له أمة فحملت بأبي عمرو فاستلحقه بحكم الجاهلية(٥).

---

(١)— راجع: الروض الانف ج ٣ ص ٦٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٧ و ١٨٦ والبحار ج ١٩ ص ٢٦٠ و ٣٤٧ ومصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٢٠٥، وتفسير القمي ج ١ ص ١٦٩ والواقدي، وذكر ابن هشام في سيرته ج ٢ ص ٢٩٨، قتل علي له، بلفظ: قيل.

(٢)— مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٢٠٥ ٣٥٢ و ٣٥٦، و ربيع الابرار ج ١ ص ١٨٧ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٣١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٨.

(٣)— الروض الانف ج ٣ ص ٦٥.

(٤)— راجع: الغدير ج ٨ ص ٢٧٣ و ٢٧٤ عن ابن مردويه، وابي نعيم في الدلائل باسناد صححه السيوطي.

(٥)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٨٧، وراجع: الروض الانف ج ٣ ص ٦٥.

قال الفضل بن العباس، مجيباً الوليد بن عقبة بن أبي معيط على أبيات له:

أتطلب ثاراً لست منه ولاله ... واين ابن ذكوان الصفوري من عمرو
كما اتصلت بنت الحمار بأمها ... وتنسى أباها إذ تسامى أولي الفخر(١)

وسأل معاوية دغفلاً النسابة— وكان كبير السن— عن أمية جده، فقال: نعم، رأيته أخفش أزرق دميماً، يقوده عبده ذكوان. فقال: ويحك، كف؛ فقد جاء غير ماذكرت. ذاك ابنه. فقال: انتم تقولون ذلك(٢).

ولكن ماجاء في تفسير القمي، من قوله(ص) له: لأنت في الميلاد اكبر من أبيك... يدل على أن عقبة كان من نطفة رجل آخر... وذلك الرجل من أهل صفورية. وأنه كان ينسب إلى أبي معيط زوراً وكذباً...

وقد قال الامام الحسن عليه السلام، مثل كلمة الرسول(ص) للوليد بن عقبة، فراجع(٣).

ويقول الزمخشري: «إن أبا معيط نفسه كان علجاً من أهل صفورية، ومن الاردن، قدم به أبو عمرو بن أمية بن عبد شمس؛ فادّعاه(٤)».

النار للصبية:

ونجد أنه(ص) قد حكم بالنار للصبية، الذين منهم الوليد الفاسق، الذي كان والياً لعثمان على الكوفة؛ فشرب الخمر، وزادهم في الصلاة وهو سكران!!... وهو من الصحابة!!... فليتأمل إذن... في دعوى البعض عدالة كل صحابي، وليراجع مقالنا حول عدالة الصحابة في كتاب دراسات

---

(١)— الغدير ج ٩ ص ١٥٥ عن الطبري ج ٥ ص ١٥١.
(٢)— الروض الانف ج ٣ ص ٦٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٧.
(٣)— شرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٩٣ عن الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات.
(٤)— ربيع الابرار ج ١ ص ١٧٨.

وبحوث في التاريخ والاسلام...

و يعتبر قول النبي(ص) هذا عن الصبية بمثابة إخبار عن الغيب الذي أطلعه الله عليه، وعرفه أن ليس في أولئك الصبية أحد يستحق الكرامة والنعمى... ولكن قد شاءت السياسة والعصبية تحكيم هؤلاء الصبية في أموال الناس واعراضهم ودمائهم، وجعلهم مصدراً للأمور، والمخططين للسياسة في الخلافة المغتصبة من أصحابها الشرعيين... ثم احتلوا مكاناً عظيماً فى عقائد الناس؛ فيجب حسب زعمهم: ان نعتقد بعدالة هؤلاء، مهما اجترحوا من السيئات وكانوا من الآثمين!!.

جيم: لماذا الطعن في نسب عقبة؟!:

و إنما قال له النبي(ص): إنما أنت علج من أهل صفورية، أونحو ذلك — مع أنه (ص) لم يكن سباباً ولافاحشاً، ولامتفحشا—؛ ليعلم الناس عدم صحة تقرب ابنائه من بعده بالهيئة الحاكمة، التي سوف توليهم جلائل الاعمال، على أساس هذه القربى المدعاة، وليجعلوا من ثم مال الله دولاً، وعباده خولاً، وليكونوا مصدراً للفتن والمؤامرات، كما كان الحال بالنسبة للوليد الفاسق، وغيره من ولاة ومقربي الهيئة الحاكمة باسم الدين... والاسلام... وليس حكمها إلا حكم القبيلة والعشيرة، وحكم الجاهلية بالتعبير الأدق والأوفى...

دال: انكار قتل النضربن الحارث في بدر:

و يذكر ابن سلام: أن ابن جعدبة كان ينكر قتل ابي عزة الجمحي صبراً. و: «كان ينكر قتل النضر بن الحارث في يوم بدر صبراً، فقال: أصابته جراحة؛ فارتث منها، وكان شديدالمداوة، فقال: لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً مادمت في أيديهم، فمات. فأخبرت أبي سلاّماً بقول ابن جعدبة في أبي عزة، فقال: قد قيل: إن النبي(ص) لم يقتل أحداً صبراً إلا عقبة بن أبي معيط يوم بدر(١)».

---

(١)— طبقات الشعراء لابن سلام ص ٦٤/٦٥.

ولكن هذا يخالف ماهو ثابت عن المؤرخين، ولانرى داعياً للوضع والاختلاق فيه. ولذا... فلانرى للعدول عن النصوص التاريخية الثابتة مبرراً ولا مجالاً...

مصير الباقين من الأسرى:

ولما رأى الأنصار: ماجرى للنضر ولعقبة، خافوا أن يقتل(ص) جميع الأسارى، فقالوا: يا رسول الله، قتلنا سبعين، وهم قومك وأسرتك، أتجذ أصلهم؟. هبهم لنا يا رسول الله، وخذ منهم الفداء وأطلقهم...

وكان أبوبكر يرجح أخذ الفداء أيضاً، وقال: أهلك، وقومك، إستأن بهم، واستبقهم، وخذ فدية تكون لناقوة على الكفار... أو قال: هؤلاء بنوا العم، والعشيرة، والاخوان...

فكره النبي(ص) أخذ الفداء حتى رأى ذلك سعدبن معاذ في وجهه، فقال: يا رسول الله، هذه أول حرب لقينا فيها المشركين، والاثخان في القتل أحب الينا من استبقاء الرجال.

وقال عمر: يا رسول الله، كذبوك وأخرجوك، فقد مهم، واضرب أعناقهم، ومكن علياً من عقيل فيضرب عنقه، ومكنني من فلان أضرب عنقه، ومكن حمزة من العباس فيضرب عنقه، فان هؤلاء أئمة الكفر...

ونزل في هذه المناسبة قوله تعالى: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض، تريدون عرض الدنيا، والله يريد الآخرة، والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم(١)».

ولما رأى النبي(ص) اصرارهم على أخذ الفداء أخبرهم: أن أخذ الفداء سوف تكون عاقبته هو أن يقتل من المسلمين بعدد الاسرى، فقبلوا ذلك، وتحقق ما اوعدهم به في واقعة أحد، كما سنرى(٢)...

---

(١)— الانفال ٦٧/٦٨.

(٢)— راجع هذه النصوص في المصادر التالية، وإن كان كثير منها يذكر انه(ص) قد مال الى قول ←

وتقرر الأمر على الفداء، وجعل فداء كل أسير من ألف إلى أربعة آلاف، وصارت قريش تبعث بالفداء أولاً بأول. وأعطى(ص) كل رجل من أصحابه الاسير الذي أسر، فكان هو يفاديه بنفسه(١).

وفي بعض النصوص: أن سهيل بن عمرو جاء بفداء أسرى بدر، فطلب منه(ص) أن يخبره بما تريد قريش في غزوه(٢).

هذا... مانطمئن إلى صحته من النصوص التاريخية هنا...

لونزل العذاب... ما نجا إلا ابن الخطاب:

ولكننا نجد روايات أخرى تعكس هذه القضية، وتقول: إنه(ص) مال إلى رأي أبي بكر، بل وانزعج من مشورة عمر، فنزل القرآن بمخالفته وموافقة عمر، فلما كان من الغد ، غدا عمر على رسول الله، فإذا هو وأبو بكر يبكيان؛ فسأل عن سبب ذلك، فقال الرسول(ص): إن كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم، لو نزل عذاب ما أفلت منه إلا ابن الخطاب...

وفي عدد من المصادر: عن ابن عباس، عن ابن عمر: أنه(ص) قال: أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة، وأنزل الله: ما كان لنبي أن يكون له اسرى حتى يثخن في الارض إلخ(٣).

أبي بكر، وبعضها يذكر أنه لم يرد إلا قتلهم فراجع: الطبري ج ١ ص ١٦٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٠، وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٥٧ والبحار ج ١٩، واسباب النزول للواحدى ص ١٣٧ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٢ وكنزالعمال ج ٥ ص ٢٦٥ عن أحمد ومسلم، والترمذي، وأبي داود، وابن أبي شيبة، وأبي عوانة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان وابى الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي. والدر المنثور ج ٣ ص ٢٠١—٢٠٣ ومشكل الآثار ج ٤ ص ٢٩١/٢٩٢ ومغازي الواقدى ج ١ ص ١٠٧—١٠٨ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦.

(١)— المصنف ج ٥ ص ٢١١.

(٢)— المصدر السابق.

(٣)— راجع: المصادر المتقدمة جميعاً، وفواتح الرحموت بهامش المستصفى للغزالى ج ٢ ص ٢٦٧، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٣ والمستصفى للغزالي ج ٢ ص ٣٥٦.

ونحن نرتاب — في ماذكر آنفاً جداً، وذلك:

أولاً: لماذا مانجا من العذاب إلا عمر... وماذنب سعدبن معاذ ليعذب؟ اليس هو من الموافقين لعمر، كمانص عليه غير واحد، بل هو المبتدئ بهذا الرأي على حد تعبير المعتزلي؟(١) وماذنب ابن رواحة؟أليس هو من الموافقين لعمر أيضاً(٢)؟

ولا يعقل أن يكون قوله تعالى: «تريدون عرض الحياة الدنيا» وقوله: «لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم» خطاباً للنبي(ص)؛ إذلم يكن(ص) طالباً لعرض الدنيا، ولامستحقاً لذلك العذاب العظيم؛ لأن معنى ذلك :هوأن الله تعالى قد أمره بأمر،وبينه له، ثم خالفه، والعياذ بالله، فان الالتزام بهذا من أعظم العظائم وجريمة من اكبر الجرائم(٣).

و يدلنا على أن الله تعالى قد أبلغ نبيه أن اللازم هو قتل الأسرى... «أن حل الفداء كان قد علم من واقعة عبدالله بن جحش، التي قتل فيها ابن الحضرمي؛ فانه أسر فيها عثمان بن المغيرة، والحكم بن كيسان، ولم ينكره الله تعالى. وذلك قبل بدر باز يد من عام(٤)».

وذلك يدل على أنه قد كانت ثمة أوامر خاصة بالنسبة لأسرى بدر بينها النبي(ص) لهم، وأصروا على مخالفتها، فاستحقوا العذاب العظيم، ثم عفا الله عنهم، رحمة بهم، وتألفاً لهم...

و يدل على ذلك أيضاً: أنه قد جاء في بعض النصوص: «أن جبرئيل

---

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٧٥/١٧٦ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٢٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٢ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٨١، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨١، ومغازي الواقدي ج ١ ص ١١٠ و١٠٦.

(٢)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٧، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٠، والروض الأنف ج ٣ ص ٨٣، واسباب النزول للواحدي ص ١٣٧، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٢، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٣ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، والترمذي، وأحمد...

(٣)— راجع: دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٥٩.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٢.

نزل على النبي (ص) يوم بدر، فقال: ان الله قدكره ماصنع قومك من أخذ الفداء من الأسارى. وقد أمرك أن تخيرهم: بين أن يقدموهم و يضربوا أعناقهم، و بين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم...

فذكر ذلك (ص) لأصحابه، فقالوا: يا رسول الله، عشائرنا و إخواننا(١)، بل نأخذ فداءهم، فنتقوى به على عدونا، و يستشهد منا عدتهم(٢)».

مما يعني: أن تخييرهم هذا كان بعد تأكيدهم على رغبتهم في أخذ الفداء، فأباح لهم ذلك

ولماذا يبكي النبي(ص) نفسه، وقد نص ابن الأثير، وغيره على أن النبي(ص) مال الى القتل(٣).

بل ذكر الواقدى: أن الاسرى قالوا: لو بعثنا لأبي بكر، فانه أوصل قريش لارحامنا، ولانعلم أحداً آثر عند محمد منه؛ فبعثوا إليه فجاءهم فكلموه، فوعدهم أن لا يألوهم خيراً، ثم ذهب إلى النبي(ص) فجعل يفثؤه و يلينه، وعاوده بالأمر ثلاث مرات، كل ذلك والنبي(ص) لايجيب(٤)...

وثانياً: لو سلمنا أن النبي كان يميل إلى رأي أبي بكر من أول الأمر، وجلس يبكي مع صاحبه— كما في كثير من المصادر المتقدمة— فلماذا يقول لعمر: لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة. إذ كيف لايكون هو مع من استحق العذاب، وهوالذي وافقهم، وهوي ماهو يته نفوسهم.

وثالثاً: إن الالتزام بما ذكروه معناه تكذيب قوله تعالى: وماينطق عن

---

(١)— هذه الكلمة تشير إلى أن الذين قالوا ذلك هم من المهاجرين...

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٣ عن فتح الباري، عن الترمذي، والنسائي، وابن حبان، والحاكم بأسناد صحيح و مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٢١٠، والبداية والنهاية لابن كثير ج ٣ ص ٢٩٨، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ١٤ قسم ١.

(٣)— الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٣٦.

(٤)— مغازي الواقدي ج ١ ص ١٠٧—١٠٨.

الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

كما أنه لامعنى لأمر الله تعالى لهم بأطاعة الرسول: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول»... ثم إذا أطاعوه يؤنبهم، ثم يتهددهم. لقد كان يجب أن يتوجه التأنيب والتهديد للرسول، والمدح والثناء لهم، لأنهم عملوا بوظيفتهم...

ورابعاً: إن مجرد الاشارة عليه بالفداء لا تستوجب عقاباً، إذغاية ماهناك: أنهم قد اختاروا غير الأصلح... و إذن... فلابد وأن يكون ثمة أمراً آخر قد استحقوا العقاب به، وهو أنهم حين أصروا على أخذ الفداء قد أصروا على مخالفة الرسول، والتعلق بعرض الحياة الدنيا في مقابل ارادة الله للاخرة— تر يدون عرض الحياة الدنيا والله ير يد الآخرة— بعد بيان النبي(ص) لهم، إذلا عقاب قبل البيان ثم المخالفة...

ولكن الله تكرم وتفضل عليهم، وغفرلهم هذه المخالفة، وأباح لهم أخذ الفداء تأليفاً لهم... على مافيه من عواقب وخيمة... وقد بلغ من حبهم لذلك أنهم قد قبلوا بهذه العواقب أيضاً...

هذا... وللعلامة الشيخ محمد حسن المظفر في دلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ٥٩/٦٠ كلام آخر في تفسير آخر... ولم نذكره لأنه عندنا محل نظر.

وخامساً: إنه قد جاء: انه لما كان يوم بدر تعجل الناس من المسلمين فأصابوا من الغنايم، فقال رسول الله(ص): لم تحل الغنائم لقوم سود الرؤس قبلكم، كان النبي—يعني من السابقين—إذاغنم هو اصحابه جمعوا غنائمهم، فتنزل نار من السماء على كلها،فانزل الله عزوجل: لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم. فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً... وقد قوى الطحاوي هذه الرواية في شأن نزول الآية فراجع(١).

و بعد بطلان ماذكروه ونسبوه إلى النبي(ص) و بطلان أن تكون الآية عتاباً له(ص)... يعلم عدم صحة استدلالهم بهذه الآية على جواز الاجتهاد، والخطأ

---

(١)— مشكل الآثار ج ٤ ص ٢٩٢ و ٢٩٣.

فيه على النبي(ص)... وهو الذي لاينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. هذا عداعن الأدلة القاطعة الدالة على أن كل ما يصدر منه(ص) حق، موافق للحق والشرع، ووفق أوامر إلهية قاطعة...

بين رأي عمر... ورأي ابن معاذ:

لقد روى الطبري عن محمدبن اسحاق، قال: لما نزلت هذه الآية: ما كان لنبي أن يكون له أسرى. قال رسول الله(ص): لو نزل عذاب من السماء لم ينج إلا سعدبن معاذ، لقوله: يا رسول الله، الإ ثخان في القتل أحب إلي من استبقاء الرجال(١).

ولعل هذا هوالصحيح... ولكن قد حرف لصالح الخليفة الثاني عمربن الخطاب، لأهداف لاتخفى.

و إنما قلنا: إنه هوالصحيح؛ لأنه اسدّ الآراء، وهو الموافق لمراد النبي(ص)، أما رأي عمر، فقد كانت تعوزه الدقة والموضوعية، كما سنرى...

وأما أبوبكر وغيره من الأنصار، فقد تقدم أنهم أصروا على أخذ الفداء، طمعاً بالمال، وطمعاً في أن يخففوا من حدة عداء قريش لهم... وأيضاً لأن فيهم الاخوان والأهل والعشيرة— على حد تعبير أبي بكر، ولأن هذا الأخير قد وعد الاسرى بأن يبذل جهده لصالحهم، كما تقدم عن الواقدى... وقد حاولوا أن يقنعوا النبي(ص) بوجهة نظرهم، ولو بالاساليب العاطفية، كقولهم له: «أهلك، وقومك، وأسرتك، أتجذّ أصلهم». كما أن أبا بكر قد أقام دليلا مصلحياً على ذلك. وهو أن يتقوى المسلمون بما يأخذونه من الفداء ضد الكفار... ولكن النبي(ص)ظل يكره ذلك، ولا تقنعه أقوالهم، فان رأي ابن معاذ هوالصحيح، مضافاً إلى اعتبارات أخرى، لم تكن لتخفى على النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم...

ونزلت الآية الشريفة لتصوب موقف الرسول(ص)، ثم ترخص لهم في أخذ الفداء، بعد أن قبلوا بأن يقتل منهم بعدد من يفدى من المشركين...

---

(١)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧١.

قتل الأسرى هو الأصوب:

وذلك:

١ً- إن المأسورين كان فيهم عدد من سادات قريش، ومن هم رأس الأفعى، وقد حاربوا الرسول والمسلمين، وأخرجوهم من ديارهم، ولاقوامنهم شتى انواع الاهانات والاذى. وهؤلاء الذين لايرتدعون ولايرجعون، بل يصرون على استئصال شأفة الاسلام، ولايقبلون باى خيار منطقي يعرض عليهم...

وبعد ماناالهم من ذل الهزيمة، وذل الأسر، قد أصبحوا اكثر حقداً على الاسلام والمسلمين... ولسوف يعاني: المسلمون منهم لو بقوا احياء مايعانون مما أشار إليه(ص)، حيث أوعد المسلمين إن هم فادوهم: أن يقتل منهم بعددهم.

٢ً- كما أن قتلهم جزاء اعمالهم إن لم يقبلوا الاسلام يكون ايضاً ضربة عسكرية وروحية موفقة لقريش... وإضعافاً لشوكة المشركين.

وقد كان لهم دورهام بعد ذلك في وقعة أحد وغيرها، وأثر بارز في الحاق الاذى بالمسلمين... وما أحسن قول سعدبن معاذ: «انها أول حرب لقينا فيها المشركين، والاثخان في القتل احب إلي من استبقاء الرجال».

٣ً- ويرى البعض: أن الله تعالى يريد بالتأكيد على قتل الاسرى: «أن يفهم المسلمين: أن النظرة إلى المال مرفوضة، مهما كانت الظروف، إلا إذا كانت في خدمة الهدف الاعظم وهوالدين.»

٤ً- وإذاكان النبي(ص) لايحابي قومه على حساب دينه وعقيدته، وقد قتلهم؛ لأنهم أرادوا أن يمنعوه من أداء رسالته، ويطفئوا نورالله؛ فانه سوف لايحابي غيرهم، إذا أرادوا أن يطفئوا نورالله، وأن يقفوا في وجه دعوته ودينه... وهذا سوف يؤثر في ارهاب قريش والمشركين في جزيرة العرب

كافة، ولسوف يسهل على النبي(ص): أن يقنعهم بأن من الأفضل لهم أن يتركوا محاولاتهم العدوانية جانباً؛ فإن الوقوف في وجه الدعوة سوف لايكون حصاده إلا الدمار والفناء لهم.

٥ً ـ ثم إن قتلهم سوف يطمئن الأنصار إلى أن النبي(ص) لسوف لن يصالح قومه، ولن يعود إليهم ماداموا مصرين على شركهم. وبالتالي فهولن يترك الانصار ولن يتخلى عنهم، لأنه يعتبر ـ انطلاقاً من تعاليم دينه ـ أن رابطة الدين هي الأقوى، ولا قرابة فوق قرابة العقيدة، ولانسب ولارحم فوق نسب الاسلام والايمان... ولذلك فلامجال لأن تساور المخاوف نفوس الأنصار، هذه الوساوس، والمخاوف التي عبروا عنها في بيعة العقبة، وبعد ذلك في فتح مكة، من أنه ربما يصالح قومه، أو: أدركته رغبة في قومه...

مع موقف عمر من الاسرى:

إننا نلاحظ:

١ً ـ أن عمر بن الخطاب يطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أن يضرب علي عليه السلام عنق أخيه عقيل، وحمزة يضرب عنق اخيه العباس، ويعتبرهم أئمة الكفر...

وهو طلب غريب حقاً، كما أن تركه زعماء قريش أغرب وأعجب ـ ولاسيما وهو يسمع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم يأمر الجيش ـ وعمر مِنْ ومع الجيش ـ بعدم قتل بني هاشم وهؤلاء بالذات وبعض من غيرهم، لأنهم خرجوا مكرهين... هذا عدا عن أنه كان يعرف دفاعهم عن النبي(ص) في مكة، ودخولهم معه الشعب، وتحملهم المشاق والمتاعب فى سبيله...

٢ً ـ وبعد هذا... فانه يلاحظ: أنه لم يشهد معركة بدر أحد من بني عدي ـ كما تقدم(١) ـ وهم قبيلة عمر، وإذن... فتكون الضربة في جلد

---

(١) ـ وراجع: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٤٣، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٧١ ومغازي الواقدي ←

غيره... وماذا يهم لو قتل الناس كلهم مادام لا يخاف على قومه وأهله...

ومن هنا نعرف: أن ما أضافه بعضهم، حين ذكره لقول عمر: ومكنني من فلان، فأضاف كلمة: «قريب لعمر»، كما يظهر من مراجعة الروايات التي تذكر كلام عمر هذا... إن هذه الاضافة لا تصح، إذ لم يكن أحد من أقارب عمر في بدر، إلا إذا كانت قرابة من ناحية النساء، وهي ليست بذات أهمية لديهم آنئذٍ— لو كانت.

وعلى كل حال... فقد سبقنا العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه إلى اساءة الظن بعمر، حين فتح مكة، حتى إنه ليقول له— حين اكثر في شأن أبي سفيان، وأصر على قتله—: «لا، مهلا يا عمر، أما والله، ان لو كان من رجال بني عدي بن كعب ماقلت هذا، ولكنك عرفت: أنه من رجال بني عبد مناف(١)».

٣— وأيضاً... فان من الواضح: أن قتل الأقارب أمر مستبشع، تنفر منه النفوس، ولربما يوجب ذلك ابتعاد الناس عن الاسلام، ومنعهم حتى من التفكير في الدخول في دين يكلفهم بمباشرة قتل اخوانهم... بل وقد يدفع ضعفاء النفوس من المسلمين إلى الارتداد، إذا رأوا أنفسهم مكلفين بقتل أحبائهم وآبائهم بأيديهم، مع امكان أن يقوم غيرهم بهذا الأمر...

انين العباس في الوثاق:

وعلى كل حال... فقد كان من جملة الأسرى عباس وعقيل... وقد سهر النبي(ص) ليلة، فقال له بعض أصحابه: مايسهرك يا نبي الله؟ قال: أنين العباس. فقام رجل من القوم؛ فأرخى من وثاقه، فقال رسول الله(ص):

ج ١ ص ٤٥، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٢١، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣١٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٧٥، واي كتاب تاريخي شئت، يذكر بدراً ورجوع من رجع عنها قبل نشوب الحرب...

(١)— مجمع الزوائد ج ٦ ص ٦٧، عن الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١ ص ١٥٤.

ما بالي ما أسمع أنين العباس؟ فقال رجل من القوم: إني أرخيت من وثاقه شيئاً. فقال:

«فافعل ذلك بالاسارى كلهم(١)»

وهذه هي الرواية القريبة والمعقولة، التي تمثل عدل النبي(ص) ودقته في مراعاة الاحكام الالهية، وصلابته في الدين... وهي المناسبة لمقامه الاسمى، وماعرف عنه من كونه لا تأخذه في الله لومة لائم، لا تلك الروايات التي تمثل النبي(ص) متحيزاً إلى أقاربه، وأنه هو الذي طلب منهم أن يرخوا من وثاق العباس فقط... فان النبي(ص) لم يكن ليرفق بأقاربه، و يعنف بغيرهم... والرواية التي تقول هذا— لم ترد على الوجه الصحيح والكامل... إلا أن يقال: إن علم النبي بأنه قد خرج مكرها، فكان ذنبه أخف من ذنب غيره، يبرر أن يتصرف تجاهه بهذا النحو. ولكن الأمروان كان كذلك إلا أن حكمة النبي(ص) وعدله انما يقتضى أن يعامل العباس كغيره من الاسرى ولايفسح اي مجال للايراد والاشكال... ولذلك نرى أنه لما قال له العباس إنه خرج مستكرهاً، قال له النبي: «أما ظاهر أمرك فقد كنت علينا» كما سيأتي...

والظاهر: أن مكان العباس كان قريباً من النبي(ص)، فمنعه أنينه من الراحة، لا أنه كان يعطف عليه خاصة دون غيره من الاسرى...

فداء العباس، و إسلامه:

وغنم المسلمون من العباس عشرين أو أربعين أوقية ذهباً— والأوقية أربعون مثقالاً— فطلب أن تحسب من فدائه. فقال(ص): فأما بشيء خرجت تستعين به علينا؛ فلانتركه لك...

---

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٠، وصفة الصفوة ج ١ ص ٥١٠. وعند عبدالرزاق في المصنف ج ٥ ص ٣٥٣: ان أنصارياً قال له(ص): أفلا أذهب فأرخى عنه شيئاً؟ قال: إن شئت فعلت ذلك من قبل نفسك، فانطلق الأنصاري، فأرخى عن وثاقه، فسكن(ص) ونام...

— قالوا: وذلك لأنه خرج بها ليطعم بها المشركين(١)—

وأمره(ص) بمفاداة نفسه، وعقيلاً، ونوفلاً ابني أخيه... فأنكر أن يكون له مال؛ فقال له(ص): أعط ماخلفته عند أم الفضل، فقلت لها: إن أصابني شيء، فأنفقيه على نفسك وولدك ... فسأله من أخبره بهذا، فلما عرف: أنه جبرئيل قال: محلوفة، ماعلم بهذا أحد إلا أناوهي، أشهد أنك رسول الله، فرجع الاسارى كلهم مشركين، إلا العباس وعقيلاً ونوفلاً كرم الله وجوههم، وفيهم نزلت هذه الآية: قل لمن في أيديكم من الاسرى: ان يعلم الله في قلوبكم خيراً، يؤتكم خيراً مما أخذ منكم، و يغفرلكم والله غفور رحيم(٢)...

وفي نص آخر: انه(ص) قال للعباس: يا عباس، إنكم خاصمتم الله فخصمكم(٣)...

وفي رواية أخرى: أنه لما طلب منه الفداء ادعى: أنه كان قد اسلم، لكن القوم استكرهوه. فقال له(ص): الله أعلم باسلامك، إن يكن ماتقول حقاً؛ فان الله يجز يک عليه؛ فأما ظاهر أمرك فقد كنت علينا(٤)...

وهذا... يدل على أنه لامجال لدعوى: أن العباس كان قد اسلم قبل بدر سراً، كما عن البعض(٥).

ومما يدل على أنه لم يكن في بدر مسلماً—عداعما تقدم: أنه لما أسر يوم بدر أقبل المسلمون عليه، يعيرونه بكفره بالله، وقطيعة الرحم، وأغلظ له علي القول: فقال العباس: مالكم تذكرون مساو ينا، ولا تذكرون محاسننا؟ فقال له علي: ألكم محاسن؟ قال: نعم، إنا لنعمر المسجد الحرام، ونحيي الكعبة،

---

(١)— اسباب النزول للواحدي ص ١٣٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٨.

(٢)— الآية ٧٠ في سورة الانفال والرواية معتبرة السند في تفسير البرهان ج ٢ ص ٩٤ وراجع: تفسير الكشاف ج ٢ ص ٢٣٨، وغير ذلك...

(٣)— البحار ج ١٩ ص ٢٥٩ و ٢٧٤ عن الخرائج والجرائح ص ١٨٤.

(٤)— المصدران السابقان، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٨.

(٥)— راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٠٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٨ و ١٩٨، وطبقات ابن سعد ج ٤ ص ٢٠ قسم ١.

ونسقي الحاج، ونفك العاني. فأنزل الله تعالى: ماكان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر(١).

وفي رواية أخرى: أنه قال: لئن سبقتمونا بالاسلام والجهاد والهجرة، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحاج؛ فأنزل الله تعالى: أجعلتم سقاية الحاج، وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله الآية(٢).

وفي نص آخر: ان الانصار كانوا يريدون قتل العباس، فأخذه الرسول منهم، «فلما صار في يده: قال له عمر: لأن تسلم أحب إلي من أن يسلم الخطاب، وماذاك إلا لمارأيت رسول الله يعجبه إسلامك(٣)».

بل لقد جاء أنه لم يظهر للعباس اسلام إلا عام الفتح(٤)...

وهذا التعبير هو الأقرب إلى الصواب... فإنه إن كان قد اسلم في بدر: كما يدل عليه ماتقدم... ولاسيما رواية تفسير البرهان المعتبرة سنداً... فانما أسلم سراً... لأن قريشاً لم تكن لتتحمل وجود مسلم، فيما بينها هذه السنوات الطويلة، وحروبها مع محمد قائمة على قدم وساق، يقتل أبناءها واخوانها ويعور عليها طريق متجرها، ويذلها بين العرب، ولاسيما إذا كان ذلك المسلم هو عم ذلك الرجل وقريبه... وصداقته مع أبي سفيان لم تكن لتسمح له بالبقاء في مكة، فان القرشيين قد نكلوا بأحبائهم فكيف يسكتون عن اصدقائهم... وشروطها على النبي(ص) في الحديبية أدل دليل على شدتها في هذا الأمر، وعدم تسامحها فيه على الاطلاق...

---

(١)— الآية ١٧ من سورة التوبة. والحديث في: أسباب النزول للواحدي ص ١٣٩، وليراجع الدر المنثور ج ٣ ص ٢١٩ عن ابن جرير، وأبي الشيخ عن الضحاك، لكن الآية هي آية سقاية الحاج الآتية.

(٢)— الآية ١٩ من سورة التوبة. والحديث في: أسباب النزول للواحدي ص ١٣٩، والدر المنثور ج ٣ ص ٢١٨ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وعبدالرزاق، وابن أبي شيبة وأبي الشيخ.

(٣)— البداية والنهاية ج ٣ ص ٢٩٨ عن الحاكم، وابن مردويه، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ عن كنزالعمال ج ٧ ص ٦٩ عن ابن عساكر.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٩.

إلا أن يكون يكتم اسلامه بينهم و يتظاهر بما يرضيهم،حفاظاً على مصالحه وأمواله وعلاقاته... وهذا هو الانسب والأوفق بالصواب...

إشارة:

ومادمنا في الحديث عن العباس، فلا بأس بالاشارة إلى أن من الملاحظ: أنه كان يهتم في المال ويحب الحصول عليه.

ولقد رأيناه يطالب النبي(ص)بالمال، لأنه اعطى فداءه وفداء عقيل في بدر... فقد جاء: أنه لما جاء للنبي(ص) مال من البحرين، وصار يقسمه، جاء العباس، فقال: «يا رسول الله، إني أعطيت فدائي، وفداء عقيل (رض) يوم بدر، ولم يكن لعقيل مال، أعطني هذا المال.» فأعطاه(ص)(١).

وليلاحظ أسلوبه للحصول على بقية من المال، بقيت بعدالقسم بين الناس في الرواية التالية:

أخرج ابن سعد: أنه بقي في بيت مال عمر شيئ بعدما قسم بين الناس، فقال العباس لعمر، وللناس: أرأيتم: لوكان فيكم عم موسى(ع) أكنتم تكرمونه؟. قالوا: نعم. قال: فأنا أحق به، أنا عم نبيكم(ص): فكلم عمرالناس؛ فأعطوه تلك البقية التي بقيت(٢).

وعلى كل حال... فقد حصل على ماكان يتمناه، حتى لينقلون عنه قوله حينما أعطاه(ص): أما أحدما وعدالله فقد أنجزلي، ولا أدري الأخرى: «قل لمن في أيديكم من الأسرى: إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذمنكم، و يغفرلكم» هذا خير مما أخذ مني، ولا أدري مايصنع بالمغفرة(٣).

---

(١)– مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٩ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصححاه وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٩، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٢٥.

(٢)– طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٢٠ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٣٤.

(٣)– مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٩ وتلخيصه للذهبي وصححاه، وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٠، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٢٢٥.

مؤامرة على حياة النبي(ص):

وكان قد أسر لعمير بن وهب ولد، فاتفق عمير مع صفوان بن أمية سراً على أن يقدم عمير المدينة، و يغتال النبي(ص) في مقابل أن يقضي صفوان دين عمير...

وتكاتما على هذا الأمر، وشحذ عمير سيفه وسمّه، وقدم المدينة؛ فأذن له الرسول بالدخول، فخاف منه عمر؛ فأخذ بحمالة سيفه في عنقه، ثم دخل به على الرسول.

فلما رآه(ص) قال لعمر: أرسله يا عمر. فأرسله، فاستدناه، ثم سأله عما جاء به؛ فقال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم— يعني وهبا— فأحسنوا فيه. فقال (ص) فما بال السيف؟. قال: قبحها الله من سيوف، وهل أغنت شيئاً...

فأخبره(ص) بما جرى بينه و بين صفوان في الحجر... فأسلم عمير. فقال(ص): فقهوا أخاكم في دينه، وأقرؤوه القرآن، وأطلقوا أسيره، ففعلوا ذلك...

ثم لحق عمير بمكة يدعوا إلى الله، و يؤذي المشركين بإذن منه(ص)، وحلف صفوان الايكلمه ولاينفعه بنافعة...

موقف النبي(ص) من قلائد زينب:

و بعثت زينب بنت الرسول(ص) بفداء زوجها أبي العاص بن الربيع، وكان من جملة مابعثت به قلائد كانت خديجة جهزتها بها...

فترحم الرسول صلى الله عليه وآله على خديجة، ورق لزينب رقة شديدة، وطلب من المسلمين أن يطلقوا لها أسيرها؛ ففعلوا... وأطلقه صلى الله عليه وآله وسلم في مقابل أن يرسل إليه زينب بسرعة... فوفى بماوعد وأرسلها، وجرى لهاحين هجرتها ماسوف نشير إليه فيما يأتي ان شاء الله تعالى...

سؤال... يحتاج إلى جواب:

و يرد هنا سؤال: هل كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم عاطفياً حقاً إلى هذا الحد... إلى جد تدفعه رقته إلى اطلاق أسير كان يمكن للمسلمين أن يساوموا عليه، ويحصلوا على مايقويهم ضد عدوهم؟!

وهل كان يرغب في مراعاة جانب أقاربه اكثر من الآخرين؟ وهل هذا ينسجم مع رسالته وسجاياه وأخلاقه؟!...

الجواب: لا... فان ثمة مصلحة في هذا الموقف، تعود على الاسلام والمسلمين بالنفع والخير العميم...

و إلا لكان موقفه صلى الله عليه وآله وسلم من هؤلاء لايختلف عن موقفه من غيرهم، ممن هم على شاكلتهم... وموقفه من عمه أبي لهب لعنه الله ليس بعيداً عن أذهاننا...

و إن في موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم هنا تأكيداً على أن الاسلام يحترم و يقدر مواقف الآخرين وخدماتهم وخديجة من هؤلاء... وأنه لسوف يشجع كل مايكون في هذا الاتجاه، من أي كان، وعلى أي مستوى كان...

وفيه أيضاً... انقاذ لنفس من مقاساة العناء والالآم بين المشركين، ألاوهي زينب رحمها الله... وقد استطاع الآن انقاذها، فلم لايفعل؟!...

هذا كله عداعن أنه لم يطلق أبا العاص من غير فداء، فقد أرسلت زينب بالفداء، فما هو المبرر لامساكه؟...

أستاذ المعتزلي وقضية زينب:

هذا... و يقول ابن أبي الحديد المعتزلي عن رقته(ص) في هذا الموقف: «قرأت على النقيب أبي جعفر يحيى بن أبي زيد البصري— (وقد

قرظه المعتزلي في موضع آخر(١)ـ)رحمه الله هذا الخبر؛ فقال: أترى أبابكر وعمر لم يشهدا هذا المشهد؟ أما كان يقتضي الكرم والاحسان أن يطيب قلب فاطمة بفدك، و يستوهب لها من المسلمين؟! أتقصر منزلتها عند رسول الله(ص) عن منزلة زينب أختها، وهي سيدة نساء العالمين؟!! هذا إن لم يثبت لها حق، لا بالنحلة، ولا بالارث(٢)».

فداء الأسير تعليم الكتابة:

قال المقريزي: «وكان في الاسرى من يكتب، ولم يكن في الانصار من يحسن الكتابة، وكان منهم من لامال له، فيقبل منهم أن يعلم عشرة من الغلمان، ويخلي سبيله؛ فيومئذٍ تعلم زيدبن ثابت الكتابة في جماعة من غلمان الأنصار...

خرج الامام أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان ناس من الاسرى يوم بدر، لم يكن لهم فداء؛ فجعل رسول الله(ص) فداءهم أن يعلموا أولاد الانصار الكتابة... ثم ذكر المقريزي قصة من ضربه معلمه، ثم قال: وقال عامر الشعبي: كان فداء الاسرى من أهل بدر أربعين أوقية؛ فمن لم يكن عنده علّم عشرة من المسلمين. فكان زيدبن ثابت ممن علم»(٣).

ونقول: إن جعل فداء الاسرى هو تعليم عشرة من أطفال المسلمين، ليعتبر أول دعوة في التاريخ لمحو الأمية، سبق الاسلام بها جميع الأمم... وقد

---

(١)ـ فقد وصفه في شرحه للنهج ج ١٢ ص ٩٠ بأنه: «لم يكن امامي المذهب، ولا كان يبرأمن السلف، ولايرتضي قول المسرفين من الشيعة» ووصفه في ج ٩ ص ٢٤٨ بأنه كان «منصفاً، وافر العقل». ونقل في هامش البحار ج ١٩ عنه أنه وصفه بالوثاقة والامانة، والبعد عن الهوى والتعصب، والانصاف في الجدال، مع غزارة العلم، وسعة الفهم، وكمال العقل.

(٢)ـ شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٩١.

(٣)ـ راجع: التراتيب الادارية ج ١ ص ٤٨/٤٩ عن المطالع النصرية في الأصول الخطية لابي الوفاء نصرالدين الهوريني، وعن السهيلي ومسند أحمد ج ١ ص ٢٤٧ والامتاع ص ١٠١، والروض الانف ج ٣ ص ٨٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٩٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٩٣، وطبقات ابن سعد ج ٢ قسم ١ ص ١٤.

أتى الحكم بن سعيد بن العاص النبي فسأله عن اسمه فأخبره فغيّر اسمه إلى عبدالله، وأمره ان يعلم الكتاب بالمدينة(١).

وذلك يعبر عن مدى اهتمام الاسلام بالعلم في وقت كانت فيه أعظم الدول كدولة الاكاسرة تعاقب بأشد العقوبات من يتعلم القراءة والكتابة من غير الهيئة الحاكمة... وكان العربي يرى أن معرفة الرجل بالكتاب عيب كما تقدم في اوّل الكتاب...

وهذا الاسلام قد جاء ليطلق أعدى أعدائه في أدق الظروف، وأخطرها في مقابل تعليمهم لعشرة من غلمان المسلمين... مع أنه ربما يكون قتل هؤلاء الاسرى— كما قدمنا— أو استخدامهم في مهمات المسلمين، أو لااقل جعلهم وسيلة للضغط السياسي على قريش له أهمية كبيرة بالنسبة لهذا المجتمع الناشئ، الذي يولد في مجتمع يرفضه، و يحاول القضاء عليه، وأمامه طريق طويل وشاق من النضال والكفاح من أجل الحياة والبقاء، واقامة الدولة الاسلامية، ونشر تعاليم رسالة السماء...

معاملة الاسرى:

و يلاحظ: أن المسلمين الذين ذاقوا الأمرّين على أيدى المشركين، يظفرون الآن بعدوهم، و يصير اولئك الذين عذبوهم، وأخرجوهم من ديارهم، وسلبوهم أموالهم، وقطعوا أرحامهم— يصيرون— أذلاء في أيديهم، وتحت رحمتهم... فماذا تراهم صانعين بهم، و بأي نحو وكيفية سوف يأخذون بثاراتهم منهم...

التوقعات كثيرة... ولكن ماجرى كان مخالفاً لكل التوقعات؛ فهم لم يحاولوا أن يأخذوا بثاراتهم، ولا اغتنموا الفرصة التي أتيحت لهم. بل صدر الأمر لهم من القائد الأعظم بكلمة واحدة: استوصوا بالاسرى خيرا...

---

(١)— نسب قريش لمصعب الزبيري ص ١٧٤ والاصابة ج ١ ص ٣٤٤ عنه.

فأطاعوا الأمر، حتى كان أحدهم يؤثر أسيره بطعامه(١).

هذه من علاه احدى المعالى وعلى هـذه فـقس مـاسـواهـا

(١)ـ راجع: الطبري ج ٢ ص ١٥٩، والكامل لابن الاثيرج ٢ ص ١٣١، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩٩ و ٣٠٠ ومغازي الواقدي ج ١ ص ١١٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٨٨.

الفصل الرابع:

نهاية المطاف

اهل بدر مغفورلهم:

و يقولون: إن عمر بن الخطاب طلب— في مناسبة— من الرسول: أن يضرب عنق حاطب بن بلتعة، لأنه خان الله ورسوله. فقال له النبي(ص): أليس من أهل بدر؟ لعل— أو إن— الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ماشئتم، فقد وجبت لكم الجنة... أو... فقد غفرت لكم(١).

قال الحلبي: «وهو يفيد: أن مايقع منهم من الكبائر لايحتاجون إلى التوبة عنه؛ لأنه اذا وقع يقع مغفوراً. وعبر فيه بالماضي مبالغة في تحققه. وهذا كما لايخفى بالنسبة للاخرة، لا بالنسبة لأحكام الدنيا. ومن ثم لما شرب قدامة بن مظعون الخمر في أيام عمر حدّ، وكان بدرياً... وقال الحلبي أيضاً: وفي الخصائص الصغرى، نقلاً عن شرح جمع الجوامع: ان الصحابة كلهم لايفسقون بارتكاب مايفسق به غيرهم(٢)».

نقول ورو واعنه(ص) أيضاً قوله: لن يدخل النار أحد شهد بدراً(٣)...

---

(١)— راجع: البخارى، كتاب المغازي، غزوة بدر وج ٩ ص ٢٣ ط مشكول، و فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧، عن أحمد، وأبي داود، وابن أبي شيبة، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤ وج ٣ ص ٣٢٨ عن الخمسة، ما عدا ابن ماجة، ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٣ وج ٩ ص ٣٠٣/٣٠٤ عن أحمد، وأبي يعلى، والبزار، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦٣/٣٦٤ عن بعض من تقدم، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٣ و ١٩٢.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٣ و ٢٠٤، وليراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧/٢٣٨.

(٣)— فتح الباري ج ٧ ص ٢٣٧ عن أحمد، وسنده على شرط مسلم.

و نقول: لقد عرفت أن شرب البدري للخمر لايضر، ولايحتاجون للتوبة من الكبائر... و إذن... فليكن الزناحتى بالمحارم غير مضرهم... وكذلك تركهم الصلاة وسائر الواجبات وغيرها!... وليكن أيضاً قتل النفوس كذلك ... ولقد قتلوا عشرات الألوف في وقعتي الجمل وصفين، وكذلك ... فقد قتلوا العشرات سراً وجهراً، غيلة وصبراً... فان ذلك كله لايضر، ولايوجب لهم فسقاً، ولاعقاباً!!...

وقد اعتبروا دفاع علي عليه السلام عن الحق، وامعانه في قتل الناكثين والقاسطين والمارقين— بعد أن تناسوا أقوال الرسول واخباراته الصادقة عن هذه الفئات الضالة— اعتبروا ذلك جرأة منه على الدماء، وأن سببه هو أن الله رخص لأهل بدر في أن يفعلوا ماشاؤا(١)!!...

نعم... و إذا صح ماذكروه عن أهل بدر فلايبقى معنى لتكليف البدريين بالشرائع والاحكام، ولماذا يتعبون و يشقون، مادام قد تأمّن لهم دخول الجنة، فليتنعموا في حياتهم الدنيا، وليستفيدوا من لذائذها حلالاً كانت أوحراماً!!...

ثم إننا لاندري لماذا يعاقب البدري في الدنيا، إذاكان النبي(ص) نفسه قد منع عمر من عقاب حاطب الذي خان الله ورسوله، واحتج لهذا المنع ببدرية حاطب؟! و إذاكان الله قد غفر لهذا البدري، فلماذا يعاقب، أليس عقابه حينئذٍ بلاذنب جناه؟ ولاخطيئة اقترفها؟!... ولكن الحلبي: لما رأى أن عمر قد أقام الحد على قدامة اضطر إلى عدم اسقاط العقاب الدنيوي عن أهل بدر، ولولا ذلك لكنا رأيناه يسقطه أيضاً محتجاً باسقاط النبي(ص) له عن حاطب. ولكن و بعد أن كان المعني هو عمر بالذات فلابد من بناء الفقه والحكم على أساس فعله، وعدم الالتفات إلى فعل النبي وقوله وتقريره..

نعم... لقد استنبط الحلبي كل هذه الأحكام من الحديث الشريف الذي عبر بكلمة: «لعل» فليت شعري: كم كان سوف يستنبط من الاحكام لو أنه ثبت لديه الجزم بالمغفرة لهم؟!...

---

(١)— راجع: البخاري ج ٩ ص ٢٣ ط مشكول وفتح الباري ج ٧ ص ٢٣٨.

ولكن الحقيقة هي أن حديث المغفرة لأهل بدر— لوصح— فلم يكن فيه كلمة «اعملوا ماشئتم»... كما أنه إنما هو بالنسبة لما سبق لهم من ذنوب، لا بالنسبة لما سوف يقترفونه بعد... ولذلك نجد عمر يحاسبهم و يقيم عليهم الحدود بلا فرق بينهم و بين غيرهم... ولو كان قوله: «اعملوا ماشئتم» ثابتاً لا احتج به قدامة على عمر، ليدرأ الحد عن نفسه، ولا احتج أيضاً بموقف النبي(ص) من حاطب، كما أن عمر نفسه لم يكن ليقدم على مخالفة امر نبوي بهذا الوضوح والمعروفية...

وعلى كل حال... فلا بأس بمراجعة مقال لنا حول عدالة الصحابة في كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام»...

من هم أفضل من أهل بدر:

وعداعما قدمناه فاننا نجد سعدبن أبي وقاص يكاد يفضل جيشه في حرب المدائن على أهل بدر، فيقول: «والله، إن الجيش لذوأمانة، ولو لا ماسبق لأهل بدر لقلت وأيم الله: على فضل أهل بدر، لقد تتبعت من أقوام هنات وهنات فيما أحرزوا، وما أحسبها ولا أسمعها من هؤلاء القوم(١)»...

بل إن كعب بن مالك يفضل ليلة العقبة على بدر، و إن كانت بدراً أذكر في الناس منها(٢).

نعم...هذا شأن بدر عندهم...وشأن غيرها... ولكنهم لم يحكموا لغير البدريين بالجنة، لأنه ليس فيهم من يهتمون بإدخاله الى الجنة. أوتفرض السياسة تبرير اعمالهم ومواقفهم المخالفة للاسلام والقرآن والانسانية... هذا... رغم أن سعداً يعتبر أن في اهل بدر من صدرت منهم هنات وهنات أنزلت من مقامهم، وخففت من ميزانهم...

---

(١)— حياة الصحابة ج ٣ ص ٧٥٨ عن تاريخ الطبري ج ٣ ص ١٣٨.

(٢)— البداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣ عن البخاري، وأبي داود، والنسائي نحوه، مفرقاً ومختصراً، وروى الترمذي بعضه والبيهقي ج ٩ ص ٣٣ وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٧٥ عمن تقدم وعن الترغيب والترهيب ج ٤ ص ٣٦٦.

عودة خيبة:

ورجع المحاربون إلى مكة بأسوأحال من الحنق والغيظ، فنهاهم أبوسفيان عن النوح على قتلاهم، ومنع الشعراء من ندب القتلى؛ لأ لايخفف ذلك من غيظهم، و يقلل من عداوتهم للمسلمين... وأيضاً... حتى لايبلغ المسلمين حزنهم فيشمتوابهم...

وحرم أبوسفيان الطيب والنساء على نفسه حتى يغزومحمداً... وكذلك كان موقف زوجته هند، التي اعتزلت فراشه، وامتنعت عن الطيب...

ولمارجع المشركون طلبوا من أصحاب العير: أن يواسوهم في تلك العير، فأنزل الله تعالى: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله،فسينفقو نهاثم تكون عليهم حسرة».وقيل: نزلت هذه الآية في المطعمين في غزوة بدر، الذين كانوا ينحرون الجزر حسبما تقدم، ولعله هو الأنسب والأوفق بمفاد الآية...

عودة ظفر:

وأرسل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يبشر أهل المدينة بالنصر المبين، فلم يصدق البعض ذلك في بادئ الأمر، ثم تأكد لديهم أنه حق، ففرح المؤمنون، واستقبلوا الرسول فرحين مسرورين... و يقولون: إن زيدبن حارثة كان هوالبشير، فلم يصدقه الناس حتى اختلى بولده أسامة، واكدله ذلك... وهذا لايصح، لأن اسامة كان حينئذ طفلاً، لايتجاوز عمره العشرسنوات...

وفي الطريق الى المدينة فقد المسلمون رسول الله(ص)... فوقفوا. فجاء صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي عليه السلام.

فقالوا: يا رسول الله، فقدناك ؟

فقال: إن أبا الحسن وجد مغصاً في بطنه، فتخلفت عليه(١).

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٨٨.

و يقال: إنه(ص) قدم المدينة حينما كانوا مشغولين بدفن زوجة عثمان، كما سيأتي الحديث عنه في فصل مابين بدر وأحد ان شاء الله...

وقدم الاسارى المدينة بعد قدومه(ص) بيوم؛ ففرقهم بين المسلمين، وقال: استوصوابهم خيراً... إلى أن فداهم أهل مكة...

بعض نتائج حرب بدر:

لقد تقدم الكثير ممايمكن استخلاصه في هذا المقام. ولذا... فلانرى حاجة إلى الاطالة هنا، ولذلك فنحن نكتفي هنا بلمحة خاطفة ضمن النقاط التالية:

١ـ إن قريشاً التي كانت تحب الحياة قد واجهت في بدر ضربة روحية قاسية جداً، وأصابها هلع قاتل، وهي ترى أن حياتها مع هؤلاء المسلمين قد أصبحت في خطر حقيقي... وقدكان لهذا الخوف والهلع أثر لاينكر على حروبها اللاحقة مع المسلمين... فان الخائف اللجوج بطبيعته يتخذ كافة الاحتياطات لتأمين النصر لنفسه مع احتفاظه بالحياة.

ولذا... فقد حاولت قريش في حملاتها اللاحقة أن تكون اكثر دقة وتركيزاً، وأوسع حشداً واستعداداً، من أجل القضاء على هذه الحركة التي تراها تهدد مصالحها وامتيازاتها في المنطقة، اجتماعياً، وسياسياً، واقتصادياً، وغير ذلك.

٢ـ ومن الجهة الأخرى فقد قويت نفوس المسلمين، وشجعهم هذا الانتصار غير المتوقع على مواجهة ماكان إلى الأمس القريب يرعبهم حتى احتماله، فضلاً عن التفكير فيه، أو مواجهته... وقد كان هذا الانتصار بحيث صعب على بعض أهل المدينة التصديق به...

نعم... لقد زادهم هذا الانتصار ايماناً و يقيناً وثقة بدينهم ونبيهم... كما أنه قد أعاد لهم الثقة بأنفسهم بشكل ملحوظ... ولاسيما مع ملاحظة حجم الخسائر التي مني بها عدوهم.

٣ـ وقد أعانتهم تلك الغنائم، التي حصلوا عليها إلى حد كبير على

مواجهة مشاكلهم الاقتصادية الملحة، كما أنها فتحت شهية الطامعين، وجعلتهم على استعداد، بل و يتطلعون إلى نظائرها...

٤ـ وأيضاً... فقد أصبح ينظر إلى المسلمين في المنطقة على أنهم قوة فعالة، لابد وأن يحسب حسابها، وهابتهم القبائل، و بدأت تخطب ودّهم، وتتقرب إليهم، ولم يعد من السهل عليها أن تنقض ما أبرمته معهم من معاهدات...

بل واصبحت تتوقع لهم انتصارات أخرى ايضاً. بل يقول اليعقوبي عن وقعة ذي قارٍ، التي كانت بعد بدر بأربعة أشهر:

«وأعزالله نبيه، وقتل من قريش، فأوفدت العرب وفودها إلى رسول الله، وحاربت ربيعة كسرى. وكانت وقعتهم بذي قار. فقالوا: عليكم بشعار التهامي. فنادوا: يا محمد، يا محمد. فهزموا جيوش كسرى(١)».

و بعد هذا... فان من الطبيعي: أن يترك ذلك أثراً على محاولات قريش للتحالف مع القبائل ضد المسلمين، ويخفف من تحمس كثير منها إلى عقد مثل هذه التحالفات.

النجاشي... يفرح لنتائج بدر:

ولما أوقع الله تعالى بالمشركين يوم بدر، واستأصل وجوههم ورؤساءهم عرف النجاشي بالأمر من عين له؛ ففرح فرحاً شديداً، وجلس على التراب، ولبس ثياباً خلقة؛ لأنه أراد شكر الله لاجل هذه النعمة، و بشر المسلمين بذلك...

كلمة أخيرة:

هذا... ولابد من الاشارة إلى أن من اعجاز الاسلام: أنه(ص) قد حارب أعتى القوى بأشواب من الناس، لا تشدهم ولاتجمعهم أية رابطة ـ سوى رابطة الدين... وأمامهم عدو تشده إلى بعضه البعض عصبيات وأواصر مختلفة، ومصالح مشتركة، وليس من الطبيعي أن يتحقق النصر لقوم هم

---

(١)ـ تاريخ اليعقوبي ط صادر ج ٢ ص ٤٦.

اشواب من الناس وهمج رعاع على فئة تكون على عكس ذلك تماماً، ولأجل ذلك قال عروة بن مسعود الثقفي للنبي(ص) يوم الحديبية: «...و إن تكن الأخرى (أي الحرب) فاني لأرى وجوها، وأرى أشواباً من الناس، خليقاً أن يفرواعنك(١)»... وهم الغوغاء الذين إذا اجتمعوا ضروا، و إذا تفرقوا نفعوا(٢).

نعم... لقد حارب أعتى القوى واكثرها تلاحماً وتعاضداً— باشواب من الناس، ولم يكن ذلك في معركة واحدة، ليقال: إنها ربما تكون صدفة خاضعة لبعض العوامل والظروف الاستثنائية، بل استمر ذلك عدة سنوات... ولعل إلى ذلك يشير قوله تعالى: «وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الارض جميعاً ما الفت بين قلوبهم، ولكن الله الف بينهم»(٣).

وقبل الحديث عن أحداث مابين بدر وأحد... لابأس بأن نتكلم عن بعض الموضوعات التي ترتبط بماتقدم بنحو من الارتباط والاتصال، وذلك في الفصل التالي...

---

(١)— المصنف ج ٥ ص ٣٣٥. (٢)— نهج البلاغة، الحكم ١٩٩.
(٣)— الانفال ٦٣.

الفصل الخامس:

بحوث ليست غريبة عن السيرة

تمهيد:

لقد وعدنا القاري ٔفيماسبق بالتعرض إلى بعض البحوث التي ترتبط ببعض الاحداث بنحو أو بآخر...

والآن لقدحان الوقت للوفاء بذلك الوعد؛ ولتكن هذه البحوث بمثابة استراحات للقارئ... تبعده ولو قليلاً عن جوالسيرة والاحداث المتلاحقة والمتنوعة، لتركز على أبحاث، ربما يرغب في أن لايمر عليها مروراً سر يعاً و عابراً...

والابحاث التي نر يد عرضها في هذا الفصل، و بعد أن انتهينا من الكلام على غزوة بدرالكبرى... هي التالية:

١ـً بعض خصائص الشيعة...

٢ـً اشجعية ابى بكر

٣ـً العصمة عن السهو والخطأ والنسيان والذنب اختيار ية...

٤ـً الخمس بين السياسة والتشر يع...

البحث الأول

بعض خصائص الشيعة:

لقد تقدم معنا فى غزوة بدر: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قدأمر أصحابه بأن لايبدأوا المشركين بقتال...

وقلنا هناك :ان أميرالمؤمنين علياً عليه السلام كان يأمر أصحابه أن لايبد أوا اعداءه بقتال...

فقد جاء أنه عليه السلام نادى في الناس يوم الجمل: لايرمين رجل بسهم، ولايطعن برمح، ولايضرب بسيف، ولا تبدؤا القوم بالقتال، وكلموهم بالطف الكلام، قال سعيد: فلم نزل وقوفا حتى تعالى النهار؛ حتى نادى القوم بأجمعهم: ياثارات عثمان الخ... وبذلك ايضاً اوصى أصحابه فى صفين(١).

نعم. وقد

١— صارذلك شعار الشيعة فانهم كانوا لايبدأون، أحداً بقتال ايضاً قال الجاحظ، وهو يتحدث عن كردويه الاقطع الايسر (وهو من بطارقة

---

(١)— سنن البيهقي ج ٨ ص ١٨٠، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥٠٣ عنه وراجع تذكرة الخواص ص ٧٢ و ٩١، والفتوح لابن اعثم ج ٣ ص ٤٥ وج ٢ ص ٤٩٠ وانساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٢٤٠ ومناقب الخوارزمى ص ١٨٣ .

سندان الشجعان) و كان لايضرب أحداً إلاحطمه، وكان إذا ضرب قتل— قال الجاحظ:

«كان كردويه مع فتكه واقدامه يتشيع؛ فكان لايبدأبقتال حتى يبتدأ»(١).

٢ً— وقد كان النبي (ص) قدأسر أباعزة الجمحي في بدر، ثم منّ عليه لأجل بناته الخمس، وأخذ عليه العهد أن لايعود إلى حرب المسلمين، وأن لايظاهر عليه أحداً، ولكنه عاد فنقض العهد، وألّب القبائل و شارك في معركة أحد، فأسر وطلب العفو، فرفض النبي(ص) طلبه حتى لايمسح عارضيه، في مكة، و يقول: إنه سخرمن محمد مرتين...

ولسوف نتعرض لهذه القضية في آخر غزوة حمراء الاسد إن شاء الله.

و بذلك يكون النبي (ص) قد ضرب المثل الاعلى للمؤمن اليقظ، الذي لايخدع ولايستغل ولامجال لأن يسخر منه أحد... فهناك الكلمة التي لايجهلها أحد: «لايلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين»...

ولقد ورث شيعة أميرالمؤمنين عليه السلام هذه الخصيصة عن امامهم الذي ورثها عن مؤدبه و مربيه النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فقد عرفوا على مرّالزمن باليقظة المتناهية، والنباهة العالية، بالاضافة إلى صفات نادرة أخرى...

فيذكر التنوخي. أن الحسن بن لؤلؤ قد قال لمن أراد ان يحتال عليه: «أتعاطي عليّ، وأنا بغدادي، باب طاقي، وراق، صاحب حديث، شيعي، أزرق، كوسج؟»(٢).

٣ً— واشتهر الشيعة أيضاً: بالدقة والتحري في أموردينهم، فقد كان أسد بن عمرو على قضاء واسط، فقال: «رأيت قبلة واسط رديئة جداً، و تبين لي ذلك ، فتحرفت فيها.

---

(١)— البرصان والعرجان والعميان والحولان للجاحظ ص ٣٣٣.

(٢)— نشوار المحاضرات ج ٥ ص ١٤/١٣ و راجع: المنتظم لابن الجوزي ج ٧ ص ١٤٠.

فقال قوم من أهل واسط: هذا رافضي. فقيل لهم: و يلكم، هذا من أصحاب أبي حنيفة، كيف يكون رافضياً»(١).

و قد تقدم في تمهيد الكتاب: أن الجاحظ يذكر «ان بني أمية قد حولوا قبلة واسط» و يقول: «فاحسب ان تحويل القبلة كان غلطاً»(٢).

فيرى بعض المحققين أنها قد حولت إلى بيت المقدس؛ لأن عبدالملك قد بنى القبة على الصخرة، وأمر الناس بالحج إليها، والطواف حولها، والسعي، والنحر، وغير ذلك من أمورالحج...

وقدمنا أيضاً: أننا نستقرب جداً أن يكون استحباب التياسر في القبلة لخصوص اهل العراق، مردّه ذلك... و أنه حكم وقتي من دون الزام فيه، لئلايقع المؤمنون في حرج في مقابل السلطة الغاشمة...

٤ً- لقد كان الشيعة معروفين بشدة الغيرة على نسائهم،ولذلك نجد زكريا القزويني يقول عن أهل المدائن: «أهلها فلاحون، شيعة، امامية، و من عاداتهم: أن نساءهم لايخرجون نهاراً أصلاً(٣)...»

و هذا الأمر موجود حتى الآن في بعض مدن الشيعة في إيران كمافي قصبة خسروشاه من توابع تبريز فانك لا تكادتجد امرأة في شوارع المدينة نهاراً اصلاً...

وليس هذا إلا اقتداء منهم بسيدتهم الزهراء صلوات الله و سلامه عليها، التي كانت لاتخرج إلاليلاً، إلا إذا اضطرت إلى ذلك لخصومة سياسية أو إثبات حق، أونحو ذلك...

٥ً- لقد كان حجر بن عدي واصحابه معروفين بأنهم: «ينتقدون على الأمراء، و يسارعون في الانكار عليهم، و يبالغون في ذلك(٤)». وهذا

---

(١)- تاريخ بغداد ج ٧ ص ١٦، ونشوارالمحاضرات ج ٦ ص ٣٦.
(٢)- رسائل الجاحظ ج ٢ ص ١٦. وراجع تمهيدالكتاب.
(٣)- آثار البلاد، وأخبارالعباد ص ٤٥٣.
(٤)- البداية والنهاية ج ٨ ص ٥٤ عن ابن جرير، وغيره...

هو مذهب الشيعة، وهذه هي عقيدتهم...

نعم... على عكس غيرهم ممن يوجب السكوت و التسليم...

٦— و من خصائصهم يعني حجر بن عدي و اصحابه: أنهم «يتشددون في الدين(١)» حتى لقد جعل ذلك من أسباب الطعن عليهم...

٧— إنهم رغم اضطهاد الحكام لهم كانو في بغداد اصحاب يسار،(٢)... والظاهر: أن مردّ ذلك إلى أنهم كانوا يبرّون بعضهم بعضاً، في مقابل حرمان الحكام لهم، و اضطهادهم إياهم. فكانوا يهتمون بقضاء حاجات بعضهم البعض، و حل مشاكلهم، وتسييرأمورهم...

٨— و من خصائصهم كذلك بعد صيتهم(٣)، أي شيوع ذكرهم الحسن، وهذا يعني أنهم كانوا مستقيمين في سلوكهم، و مواقفهم، و علاقاتهم، و غيرذلك ...

٩— و من خصائصهم محافظتهم على الصلاة في أول وقتها، و يدل على ذلك قصة المأمون مع يحيى بن اكثم، وفي آخرها قال له المأمون: «إن الشيعة أشد رعاية لاوقات الصلاة من المرجئة...(٤)».

وأما غيرهم، فقد روى مالك عن القاسم بن محمد، أنه قال: ما أدركت الناس إلاوهم يصلون الظهر بعشي(٥)...

وقال الجاحظ: «وتفخرهاشم عليهم (أي على بني أمية) بأنهم: لم يهدموا الكعبة، ولم يحولوا القبلة، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة، ولم يختموافي اعناق الصحابة، ولم يغيروا أوقات الصلاة»(٦).

وهذا... وما تقدم يدل على مدى تأثـر الناس بسيرة و روحية

---

(١)— المصدر السابق...
(٢)— أحسن التقاسيم ص ٤١.
(٣)— المصدر السابق.
(٤)— الموفقيات للزبير بن بكار ص ١٣٤، وراجع: عصر المأمون ج ١ ص ٤٤٥.
(٥)— موطأمالك، مع تنوير الحوالك ج١ ص٢٧.
(٦)— آثار الجاحظ ص ٢٠٥.

حكامهم الأمويين...

١٠— و من خصائص الشيعة العلم...

١١— و من خصائصهم الجود و الكرم... و يدل على هذا، و على سابقه: ماروى من أنه دخل عبدالله بن صفوان على عبدالله بن الزبير، وهو يومئذ بمكة، فقال: أصبحت كما قال الشاعر:

فان تصبك من الأيام جائحة لاأبك منك على دنيا ولادين

فقال: وماذاك يا أعرج؟ فقال: هذا عبدالله بن عباس يفقه الناس، وعبيدالله أخوه يطعم الناس، فما أبقيالك ؟... فأحفظه ذلك ، فأرسل صاحب شرطته، عبدالله بن مطيع، وقال له: انطلق إلى ابني عباس، فقل لهما: أعمدتما إلى راية ترابية قدوضعها الله فنصبتماها؟ بدّ داعنى جمعكما، ومن ضوى إليكما من اهل الدنيا، والإفعلت و فعلت... فقال ابن عباس: ثكلتك أمك ،والله مايأتينا من الناس غير رجلين: طالب فقه، أوطالب فضل. فأي هذين تمنع؟!، فقال أبوالطفيل:

لادرّدرّ الليالي كيف تضحكنا منها خطوب أعاجيب وتبكينا
ومثل ما تحدث الايام من غير يابن الزبير عن الدنيا تسلينا
كنا نجيئ ابن عباس فيقبسنا علماً و يكسبنا أجراً ويهدينا
ولايزال عبيدالله مترعة جفانه، مطعماً ضيفاً و مسكينا
فالبروالدين والدنيا بدارهما ننال منها الذي نبغي إذا شينا
إن النبي هوالنور الذي كشفت به عمايات باقينا وماضينا
ورهطه عصمة في ديننا ولهم فضل علينا وحق واجب فينا
ولست فاعلمه أولى منهم رحماً يا ابن الزبير ولاأولى به دينا
ففيم تمنعهم عنا وتمنعنا عنهم و تؤذيهم فينا وتؤذنيا
لن يؤتي الله من أخزى ببغضهم في الدين عزاً ولافي الارض تمكينا(١)

فابن الزبير يعتبر راية العلم، وراية الجود من الرايات الترابية. التي

(١)— الاغاني ط ساسي ج ١٣ ص ١٦٨، ونقل عن أنساب الاشراف أيضاً...

اكتسبها أتباع أبي تراب منه صلوات الله وسلامه عليه...

١٢— و من خصائص الشيعة ابتعادهم عن العصبية، فقد قال كثير عزة،حينما قتل آل المهلب بالعقر:ما أجل الخطب!، ضحى آل أبي سفيان بالدين يوم الطف، وضحى بنومروان بالكرم يوم العقر...ثم انتضحت عيناه باكياً. فبلغ ذلك يزيدبن عبدالملك ،فد عابه، فلما دخل عليه قال: «عليك بهلة الله، أترابية و عصبية(١)»؟!...

وموقف أهل البيت عليهم السلام من العصبيات، ومن التميز القبلي والعنصري، معروف واضح... و موقف غيرهم —الآخر- واضح أيضاً، وهذا موضوع طويل الذيل، لامناص لنا من إرجاء الافاضة فيه إلى فرصة أخرى...

١٣—وكذلک...فان من خصائص الشيعة رضوان الله تعالى عليهم، الابتعاد عن الشراب، بدليل ما ذكروه من أن جماعة من الشعراء اجتمعوا ببغداد على نبيذ لهم، وفيهم منصور النمري. فأبى منصور أن يشرب معهم، فقالوا: إنما تعاف الشراب لأنك رافضي(٢)...

١٤— قال الزمخشري: «ليلة الغدير معظمة عندالشيعة، محياة فيهم بالتهجد... وهي الليلة التي خطب فيها رسول الله بغديرخم على اقتاب الابل، وقال في خطبته: من كنت مولاه فعلي مولاه(٣)».

١٥— الأدب و الشعر حتى لقد قال الشاعر: «وهل رأيت أديباً غير شيعي». هذا عداعن خصيصة العلم والتحقيق والتدقيق...

نعم... و هذا ماحضرنا الآن مما يرتبط بهذا الموضوع، ونأمل أن يوفقنا الله للاطلاع على المزيد من الخصائص التي امتازبها الشيعة على غيرهم، والله هوالموفق والمسدد...

---

(١)— الاغاني ج ٨ ص ٣٦.
(٢)— الاغاني ج ١٢ ص ٢٣.
(٣)— ربيع الابرار ج ١ ص ٨٤/٨٥.

البحث الثانى

أبوبكر في العريش، و شجاعة أبي بكر:

ورووا ايضاً: ان أميرالمؤمنين عليه السلام سأل عن أشجع الناس، فقالوا له: أنت، فرفض ذلك ، وقرّر هو نفسه: أنه لماكان يوم بدر جعلوا للنبي(ص) عريشاً، وقالوا: من يكون مع رسول الله، لألاّيهوي إليه أحد من المشركين؟ «فوالله مادنا منا أحد إلا أبوبكر، شاهراً بالسيف على رأس رسول الله، لايهوى إليه أحد إلاهوى إليه، فهو اشجع الناس(١)»...

قال الحلبي الشافعي: «و به يرد قول الشيعة والرافضة: أن الخلافة لايستحقها إلا علي، لانه أشجع الناس»، ثم استدل هو و دحلان على أشجعية أبي بكر: بأن النبي(ص) قدأخبر علياً بأنه يقتل على يد ابن ملجم، فكان إذا دخل الحرب،ولاقى الخصم، علم أنه لاقدرةعلى قتله، فهو معه كالنائم على فراشه. أما أبوبكر؛ فلم يخبر بقاتله، فكان إذا دخل الحرب لايدرون هل يقتل أولا، ومن هذه حالته يقاسى من التعب مالايقاسيه غيره...

---

(١)—تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٧/٣٦،ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٧ و قال:فيه من لم اعرفه، والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧١، ٢٧٢ عن البزار وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٦١ عنها، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦، والفتح المبين لدحلان بهامش سيرته النبوية ج ١ ص ١٢٢. وعن: الرياض النضرة ج ١ ص ٩٢.

و ممايدل على شجاعته تصميمه على حرب مانعي الزكاة، مع تثبيط عمرله عن ذلك ...

وأنه حين توفي الرسول(ص) طاشت العقول، وأقعد علي، وأخرس عثمان، و كان أبو بكر أثبتهم.

وأما كونه لم يشتهر عنه في الحروب ما اشتهر عن علي؛ فلأن النبي (ص) كان يمنعه عن مبارزة الشجعان(١).

و يقول دحلان: «إن الشجاعة والثبات في الامرهما الاهمّان في أمر الامامة، لاسيمافي ذلك الوقت المحتاج فيه إلى قتال أهل الردة وغيرهم(٢)»...

وقالوا أيضاً: «أبوبكر كان مع النبي (ص) على العريش يوم بدرمقامه مقام الرئيس، والرئيس ينهزم به الجيش، وعلي مقامه مقام مبارز، والمبارز لاينهزم به الجيش»(٣).

هذا كل ما عند القوم من الأدلة على أشجعية أبي بكر من سائر الصحابة... حتى علي عليه السلام...

عدم صحة ماتقدم:

و نحن نقطع بعدم صحة كل ماتقدم، أوعدم دلالته، و بيان ذلك .عداعماتقدم من عدم صحة قضية العريش من أساسها:

الف: فرار أبي بكر في المواقف:

لقد أقرّ دحلان بأن الشجاعة والثبات هما الأهمّان في أمر الامامة،

---

(١)— راجع فيما تقدم: الفتح المبين لدحلان بهامش سيرته النبوية ج ١ ص ١٢٣—١٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦، وعن تفسير القرطبي ج ٤ ص ٢٢٢.

(٢)— الفتح المبين لدحلان بهامش سيرته النبوية ج ١ ص ١٢٤—١٢٦.

(٣)— تاريخ بغداد للخطيب ج ٨ ص ٢١، والمنتظم لابن الجوزي ج ٦ ص ٣٢٧ و راجع: العثمانية للجاحظ ص ١٠.

ونحن نجد أبابكر يفر في غيرمشهد. و فراره في خيبر و حنين معروف، ولسوف يأتي ذكر مصادره في غزوة خيبر(١)... و قال ابن أبي الحديد المعتزلي المعترف بخلافة أبي بكر يذكر فراره هو و عمر:

و ما أنس لاأنس الذين تقدما ... وفرّهما والفرّ قدعلما حوب
وللراية العظمى و قدذهبا بها ... ملابس ذل فوقها و جلابيب

إلى أن قال:

أَحَضْرُهما أم حَضْر أخْرجَ خاضب ... وذان هما أم ناعم الخدمخضوب
عذرتكما إن الحمام لمبغض ... وإن بقاء النفس للنفس مطلوب
ليكره طعم الموت والموت طالب ... فكيف يلذالموت والموت مطلوب

ولكننا نقول لابن أبي الحديد: بل يلذالموت لمن بلغ الدرجات العالية من اليقين والمعرفة بجلال و عظمة الله، و ما أعده لعباده الصالحين والمجاهدين في سبيله. و الناصرين لدينه...

وفرأبوبكر أيضاً في أحد... و يقول الاسكافي: إنه لم يبق معه حينئذ سوى أربعة بايعوه على الموت، وليس أبوبكر من بينهم (٢) و سيأتي ذكر ذلك في غزوة أحدمع مصادره إن شاء الله تعالى...

و فر أيضاً في حنين... حيث لم يبق معه (ص) سوى علي (ع)، والعباس، وأبي سفيان بن الحارث، وابن مسعود(٣)...

نعم... لقد شهد أبوبكر المشاهد كلها... وليس فقط لم تؤثرعنه اية بادرة تدل على شجاعة واقدام، بل ثبت عنه مايدل على عكس ذلك تماماً...

---

(١)— وقدرواه البزار بسند صحيح، ورواه أيضاً الطبراني، والايجي، والبيضاوي، وابن عساكر، فراجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٤، والمواقف كمافي شرحه ج ٣ ص ٢٧٦، وأقره شراحه، والمطالع ص ٤٨٣، عن البيضاوي في طوالع الانوار، وترجمة علي بن أبى طالب من تاريخ ابن عساكر بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٨٢، والغدير ج ٧ ص ٢٠٤. و سيأتي المزيد ان شاء الله تعالى...

(٢)— الغدير ج ٧ ص ٢٠٦ عن السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٣.

(٣)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٣.

وإذا كان له عذر في بدر، حيث جعلوه مع النبي (ص)في العريش— المكذوب!— لايفارقه فاين كان عنه في أحدوحنين وهو ازن وغيرهما، حينما كان النبي(ص) يجد نفسه محاطاً بالمشركين، الذين يريدون اطفاء نورالله عزوجل... فهل كان أبوبكر في تلك الوقائع في عريش رئاسته، وكان النبي(ص) هوالجندي المحارب بين يدى رئيسه أبي بكر، الذي ينهزم الجيش بانهزامه؟!.

وأين كان في خيبر حينما كشف ياسر اليهودي المسلمين، حتى انتهى إلى موقف النبي(ص)، و قاتل (ص) بنفسه... وارسل الى علي(ع) الذي كان في المدينة لرمدعينيه؛ فجاءه... وكان ما كان...

و في أحد خلص العدو إلى رسول الله (ص)، فدث بالحجارة حتى وقع لشقه، وشج في وجهه، إلى آخر ماجرى... وأصابته في حمراء الاسد أذايا وشج في وجهه...

إلى غير ذلك من أمور...

وأما قولهم: إنه (ص) كان يمنعه من القتال... فهل منعه في أحد وحنين، وخيبر، وسائر المشاهد. و هل كان يمنعه، ثم يباشر هو بنفسه القتال، حتى يتعرض للاصابة بجسده الشريف؟!... كل ذلك دفاعاً عن الرئيس، أبي بكر بن أبى قحافة؟!...

واخيراً فقد قال الاسكافي عن ابي بكر: انه «لم يرم بسهم قط، ولاسل سيفاً ولااراق دماً وهو أحد الاتباع غير مشهور ولامعروف. ولاطالب و لامطلوب».

و خلاصة كلام الاسكافي الطويل: أنه لايمكن قياس ابي بكر برسول الله (ص) ولاجعله رئيساً يهلك الجيش بهلاكه. لأن النبي (ص) هو صاحب الجيش، والدين الجديد. وهوالذي يراه عدوه و صديقه: أنه السيد والرئيس، و هوالذي احنق قريشاً والعرب بدينه الجديد، ثم و ترهم بقتل رؤسائهم و اكابرهم... وهوالذي يرتبط به مصير الجيش...

أما ابوبكر، فلا أثر له هنا، ولاكان اعداء الاسلام يقصدونه بالقتل

وإنما هو كأي مهاجري آخر، مثل عبدالرحمٰن بن عوف، و عثمان وغيرهما. بل كان عثمان ابعدمنه صيتاً. واشرف مركباً، فلم يكن قتله في احد تلك المعارك ليضعف الاسلام، و لا تعفى آثاره... فكيف يجعل رسول الله (ص)، الذي كان وقوفه وقوف رعاية وتدبير، و ظهر و سند، يحرس أصحابه، و يدبرامورهم، و يعين مواقفهم وتوجب سلامته الطمأنينة لهم... و لوكان في اول المحاربين، لانشغلت نفوسهم بمصيره، و شغلهم الاهتمام به عن عدوهم، ولايكون لهم فئة يلجئون اليها،ومن يكون قوة و عدة لهم، يعرف مواضع خللهم، واذا رأى مصلحة في اقدامه بنفسه اقدم.

ولو كان ابوبكر شريكا للنبي بالنبوة وكانت العرب تطلبه مثله لصح قولهم... و أما وهو اضعف المسلمين جناناً و أقلهم عندالعرب ترة، ولاحارب ابدا، بل هو أحد الاتباع فكيف يجوز أن يجعل بمقام و منزلة رسول الله ؟!

ثم ذكر الاسكافي قصة مبارزته لولده عبدالرحمٰن في احد، واعتبر قول الرسول(ص) له: امتعنا بنفسك ، كان لعلمه بأنه ليس اهلاً للحرب و ملاقاة الرجال، وأنه لوبارز لقتل... ثم ذكر قوله تعالى: فضل الله المجاهدين على القاعدين اجراً عظيماً، وآيات أخرى، وأضاف أنه لو كان الجبان و الضعيف يستحقان الرئاسة لتركها الحرب، لكان حسان بن ثابت أحق بها.

ولقد كانت قريش تريد قتل النبي(ص) اولا و علي عليه السلام ثانياً، لأنه اشبه الناس به وأقربهم اليه وأشدهم دفعاً عنه، لأن قتل علي(ع) يضعف النبي (ص)، و يكسر شوكته... و قد وعد جبير بن مطعم غلامه وحشياً بالحرية إن هو قتل محمداً اوعلياً او حمزة، ولم يذكر ابابكر، ولمقاربة حال علي(ع) لحال النبي(ص) وجدنا النبي (ص) يخاف ويحذر عليه، و يدعوله بالسلامة والحفظ انتهى باختصار(١).

باء/حراسة أبي بكر للنبي:

وأما حديث انه وقف بالسيف على رأس رسول الله (ص) لايهوى

---

(١)– راجع شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٧٨– ٢٨٤.

أحد من المشركين بسيفه إلا أهوى إليه... فلايمكن أن يصح أيضاً:

١ـ إذ رغم ضعف أسناد هذه الرواية(١)... يكذبها قولهم: المشهور ان سعدبن معاذ كان مع جماعة من الأنصار يحرسون الرسول(ص) في العريش، ويضيف البعض إليهم علياً أيضاً...(٢).

ولعلهم ذكروا علياً لما تقدم من أنه كان لايغفل عن رسول الله (ص)، فكان يقاتل قليلاً ثم يأتي إليه ليفتقده...

و إذا كان النبي و أبوبكر في داخل العريش، وهؤلاء مع ابن معاذ يحرسونهما في خارجه، فكيف وصل إليه المشركون، وكان إذا أهوى أحدهم إليه أهوى إليه أبوبكر بالسيف؟.

وأليس حال هؤلاء الحراس أشد من حال أبي بكر، الذي يوجد من يدافع عنه في الخارج، و هو مطمئن البال في الداخل؟!...

٢ـ يقول الاميني: أضف إلى ذلك: أن حراسة النبي لاتختص بأبي بكر، ولابابن معاذ، فقدحرسه غيره في مواقع و غزوات أخرى كبلال، و ذكوان و سعدبن أبي وقاص بوادى القرى. و ابن أبي مرثد ليلة وقعة حنين، والزبير يوم الخندق، و محمدبن مسلمة يوم أحد، والمغيرة يوم الحديبية، وأبوأيوب الأنصاري ببعض طريق خيبر... وقد استمرت هذه الحراسة إلى أن نزل قوله تعالى في حجة الوداع؛ والله يعصمك من الناس، فترك الحرس، هذا كله على فرض تسليم حراسة أبي بكر له...(٣).

و ماتقدم و إن كان ربما يكون للنقاش فيه مجال... إلا ان السمهودي قال و هو يتحدث عن «أسطوان المحرس»:

قال يحيىٰ: حدثنا موسى بن سلمة، قال: سألت جعفر بن عبدالله بن

---

(١)ـ ضعف أسنادها الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ٤٦١.

(٢)ـ البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٧١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٥٦ و ١٦١.

(٣)ـ الغدير ج ٧ ص ٢٠٢. و نقل ما ذكر عن: عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٣٨٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٤، وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤.

الحسين عن أسطوان علي بن أبي طالب، فقال: إن هذه المحرس كان علي بن أبي طالب يجلس في صفحتها التي تلي القبر مما يلي باب رسول الله(ص)، يحرس النبي(ص)(١).

٣ــ و يقول الأميني أيضاً: إنه لو كان حديث سيف أبي بكر في حراسته للنبي صحيحاً لكان أبو بكر أولى وأحق بنزول القرآن في حقه من علي و حمزة و عبيدة، الذين نزل فيهم: هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية... و قوله تعالى: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه. و لكان أحق من علي بقوله تعالى: هو الذي أيدك بنصره و بالمؤمنين، وغير ذلك من الآيات.

وكان حقاً على رضوان الذي نادى يوم بدر:

لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى إلا علي

أن ينوه باسم أبي بكر و سيفه المشهور على رأس رسول الله، حيث لم يجرؤ أحد سواه على القيام بذلك ، و به حفظ رسول الله والدين...(٢).

جيم: أبو بكر في ساحة الحرب:

قولهم: إنه كان في العريش ينا فيه:

١ــ قولهم الآخر: إنه كان على الميمنة أوفى الميمنة يوم بدر(٣)...

٢ــ وقولهم إن ولده عبدالرحمان قال له: يا أبت لقد أهدفت لي يوم بدر مراراً فصدفت عنك(٤).

٣ــ وقولهم إن عبدالرحمان دعا يوم بدر إلى البراز، فقام إليه والده

---

(١)ــ وفاء الوفاء ج ١ ص ٤٤٨.

(٢)ــ راجع الغدير ج ٢ ص ٤٦ــ٥١ و ج ٧ ص ٢٠٢/٢٠٣ بتصرف...

(٣)ــ مغازي الواقدي ج ١ ص ٥٨ والبداية والنهاية ج ٣ ص ٢٧٥.

(٤)ــ الروض الانف ج ٣ ص ٦٤، وفي مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٧٥ وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ عن الكنز ج ٥ ص ٣٧٤: أن ذلك كان يوم بدر.

أبوبكر ليبارزه، فقال له الرسول: متعنا بنفسك (١)... و قد تقدم تعليق الاسكافي على هذه القضية... و ستاتي أيضاً في واقعة أحد ان شاء الله تعالى...

دال: الاخبار بحرب أميرالمؤمنين (ع) للناكثين والقاسطين:

وأما عن اخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاميرالمؤمنين عليه السلام بمحاربته للناكثين والقاسطين، و بقتل ابن ملجم له... فهو مع خصمه كالنائم على فراشه، فنسجل هنا:

١ً— إن الاسكافي يقول: إن اخباره (ص) إياه بقتال الناكثين والقاسطين... انما كان بعد أن وضعت الحرب اوزارها، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، و وضعت الجزية، ودان العرب قاطبة له(٢)...

٢ً— وأما اخباره(ص) بانه سوف يستشهد على يد ابن ملجم... فانما قال له في غزوة العشيرة، حينما كناه بأبي تراب: إن أشقى الاولين والآخرين يخضب لحيته من رأسه، لكنه لم يعين له وقت ذلك ، فلعله بعد شهر، ولعله بعد سنوات...

٣ً— ولو أننا سلمنا ذلك ... فكيف يكون كالنائم على فراشه، مع انه يمكن أن يتعرض للجرح والكسر، أولقطع بعض اعضائه... فهل تأكد لدى هؤلاء: أنه كان في مأمن من كل ذلك ، حتى أصبح عندهم مع خصمه كالنائم على فراشه؟!... و لماذا كان المسلمون يتمدحون شجاعته، و يقرضها الله و رسوله في غير مقام و يعتبرونها امتيازاً له، و من اسباب مدحه و عظمته عندهم... فلو كان ذلك صحيحاً لكان الكل اشجع من عليّ حتى النساء.

٤ً— إنهم يروون: أنه(ص) قال للزبير: إنه سيقاتل علياً وهو له ظالم، و نزل في حق طلحة قوله تعالى: ماكان لكم أن تؤذوا رسول الله، ولا أن

---

(١)— سنن البيهقي ج ٨ ص ١٨٦ و حياة الصحابة ج ٢ ص ٣٣٢/٣٣٣ عن الحاكم عن الواقدي.

(٢)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٧.

تنكحوا أزواجه من بعده... و يروون أيضاً قصة أحجار الخلافة... وغير ذلك من الروايات الكثيرة جداً في حق كثير من الصحابة... كما أن النبي (ص) نفسه كان يعلم بأن هذا الدين سيظهر، ولسوف يدخل مكة ظافراً، و سيحصل المسلمون على كنوز كسرى و قيصر... إلى غير ذلك مما لا مجال لتتبعه... فهل بطل بذلك جهادهم؟!...

هاء: حرب مانعي الزكاة:

وأما حرب أبي بكر لمانعي الزكاة، فلم يكن بنفسه وانما بغيره، و من أجل الحفاظ على مكانته و موقعه في الحكم. و ذلك لأنهم أنكروا عليه تصديه للخلافة، و أخذه ما ليس له بحق، وكذلك كان الحال في قتال من أطلقوا عليهم كلمة «أهل الردة» .

و واضح: أن العناد في الرأي لا يدل على شجاعة في القتال... فربما تجد الجبان يصر على رأيه الذي سوف ينفذه غيره أكثر من الشجاع...

واو: ثباته حين وفاة الرسول(ص):

وأما عن ثباته حين وفاته(ص) فنشير إلى ما يلي:

١ـ يقول العلامة الأميني رحمه الله تعالى: إنه اذا كان الميزان في الشجاعة هو ماذكر من ثباته عند موته(ص) فان أبابكر يكون أشجع من النبي (ص) نفسه، فانه لم يثبت عند موت جماعة عاديين، كعثمان بن مظعون، حين قبّله و هو يبكي، وله شهيق، والدموع تتحادر على خديه(١).

وعثمان أيضاً كان اشجع من النبي (ص)؛ لأن موت زوجته، ابنة رسول الله (ص) لم يمنعه عن مقارفة النساء ليلة وفاتها، وكان (ص) يبكي على ابنته(٢).

---

(١)ـ الغدير ج ٧ ص ٢١٤ عن: سنن البيهقي ج ٣ ص ٤٠٦، حلية الاولياء ج ١ ص ١٠٥، والاستيعاب ج ٢ ص ٤٩٥، واسد الغابة ج ٣ ص ٣٨٧، والاصابة ج ٢ ص ٤٦٤، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٥٨، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٨١.

(٢)ـ الغدير ج ٢ ص ٢١٤ و ج ٣ ص ٢٤ عن: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٤، و مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧، والاستيعاب ج ٢ ص ٧٤٨، وصححه، والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤ و ٤٨٩.

٢ــ إن ماذكروه من تخبيل عمر، واخراس عثمان، و اقعاد علي ووالخ... إن صح... كان مانعاً عن خلافتهم ــ على حد قول دحلان ــ لأنهم ما كان لهم تلك الشجاعة والثبات في الأمور، اللذان هما الاهمان في الأمور... فكيف قبلوا بخلافتهم، وهم فاقدون لأهم أمريحتاج إليه في الامامة؟...

وعن اقعاد علي (ع) نقول: كيف؟ وقدقضى النبي (ص) في حجره، وهوالذي تولى غسله، وكفنه، و دفنه دونهم...

٣ــ إن ما ذكر من ثباته حين موته(ص) إنما يكون دليلاً لوكان لموت النبي أثر عليه... وهومع ذلك قد تحمل ذلك الأثر، وقاوم تلك الصدمة... مع اننا نجد اميرالمؤمنين عليه السلام يواجهه بحقيقة: أن موت النبي (ص) لم يكن يعنيه، حتى اضطر ابوبكر إلى الاستشهاد بالناس على حزنه على النبي(ص) كماسيأتي في غزوة أحد، حين الكلام على: «لاسيف إلا ذوالفقار». إن شاء الله تعالى...

و على كل حال... فان ماذكروه لاثبات أشجعية ابى بكر لايفيد شيئاً في اثباتها، ولايسمن ولايغني من جوع...

البحث الثالث:

ذوالشمالين... وسهو النبي (ص):

قد تقدم أن ذاالشمالين قد استشهد في بدر... ولكن ثمة رواية تنافي ذلك ، وملخصها: أن اباهر يرة ادعى: أنه حضرمع النبي (ص) يصلي الظهر اوالعصر؛ فسلم الرسول(ص) في ركعتين، فقال ذوالشمالين بن عبد عمرو-وكان حليفاً لبني زهرة: أخففت- أو أقصرت- الصلاة أم نسيت؟ فقال(ص): مايقول ذواليدين؟. قالوا: صدق يا نبي الله. فأتم بهم الركعتين اللتين نقص.

وللرواية نصوص أخرى مختلفة، في بعضها: أنه (ص) أجاب ذاليدين بقوله: كل ذلك لم يكن... وفي بعضها: أنه وقف متكئا على خشبة المسجد مغضباً، وخرج سرعان من الناس يخبرون بقصر الصلاة... وفي بعضها أنه قام فمشى فلحقه أبوبكر وعمر وذواليدين(١).

---

(١)- صحيح البخاري الباب الثالث من أبواب ماجاء في السهو في الصلاة، وصحيح مسلم، في أبواب السهو، و فتح الباري ج ٣ ص ٧٧ حتى ص ٨٣ و البخاري بهامشه ومصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٢ ص ٢٩٦/٢٩٧ و ٢٩٩ و مسند أحمد ج ٢ ص ٢٧١ و ٢٨٤ و موطأ مالك ج ١ ص ١١٥، ونقل عن كنزالعمال ج ٤ ص ٢١٥ و ٢١٤ عن عبدالرزاق وابن أبي شيبة، وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٨٦، والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٤٩١/٤٩٢ والاصابة ج ١ ص ٤٨٩ و ٤٢٩ واسدالغابة ج ٢ ص ١٤٦ و سنن البيهقي ج ٢ ص ٢٣١ وسنن النسائي باب مايفعل من سلم من الركعتين ناسياً وتكلم و غير ذلك .

وقد وردت هذه الرواية في كتب الشيعة بأسانيد صحاح أيضاً... وقدرواها سماعة بن مهران، والحسن بن صدقة، وسعيد الاعرج، وجميل بن دراج، وأبو بصير، وزيد الشحام وأبوسعيد القماط، وأبو بكر الحضرمي، والحرث بن المغيرة...

وليس لنا إشكال على الروايات الواردة من طرق الشيعة... وأما الروايات الواردة من طرق غيرهم... ففيها بعض مواقع للنظر...

فأولاً

قال النووي. بعد أن ذكر بعض نصوص الرواية: «وأشباه هذه الالفاظ المصرحة بأن أبا هريرة حضر القصة، و هو مسلم. و قداجتمعوا على أن أبا هريرة إنما أسلم عام خيبر، سنة سبع من الهجرة، بعد بدر بسبع سنين... وكان الزهري يقول: إن ذاالیدین هو ذوالشمالين، وأنه قتل ببدر، وأن قصته في الصلاة كانت قبل بدر الخ...(١)».

وقد صرح بأن ذا اليدين هو نفسه ذوالشمالين في رواية وردت عن الصادق(ع)(٢)... وكذا في طبقات ابن سعد و غيره(٣)... كما أن بعض الروايات الأخر قدجمعت بين اللقبين(٤)...

و عليه فحكم صاحب الاستيعاب و غيره على القول باتحادهما بأنه غلط؛ استناداً إلى رواية أبي هريرة المتقدمة(٥) في غيرمحله... بل العكس هوالصحيح: أي أن الظاهر: هوأن أبا هريرة هوالذي تصرف في الرواية،

---

(١)— تهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٨٦.

(٢)— الكافي للكليني ج ٣ ص ٣٥٧، والوسائل ج ٥ ص ٣١١.

(٣)— راجع طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١١٨.

(٤)— هي روايــة مسند أحمد، وكنزالعمال عن عبدالرزاق و ابن أبي شيبة والمصنف لعبدالرزاق ج ٢ ص ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٩... و نقل قول الزهري باتحادهما: في الاستيعاب بترجمة ذي اليدين، وكذا في الطبري، وشرح موطأ مالك للسيوطي، و تهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٨٦ و غير ذلك ...

(٥)— الاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ٤٩١ واسدالغابة ج ٢ ص ١٤٢/١٤٥/١٤٦.

وجعل نفسه مع الحاضرين لتلك الصلاة...

وأما رواية عمران بن الحصين الدالة على أن ذا اليدين هوالخرباق... فيجوز أن يكون الخرباق لقباً لذي الشمالين...

وقولهم: الخرباق السلمي... لايضر؛ لأن سليما كان أحد أجداد ذي اليدين أو ذي الشمالين(١).

وقدصرح ابن قتيبة باتحادهما، وقال: وقديقال: إن اسمه الخرباق...

وثانياً:

قولهم: انه وقف متكئاً على خشبة في المسجد مغضباً، لم نفهم له معنى، إذ لماذا يقف مغضباً هكذا بلاجهة؟ ولاسيما اذا كان قد استقبل الناس بوجهه— كمافي بعض الروايات— فان استدبار القبلة، ولوساهياً مبطل للصلاة. والصحيح: انه مابرح من مجلسه، كمافي رواية الكليني(٢)، هذا كله لوقلنا: ان الكلام الاختياري لمصلحة الصلاة لايبطل الصلاة ايضاً...

وثالثاً:

كيف يصح منه(ص) نفي كلٍ من النسيان و قصرالصلاة بقوله: «كل ذلك لم يكن»، اونحو ذلك ؟!...

و قولهم: إنه أخبر عن اعتقاده...

يخالف ظاهر الكلام، الذي يفهم منه ان كل ذلك لم يكن في الواقع...

وأخيراً... فان الروايات عن اهل البيت في هذا الموضوع قريبة من

---

(١)— راجع طبقات ابن سعد ج ٣ قسم ١ ص ١١٨ والاصابة ج ١ ص ٤٨٩ واسدالغابة ج ٢ ص ١٤١—٨٤٥

(٢)— الكافي ج ٣ ص ٣٥٦.

التواتر، ومنها خمس معتبرات... لكن ليس فيها مايوجب الاشكال بماتقدم ولامايوجب ردّها، و قد كتب التستري رسالة في هذا الموضوع في او اخرج ١١ من كتاب قاموس الرجال فليراجعها من اراد...

لماذا كان ماكان:

نعم... و من الممكن ان يسهي الله نبيه الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لمصلحة تقتضى ذلك ، وحاله حاله من الجلالة والرسالة.

ويمكن ان نذكر من وجوه المصلحة لذلك:

١ــ ان لايغلو الناس فيه، فيؤلهونه... او يثبتون له بعض الصفات التي ليست له...

٢ــ ان الله تعالى اراد ان يفقههم، كمافي رواية الحسن بن صدقة، التي رواها الكليني(١)...

٣ــ ان الله تعالى هوالذي انساه رحمة للامة، الا ترى لوأن رجلاً صنع هذا لعيّر؟!، و قيل له: ماتقبل صلاتك ؛ فمن دخل عليه اليوم ذاك ،قال: قدنسي رسول الله(ص)، و صارت اسوة الخ...(٢)... وقد ورد شبيه ذلك في نومه (ص) عن صلاة الصبح في السفر...

ايراد و جوابه: ولربما يقال: إن فعل النبي (ص)، وقوله، وتقريره حجة. وقضية السهو، تنافي ما اتفق عليه المسلمون من حجية فعله، بل وتنافي حجية قوله ايضاً... و هذا يبطل الوثوق به والاعتماد عليه... و هو مناف لحكمة النبوة والرسالة(٣).

ويمكن ان يجاب عن هذا: بأنه إنما ينافي ذلك لو أقر على سهوه، وأخذ الناس الحكم الخطأ عنه... ولكن إذا لم يقره الله عليه بل بينه له بنحو مّا فانه

---

(١)ــ الكافي ج ٣ ص ٣٥٦.

(٢)ــ الكافي ج ٣ ص ٣٥٧.

(٣)ــ راجع: دلائل الصدق ج ١ ص ٣٨٤ــ٣٨٦.

لامانع منه عقلاً، ولاشرعاً (١).

هذا... ولابأس بالتعرض هنا إلى العصمة عن السهو والنسيان والخطأ، ثم العصمة عن الذنوب، وأنها جميعاً هل هي اختيار ية أم لا.

فالبحث يقع في ناحيتين: احداهما: العصمة عن النسيان، والسهو، والخطأ، والأخرى العصمة عن الذنب... فنقول:

العصمة عن السهو والخطأ والنسيان إختيار ية:

اما العصمة عن السهو والخطأ والنسيان فهي اختيار ية على مايظهر، و ماجرى في قضية الصلاة؛ فانما هو انساء من الله له؛ لمصلحة اقتضت ذلك لانسيان منه (ص)... ويمكن أن يقرب ذلك بمايلي:

أولاً: إن من يمرّن نفسه على ألاّ ينسى، أوعلى الضبط والتدقيق يصير أقدر على الحفظ وعدم النسيان... وتقل نسبة خطئه... بالمقايسة مع غيره ممن لايبالي بالشيئ حفظه أونسيه، زاد فيه أونقص منه... فاذا كان ذلك الأمر من اختصاصه، كان احتمال النسيان أوالخطأ فيه أقل... وكلما كان اهتمامه فيه اكثر . كلما كان نسيانه له و خطؤه فيه أقل أيضاً .وهذا الأمر يدرك بالوجدان... و يعلم بالتجربة...

وهذا صادق بالنسبة الى الانسان العادي... الذي نعرفه و نألفه. وكلما كانت الملكات والمدارك، والقوى النفسية، والفكرية وإلخ... للشخص قوية فإنه يكون أيضاً أكثر سيطرة على ذاكرته، وتصرفاته... و يقل احتمال الخطأو السهو والنسيان عنده....

ونبينا الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم هوالقمة في كل شيئ... فهوالإنسان الأول الذي يمثل خلافة الله الحقيقية على وجه الأرض... وهوالانسان الذي كان فانياً في الله، وليس له همّ، ولاهدف إلارضى الله، وتحقيق أهداف الله على وجه الأرض... فمن الطبيعي أن لايصل إليه أحد،

---

(١)ـ راجع: فتح الباري ج ٣ ص ٨١.

ولايدانيه مخلوق في الضبط والحفظ، ولاسيما فيمايتعلق بهدفه الاسمى، وفي عبادته لربه، وطاعته له... وذلك أمر واضح لايحتاج إلى مزيد بيان.

وثانياً: هناك بعض الأمور التي توجب النسيان... وبمقدور كل أحد أن يتجنبها، ومن ثم يجنب نفسه ولايعرضها لآثارها ونتائجها... وقدذكرت بعض الروايات طائفة منها... فمثلاً: قد ذكر ممايوجب النسيان أكل الجبن والكزبرة، وكثرة شرب الماء، والعبث ببعض الأعضاء... وكثرة الهم... الناشيء في الاكثر من كثرة الذنوب، ونحو ذلك ...

وهناك امور تزيد في الذاكرة، كعملية التذكر، وأمور اخرى لامجال لذكرها... وقد ذكرت الروايات قسماً منها كاكل الزبيب ونحوه... و واضح أن القدرة على السبب تعتبر قدرة على مسببه... فيمكن أن يكلف الانسان بأن لاينسى الشيء الفلاني... أو أن يزيد من نسبة حفظه و ضبطه، باعتبار قدرته على سبب ذلك ... والتكليف بالمسبب الذي لايقدر عليه الانسان إلا بقدرته على سببه كثير في الشرع.

وثالثاً: إن ثمة آيات كثيرة جداً تلوم على النسيان. بل وفي بعضها وعيد بالعقاب عليه...أوجعل العقاب الذي يلاقيه في الآخرة في مقابل النسيان الحاصل في الدنيا. ونذكر على سبيل المثال الآيات التالية:

«ومن أظلم ممن ذكّر بآيات ربه؛ فأعرض عنها، ونسي ماقدمت يداه(١)» الكهف ٥٧.

«يحرفون الكلم عن مواضعه، ونسواحظاً مما ذكّروابه» المائدة١٣.

«فاليوم ننساهم كمانسوالقاء يومهم هذا» الاعراف٥١.

«ولا تكونوا كالذين نسوالله فأنساهم أنفسهم» الحشر ١٩.

---

(١)— فان سياق الآية والتعبير بـ «ذكروا» لايناسب إرادة التجاهل من النسيان، كمايريد أن يدعيه البعض، وكذلك في سائر الآيات.

«نسوا الله فنسيهم» التوبة ٦٧.

«أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم؟» البقرة ٤٤.

«فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا» السجدة ١٤.

والآيات في هذا المجال كثيرة، لا مجال لنقلها كلها... كما أننا نجد بعض الآيات تنهى عن النسيان، والنهي لابد وأن يكون عن أمر مقدور.

قال تعالى: «ولا تنس نصيبك من الدنيا» القصص ٧٧.

وقال تعالى: «ولا تنسوا الفضل بينكم» البقرة ٢٣٧.

ولعل فيما ذكرناه كفاية...

ولم نجد له عزماً:

ولعل من الواضح ان الله تعالى قد أشار إلى اختيارية النسيان حين قال: «ولقد عهدنا إلى ادم من قبل فنسي، ولم نجد له عزماً»(١).

فان هذه الآية تدل على أنه لو كان لآدم طاقة وتحمل، لما أقدم على ما أقدم عليه، مما يعني: أن النسيان ناشئ عن عدم القدرة على التحمل؛ فكلما زادت قدرة الانسان وعزمه، وطاقته، كلما قلّت نسبة النسيان لديه؛ بمقتضى هذه الآية الكريمة.

ودليل آخر على اختيارية النسيان وهو ان قوله (ص): رفع عن أمتي النسيان... إنما هو رفع امتنان وتسهيل... والرفع إنما يكون لما يقبل الجعل والوضع.

عود على بدء:

وبعد كل ماتقدم، فان مايمكن أن نطمئن إليه، هو أن الله قد أنسى نبيه الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم لمصلحة يراها، لا أنه هو نفسه (ص) قدسها في صلاته، بحيث يفسح المجال للايراد: بأن معنى ذلك: أنه (ص) لم

(١) سورة طه ١١٥

يكن مهتما في صلاته تلك... وهو غير معقول...

وقد تقدم عن الكافي: «إن الله تعالى هو الذي أنساه رحمة للامة»...

وفي صحيحة في الفقيه: «إنما فعل الله تعالى به ذلك رحمة لهذه الأمة».

وفي خبر الحسن بن صدقة: إنه تعالى أراد باسهاء نبيه تفقيه الناس...

العصمة عن الذنب اختيارية أيضاً:

سؤال يحتاج إلى جواب:

ان المسلمين يعتقدون— عموما— بعصمة جميع الانبياء، صلوات الله عليهم، و يز يد شيعة اهل البيت عليهم السلام على ذلك: اعتقادهم بعصمة الائمة الاثنى عشر عليهم السلام... وذلك لانه يجب اتباعهم، والاقتداء بهم... ولايعقل تجو يز ذلك فضلاً عن ايجابه، اذا كانت المعاصي تصدر منهم؛ لان معنى ذلك هو تجو يز ارتكاب المعاصي نفسها، وهو غير معقول، لانها تخرج حينئذ عن كونها معاصي من جهة، ولان ذلك ينافي حكمة وسرّ ارسال الانبياء من الجهة الاخرى...

ولسناهنا في صدد بيان التفاصيل الكاملة، والبحث الشامل للاقوال المختلفة حول هذه القضية... وانما نر يد هنا— فقط— ان نجيب على السؤال التالي:

هل ان عصمة الانبياء والأئمة تعني:— كمايرى البعض— انهم لايستطيعون ان يفعلوا الذنب، ولايقدرون على غير الطاعة، فهم مجبرون على الطاعة، مقهورون على الابتعاد عن المعاصى؟!.

واذا كانوا مجبر ين على ذلك ، فماهو وجه الفضل لهم؟! ولماذا لم نجبر نحن على مثله؟! ولماذا يعرضّنا الله تعالى للوقوع فيما لايرضى، ثم يعاقبنا على ذلك بالعذاب في النار، وحرماننا من الجنة؟!...

وايضاً... ان من يكون مجبراً على الطاعة، وعلى الابتعاد عن الذنب،

هل يحسن اثابته بالجنان، وابعاده عن العقاب والعذاب بالنيران؟!...

هذا هوالسؤال الذي يفرض نفسه، و يلح علينا، وعلى كل مسلم بالجواب عنه، واعطاء الحل المناسب له...

الجواب: ونحن في مقام الاجابة عن هذا السؤال نقول.

إن العصمة عن الوقوع في الذنوب والمعاصي اختيار ية.والكلام حول هذا يحتاج الى شيء من التفصيل، فنقول:

الاسلام والفطرة:

إن من يدرس تشر يعات الاسلام و يطالع تعاليم السماء، يخرج بحقيقة قاطعة؛ وهي: ان تلك التعاليم والتشر يعات منسجمة كل الانسجام مع طبيعة الانسان وفطرته لولم تطغ على تلك الفطرة عوامل غر يبة عنها وافدة عليها... حتى إنك لتجد بعض من عاش في الجاهلية— كجعفربن أبي طالب، على ماروا ه عنه في الامالي— وآخر ين غيره قد حرّم على نفسه الكذب، وشرب الخمر، والزنا وعبادة الاوثان. ولقد صرّح القرآن، وتعهّد والتزم بان يكون هذا الدين هودين الفطرة... بحيث لو ثبت منافاة اي من تشر يعاته وتعاليمه لفطرة الانسان لأمكن رفضه، والحكم عليه بانه غر يب ودخيل، وليس من تعاليم السماء في شيء... قال تعالى:

«فأقم وجهك للدين حنيفاً، فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيّم، ولكن اكثر الناس لايعلمون...».

وما ذلك الاّ لان الانسان— على حد تعبير العلامة الطباطبائي حفظه الله تعالى—:

«...مفطور بفطرة تهديه الى تتميم نواقصه، ورفع حوائجه، وتهتف له بما ينفعه و مايضره في حياته.

قال تعالى: و نفس وما سوّاها: فألهمها فجورها وتقواها...»

والدين هو ذلك النظام الذي يهدي الانسان و يدله على ما فيه خيره

وسعادته، ويجنّبه مافيه شقاؤه وبلاؤه... وهو يوافق ما الهمه الله لنفس الانسان، وعرّفها اياه، و ينسجم معه... ويحتضن العقل ويحفظه و يسدده من ان يزل او ان يميل في ادراكاته واحكامه نتيجة لطغيان الهوى، اوتز يينات النفس لشهواتها... حتى لقد قيل: العقل شرع من داخل، والشرع عقل من خارج...

ولاجل ذلك نرى القرآن يعبّر عمن لايتبع الدين، ولايسيرعلى منهاجه بقوله:

«أرأيت من اتخذ الٰهه هواه، أفأنت تكون عليه وكيلا؟. أم تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون، ان هم الاّ كالانعام، بل هم اضل سبيلا...».

وقال تعالى: «...ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس، لهم قلوب لايفقهون بها، ولهم أعين لايبصرون بها، ولهم آذان لايسمعون بها، اولئك كالانعام بل هم اضل، اولئك هم الغافلون...» صدق الله العلي العظيم...

فهو يعتبر ان من اطاع هواه، واتبعه، ولم يهتد بهدى العقل ولم يسمع الاوامر والزواجر الالهية الموافقة لهدى العقل— يعتبر— انه في سلوكه هذا كالانعام، التي تسيرها غريزتها وشهواتها، ولاعقل لها تستنير بنوره، وتهتدي بهديه. ولا تنساق وراء شرع يرشدها الى احكام العقل.

بل لقد اعتبره اضل من الانعام، لان الانعام اذا تصرّفت على خلاف مقتضيات العقل البشري، كما لو ظلمت، او افترست، اوخرّبت اواتلفت، فانها لا تلام ولاتحاسب، لانها انما تصرفت بمايتوافق مع جبلّتها و غريزتها و فطرتها، و شهوتها، حيث ان ذلك هوالذي يسيرها ويهيمن على سلوكها... ولاعقل لها لتهتدي بهديه، وتسترشد برشده. اما اذا تصرفت تصرفاً عقلائياً احياناً، كما لو رأينا الذئب لايعتدي على الشاة، والسنّور لايلاحق الفأرة مثلاً... فاننا سوف نتعجب من ذلك، ونتناقله في مجالسنا، لان ذلك على خلاف ما عهدناه من فطرته وجبلّته وغريزته وان كان لم يكن بدافع من عقله، حيث انه لاعقل له، وانما بسبب الدربة، والعادة، والألف...

اما الانسان... فانه لوظلم، اوكذب اواغتاب اوأتلف... اوغير ذلك

مما هو في غير مصلحته، و مما هو على خلاف الدين، والعقل... فانه يكون قد تصرف على خلاف مقتضيات فطرته و جبلّته، وانحرف عن مساره، وخرج عن انسانيته، فهو اذن اضل من الانعام...

اضف الى ذلك ... اننا حين نرى الانعام لا تقتحم مايضرها، ونرى الانسان لايتورّع عن اقتحام مايضره، ويهدم سعادته، استجابة لشهوته وهواه، و غريزته... فاننا لابد وان نقول: ان الانعام تكون— ولاشك — اهدى منه وارشد...

و بعد هذا... و بعد ان اتضح: ان الانسان مجبول على السعي الى ماينفعه، والابتعاد عمايضره.

و بعد ان عرفنا ان احكام الدين موافقة للفطرة وللطبيعة الانسانية... نعرف ان ابتعاد الانسان عما يضره و يشقيه، وسعيه الى مافيه سعادته وراحته امر فطري فيه، لايمكنه التخلف عنه، ولا التخلص منه... ولأجل ذلك نجد ان الانسان العاقل وان لم يكن مؤمناً— نجده— بحكم فطرته لايقدم على الامور التي يقطع بضررها وفسادها؛ فهو لايقدم— اذا كان بكامل قواه، و باختياره— على شرب السم مثلاً... بل هو لايتواجد في امكنة يعلم ان تواجده فيها سوف يلحق به ضرراً بالغاً من نوع ما، ولايقدم على قتل ولده او ماشاكل الاّ اذا قهر على ذلك وغلب عليه جسدياً... اوكان ثمة مايهيمن على عقله— كنوم اوغضب اوغير ذلك ،ممايمنع عقله من التأثير والفعالية، والسيطرة على الموقف...

بل وحتى الطفل نراه يتجرّأ اولاً على النار، ولكنه بعد ان تؤلمه، و يتيقن ذلك لايمكن ان يقترب منها باختياره، الاّ ان تغلبه قدرة قاهرة، او يسيطر على عقله سلطان النوم،او اي سلطان قاهر آخر...

واذن... فالبشر العقلاء— حتى من لايؤمن بالله منهم وحتى الاطفال— معصومون عن شرب السم، وعن الالقاء بالنفس بالنار، وعن كل مايدركون ادراكاً قاطعاً ضرره، وسوءه. الاّ اذا كان ثمة قوة قاهرة تغلب ارادتهم، اوتزين لهم، وتخدعهم، اوتهيمن على عقولهم وتمنع من فعاليتها

وسيطرتها على الموقف...

عناصر لابد منها في العصمة:

واذن... فان امتناع الطفل عن النار، والعقلاء عن تناول السم... يرتبط حتى الآن بالامور التالية:

الاول: ان الانسان مفطور على انتقاء مايكّرس راحته وسعادته وتكامله... والابتعاد عما يوجب ضرره وبلاءه وشقاءه.

الثاني: ادراك واقع معين... وتقييمه على ذلك الاساس بشكل قاطع ونهائي...

الثالث: قوة العقل وسيطرته، وتحكمه بكل القوى والدواعي النفسية والشهوية، وقاهريته لها، وتوجيهها الى مافيه خير الانسان وصلاحه وراحته وسعادته.

الرابع: الاختيار والارادة، وعدم التعرض للقهر الجسدي، الذي ينتهي الى سلب الاختيار منه، وتعطيل اراداته...

فاذا تحققت هذه الامور... فان الانسان يكون معصوماً عن ذلك الشيء الذي ادرك بشكل قاطع ضرره وبلاءه، وملزماً بالسعي نحو مايوجب تكامله ورقيّه، وانسانيته...

ولايمكن ان نتصوره بعد تكامل تلك العناصر المتقدمة فيه، الاّ ان يسير على النهج القويم، والطريق المستقيم، فاعلاً لما ادرك خيره وصلاحه، تاركاً لما ادرك ضرره وبلاءه... من كان ومهما كان.

واذا كان الناس مختلفين في درجات ادراكهم، سعة وعمقاً، وفي مستويات تفكيرهم، وقوة وضعف سيطرة عقولهم على سائر القوى الباطنية الكامنة فيهم، من الشهوات والغرائز... ومختلفين من حيث نوعية المدركات ايضاً— اذا كانوا كذلك — فان من الطبيعي ان تكون درجات عصمتهم متفاوتة، ومواردها مختلفة، كلٌ بحسب مدركاته، وقناعاته، وكفاءاته، وقواه

الكامنة فيه... ولذلك تجد العلماء عموماً اكثر التزاماً من غيرهم. بل ربما تجد من بينهم من لا تكاد تصدر منه أية مخالفة طول حياته وذلك لكثرة مدركاتهم، ولاختلاف نوعية وكيفية وعمق الادراك لديهم، بالنسبة إلى غيرهم.

ولايجب أن نعجب اذا رأيناهم أو بعضهم لا تصدرمنه حتى خطيئة واحدة طول حياته.

فإن الله قد كلف كل البشر بالطاعات. كلها، والاجتناب عن كل المعاصي، وهذا التكليف يدل على ان بوسع كل مكلف ان لا يفعل أية معصية ابداً لان القدرة شرط في صحة التكليف... والاّ لكان عليه ان يستثنى، و يقول: اجتنبوا عن كل المعاصي الاّ واحدة اواثنتين مثلاً، لانكم لا تقدرون عليها...

نعم ربما يكون الفرق بين هؤلاء، و بين النبي والامام: ان النبي والامام لاتخطر في باله المعصية اصلاً، ولايشتاق اليها، لانكشاف الواقع له، ورؤيته مفسدتها رأي العين، واطلاعه على جلال وعظمة الله تعالى وملكوته. بخلاف سائر المكلفين فانهم قد لايعرفون علل كثير من الاحكام، ولا اطلاع لهم على عظمة وجلال وملكوت الله بنسبة اطلاع اولئك، فيشتاقون اليها، ويمتنعون تعبداً وطاعة لله ليس الاّ...

وخلاصة الامر: ان مستويات الناس مختلفة؛ فتختلف درجات التزامهم، والعلماء يكونون عادة اكثر التزاماً... وان كان ربما يوجد من بينهم— وان ندر— من يضعف عقله امام شهواته وغرائزه، فيضعف التزامه، وتقل نسبة معصوميته عنهافي غيره... وهؤلاء قليلون، بل ربما لايوجدون في العلماء الحقيقيين، ولذا نجد الله تعالى يقول: «انما يخشى الله من عباده العلماء» صدق الله العلي العظيم.

التوضيح والتطبيق:

وحيث ان الانبياء، ثم الأئمة— بسبب التوفيقات والعنايات الالهية،

وفوق ذلك بسبب الوحي والاتصال بالسماء— هم القمة في سعة ادراكهم لآثار ومناحي السلوك الانساني، ولانهم القمة ايضاً في ادراك الواقع الذي يواجهونه، ومايترتب عليه من آثار ونتائج،ان سلباً وان ايجاباً على المدى البعيد والقريب على حد سواء، ادراكاً حقيقياً لايقبل الشك ولا الترديد.

ولانهم هم القمة في الملكات والقوى النفسية الفاضلة والفكرية، وهم احكم الناس حكمة، واعقلهم عقلاً، واشجعهم شجاعة، واكمل الخلق، وافضلهم في كل الصفات الكريمة، والاخلاق النبيلة العالية، ولانهم ايضاً لايمكن ان يشذوا عن مقتضيات الفطرة، وسنن الجبلّة الانسانية... وحين يكون عقلهم من القوة بحيث... لا تستطيع سائر القوى الباطنية من الشهوات والغرائز: ان تخدعه، وتسيطر عليه، بل هو الاقوى دائماً، وهوالذي يتحكم بها و ينظمها و يسيرها، ويهيمن عليها...

— انه حين يكون الانبياء والأئمة كذلك — فانهم ولاشك سوف يكونون معصومين بحسب فطرتهم وجبلّتهم عن الاقدام على اي ذنب او عمل مشين، كما لايقدم الطفل على النار،والعقلاء على تناول السم، وعلى اي شيء يرونه مضراً بشخصيتهم، و بوجودهم، وبمصيرهم، ومستقبلهم...

واذن... فلايلزم من العصمة الجبر والقهر، بحيث يكون المعصوم غير قادر على فعل المعصية تكويناً، بل هي بمعنى انها لا تصدر منه، وعلى حسب التعبير العلمي: انه لايكون فيه مقتضى للمعصية، ولا توجد فيه علتها المؤثرة، بل لايخطر في باله ارتكابها اصلاً، فيستحيل صدورها منه بهذا المعنى ليس الاّ.

وهذا كما نقول: يستحيل ان يرمي الطفل نفسه في النار، فانه ليس بمعنى انه لايمكنه ذلك،لان ذلك يمكنه بالبداهة، ولكن بمعنى انه لايفعل ذلك ...

وكذلك هو كما نقول: يستحيل ان يصدر الظلم من الله، و لانقصد:انه لايقدر عليه، اذلاشك في ان الله تعالى يقدر على تعذيب اطوع الناس له... وانما نقصد: انه لايفعله،لانه ينافي حكمته، ولاينسجم ولا يليق

بشأنه وذاته تعالى شأنه.

وكذلك عصمة النبي او الوصي، فانها ليست بمعنى انه لايقدر على المعصية، بل بمعنى انه لايقدم عليها، ولاتخطر له على بال، بحكم فطرته وسجيّته وجبلّته، على النحو الذي فصلناه فيما تقدم...

و بعد كل ماتقدم، فان اختيار الله لبعض عباده، واظهار المعجزة على يده يكشف لنا عن اكمليته وعن عصمته، اذ لايعقل ان يختار الله لقيادة الامة وهدايتها من تصدر منه الذنوب والمعاصي، حسبما اشرنا اليه...

افضل الخلق محمد(ص):

هذا... واننا بملاحظة ماقدمناه نستطيع ان نفهم لماذا كان نبينا صلوات الله وسلامه عليه افضل الخلق اجمعين، حتى الانبياء والمرسلين... فانه وان كان الكل معصومين عن الذنوب، وكلهم كان يدرك آثار الذنوب وعواقبها وآثارها، وعلى معرفة واطلاع على جلال وعظمة وملكوت الله تعالى اكثرمن غيرهم...ولكن نبينا الاكرم كان اكثر عمقاً واصالة في ادراكه لتلك الآثار، وابعادها، وانعكاساتها على كل الاجيال في مختلف الآجال، وعلى ذلك الجلال اللامتناهي، والعظمة التي لا تقاس... وماذلك الاّ لانه كان الرجل الاكمل والافضل والاول في كل شيء: في عقله، في حكمته، في عمق ادراكه، في شجاعته، في كرمه، في حلمه، في كل صفاته الحميدة التي هي صفات الانسان الاول والمثال والقدوة... واذن فيكون هو الافضل من الكل، لان عصمته اكثر عمقاً واصالة، وابعد اثراً، واوسع افقاً...

علماء امتي افضل من انبياء بني اسرائيل:

كما اننا حين نواجه الحديث القائل: علماء امتي افضل من انبياء بني اسرائيل، لانستطيع ان نعتبره ناظراً الى هؤلاء العلماء الذين نعرفهم ونعيش معهم، والذين لايمتنع ان تصدر منهم بعض الهفوات او يرتكبون بعض الصغائر، اذ من غير المعقول ان يكون هذا الرجل الذي يذنب افضل من ذلك المعصوم، الذي لايصدر منه او لايخطر بباله الذنب اصلاً...

وتوجيه ذلك بان المراد: انهم افضل منهم من حيث المعرفة والعلم وسعة الافق لانهم اطلعوا على مالم يطلع عليه اولئك الانبياء من انواع المعارف الدينية، والتاريخية وغيرها...

هذا التوجيه لاينسجم مع منطق القرآن، الذي يجعل ملاك التفاضل هوالتقوى والعمل الصالح: «ان اكرمكم عندالله اتقاكم»... وفي الحديث القدسي مامعناه: «لأدخلنّ الجنة من اطاعني ولوكان عبداً حبشياً. ولأدخلنّ النار من عصاني ولوكان سيداً قرشياً...».

فلابد وان يكون المقصود بالعلماء الذين هم افضل من انبياء بني اسرائيل اناساً معصومين كأولئك الانبياء، ويزيدون عليهم بادراكهم ورؤيتهم رأي العين اثر كل حركة، وكل تصرف على الاجيال وعلى الامة... هذا مع كونهم قد عاصروا وعرفوا واطلعوا على تواريخ وعقائد وتحولات عصور وامم، وواجهوا ظروفاً ومشاكل مختلفة، تزيد على ماواجهه، وعرفه انبياء بني اسرائيل... ولانهم يملكون الطاقات والقدرات الهائلة التي تؤهلهم لاستيعاب كل المعارف، وكل الاحداث وادراكها، والتفاعل معها ومعرفة ابعادها وآثارها مهما دقت اوجلّت، قربت او بعدت، ولتصير عصمتهم اكثر عمقاً واصالة، واكثر دقة وابعد اثراً حسبما فصلناه.

نعم... لابد وان يكون مقصود النبي(ص) اناساً من هذا القبيل، ولم نجد في التاريخ الاّ اولئك الذين جعلهم الرسول(ص) احد الثقلين، وعدلاً للكتاب العزيز، واوجب على الامة التمسّك بهم، والاهتداء بهديهم، والأئتمار باوامرهم، والانزجار بزواجرهم... الامرالذي كشف لنا عن عصمتهم، وهم الأئمة الاثنا عشر، الذين اولهم اميرالمؤمنين علي... وآخرهم المهدي صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين...

البحث الرابع

الخمس بين السياسة والتشريع:

هذا... وللعلامة البحاثة المحقق الشيخ على الأحمدي دام تأييده بحث حول الخمس، أحببت أن أورد ملخصاً عنه مع زيادات واضافات في المتن، ومراجعات و إضافات للمصادر بحسب مارأينا: أنه يناسب المقام، فنقول:

قال تعالى: «واعلموا أن ماغنمتهم من شيء فان لله خمسه وللرسول، ولذي القربى، واليتامى والمساكين وابن السبيل(١)».

معنى الغنيمة:

يرى علماء بعض فرق المسلمين: أن الغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار في ميدان الحرب والقتال... و يرى الشيعة تبعاً لائمتهم: أنها— كما فسرها اللغويون— هي مطلق المال المأخوذ بلابدل... فقدقال اللغويون: الغنم: الفوز بالشيء من دون مشقة. وغنم الشيء فازبه، والاغتنام انتهاز الفرصة... وغنم الشيء غنماً، فاز به بلامشقة، وناله بلابدل... وعند الراغب أن الغنم اصابة الشيء والظفر به، ثم استعمل في كل مظفور به(٢)... هذا ماذكره

---

(١)— الانفال ٤١.

(٢)— راجع: لسان العرب، وأقرب الموارد، و مفردات الراغب، والقاموس، ونهاية ابن الأثير، و معجم مقاييس اللغة، وتفسير الرازي... و غيرذلك من كتب اللغة...

اللغويون في المقام...

ولكننا إذا راجعنا استعمالات كلمة غنم في الاحاديث، والخطب... فاننا نجد أنها تستعمل في مطلق الحصول على الشيء... وحسبك شاهداً على ذلك قوله: «من أخذبها لحق وغنم(١)» و«يرى الغنم مغرماً، والغرم مغنماً(٢)»، و «اغتنم من استقرضك (٣)»، و «الطاعة غنيمة الاكياس(٤)» و«الرهن لمن رهنه له غنمه وعليه غرمه» و«الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة(٥)» وقال تعالى «عندالله مغانم كثيرة(٦)».

وفي الدعاء عند اعطاء الزكاة: «اللهم اجعله مغنماً، ولاتجعله مغرماً» و «غنيمة مجالس الذكر الجنة» وفي وصف الصوم: «هو غنم المؤمن(٧)».

الى غير ذلك مما لايمكن حصره واستقصاؤه...

وعليه فالغنم هو مطلق الحصول على الشي...

وأما قيد «بلامشقة» الذي أضافه البعض؛ فهو يخالف موارد الاستعمال السابقة وغيرها، والتزام المجاز فيها يلزم منه أن تكون اكثر استعمالات هذه الكلمة في الموارد المجازية...

بل إن نفس آية الخمس في القرآن، قد أطلقت الغنيمة على مايحصل في الحرب بعد مشقة...

وأما ماذكره البعض(٨) من أن هذه الكلمة كانت في الأصل لمطلق

---

(١)— نهج البلاغة الخطبة رقم ١١٨.
(٢)— المصدر، الحكمة رقم ١٥٠.
(٣)— المصدر، الكتاب رقم ٣١.
(٤)— المصدر، الحكمة رقم ٣٣١.
(٥)— نهاية ابن الأثير، مادة «غنم».
(٦)— النساء ٩٤.

(٧)— راجع: مقدمة مرآة العقول ج ١ ص ٨٤—٨٥.
(٨)— هوالعلامة الجليل السيدمرتضى العسكري في مقدمة مرآة العقول.

الغنيمة، ثم اختصت بغنائم الحرب... فلايصح أيضاً... فاننا كما قلنا... نجد أن استعمالات هذه الكلمة في الحديث لايختص في ذلك، بل هو في غيره أكثر، وعليه أدل... ومع فرض الشك فلابد من الحمل على المعنى اللغوي.

و إذن... فالآية تدل على وجوب الخمس في مطلق مايحصل عليه الانسان، و يظفر به ولو لم يكن من ميدان الحرب مع الكفار. وقد اعترف القرطبي: بأن اللغة لا تقتضي تخصيص الآية بغنائم الحرب، ولكنه قال: ان العلماء قد اتفقوا على هذا التخصيص(١) ومعنى كلامه: انهم قد اتفقوا على خلاف ظاهر الآية، وخلاف المتبادر منها...

الخمس في كتب النبي(ص) ورسائله:

كما أن كتب النبي(ص) ورسائله الى القبائل لتؤكد وتؤيد: أن الخمس يجب في غنائم الحرب وغيرها، وأن المراد من الغنيمة هوالأعم. فلاحظ.

١ً— وصية النبي(ص) لبني عبدالقيس، الذين قالوا له(ص): إنا لانستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، و بيننا و بينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الاشربة... فأمرهم باربع، ونهاهم عن أربع: أمرهم بالايمان بالله وحده. قال: أتدرون ماالايمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، واقام الصلاة، وايتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس، ونهاهم إلخ(٢)...»

---

(١)— تفسير القرطبي ج ٨ ص ١.

(٢)— البخاري ط مشكول ج ١ ص ٢٢ و ٣٢ و ١٣٩ وج ٢ ص ١٣١، وج ٥ ص ٢١٣ وج ٩ ص ١١٢ و صحيح مسلم ج ١ ص ٣٦ و سنن النسائي ج ٢ ص ٣٣٣، و مسند أحمد ج ١ ص ٢٢٨ و ٣٦١ و ج ٣ ص ٣١٨، و ج ٥ ص ٣٦، والأموال لابي عبيد ص ٢٠ والترمذي باب الايمان، وسنن ابي داود ج ٣ ص ٣٣٠ و ج ٤ ص ٢١٩، و فتح الباري ج ١ ص ١٢٠ وكنزالعمال ج ١ ص ٢٠ و ص ١٩ رقم ٦.

وواضح: أن عبدالقيس كانت قبيلة ضعيفة لاتجرؤ على الخروج من ديارها إلا في الشهر الحرام. ولا تستطيع حرباً ولا قتالاً... كما أن الخمس إنما يكون تحت اختيار القائد والأمير، وهو المسؤل عنه؛ فيأخذ منه الخمس و يرسله، و يقسم الباقي على الافراد.. وليس له ارتباط بالأفراد... وظاهر أنه(ص) قد أمرهم بأوامر تختص بالفرد ومن وظائفه التي لابد وأن يمارسها بكثرة كالايمان، والصلاة، والزكاة، وكذلك الخمس؛ فانه أيضاً على حدّها، ولايختلف عنها...

٢ً— وكتب(ص) لعمرو بن حزم، حينما أرسله الى اليمن، كتاباً مطولاً، جاء فيه: «وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله(١)» والكلام في هذه الفقره لايختلف عن الكلام في سابقتها...

٣ً— و كتب (ص) لبني عبد كلال اليمانيين، مع عمرو بن حزم، يشكرهم على امتثالهم ما أمرهم به، و يقول: «فقد رجع رسولكم، وأعطيتم من الغنائم خمس الله عزوجل(٢)».

فهم قد امتثلوا أمره(ص) الذي أرسله إليهم مع عمرو بن حزم،

---

(١)— تاريخ ابن خلدون ج ٢ و تنوير الحوالك ج ١ ص ١٥٧، و البداية و النهاية ج ٥ ص ٧٦، و سيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٤٢، وكنزالعمال ج ٣ ص ١٨٦، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٥١٧، والخراج لابي يوسف ص ٧٧، ومسند أحمد ج ٢ ص ١٥/١٤، و ابن ماجة ج ١ ص ٥٧٣/٥٧٥/٥٧٧ و سنن الدارمي ج ١ ص ٢٨١—٣٨٥ و ج ٢ ص ١٦١—١٩٥ والاصابة ج ٢ ص ٥٣٢ و سنن أبي داود ج ٢ ص ٩٨—٩٩، والدرالمنثور ج ٢ ص ٢٥٣ والتراتيب الادارية ج ١ ص ٢٤٨—٢٤٩، والترمذي ج ٣ ص ١٧.

وعن: رسالات نبوية ٢٠٤ والطبري ج ٢ ص ٣٨٨، و فتوح البلدان للبلاذري ص ٨٠، واعلام السائلين ص ٤٥، و مجموعة الوثائق السياسية ١٧٥ و فريدون ج ١ ص ٣٤، واهدلى ٦٨ و الامتاع للمقريزي ٣٩ ١.

(٢)— الاموال لابي عبيد ص ٢١، و سنن البيهقي ج ٤ ص ٨٩ و كنزالعمال ج ٣ ص ١٨٦ و ٢٥٢ و ٢٥٣ عن الطبراني و غيره، و مستدرك الحاكم ج ١ ص ٣٩٥ والدرالمنثور ج ١ ص ٣٤٣، و شرح الموطأ للزرقاني ج ٣ ص ٣٨١ و مجمع الزوائد ج ٣، وسنن الدار قطني ج ٤ ص ٨٩ وعن تهذيب ابن عساكر ج ٦ ص ٢٧٣—٢٧٤ و جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٨٩ و مجموعة الوثائق السياسية ص ١٨٥ عن اهدل ص ٦٨/٦٧ عن ابن حبان والمبعث ص ١٤١.

وأرسلوا إليه الخمس، وهو(ص) يشكرهم على ذلك ... و واضح: أننا لم نجد في التاريخ: أن حروباً قد جرت بينهم و بين غيرهم بعد اسلامهم، وأنهم غنموا من تلك الحروب وخمسوها، وأرسلوها مع عمرو بن حزم...

٤— وكتب (ص) لقبيلتي سعد هذيم من قضاعة، وجذام: «... وأمرهم: أن يدفعوا الصدقة والخمس الى رسوليه: أبي، وعنبسة، أومن أرسلاه(١)».

مع أن هذه القبيلة قد اسلمت جديداً ولم تخض حرباً بعد، ليكون المراد خمس المغانم.

وقد أوجب صلى الله عليه وآله وسلم الخمس في ستة عشر رسالة أخرى، بل اكثر، منه إلى القبائل ورؤسائها، وهي:

قبيلة بكاء، وقبيلة بني زهير، و حدس و لخم، و بني جديس وللاسبذيين، و بنى معاوية، و بني حرقة، و بني قيل، و بني قيس و بني جرمز، ولأجنادة وقومه، وقيس وقومه، ولمالك بن أحمر، ولصيفى بن عامر، شيخ بني ثعلبة، والفجيع ومن تبعه— ونهشل بن مالك رئيس بني عامر، ولجهينة بن زيد وفى رسالة لليمن، ولملوك حمير، ولملوك عمان(٢).

---

(١)— طبقات ابن سعد ج ١ قسم ٢ ص ٢٤/٢٣ و مجموعة الوثائق السياسية ص ٢٢٤ و مقدمة مرآة العقول ج ١ ص ١٠٣/١٠٢.

(٢)— راجع هذه النصوص في المصادر التالية: أسدالغابة ج ٤ ص ١٧٥ و ٢٧١ و ٣٢٨ وج ٥ ص ٤٠ و ٣٨٩ وج ١ ص ٣٠٠، والاصابة ج ٣ ص ٣٣٨ و ١٩٩ و ٥٧٣ وج ١ ص ٥٣ و ٢٤٧ و ٢٧٨ وج ٢ ص ١٩٧ و طبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٧٤ و ٢٧٩ و ٦٦ و ٢٦٩ و ٢٧١ و ٢٦٨ و ٢٧٠ و ٢٨٤ وج ٧ قسم ١ ص ٢٦ وج ٥ ص ٣٨٥ و رسالات نبوية ص ٢٣٧ و ١٠٣/١٠٢ و ١٣١ و ٢٥٣ و ١٣٨ و ١٨٨ و ١٣٤ ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٢١ و ٢٦٤ و ٢٧٣ عن اعلام السائلين و ٩٩/٩٨ و ٢٥٢ و ٢٥٠ و ٢١٦ و ١٩٦ و ١٣٨ و ٢٣٢ و ٢٤٥ و ١٨٠، وكنزالعمال ج ٢ ص ٢٧١ و ج ٥ ص ٣٢٠ و ج ٧ ص ٦٤ عن الروياني وابن عساكر وأبى داود كتاب الخراج، وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٠٣ و ج ٧ ص ٥٨ و ج ٩ ص ١٣، ومسند أحمد ج ٤ ص ٣٦٣/٧٨/٧٧، وسنن النسائي ج ٧ ص ١٣٤، والأموال لابي عبيد ص ١٢ و ١٩ و ٢٠، والاستيعاب ترجمة عمر بن تولب، و ج ٣ ص ٣٨١، وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٥ و ٦٨ عن شرح المواهب ←

نظرة في تلك الرسائل:

و ربما يقال: إن المراد بـ «(مغنم، وغنائم، ومغانم)» في تلك الرسائل هو خصوص غنائم الحرب، ولكن ذلك لايصح؛ وذلك لما يلي:

١ً— إن اعلان الحرب وقيادتها وتدبيرها كان آنئذ من شؤون الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، أومن نصبه، ثم من تولى الأمر بعده من الخلفاء أومن نصبوه... ولم يكن لأي من القبائل أن تتخذ قرار الحرب من عند نفسها، ولايحدثنا التاريخ عن نشاط حربي مستقل لهم... ولوكان... فالمناسب أن يكتب(ص) بذلك إلى أمرائهم وقوادهم، الذين يتولون اخراج خمس الغنيمة وارساله إليه، ثم تقسيم الباقي على أهله...

٢ً— لقد كانت تلك القبائل تعيش في الحجاز والشام، والبحرين وعمان، واكثرها كان من القبائل الصغيرة، التي لا تقوى على حرب أحد، ليطلب منها اعطاء خمس غنائم حروبها.

٣ً— إنه لوكان المراد خمس غنائم الحرب... لكان معنى ذلك هوالسماح لكل احد بأن يشن حرباً على العدو في أي زمان أومكان شاء، وهذا من شأنه أن يحدث الفوضى، و يتسبب بمشاكل خطيرة على الدولة الاسلامية... ولايصدر مثل هذا التشريع عن عاقل مدبر حكيم... مضافاً إلى أننا لانجد في التاريخ شيئاً من هذه الفوضى المعلولة لتشريع كهذا...

٤ً— ماقدمناه من أن هذه الرسائل تتعرض لجملة من الاحكام التي

←

للزرقاني ج ٣ ص ٣٨٢، وصبح الاعشى ج ١٣ ص ٣٢٩ و مجموعة الوثائق عن اعلام السائلين ونصب الراية، ومغازي ابن اسحاق، ومصنف ابن أبي شيبة، ومعجم الصحابة، والمنتقى، وميزان الاعتدال ولسان الميزان واليعقوبي، وصبح الاعشى، وأموال ابن زنجويه...

وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٦٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٤٦ و ٧٥ وج ٢ ص ٣٥١ عن ابي نعيم وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٣٨٤، وفتوح البلدان للبلاذري ص ٨٢ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٢٥٨، وسيرة ابن هشام ج ٤ ص ٢٥٨ و ٢٦٠ و سيرة زيني دحلان ج ٣ ص ٣٠ والمصنف ج ٤ ص ٣٠٠ وطبقات الشعراء لابن سلام ص ٣٨. و مجمع الزوائد ج ٨ ص ٢٤٤.

ترتبط بالأفراد، كالايمان بالله، و بالنبي، والزكاة، ومنها الخمس... الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى أن الخمس لايختلف عن تلك الاحكام في ماهيته... وأنه مما تعم البلوى به للافراد... لا أنه حكم نادر، لايرتبط بهم فعلاً، ولايتفق لهم ربما في عقود بل قرون كثيرة من الزمن...

جباة الخمس:

و يظهر: أنه كان للنبي(ص) جباة للخمس، كما كان له جباة للصدقات، وقد أرسل عمرو بن حزم الى اليمن، وقدم عليه بأخماس بني عبد كلال اليمنيين، وأرسل إليهم يشكرهم على ذلك...

كما أن علياً قد خمس الركاز في اليمن(١).

وأرسل علياً عليه السلام ليأخذ خمس غنائم الحرب من خالدبن الوليد(٢).

بل و يقول ابن القيم انه(ص): «ولىّ علي ابن ابي طالب الأخماس باليمن، والقضاء بها(٣)».

ومعلوم: أن أهل اليمن قد اسلموا طوعاً، ولم يكن بينهم و بين غيرهم حرب...

وكان محمية بن جزء رجلاً من بني زبيد استعمله رسول الله (ص) على الأخماس(٤).

والقول بأن المراد: إنه أرسل علياً(ع) على الصدقات فيها.
يدفعه: أنه (ص) لم يكن يولى بني هاشم الصدقات، وقصة

---

(١)— نصب الراية ج ٢ ص ٣٨٢، ومصنف عبدالرزاق ج ٤ ص ١١٦، ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٧٨، وراجع: البحار ج ٢١ ص ٣٦٠ عن اعلام الورى.
(٢)— البداية والنهاية...
(٣)— زاد المعاد ج ١ ص ٣٢، وراجع سنن ابي داود ج ٣ ص ١٢٧ باب كيف القضاء.
(٤)— الأموال لابي عبيد ص ٤٦١.

عبدالمطلب بن ربيعة، والفضل بن العباس مشهورة(١). بل كان يمنع مواليه من تولى ذلك، فقد منع أبا رافع من ذلك، وقال له: «مولى القوم من أنفسهم، وإنا لاتحل لنا الصدقة(٢)».

في السيوب الخمس:

وكتب(ص) رسالة لوائل بن حجر، وفيها: «في السيوب الخمس(٣)».

قال الزيلعي: «السيب العطاء، والسيوب الركاز(٤)». وتجد تفسير السيوب بالعطاء في مختلف كتب اللغة...

ولنا أن نتساءل: لماذا خصوا السيوب بالركاز الذي هو أحد أفراد السيب، والسيب عام ومطلق؟! وهل ذلك سوى الاجتهاد في اللغة، والتحوير والتزوير الباطل؟!...

---

(١)— مجمع الزوائد ج٣ ص ٩١ وأسدالغابة ترجمة: عبدالمطلب بن ربيعة، ونوفل بن الحارث ومحمية، وصحيح مسلم ج ٣ ص ١١٨ باب تحريم الزكاة على آل النبي(ص) وسنن النسائي ج ١ ص ٣٦٥ وسنن أبي داود، والأموال لابي عبيد ص ٣٢٩ ومغازي الواقدي ص ٦٩٦ ٦٩٧ وتفسير العياشي ج ٢ ص ٩٣.

(٢)— سنن أبي داود كتاب الزكاة ج ٢ ص ٢١٢، والترمذي كتاب الزكاة ج ٣ ص ١٥٩ والنسائي كتاب الزكاة ج ١ ص ٣٦٦، ومجمع الزوائد ج ٣ ص ٩١/٩٠ وكنزالعمال ج ٦ ص ٢٥٢—٢٥٦ وأمالي الطوسي ج ٢ ص ١٧ والبحار ج ٩٦ ص ٥٧ وسنن البيهقي ج ٧ ص ٣٢.

(٣)— اسدالغابة ج ٣ ص ٣٨، والاصابة ج ٢ ص ٢٠٨ و ج ٣ ص ٤١٣، والبحار ٩٦ ص ٨٣ و ١٩٠ والاستيعاب هامش الاصابة ج ٣ ص٦٤٣، وجامع أحاديث الشيعة ج ٨ ص ٧٣، والعقد الفريد ج ١ باب الوفود، والبيان والتبيين، والوسائل كتاب الزكاة باب تقدير نصاب الغنم، ومعانى الاخبار باب ٢٧٥ وشرح الشفا للقاري ج ١ ص ١٨ و تاريخ ابن خلدون ج ٢ والسيرة النبوية لدحلان هامش الحلبية ج ٣ ص ٩٤ والفائق للزمخشري، وعن: المعجم الصغير ص ٢٤٣، ورسالات نبوية ص ٦٧ و ٢٩٧ وجمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٥٩/٥٨ ومجموعة الوثائق السياسية ص٢٠٦/٢٠٥ عن المواهب اللدنية، والزرقاني، ومادة سيب في نهاية ابن الاثير، ولسان العرب، وتاج العروس، ونهاية الادب وغريب الحديث لأبي عبيد في مادة: قيل وسيب، وطبقات ابن سعد ج ١ ص ٢٨٧.

(٤)— تبيين الحقائق ج ١ ص ٢٨٨.

كما أنهم قد خصوه بالمال المدفون بالجاهلية... ولاندري سر ذلك أيضاً. فان لفظ سيوب لا اختصاص له في ذلك قطعاً. كما انه قد كان مستعملاً في الجاهلية أيضاً... ولايعقل ان يعتبره أهل الجاهلية: أنه المال المدفون في الجاهلية!!.

والظاهر: أنهم أرادوا أن يوهمونا بأنه بذلك يصير غنيمة من الكفار، الذين يجب حربهم، ليوافق مذهبهم في الخمس...

ونحن نقول: إن كتب اللغة تنص على أن السيب هوالمهمل، والسائبة هي الحيوان بلاصاحب ومراقب، وقد كانت الناقة تسيّب الجاهلية... وفي الحديث: كل عتيق سائبة... وهذا يقرّب: أن المراد بالسيوب: كل متروك ومهمل، لايدخل في حاجة الانسان فيجب فيه الخمس...

وثمة دليل آخر:

وكتب(ص) إلى بعض قبائل العرب: «إن لكم بطون الارض وسهولها، وتلاع الاودية، وظهورها، على أن ترعوا نباتها، وتشربوا ماءها، على أن تؤدوا الخمس(١)».

وسياق الكلام ظاهر ظهوراً تاماً في أن المراد ليس خمس غنائم الحرب، إذلا مناسبة بين ذلك وبين جعل بطون الارض وسهولها وتلاع الاودية وظهورها لهم، وبين رعي نباتها، وشرب مائها، وبين الخمس، إلا أن يكون خمس مايحصلون عليه من ذلك الذي جعله لهم... ويؤيد ذلك ويؤكده: أنه قد ذكر بعد الخمس هنا زكاة الغنم ايضاً، وأنهم إذا زرعوا فلسوف يعفون من زكاة الغنم... والظاهر أن ذلك ترغيب لهم بالزراعة...

الخمس في المعدن والركاز:

وايضاً... فإن من الثابت عندهم: أن «في الركاز الخمس» وكذا

---

(١)– طبقات ابن سعد ج ٤ قسم ٢ ص ١٦٧ وعن مجموعة الوثائق السياسية ص ٢١٩، ورسالات نبوية ص ٢٢٨، وكنزالعمال ج ٧ ص ٦٥، وجمع الجوامع مسند عمرو بن مرة. ونقله في مقدمة مرآة العقول ج ١عن نهاية ابن الأثير، وعن ابن منظور في لسان العرب في كلمة: صرم.

في المعادن(١) و يذكر الاصطخري أنهم كانوا يأخذون خمس المعادن(٢).

وقد عد غير مالك وأهل المدينة المعدن من الركاز الذي يجب فيه الخمس، واعتبروه كالغنيمة(٣). كما أن أبا عبيد يقول: إنه بالركاز أشبه(٤).

كما أن عمر بن عبدالعزيز يكتب لعروة يسأله عن رأي السابقين في الخمس، فيجيبه عروة بأن العنبر بمنزلة الغنيمة، يجب أن يؤخذ منه الخمس(٥)...

و يقول الشيباني: إن الركاز والمعدن يجب فيهما الخمس، وهما من المغنم(٦).

---

(١)—الاموال لأبي عبيد ج٣٣،٣٣٧،٤٧٣، ٤٧٧، ٤٧٦، ٤٦٨، و ٤٦٧، ونصب الراية ج ٢ ص ٣٨٢، ٣٨١ و ٣٨٠. ومسند احمد ج ٢ ص ٢٢٨، ٢٣٩، ٢٥٤، ٢٧٤، ٣١٤، ١٨٦، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٤٧، ٢٨٥، ٣١٩، ٣٨٢، ٣٨٦، ٤٠٦، ٤١١، ٤١٥، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٧، ٤٧٥، ٤٨٢، ٤٩٣، ٤٩٥، ٤٩٩، ٥٠١ و ٥٠٧ وج ٣ ص ٣٥٤، ٣٥٣، ٣٣٦، ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٣٥ و ١٢٨ وج ٥ ص ٣٢٦ وكنزالعمال ج ٤ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وج ١٩ ص ٨—٩ وج ٥ ص ٣١١ ومستدرک الحاكم ج ٢ ص ٥٦ و مجمع الزوائد ج ٣ ص ٧٧—٧٨ وعن الطبراني في الكبير والاوسط وعن احمد والبزار، ومصنف عبدالرزاق ج ١٠ ص ١٢٨ و ٦٦ وج ٤ ص ١١٧، ٦٤،٦٥، ١١٦ و ٣٠٠، وج٦ ص ٩٨ عن العنبر ومقدمة مرآة العقول ج ١ ص ٩٧ و ٩٦، ومغازى الواقدى ص ٦٨٢ وسنن البيهقي ج ٤ ص ٥٧ والطحاوي ج ١ ص ١٨٠، وسنن النسائي ج ٥ ص ٤٤ و ٤٥ والدراية والبخاري ط مشكول ج٢ ص ١٥٩/١٦٠ في باب في الركاز الخمس وفي باب من حفر بئراً في ملكه والهداية شرح البداية ج ١ ص ١٠٨ وخراج ابي يوسف ص ٢٦ وسنن ابن ماجة ج ٢ ص ٨٣٩ و ٨٠٣ و سنن ابي داود ج ٣ ص ١٨١ وج ٤ ص ١٩٦ و شرح الموطأ للزرقاني ج ٢ ص ٣٢١ وكتاب الأصل للشيباني ج ٢ ص ١٣٨ و سنن الدارمي ج ١ ص ٣٩٣ ونيل الاوطار ج٤ ص ٢١٠ والموطأ كتاب الديات والترمذي ج ١ ص ٢١٩ وج٣ ص ١٣٨ وابن عبدالبرفي التمهيد وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٧ و ٢٢٥/١١ والعقد الفريد ونهاية الارب والاستيعاب.

(٢)— مسالك الممالك ص ١٥٨.

(٣)— راجع: الاموال لابي عبيد ص ٤٧٢. (٤)— الاموال ص ٤٧٤.

(٥)— مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٤ ص ٦٤/٦٥.

(٦)— كتاب الاصل للشيباني ج ٢ ص ١٣٨.

وعن جابر: «ماوجد من غنيمة ففيها الخمس»... و يقرب منه ما عن ابن جريج(١).

وأخيراً... فقدجاء: أن من أخذ شيئاً من أرض العدو فباعه بذهب أوفضه أوغيره فانه يخمس(٢).

وكل ماتقدم ليس من غنائم الحرب، كما هو معلوم...

وحسبنا ماذكرناه هنا: فان فيه مقنعاً وكفاية، لمن أراد الرشد والهداية...

لطيفة:

لقد أوصى أبوبكر بخمس ماله وقال: «أوصي بمارضي الله به لنفسه، ثم تلا: واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه(٣)».

هذا... ولابأس بأن نذكر ملخصاً لبعض ماذكره العلامة البحاثة السيد مرتضى العسكرى في مقدمة كتاب مرآة العقول ج ١، مع بعض التقليم والتطعيم، حسب مانراه مناسباً... ولانذكر هنا إلا بعض النقاط التي لم تذكر في البحث السابق، فنقول...

مواضع الخمس في الكتاب والسنة:

لقد نصت آية الخمس في الكتاب العزيز: على أن الخمس لله ولرسوله، ولذوي قرباه، ولليتامى، وللمساكين، وابناء السبيل... وكان رسول الله(ص) يعطي ذوي قرباه من الخمس الى أن قبض(٤).

وأما اليتامى والمساكين في الرواية؛ فقد روي عن علي بن الحسين(ع): أنه قيل له: إن الله تعالى قال: «واليتامى والمساكين» فقال:

---

(١)— مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٤ ص ١١٦.

(٢)— مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ١٧٩، ١٨٠ و ١٨١ وج ٩ ص ٦٧ وتحف العقول ص ٢٦٠.

(٣)— مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٩ ص ٦٦.

(٤)— راجع تفسير الطبري ج ١٥ ص ٥٠٤ و ٥٠٦. وبهامشه تفسير النيسابوري ج ١٥ واحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٥ و ٦١ والاموال لابي عبيد ص ٢٢ و ٤٤٧ و ٤٥٣ و ٤٥٤.

ايتامنا ومساكيننا(١) وفي روايات ائمة اهل البيت(ع): ان سهم الله ورسوله وسهم ذي القربى للإمام(ع)، وسهم اليتامى لبني هاشم، والمساكين وابناء السبيل منهم، وبنوهاشم هم بنو عبدالمطلب. وفي رواية عن الصادق(ع): أن المطلبي يشارك الهاشمي. ويشترك في الخمس الذكر منهم والانثى؛ فيقسم نصف الخمس على الطوائف الثلاث إذا كانوا فقراء، لقرابتهم من رسول الله. ولافتقارهم الى ذلك في مؤنتهم. ولايكفي انتسابهم الى عبدالمطلب بالامومة ويكفي الانتساب بالابوة.

ومن طريق غير أهل البيت(ع) نذكر:

الرواية التالية الواردة في الصحاح، التي تبين موضع الخمس في عصر الرسول(ص)، وهي:

عن جبير بن مطعم، قال: لما كان يوم خيبر— وفي رواية: حنين— وضع الرسول(ص) سهم ذي القربى في بني هاشم وبني المطلب، وترك بني نوفل وبني عبد شمس، فانطلقت انا وعثمان بن عفان حتى اتينا النبي(ص) فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء بنوهاشم لانكر فضلهم للموضع الذي وضعك الله به منهم، فما بال اخواننا بني المطلب اعطيتهم وتركتنا وقرابتنا واحدة؟ فقال رسول الله(ص): انا وبني المطلب لانفترق— وفي رواية النسائي: إن بني المطلب لم يفارقوني— في جاهلية ولااسلام، وإنما نحن وهم شيء واحد، وشبك بين اصابعه(٢)...

---

(١)— تفسير النيسابوري بهامش الطبري وتفسير الطبري ج ١٥ ص ٧.

(٢)— صحيح البخاري باب غزوة خيبر ج ٣ ص ٣٦ وسنن ابي داود ج ٣ ص ١٤٥ و ١٤٦ وتفسير الطبري ج ١٥ ص ٥٠ ومسند أحمد ج ٤ ص ٨١، ٨٥ و ٨٣ وسنن النسائي ج ٢ ص ١٧٨ وسنن ابن ماجة ص ٩٦١ ومغازي الواقدي ص ٦٩٦ واموال ابي عبيد ص ٤٦١/٤٦٢ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٠ و ٣٤٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٩ والمحلى ج ٧ ص ٣٢٨ والبداية والنهاية ج ٤/ ص ٢٠٠ وشرح النهج ١٥/٢٨٤.

مصير الخمس بعد الرسول (ص)

في عهد أبي بكر:

و إذا لاحظنا طبيعة العصر الذي عاش فيه ابوبكر، فإننا نجد: أن السياسة قد اتجهت نحو ارسال جيوش لإخضاع الفئات المعارضة للحكم الجديد.، والتي لم تقبل بيعة ابي بكر... فوضع الخمس حينئذ وسهم ذوي القربى في السلاح والكراع؛ فقد ذكر المؤلفون: أن الصحابة بعد وفاته(ص) قد اختلفوا؛ فقالت طائفة سهم الرسول للخليفه بعده، وقالت طائفة: سهم ذوي القربى، لقرابة الرسول، وقال آخرون: سهم ذوي القربى لقرابة الخليفة؛ فأجمعوا على أن جعلوا هذين السهمين في الكراع والسلاح... وفي سنن النسائي، والاموال لابي عبيد: فكانا في ذلك خلافة ابي بكر وعمر... وفي رواية: فلما قبض الله رسوله رد ابوبكر نصيب القرابة في المسلمين فجعل في سبيل الله... وقريب منه رواية أخرى تضيف عمر الى ابي بكر... الى غير ذلك من الروايات(١).

في عهد عمر:

وفي زمن عمر اتسعت الفتوح فازدادت الثروات، ووزعوا الخمس على المسلمين، واراد عمر أن يعطي بني هاشم شيئا من الخمس فأبوا أن يأخذوا الاكل سهمهم؛ فأبوا عليهم ذلك وحرموهم منه... فقد جاء في جواب ابن عباس لنجدة الحروري حين سأله عن سهم ذوي القربى لمن هو؟... قوله: «هولنا اهل البيت، وقد كان عمر دعانا الى أن ينكح منه ايمنا ويخدم منه عائلنا، و يقضي منه عن غارمنا، فأبينا الا أن يسلمه لنا، وابى ذلك

---

(١)— راجع في ذلك كله وغيره ممايرتبط بالموضوع سنن النسائي ج ٢ ص ١٧٩ وكتاب الخراج ص ٢٤—٢٥ والاموال لابي عبيد ص ٤٦٣ وتفسير الطبري ج ١٥— ص ٦ واحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٢ و ٦٠ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٢ و ٣٤٣ وسنن ابي داود بيان مواضع الخمس ومسند احمد ج ٤ ص ٨٣ و مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٤١.

، فتركناه عليه...» ومثل ذلك روي عن علي ايضاً... و إن عمر عرض عليهم البعض، وأنه لم يبلغ علمه أنه إذا كثر يكون كله لهم فأبوا الا الكل(١).

في عهد عثمان:

واعطى عثمان خمس فتوح افريقيا مرة لعبدالله بن سعد بن أبي سرح (٢) وفي الغزوة الثانية اعطاه لمروان بن الحكم. وقال في ذلك اسلم بن اوس الساعدي، الذي منع من دفن عثمان في البقيع.

واعطيت مروان خمس العباد ظلماً لهم وحميت الحمى(٣).

وقد نقم الناس عليه ذلك لامرين: اولهما: أن الخليفتين قبله و إن كانا قد أخذا ذلك من مستحقيه الا انهما كانا يضعان تلك الاموال في النفقات العامة، وخصصها عثمان لاقربائه... الثاني: أن سيرة هؤلاء الذين كان يعطيهم هذه العطايا الهائلة من مال لايستحقونه كانت سيئة جداً، وكانوا معروفين بالانحراف وعدم الاستقامة...

سيرة علي(ع) في الخمس:

وقد سئل ابوجعفر الباقر(ع) عن علي(ع): كيف صنع في سهم ذوي

---

(١)— راجع الحديث في: الخراج لابي يوسف ص ٢١، ٢٢، ٢٣ و ٢٤ ومغازي الواقدي ص ٤٩٧ والاموال لأبي عبيد ص ٤٦٥، ٤٦٦ و ٤٦٧ وسنن النسائي ص ١٧٨ و ١٧٧ ج ٢ و احكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٣ ولسان الميزان ج ٦ ص ١٤٨ و صحيح مسلم ج ٥ ص ١٩٨ باب النساء الغازيات يرضخ لهن ومسند أحمد ج ١٠ ص ٢٢٥ ومشكل الآثار ج ٢ ص ١٣٦ و ١٧٩ ومسند الشافعي ص ١٨٣ و ١٨٧ و حلية ابي نعيم ج ٣ ص ٢٠٥. و تفسير الطبري ج ١٠ ص ٥ و سنن ابي داود ج ٣ ص ١٤٦ كتاب الخراج و سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ و كنزالعمال ج ٢ ص ٣٠٥ والمصنف ج ٥ ص ٢٢٨ وراجع ص ٢٣٨ والسهيلي ٨٠٣ والمحاسن والمساوئ ٢٦٤/١ ووفاء الوفاء ٩٩٥.

(٢)— راجع تاريخ الذهبي ج ٢ ص ٧٩ و ٨٠ و تاريخ ابن الاثير ط اوربا ج ٣ ص ٧١. وشرح النهج ج ١ ص ٦٧.

(٣)— راجع في ذلك الكامل ج ٣ ص ٧١ والطبري ط اوربا قسم ١ ص ٢٨١٨ وابن كثير ج ٧ ص ١٥٢ وفتوح افريقيا لابن عبدالحكم ص ٥٨ و ٦٠ والبلاذري ج ٥ ص ٢٥، ٢٧ و ٢٨ و تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ١٥٦ والاغاني ج ٦ ص ٥٧.

القربى حين ولي امرالناس. قال: سلك به سبيل ابي بكر وعمر. قلت: وكيف وانتم تقولون ماتقولون؟ فقال: ماكان اهله يصدرون الاعن رأيه. قلت: فما منعه؟ قال: كره والله أن يدّعى عليه خلاف ابي بكر وعمر(١).

وفي سنن البيهقي: أن حسناً، وحسيناً، وابن عباس، وعبدالله بن جعفر(رض) سألوا علياً(رض) نصيبهم من الخمس، فقال: هو لكم حق، ولكنني محارب معاوية، فإن شئتم تركتم حقكم منه(٢).

فعلي إذن لم يغير شيئاً مما فعله ابوبكر وعمر في الخمس— لأن ذلك يؤلب الناس عليه، و يدعون عليه خلاف ابي بكر و عمر... وإذاكان يريد حرب معاوية فإن الامر يستوجب تقديم هذا الامر الأهم وتاجيل المهم الى وقت لايكون فيه العمل به ذامضاعفات خطيرة...

عهد معاوية:

لقد اجتهد معاوية في منع بني هاشم من الخمس، ومنع ذرية الرسول(ص) من ارثه، وزاد على ذلك :أنه صار يصطفي منه لنفسه الصفراء والبيضاء ولايقسم بين المسلمين منه ذهباً ولافضة.

فعن علي بن عبدالله بن عباس، وابي جعفر محمدبن علي(ع)، قالا: «ماقسم علينا خمس منذ زمن معاوية الى اليوم(٣).»

ولما امر عمر بن عبدالعزيز بدفع شيء من الخمس الى بني هاشم اجتمع نفر منهم، وكتبوا اليه كتاب شكره، لصلته رحمهم وفيه: انهم لم يزالوا مجفّوين منذ كان معاوية(٤).

كما أن زياداً كتب الى والي خراسان من قبله، الحكم بن عمرو

---

(١)— الاموال لابي عبيد ص ٤٦٣ والخراج ص ٢٣ واحكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٦٣ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٢٣.

(٢)— سنن البيهقي ج ٦ ص ٣٦٣.

(٣)— طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٨٨ ط اوربا.

(٤)— نفس المصدر.

الغفاري يقول له عن الغنائم الكثيرة التي اصابوها: «أما بعد، فإن اميرالمؤمنين كتب أن يصطفى له الصفراء والبيضاء، ولا تقسم بين المسلمين ذهباً ولافضة». وزاد الطبري: «الروائع(١)». على الصفراء والبيضاء ولكن الحكم رفض ذلك،وقسم الغنائم، فارسل اليه معاوية من قيده، وحبسه، فمات في قيوده، ودفن فيها، وقال: انني مخاصم(٢).

في عهد الامويين حتى عمربن عبدالعزيز

وبقي الخمس في ايدي الامويين يتصرفون فيه تصرف المالك حتى كان عهد عمربن عبدالعزيز، فحاول أن يعيد للهاشميين بعض حقوقهم لمصلحة يراها... وقسم فيهم بعض ذلك ،ووعدهم: أنه إن بقي لهم اعطاهم جميع حقوقهم(٣).

آراء فقهاء اهل السنة في الخمس.

ولقد تضاربت آراء الفقهاء منهم تبعاً لمافعله الخلفاء، قال ابن رشد: واختلفوا في الخمس على اربعة مذاهب مشهورة. احدها: أن الخمس يقسم على خمسة اقسام على نص الآية، وبـه قال الشافعي. والقول الثاني: انه يقسم على اربعة أخماس... القول الثالث: أنه يقسم اليوم ثلاثة اقسام، وأن سهم النبي(ص) وذي القربى سقط بموت النبي(ص) والقول الرابع: أن الخمس بمنزلة الفيء يعطى منه الغني والفقير... والذين قالوا يقسم اربعة اقسام اوخمسة اختلفوا في مايفعل بسهم رسول الله(ص) وسهم القرابة بعد موته، فقال قوم: يرد على سائر الاصناف الذين لهم الخمس. وقال قوم: بل يرد على باقي الجيش، وقال قوم: بل سهم رسول الله(ص) للأمام، وسهم ذي

---

(١)— مستدرك الحاكم وتلخيصه للذهبي بهامشه ج ٣ ص ٤٤٢ وطبقات ابن سعد ط اوربا ج ٧ ص ١٨ والاستيعاب ج ١ ص ١١٨ واسدالغابة ج ٢ ص ٣٦ والطبري ط اوربا ج ٢ ص ١١١ وابن الاثيرط اوربا ج ٣ ص ٣٩١ والذهبي ج ٢ ص ٢٢٠ وابن كثيرج ٨ ص ٤٧.

(٢)— تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٤٣٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٤٢.

(٣)— راجع ذلك في طبقات ابن سعد ج ٥ ص ٢٨١، ٢٨٥، ٢٨٧ و ٢٨٩ والخراج ص ٢٥ وسنن النسائي باب قسم الفيء ج ٢ ص ١٧٨.

القربى لقرابة الامام، وقال قوم: بل يجعلان في السلاح والعدة، واختلفوا في القرابة من هم(١).

وقال ابن قدامة انه: بعد ماروي: ان ابابكر قسم الخمس على ثلاثة اسهم، ذكر أن هذا هو قول اصحاب الرأي— ابي حنيفة وجماعته— فانهم قالوا: يقسم الخمس على ثلاثة اقسام: اليتامى، والمساكين، وابناء السبيل وا سقطوا رسول الله(ص) بموته وسهم قرابته ايضاً... وقال مالك :الخمس والفيء واحد يجعلان في بيت المال. قال ابن قدامة: «وماقاله ابوحنيفة فمخالف لظاهر الآية؛ فإن الله تعالى سمى لرسوله وقرابته شيئاً، وجعل لهما في الخمس حقاً، كماسمى الثلاثة الاصناف الباقية، فمن خالف ذلك فقد خالف نص الكتاب، واما حمل ابي بكر وعمر (رض) على سهم ذي القربى في سبيل الله، فقد ذكر لاحمد، فسكت، وحرك راسه ولم يذهب اليه، ورأى أن قول ابن عباس ومن وافقه اولى لموافقته كتاب الله وسنة رسوله(ص)(٢)».

وراى ابو يعلي والماوردي أن تعيين مصرف الخمس منوط باجتهاد الخلفاء(٣).

رأي اهل البيت، وشيعتهم في قضية الخمس

يقسم الخمس عند اهل البيت(ع) وشيعتهم الى ستة اقسام، ثلاثة منها لله ولرسوله ولذوي قرباه يقبض النبي(ص) هذه الاسهم في حياته، و يعود امرها الى الأئمة الاثني عشر من اهل بيته بعد وفاته(ص)، والاسهم الأخرى هي لفقراء بني هاشم، وابناء سبيلهم و يتاماهم مع وصف الفقر... وقالوا ايضاً: يجب اخراج الخمس من كل مال فازبه المسلم من جهة العدى اوغيرهم. ولايتوقف شيعة اهل البيت عند هذا ، بل يستدلون ايضاً

---

(١)— بداية المجتهد حكم الخمس ج ١ ص ٤٠١.

(٢)— المغني لابن قدامة ج ٧ ص ٣٥١ باب قسمة الفيء والغنيمة.

(٣)— الاحكام السلطانية للماوردي باب قسم الفي ص ١٢٦ والاحكام السلطانية لأبي يعلى ص ١٢٥.

بالاحاديث الكثيرة الدالة على ذلك ،الواردة عن ائمه اهل البيت(ع)، الذين هم أحد الثقلين الذين امرنا بالتمسك بهم وهم سفينة نوح و باب حطة هدانا الله جميعاً الى المزيد من محبتهم، والتمسك بهم ومتابعتهم في اقوالهم وافعالهم، وماذلك على الله بعزيز.

محتويات الكتاب

١ــ محتويات الكتاب اجمالاً
٢ــ محتويات الكتاب بالتفصيل

١ ــ محتويات الكتاب اجمالاً

تقديم ٣

الباب الخامس:

من الهجرة الى بدر

الفصل الأول: النبي (ص) فى المدينة ٧ ــ ١٦
الفصل الثانى: اعمال تأسيسية فى مطلع الهجرة ١٧ ــ ٧٤
الفصل الثالث: قضايا واحداث غير عسكرية ٧٥ ــ ١١٩
الفصل الرابع: الجهاد في الاسلام ١٢١ ــ ١٣٣
الفصل الخامس: سرايا وغزوات قبل بدر ١٣٥ ــ ١٥٩

الباب السادس بدر العظمى

الفصل الاول: في اجواء القتال ١٦٣ ــ ١٩٨
الفصل الثانى: نتائج الحرب ١٩٩ ــ ٢٢٣
الفصل الثالث: الغنائم والاسرى ٢٢٥ ــ ٢٥٩
الفصل الرابع: نهاية المطاف ٢٦١ ــ ٢٦٩
الفصل الخامس: بحوث ليست غريبة عن السيرة ٢٧١ ــ ٣٢٣

٢ ــ محتويات الكتاب بالتفصيل

تقديم ٣

الباب الخامس: من الهجرة الى بدر

الفصل الاول: النبي ص في المدينة ٧ ــ ١٦

ورود النبي (ص) المدينة ٩
منزل النبي (ص) في المدينة ١٠
ابن سلام.. والاسلام ١١
ملاحظة اخيرة هنا.. ١٦

الفصل الثانى: اعمال تأسيسية في مطلع الهجرة ١٧ ــ ٧٤

بداية ١٩

ا ــ بناء مسجد المدينة ٢٠
الف: ابوبكر والعشرة دنانير ٢٠

باء: أحجار الخلافة ٢١
جيم: عثمان وعمار ٢٣
ألم يكن عثمان في الحبشة؟! ٢٤
والجواب الصحيح هنا هو: ٢٥
سرانتصار النبي (ص) لعمار ٢٧
لماذا المسجد اولاً ٢٨
مشاركة النبي (ص) في بناء المسجد ٣١
جماعة خاصة بالنساء ٣١
٢ ــ تحقيق حول مبدأ التاريخ الهجرى: من هوأول من أرخ بالهجرة ٣٢
بداية ٣٢
الحكاية كمايرويها المؤرخون ٣٣
الرأي الأمثل ٣٥
من المشير بمحرم ٣٥
الموافقون على هذا الرأي ٣٧
كلام السهيلي ٣٨
مانستند إليه ٤٠
عود على بدء ٥٥
والتاريخ المسيحي إذن لماذا؟ ٥٦
دعوة مخلصة ٥٧

٣ ــ المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ٥٨
عدد الذين كانت المؤاخاة بينهم ٥٩
المؤاخاة بين كلٍ ونظيره ٦٠
مؤاخاة النبي (ص) لعلي ٦٠
تواتر حديث المؤاخاة ٦١

تكنية علي(ع) بأبي تراب ٦٢
مع المنكرين لمؤاخاة النبي(ص) لعلي(ع) ٦٣
ونحن نقول ٦٣
مع قضية المؤاخاة ٦٥
الف: السمو بالعلاقات الانسانية ٦٥
باء ور المؤاخاة في بناء المجتمع الجديد ٦٥
الاول: الحق ٦٦
الثاني: المؤاساة ٦٧
خلة أبي بكر ٦٧
على أبي ذر أن لا يعصي سلمان ٦٨

٤ ــ أسس العلاقات في المجتمع الجديد ٦٩
نص الوثيقة ٧٠

٥ ــ موادعة اليهود ٧٤

الفصل الثالث:
قضايا وأحداث غير عسكرية ٧٥ــ١١٩

عودة بعض المهاجرين الى الحبشة ٧٧
عائشة في بيت النبي(ص) ٧٨
استدلال طريف ٧٩
فاتحة عهد جديد ٨٠
تشريع الأذان ٨٠
مناقشة روايات الأذان ٨١
الكلمة الأخيرة ٨٧

حي على خير العمل في الأذان ٨٨
كلمة حول هذا الرأي ٩٧
سبب حذف هذه العبارة ٩٧
الزيادة في الصلاة ٩٨
قول آخر في فرض الصلاة ٩٩
فرض الزكاة ١٠٠
رواية تعارض ماسبق ١٠١
فرض زكاة الفطرة ١٠٢
فرض الصيام ١٠٢
صيام يوم عاشوراء ١٠٤
كذب تلك الروايات ١٠٥
من فضائل يوم عاشوراء ١٠٧
يوم عزاء... و يوم عيد ١٠٧
وضع الاحاديث ١٠٨
أساليب مقاومة عاشوراء ١٠٩
آية الصلح بين المؤمنين ١١٠
اسلام سلمان المحمدي ١١٢
ملاحظة ١١٣
بئر رومة في صدقات عثمان ١١٣
بئر أريس ١١٧
حقيقة القضية ١١٧
تأبير النخل ١١٨

الفصل الرابع: الجهاد في الاسلام ١٢١ــ١٣٣

الاسلام والسيف ١٢٣
١ ــ الحرب في الاسلام وفي غيره ١٢٤
إشارة ١٢٥
٢ ــ حيث لابد من الحرب ١٢٥
هل الاسلام قام بالسيف ١٣٣

الفصل الخامس: سرايا وغزوات قبل بدر ١٣٥ــ١٥٩

غزواته وسراياه ١٣٧
المهاجرون اولاً ١٣٧
سرية عبدالله بن جحش الى بطن نخلة ١٣٩
وصية النبي (ص) للسرايا ١٤٠
أ ــ تكنية علي (ع) بأبي تراب ١٤١
التزوير والافتراء ١٤٢
لماذا الوضع والاختلاق ١٤٢
قيمة هذه الكنية ١٤٤

٢ ــ لماذا المهاجرون فقط؟ ١٤٥
الف: على الانصار نصره (ص) في دارهم ١٤٥
باء: مسألة الحرب والسلم.. ١٤٦
ظروف الأنصار الخاصة ١٤٦
جيم: الحالة النفسية للمهاجرين ١٤٨

دالية العربي.. وقضية الدم ١٤٨
قريش... والأنصار ١٥٠
تزوير التاريخ ١٥٢
تأكيد النبي (ص) على برالانصار ١٥٤
لاغنى في الحرب عن الانصار ١٥٥

٣ ــ لماذا السرايا؟ ١٥٦
الاول: الموادعات والتحالفات ١٥٦
الثانى: مضايقة قريش ١٥٧
وصاياه (ص) لبعوثه ١٥٨
محاولة قرشية فاشلة ١٥٩

الباب السادس
بدر العظمى

الفصل الاول: في اجواء القتال ١٦٣ــ١٩٨

الانتداب الى بدر ١٦٥
الذين يخشون الناس ١٦٦
رؤيا عاتكة ١٦٨
قريش تتجهز ١٦٨
موقف أمية بن خلف ١٦٨
مع قضية ابن خلف ١٦٩
رجوع طالب بن أبي طالب عن الحرب ١٧٠

هكذا قالوا.. ونحن نقول ١٧١
المكرهون والراجعون ١٧٢
موقف الرسول من المكرهين والراجعين ١٧٢
نظرة على موقف النبي (ص) من هؤلاء ١٧٢
النبي (ص) يستشير في أمر الحرب ١٧٣
١ ــ استشارة النبي (ص) أصحابه ١٧٥
٢ ــ حرب قريش هو الرأي ١٧٦
٣ ــ التربية النفسية ١٧٧
٤ ــ نظرة في الآراء حول الحرب ١٧٧
٥ ــ سرّ سروره (ص) بكلام سعد والمقداد ١٧٨
الحباب ذو الرأي ١٧٩
عدة وعدد المسلمين والمشركين ١٨٠
المشركون يدركون بغيهم وعدوانهم ١٨٢
مواقع الجيشين ١٨٢
معنويات المسلمين.. والعنايات الربانية ١٨٣
أهداف الحرب ١٨٤
في المواجهة ١٨٤
هدوء ما قبل العاصفة ١٨٦
الف: سرّ رعب المشركين ١٨٧
باء: نظرة في عروض النبي (ص) على المشركين ١٨٧
جيم: النبي (ص) لا يبدأ القتال ١٨٨
النبي (ص) في العريش ١٨٨
إشارة ١٩٠
المبارزة ١٩١
بعد قتل الفرسان الثلاثة ١٩٢

الف: غضب النبي (ص) لأبي طالب ١٩٤
باء: بدء النبي (ص) بأهل بيته ١٩٤
جيم: سخرية شيبة ١٩٥
دال: الحق الذي جعله الله تعالى للمسلمين ١٩٥
المعركة.. ثم الهزية ١٩٦

الفصل الثاني: نتائج الحرب ١٩٩ ـ ٢٢٣

نتائج الحرب ٢٠١
بطولات علي(ع) ٢٠١
رواية مكذوبة ٢٠٤
ما هو الصحيح اذن؟ ٢٠٥
إشارة ٢٠٦
قتلى المشركين في القليب ٢٠٦
مهجع سيد الشهداء ٢٠٨
ذوالشمالين ٢٠٩
الف: اهتمام علي(ع) برسول الله في بدر ٢٠٩
باء: الحرب مصيرية ٢١١
جيم: الهزيمة.. وعدم تكافؤ القوى والامداد بالملائكة ٢١١
بيان ذلك ٢١٣
دال: حقد قريش على الأنصار ٢١٧
لماذا أهل بيته أولاً؟ ٢١٩
هاء: بدر واثرها على علي(ع) ٢٢٠
الشهداء من الأنصار ٢٢١
كلام هام للعلامة الطباطبائي ٢٢١

الفصل الثالث: الغنائم والاسرى ٢٢٥ـ٢٥٩

قسمة الغنائم ٢٢٧
النبي(ص) لم يأخذ الخمس في بدر ٢٢٨
النبي(ص) يردّ الخمس على أصحابه باستمرار ٢٢٩
اكتفاء الناس في عهد علي(ع) ٢٣١
ملاحظة هامة: الخمس.. والطبقية ٢٣٢
بعض المتخلفين.. وغنائم بدر ٢٣٤
الف: طلحة و سعيد بن زيد ٢٣٤
باء: عثمان بن عفان ٢٣٥
الغارات على الفضائل ٢٣٧
قتل آسيرين ٢٣٨
الف: نسب عقبة ٢٣٩
النار للصبية ٢٤٠
جيم: لماذا الطعن في نسب عقبة ٢٤١
دال: إنكار قتل النضر بن الحارث في بدر ٢٤١
مصير الباقين من الاسرى: ٢٤٢
لونزل العذاب.. مانجا الا ابن الخطاب ٢٤٣
بين رأي عمر.. ورأي ابن معاذ ٢٤٧
قتل الاسرى هوالاصوب ٢٤٨
مع موقف عمر من الاسرى ٢٤٩
انين العباس في الوثاق ٢٥٠
فداء العباس واسلامه ٢٥١
إشارة ٢٥٤
مؤامرة على حياة النبي(ص) ٢٥٥
موقف النبي(ص) من قلائد زينب ٢٥٥
سؤال.. يحتاج إلى جواب ٢٥٦

أستاذ المعتزلي وقضية زينب ٢٥٦
فداء الاسير: تعليم الكتابة ٢٥٧
معاملة الاسرى ٢٥٨

الفصل الرابع: نهاية المطاف ٢٦١ـ٢٦٩

أهل بدر مغفورلهم ٢٦٣
من هم افضل من أهل بدر ٢٦٥
عودة خيبة ٢٦٦
عودة ظفر ٢٦٦
بعض نتائج حرب بدر ٢٦٧
النجاشي يفرح لنتائج بدر ٢٦٨

الفصل الخامس:

بحوث ليست غريبة عن السيرة ٢٧١ـ٣٢٣

تمهيد ٢٧٣
البحث الاول: خصائص الشيعة ٢٧٤
البحث الثاني: أبو بكر في العريش، وشجاعة أبي بكر ٢٨٠
عدم صحة ماتقدم ٢٨١
الف: فرار أبي بكر في المواقف ٢٨١
باء: حراسة أبي بكر للنبي (ص) ٢٨٤
جيم: أبو بكر في ساحة الحرب ٢٨٦
دال: الإخبار بحرب أمير المؤمنين (ع) للناكثين والقاسطين ٢٨٧
هاء: حرب مانعي الزكاة ٢٨٨

البحث الثالث: ذوالشمالين، وسهوالنبي (ص) ٢٩٠

لماذا كان ما كان؟ ٢٩٣
إيراد وجوابه ٢٩٣
العصمة عن السهو والخطأ والنسيان اختيارية ٢٩٤
ولم نجد له عزماً ٢٩٦
عود على بدء ٢٩٦
العصمة عن الذنب اختيارية أيضاً: سؤال يحتاج الى جواب ٢٩٧
الإسلام والفطرة ٢٩٨
عناصر لابد منها في العصمة ٣٠١
التوضيح والتطبيق ٣٠٢
أفضل الخلق محمد (ص) ٣٠٤
علماء أمتي أفضل من بني اسرائيل ٣٠٤
البحث الرابع: الخمس بين السياسة والتشريع ٣٠٦
معنى الغنيمة ٣٠٦
الخمس في كتب النبي (ص) ورسائله ٣٠٨
نظرة في تلك الرسائل ٣١١
جباة الخمس ٣١٢
في السيوب الخمس ٣١٣
وثمة دليل آخر ٣١٤
الخمس في المعدن والركاز ٣١٤
مواضع الخمس في الكتاب والسنة ٣١٦
ومن طريق أهل البيت نذكر: ٣١٧
مصير الخمس بعد الرسول (ص) ٣١٨
في عهد أبي بكر ٣١٨
في عهد عمر ٣١٨
في عهد عثمان ٣١٩
سيرة علي (ع) في الخمس ٣١٩
في عهد معاوية ٣٢٠

في عهد الأمويين حتى عهد عمر بن عبد العزيز ٣٢١
آراء فقهاء أهل السنة في الخمس ٣٢١
رأي أهل البيت وشيعتهم في قضية الخمس ٣٢٢

جعفر مرتضى العاملي

الصحيح
من سيرة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم

الجزء الرابع

دراسة وتحليل

١٤٠٣ هـ.ق

الكتاب : ماهو الصحيح فی سيرة النبی الاعظم (ص)
المؤلف : جعفر مرتضی الحسينی العاملی
حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف
قم المقدسة ١٤٠٠ هـ ـ ق

بسم الله الرحمن الرحيم:

والحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل بريته محمد وآله الطيبين الطاهرين، واللعنة على أعدائهم أجمعين، من الأولين، والآخرين، الى قيام يوم الدين...

وبعد:

فهذا هو الجزء الرابع من كتاب: الصحيح من سيرة النبي(ص)، أقدمه للقراء الاعزاء، على أمل أن ينال رضاهم، مع رجائي الاكيد: أن يتحفوني بملاحظاتهم وآرائهم النافعة،ولهم مني جزيل الشكر وفائق التقدير.

جعفر مرتضى العاملي

الباب السابع:

مابين بدر وأحد...

الفصل الأول: شخصيات وأحداث

الفصل الثاني: قضايا وأحداث في المجال العام

الفصل الثالث: غزوات وسرايا دفاعية

الفصل الرابع: غدر اليهود، ومرحلة الاغتيالات المنظمة

الفصل الخامس: حروب علنية بين اليهود والمسلمين.

الفصل الأول:

شخصيات وأحداث

تمهيد:

لقد لاحظنا الاحداث التي بين بدر وأحد، فوجدناها تنقسم إلى قسمين: أحدهما: يسير في الاتجاه الشخصي ظاهراً، بمعنى أنه يدور حول احداث مرتبطة بشخصيات معينة، ولكنها في نهاية المطاف لابد وأن تؤثر على الجوالعام، أو استفيد منها للتأثير فيه بنحو، أو بآخر...

الثاني: الأحداث التي تصب في سير الاتجاه العام مباشرة، كالحروب، والاغتيالات، ونقض العهود، وماشاكل...

ونحن لابد وأن نتحدث عن القسمين معاً، ونقدم الحديث على القسم الأول... فنقول: إن الحديث سوف يشمل البحوث التالية:

١ـ وفاة رقية زوجة عثمان، والملابسات التي اكتنفت ذلك...

٢ـ زواج عثمان بام كلثوم بنت النبي(ص).

٣ـ هجرة زينب بنت النبي(ص)،ومايرتبط بذلك...

٤ـ زواج اميرالمؤمنين(ع)بالزاهراء:ظروفه وملابساته،ومناقشة بعض مايذكر في ذلك... و يدخل في ذلك بحث:

ألف: أسطورة زواجه(ع) ببنت أبي جهل...

باء: بحث متى كان تحريم الخمر...

٥ً- أم سلمة في بيت النبي(ص).

٦ً- زواجه(ص) بحفصة.

٧ً- زواجه(ص) بزينب بنت خزيمة...

٨- سر تعدد زوجاته(ص)...

وتمر في خلال ذلك مناقشات لابد منها لماقيل أو يقال، مما لامجال لتجاهله والتجاوز عنه... فنقول:

١ً- وفاة رقية:

قيل: إن رقية بنت أو ربيبة النبي(ص)قد توفيت في السنة الثانية، في شهر رمضان، يوم النصر ببدر. وقيل: بل إن زيدبن حارثة جاء بشيراً بالنصر في حين كان عثمان واقفاً على قبرها يدفنها...

وقال النووي: إنها توفيت في ذي الحجة(١).

ونحن نرجح: أنها توفيت بعد رجوعه(ص) من بدر،وذلك استناداً الى مايلي:

١ً- ان رواية: ان عثمان تخلف عن بدر ليمرضها محل شك؛ وذلك لماتقدم من تعيير عبدالرحمان بن عوف، وابن مسعود وغيرهماله بتخلفه عن بدر؛ فكيف خفي عليهم عذره، بل وفضله إذا كان(ص) قد ضرب له بسهمه وأجره كمايقولون...

هذا عدا عن الرواية التي تقول: إنه تخلف لأنه كان مريضاً بالجدري... وقد تقدم كل ذلك في وقعة بدر.

٢ً- لقد ذكر النووي: انها توفيت في شهر ذي الحجة بعد

---

(١)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦.

بدر(١)... وأيضاً فقد ذكر ابن قتيبة: أنها توفيت لسنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً من مقدمه(ص) المدينة(٢).

وهذا معناه: أنها توفيت في محرم... وهذا يقوى ماذكروه النووي آنفاً، و إن كان هذا أكثر دقة وتحديداً...

٣ـ لقد روى ابن سعد، وغيره: أنه(ص) قال حينما توفيت رقية: الحقي بسلفنا عثمان بن مظعون، فبكت النساء على رقية؛ فجاء عمر بن الخطاب، فجعل يضربهن... إلى أن قال: فقعدت فاطمة على شفير القبر تبكي، فجعل يمسح عن عينها بطرف ثوبه(٣).

ورد الواقدي هذه الرواية: بأن رقية قد توفيت، والنبي(ص) غائب في بدر، فلعل المراد غير رقية، أو أنه(ص) أتى قبرها بعد قدومه، و بكاء النساء عليها بعد ذلك(٤).

ولكن ردُّ الواقدى هذا... لايمكن قبوله... فان الرواية الآنفة صحيحة السند، و يعضدها ماتقدم وماسيأتي...

وردّها استناداً الى ماشاع من تمريض عثمان لها من أجل تأكيدما استقر في نفوسهم من أنه(ص) قد ضرب لعثمان بسهمه وأجره، ليس بأولى من العكس، مع وجود التهمة في مستندهم هذا كما تقدمت الاشارة إليه في وقعة بدر...

٤ـ وقد جاء بسند صحيح على شرط مسلم، عن أنس: لما ماتت رقية بنت رسول الله(ص)، قال(ص): لايدخل القبر رجل قارف أهله الليلة،

---

(١)ـ تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦.

(٢)ـ ذخائر العقبى ص ١٦٣.

(٣)ـ راجع: طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٤ و ٢٥ و الاصابة ج ٤ ص ٣٠٤، ووفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٩٥، ومنحة المعبود في تلخيص مسند الطيالسي ج ١ ص ١٥٩، وليراجع قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣٩ عن الكافي.

(٤)ـ راجع المصادر المتقدمة.

فلم يدخل عثمان القبر(١)...

وفي لفظ آخر ذكره البخاري، عن أنس قال: شهدنا دفن بنت رسول الله(ص)، و رسول الله(ص) جالس على القبر، فرأيت عينيه تدمعان؛ فقال: هل منكم من أحد لم يقارف الليلة؟ فقال أبوطلحة: أنا؛فنزل في قبرها(٢).

وحكم جمع بأن ذكر رقية في الرواية وهم، أوخطأ، استناداً إلى ماتقدم من كون رقية قد توفيت، والنبي(ص) في بدر(٣)...

وجوابه كجواب سابقه... وليس هذا بأولى من العكس، بل العكس هوالمتيقن حسبما قدمنا آنفاً، وفي وقعة بدر.

كلام ابن بطال وغيره:

والمراد بالمقارفة هنا: المجامعة، كما جزم به ابن حزم وغيره... وعلى كل حال... فقد علق ابن بطال على حديث المقارفة هذا بقوله:

«أراد النبي(ص) أن يحرم عثمان النزول في قبرها. وقدكان أحق

---

(١)— مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧، وتلخيصه هامش نفس الصفحة للذهبي، وسكت عنه، وليراجع: الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٣٠١ والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤، وفتح الباري ج ٣ ص ١٢٧، ومسند أحمد ج ٣ ص ٢٧٠ و ٢٢٩ و عن تاريخ البخاري الاوسط.

(٢)— صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ١ ص ١٥٢ و ١٤٦ ومشكل الآثار ج ٣ ص ٢٠٢ و ٢٠٤ والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤، والاستيعاب بهامشها ج ٤ ص ٣٠١، والمعتصر من المختصر لمشكل الآثار ج ١ ص ١١٤/١١٣ و سنن البيهقي ج ٤ ص ٥٣، ومستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧، ومسند أحمد ج ٣ ص ١٢٦ و ٢٢٨، وذخائر العقبى ص ١٦٦ والمصنف لعبد الرزاق ج ٣ ص ٤١٤، وعن تاريخ البخاري...

(٣)— الاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٣٠١، ونهاية ابن الاثير ج ٤ ص ٤٦، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٢٦، والاصابة ج ٤ ص ٣٠٤ و ٤٨٩ عن أبي عمرو ابن سعد، وعن البخاري ولكن قد رأينا أن البخاري لم يصرح بأنها أم كلثوم، نعم قد ذكر الرواية في رقية في تاريخه ثم ناقشها بما ذكروه... والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ عن البخاري، وفتح الباري ٣ ص ١٢٧ عنه و ١٢٦ عن غيره، والروض الانف ج ٣ ص ١٢٧، وذخائر العقبى ص ١٦٦.

بها؛ لأنه كان بعلها. وفقد منهم علقاً لاعوض منه؛ لأنه حين قال عليه السلام: أيكم لم يقارف الليلة أهله سكت عثمان، ولم يقل: أنا؛ لأنه كان قد قارف ليلة ماتت بعض نسائه، ولم يشغله الهمّ بالمصيبة، وانقطاع صهره من النبي(ص) عن المقارفة؛ فحرم بذلك ماكان حقاً له، وكان أولى به من أبي طلحة وغيره، وهذا بيّن في معنى الحديث.

ولعل النبي(ص) قد كان علم ذلك بالوحي؛ فلم يقل له شيئاً؛ لأنه فعل فعلاً حلالاً، غير أن المصيبة لم تبلغ منه مبلغاً يشغله، حتى حرم ماحرم من ذلك بتعريض دون تصريح(١)».

وقال ابن حبيب: «ان السر في ايثار ابي طلحة على عثمان: ان عثمان كان قد جامع بعض جواريه في تلل الليلة؛ فتلطف(ص) في منعه النزول في قبر زوجته بغير تصريح(٢).

وللعلامة الأميني هاهنا كلام جيد ذكر فيه: أن النبي الداعي للستر على المؤمنين، والداعي للاغضاء عن العيوب، والناهي عن التجسس بنص القرآن العظيم عما يقع في الخلوات، يخرج هنا عن سجيته، ويخالف طريقته، ويعرض بعثمان هذا التعريض الذي فضحه، وحرمه مما هو حق له... الأمر الذي يدل على أن ما اقترفه عثمان كان أمراً عظيماً، لامجرد كونه فعل أمراً حلالاً، ربما يكون قد اضطر اليه بسبب طول مرض زوجته، كما قد يحلو للبعض(٣) أن يعتذر؛ فان ذلك لايستدعي من النبي(ص) أن يقف هذا الموقف الحازم(٤) انتهى ملخصاً.

ونقول: نعم... ولعل عثمان قد ارتكب في حق رقية ذنباً عظيماً جداً لم يستطع التاريخ أن يفصح لناعنه... بل نجد نصاً في الكافي يقول: إن

---

(١)— الروض الانف للسهيلي ج ٣ ص ١٢٧/١٢٨.

(٢)— فتح الباري ج ٣ ص ١٢٧.

(٣)— المصدر السابق.

(٤)— الغدير ج ٨ ص ٢٣٣.

رقية لما قتلها عثمان وقف النبي(ص) على قبرها؛ فرفع رأسه إلى السماء، فدمعت عيناه، وقال للناس: إني ذكرت هذه ومالقيت؛ فرققت لها، واستوهبتها من ضمة القبر(١).

ولعل مما يشير إلى ذلك ... مارواه في تقريب ابن الصلاح، عن تاريخ الثقفي: أن عثمان لما خطب وقال: الست ختن النبي على ابنتيه؟ أجابته عائشة: بأنك كنت ختنه عليها، ولكن كان منك فيها ماقد علمت(٢).

وبعد كل ماتقدم... فهل يمكن أن نصدق: أنه(ص) قال: إنه لوكان عنده ثالثة، أو عشرة، أو أربعين أو... لكان زوّجها لعثمان؟!(٣).

أكاذيب... وأباطيل:

والاكاذيب والاباطيل هاهنا كثيرة ونشير منها إلى مايلي:

١ـ إن هنا رواية تقول: إنه بعد موت رقية رأى النبي(ص) عثمان مهموماً لهفان (أو أنه يبكي بكاء شديداً)، فسأله(ص)؛ فقال: وهل دخل على أحد مادخل علي؟. ماتت ابنة رسول الله التي كانت عندي، وانقطع ظهري، وانقطع الصهر بيني وبينك؛ فبينما هو يحاوره إذقال النبي(ص): يا عثمان، هذا جبريل(ع) يأمرني عن الله أن أزوجك أختها أم كلثوم، على مثل صداقها، وعلى مثل عشرتها؛ فزوجه اياها(٤).

عجيب!! أوليس هذا النبي(ص) نفسه هوالذي حرم عثمان من الدخول في قبر رقية؛ لأنه رفث إلى جارية في نفس ليلة وفاتها؟!

أوليس عثمان هوالذي عيرته عائشة بأنه كان منه في رقية وأختها

---

(١)ـ قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٣٩.

(٢)ـ قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٤٠.

(٣)ـ راجع؛ الغدير ج ٨ ص ٢٣٣ـ٢٣٤.

(٤)ـ راجع: مستدرك الحاكم ج ٤.ص ٤٩، وأسدالغابة ج ٥ ص ٦١٢ و ٦١٣ عن ابن المسيب، وذخائر العقبى ص ١٦٥/١٦٦ عن ابن عباس وأبي هريرة، وقال: أخرجهما الفضائلي...

ماقد عُلم؟!...

٢ـ ورواية أخرى مفادها: أن أبا هر يرة دخل على رقية، فأخبرته: أن رسول الله كان عندها آنفاً، وسألها(ص) كيف تجد عثمان، فقالت: بخير. قال: اكرميه فانه من أشبه أصحابي بي خلقاً(١)...

ونحن لانز يد هنا على ماقاله الحاكم، وأيده الذهبي في تلخيصه: «هذا حديث صحيح الاسناد، واهي المتن، فان رقية ماتت سنة ثلاث(٢) من الهجرة عند فتح بدر، وأبو هر يرة إنما اسلم بعد فتح خيبر(٣)».

هذا... مع غض النظر عن المناقشة الكبيرة في أن يكون عثمان من أشبه أصحابه به خلقاً؛ فإن المراجعة لسيرة عثمان وأخلاقه وسلوكه، لايمكن أن تؤ يد هذا بوجه من الوجوه، ونحيل القارئ إلى مورد واحد يكشف له عن خلق عثمان، وهو قضيته مع عمار حين بناء المسجد... هذا كله عداعما ظهر منه في أيام خلافته من أمور نقمها الصحابة عليه، حتى انتهى بهم الأمر إلى أن قتلوه من أجلها...

وثمة روايات أخرى حول عثمان وزواجه برقية وأم كلثوم، تعرض لها العلامة الأميني في الغدير فمن أرادها فليراجعها(٤).

كلمة أخيرة حول رقية وعثمان:

و يذكرون أخيراً... أن رقية كانت قبل عثمان متزوجة بابن أبي لهب وقد فارقته بالطلاق، وثمة رواية تقول: إن المبادرة بالطلاق كانت من

---

(١)ـ مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨، وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٨١، وسيرة مغلطاي ص ١٧/١٦، ومنتخب كنزالعمال بهامش مَسند أحمد ج ٥ ص ٤ عن الحاكم، وابن عساكر.

(٢)ـ الصحيح: سنة اثنتين

(٣)ـ مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨، وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة.

(٤)ـ راجع: الغدير ج ٥ ص ٣٢٦، و ج ٩ ص ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٠٣ و ٣٧٢ و ٣٧٤، و موارد أخرى لامجال لذكرها.

جانب آل أبي لهب، انتقاماً منها ومن أبيها، لأنها صبت إلى دينه... وهذه الرواية هي المعروفة...

ولكننا نجد في مقابلها رواية حسنة الاسناد تقول: إن النبي(ص) قد طلب من عتبة طلاق رقية؛ وسألته رقية ذلك فطلقها(١).

ونحن...وإن كنالانستغرب خبث نفوس آل أبي لهب، ولا يبعد أن تكون قد تعرضت عندهم للأذى، ولربما يستفاد ذلك من طلبها هي الطلاق... إلا أننا ربما نجد في هذه الرواية الثانية: أن النبي(ص) كان يسعى إلى أن لايقر مسلمة مع مشرك ، إن استطاع الى ذلك سبيلاً....

وعلى كل حال... فان عثمان قد تزوجها بعد طلاق ابن أبي لهب لها... و يظهر أن ذلك كان في الاسلام؛ كما تدل عليه الروايات المتقدمة(٢)، و إن كان البعض يحاول أن يدعى أنه تزوجها في الجاهلية، ولكن ماتقدم يدفعه...

و يدفعه أيضاً أن ابن شهر آشوب يذكر: أن عثمان قدعاهد أبابكر أن يسلم إذا زوجه النبي(ص)رقية(٣). وكانت رقية ذات جمال رائع(٤)،ومن أحسن البشر(٥)فلعل النبي(ص)زوجه إياها تألفاً له على الاسلام فأسلم... و يكون معنى قولهم— و إن كان ذلك بعيداً— إنه كان قد تزوجها في الجاهلية: أنه تزوجها ثم أسلم وفاء بعهده لأبي بكر...

ولسوف يأتي بعض مايتعلق بهذا أيضاً حين الكلام على زواج علي عليه السلام بفاطمة إن شاء الله.

---

(١)— مجمع الزوائدج ٩ص٢١٦/٢١٧عن الطبراني. قال الهيثمي: وفيه زهير بن العلاء، ضعفه أبوحاتم، ووثقة ابن حبان، فالاسناد حسن.

(٢)— راجع: ذخائر العقبى ص ١٦٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ عن الدولابي، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٦.

(٣)— مناقب ابن شهر آشوب ج ١ ص ٢٢.

(٤)— المواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧ و ذخائر العقبى ص ١٦٢.

(٥)— مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٧، وتلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة.

٢ـ زواج عثمان بأم كلثوم:

قال البعض: إنه في ربيع الأول من سنة ثلاث تزوج عثمان بأم كلثوم، وبنى بها في جمادى الآخرة(١).

ولكن قد ذكر في قرب الاسناد عن الصادق عليه السلام: أن أم كلثوم ماتت ولم يدخل بها عثمان(٢).

وكان أبو بكر وعمر قد خطبا أم كلثوم، فلم يزوجهما رسول الله(ص)(٣) فلما ماتت رقية خطب عثمان حفصة بنت عمر، فأبى عمر أن يزوجه، فبلغ ذلك النبي(ص)؛ فتزوج هو حفصة، و زوج عثمان أم كلثوم(٤).

وعن عائشة: أنه(ص) جاء ام كلثوم بعد ثلاث، فسألها عن زوجها، فقالت: خير رجل. فقال: أما إنه أشبه الناس بجدك ابراهيم، وأبيك محمد...

وعداعن ان رواية قرب الاسناد المتقدمة تنكر أن يكون عثمان قد دخل بأم كلثوم؛ فانهم قد حكموا على خبر عائشة هذا بأنه: موضوع(٥).

هذا... كله مع غض النظر عما تقدم من أن أخلاق عثمان لم تكن توافق أخلاق أبيها محمد... وأن الصحابة إنما قتلوه لاجل ذلك... وأما سوال: إنه كيف يزوجه أم كلثوم وهو قد عرف سوء معاملته لرقية، فلسوف يأتي جوابه حين الكلام على تعدد زوجاته(ص) ولسوف يأتي إن شاء الله في أواخر غزوة أحد بعض مايتعلق بمعاملة عثمان لأم كلثوم، حين الكلام على سبب

---

(١)ـ الاصابة ج ٤ ص ٤٨٩، والاستيعاب بهامشها ج ٤ ص ٤٨٧.

(٢)ـ رجال المامقاني ج٣ ص٧٣/٧٤ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٠٦ وقريب منه خبر الخصال في ص ٤٠٧ من القاموس.

(٣)ـ مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٩.

(٤)ـ ذخائر العقبى ص ١٦٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١٩٧. وقال: أخرجه الخجندي.

(٥)ـ لسان الميزان ج ٢ ص

وفاتها...

٣- هجرة زينب بنت النبي(ص):

و يقولون: إنه بعد شهر من وقعة بدر كانت هجرة زينب بنت(١) النبي(ص) إلى المدينة. حيث أرسل(ص) زيدبن حارثة، وانصار ياً آخر ليأتيابها... كما أن زوجها قد أمرها بأن تهاجر الى أبيها، وفاء بالشرط الذي شرطه له حينما أسر في بدر، وخرج بهاجهاراً ليسلمها الى زيد... فأنف القرشيون خروجها من بينهم على هذه الحالة؛ فخرجوا في طلبها؛ فأدركوها بذي طوى؛ فسبق إليها هبار بن الاسود، فروّعها بالرمح وكانت حاملاً، فأهراقت الدم، ولما رجعت طرحت ذابطنها (وفي نص آخر: أنه دفعها، فسقطت على صخرة، فأسقطت، وأهراقت الدماء؛ فلم يزل بها مرضها حتى ماتت(٢)-)؛فبرك حموها كنانةبن الربيع، ونثل كنانته؛ وتهددهم، فتكركر الناس عنه، ففاوضه أبوسفيان؛ فكان مما قاله له:

«قد عرفت مصيبتنا ونكبتنا، ومادخل علينا من محمد أبيها؛ فيظن الناس إذا أنت خرجت بابنته جهارا: أن ذلك عن ذل أصابنا، وأن ذلك مناوهن وضعف».

ثم طلب منه أن يرجعها إلى مكة، ثم يسلها سراً... فقبل منه ذلك... وعادبها، ثم أخرجها ليلاً، وسلمها الى زيد، فقدم بها على رسول الله(ص).

وفي نص آخر: أنه لما أرجعها بقيت عند هند بنت عتبة؛ فكانت تقول لها: هذا بسبب أبيك. فأرسل الرسول(ص) زيدبن حارثة، ومعه خاتمه علامة لها، فأعطاهالى راعي أبي العاص؛ فأوصله إليها، فسألته عن مكانه، ثم خرجت إليه ليلاً، فقدم بها على الرسول(ص)(٣).

---

(١)- أوربيبته.

(٢)- مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٤ وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٤٦، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٦، وقال: رواه الطبراني، وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح.

(٣)- راجع في هذه الرواية: ذخائر العقبى ص ١٥٧، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٢.

وفي عام الفتح أرجع الرسول زينب إلى زوجها، كما سيأتي إن شاء الله...

وقد أهدر الرسول(ص) دم هبار بن الاسود ورفيقه، كما ورد في رواية صحيحة على شرط أصحاب الصحاح والسنن(١)... وكما هو معروف ومشهور...

وقبل أن نمضي في الحديث، لابد من تسجيل النقاط التالية...

ألف: ماجرى لزينب... وماجرى لفاطمة:

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: «قلت: وهذا الخبر أيضاً قرأته على النقيب(٢) أبي جعفر رحمه الله؛ فقال: إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أباح دم هبار بن الاسود؛ لأنه روع زينب؛ فألقت ذابطنها؛ فظهر الحال: أنه لو كان حياً لأباح دم من روع فاطمة حتى القت ذابطنها...

فقلت: أروي عنك مايقوله قوم: ان فاطمة روعت؛ فألقت المحسن؟!.

فقال: لاتروه عني، ولا تروِعني بطلانه؛ فاني متوقف في هذا الموضع؛ لتعارض الأخبار عندي فيه(٣)».

وهكذا... فلقد خاف أبوجعفر: أن يتعرض لما تعرض له غيره ممن يروى فضائل أميرالمؤمنين، وأهل البيت، وماجرى عليهم. لقد خاف على نفسه، أولا أقل على مكانته واعتباره ومستقبله العلمي... ولاسيما إذا كانت هذه الرواية تتضمن اباحة دم عدد من كبار الصحابة!!

---

(١)— راجع: البداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣١.

(٢)— قد تقدم في غزوة بدر حين الكلام على فداء الاسرى، حينما أرسلت زينب بالقلائد بعض مايعبر عن شخصية أبي جعفر هذا... فراجع.

(٣)— شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ١٩٣.

باء: روايات اسقاط المحسن أين؟!

وليت شعري... أين هي تلك الأخبار في اسقاط المحسن، التي قال عنها أبوجعفر: إنها موجودة ومتعارضة؟!. فها نحن لانجد لها عيناً ولا اثراً في كتبهم ومؤلفاتهم اليوم، إلا ماشذوندر...

أليس يعني ذلك: أن هذه الأخبار قد اسقطت وقضي عليها كغيرها، من الكثير مما رأوه يضر بمصالحهم وبعقائدهم؟! وان كان قد بقي حتى الآن الكثير النافع، والقاطع، والذي لامجال لأحد أن ينكره وأن يشكك فيه مما ليس فيه جرح بالغ، أوخزي فاضح...

ولأجل قضية اسقاط المحسن حرفوا كتاب: «المعارف» لابن قتيبة، فقد قال ابن شهر آشوب: المتوفى سنة ٥٨٨ هـ

«وفي معارف القتيبي: أن محسناً فسد من زخم قنفذ العدوى(١)».

وقال الكنجي الشافعي، المتوفى سنة ٦٨٥ هـ: «وزاد على الجمهور، وقال: إن فاطمة عليها السلام أسقطت بعد النبي ذكراً، كان سماه رسول الله(ص) محسنا، وهذا شيئ لم يوجد عند أحد من أهل النقل، إلا عند ابن قتيبة(٢)».

ولكن الموجود في كتاب المعارف لابن قتيبة، المطبوع سنة ١٣٥٣ هـ ص ٩٢ هكذا:

«... وأما محسن بن علي؛ فهلك وهو صغير». وهكذا في سائر الطبعات المتداولة، الآن؛ فلماذا هذا التحريف، وهذه الخيانة للحقيقة وللتاريخ ياترى؟!(٣).

---

(١)— مناقب آل ابي طالب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ٣٥٨.

(٢)— كفاية الطالب ص ٤١٣.

(٣)— وليراجع كتاب: بانوى كربلاء (فارسى) ط سنة ١٣٣٩ هامش ص ١٨—١٩ ودراسات وبحوث في التاريخ والاسلام (للمؤلف) ج ١ ص ٢٩.

ونسب المقدسي: اسقاط فاطمة لمحسن بسبب ضرب عمر لها إلى الشيعة(١)... وهو الذي يظهر من النووي والعسقلاني(٢)...

ولكن النظّام قد أعلن رأيه في هذه القضية بشكل جعل من الصعب على الشهرستاني تجاهله، فقال عن النظام، إنه قال: «إن عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة، حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: أحرقوا دارها بمن فيها(٣)».

وذكر البغدادي قول النظام بضرب عمر لفاطمة، وترك التصريح بأنها اسقطت جنينها(٤).

جيم: عروة يتنقص فاطمة، وموقف السجاد منه:

و يروى عروةبن الزبير قضية زينب تلك عن عائشة، وفي آخرها: «فكان رسول الله(ص) يقول:هي أفضل بناتي، أصيبت فيّ. قال: فبلغ ذلك عليبن الحسين زين العابدين؛فأتى عروة، فقال: ماحديث بلغني عنك أنك تحدثه، تتنقص فيه حق فاطمة؟! فقال عروة: ما أحب أن لي مابين المشرق والمغرب: أن اتنقص فاطمة حقاً هولها، وأما بعد، فلك أن لا أحدث به أبداً(٥)».

نعم... لابد وأن ينكر عروة: أنه يتنقص فاطمة، ولو بأن يجعل المسؤولية تتوجه الى عائشة نفسها؛ لأن تنقص فاطمة عليها السلام علناً، معناه

---

(١)— البدء والتاريخ ج ٥ ص ٢٠.

(٢)— ميزان الاعتدال ج ١ ص ١٣٩، ولسان الميزان ج ١ ص ٢٦٨.

(٣)-الملل والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٥٧ ط سنة ١٣٨٧ هـ . والمطبوع بهامش الفصل في الملل والنحل ج ١ ص ٧٣ مع تصريحه باسم «المحسن» في هذه الطبعة.

(٤)— الفرق بين الفرق ص ١٤٧/١٤٨.

(٥)— مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٣/٤٤، وصححه على شرطهما، وتلخيص المستدرك للذهبي، وقال: انه حديث منكر. والبداية والنهاية ج ٣ ص ٣٣١، وذخائر العقبى ص ١٥٨، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢١٢/٢١٣، عن الطبراني في الكبير، وفي الاوسط بعضه، ورواه البزار، ورجاله رجال الصحيح، وحياة الصحابة ج ١ ص ٣٧٩ عن المجمع...

الكفر الصريح، وتكذيب القرآن، ولم يكن ذلك مقبولاً، ولا مستساغاً عند عامة المسلمين، رغم الدعايات الواسعة التي حاولت الحط من كرامة وشأن أهل البيت، وتعظيم ورفع أعدائهم ومناوئيهم.

ولانريد أن نزيدهنا شيئاً على موقف السجاد، فانه قد أوضح لنا بما لامجال معه للشك المرمى والهدف من روايتهم تلك. وقام عليه السلام ليؤدي رسالته في نصرة الحق وأهله...

ولكن مايلفت نظرنا هنا هو: أن الطحاوي يحاول أن يؤكد على صحة ماكذبه الامام السجاد، وأن يجدله التأويل والمخرج... حتى لقد حكم بأن تفضيل زينب على سائر بناته(ص) إنما هو حينما كانت فاطمة صغيرة، ولم تكن بهذه المنزلة، ثم وفقت فاطمة إلى الاعمال الصالحة، وماوهب لها من الذرية؛ فصارت أفضل(١).

فان مانعرفه: هو أن فاطمة إنما فضلت على نساء العالمين بنفسها، وبعملها وجهادها هي، لابما وهب لها من الذرية؛ فان مجرد أن يكون للانسان ذرية صالحة لايجعل له امتيازاً، مالم يكن هو بنفسه شريفاً وكريماً وفاضلاً، فان أكرمكم عندالله أتقاكم...

وأيضاً... فاننا نعرف: أن الطحاوي نفسه يذكر: أن فاطمة لم تكن حينئذٍ صغيرة، لأنه يقول: إنها توفيت وعمرها ٢٥ سنة(٢)، مما يعني: أن عمرها كان حين هجرة زينب ١٧ سنة...

والغريب هنا: أنه يقول: إن كون فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد على سائر الطعام، لاينافي فضل فاطمة، لأنه يجوز أن يكون ذلك قبل بلوغ فاطمة(٣) مع أنه هو نفسه يقول: إن فاطمة كانت اكبر من عائشة بسبع سنين، لأن النبي توفي وعمر عائشة ١٨سنة، وكان عمر فاطمة ٢٥ سنة عنده

---

(١)— مشكل الآثار ج ١ ص ٤٦—٤٧.

(٢)— مشكل الآثار ص ٤٧ وليراجع ص ٥١.

(٣)— المصدر السابق ص ٥٣.

(وقد قدمنا نحن أن العكس هوالصحيح) فراجع مباحث أول من اسلم، حول سبق عائشة إلى الاسلام، ومباحث العقد على عائشة، وانتقالها إلى بيت النبي(ص).

ثم... أو ليس البلوغ هو بلوغ تسع سنين، وقد كانت فاطمة يزيد عمرها حينئذ على تسع سنين على جميع الأقوال؟!. كما أن آية التطهير قد نزلت بعد هجرة زينب بحوالي سنتين فقط، وقد شملت فاطمة دون زينب وعائشة.

وعلى كل حال... فاننا لانستغرب على الطحاوي ولا على غيره هذه التناقضات والغرائب فانما تلك: «شنشنة أعرفها من أخزم».

٤ـ اقتران الزهراء(ع) بعلي(ع):

وتزوج أميرالمؤمنين عليه السلام بفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في شهر رمضان من السنة الثانية. وبنى بها في ذي الحجة من نفس السنة... هذا هوالمعتمد والمشهور.

وقيل غير ذلك ... فقيل: في السنة الأولى، وقيل في الثالثة بعد أحد، الى غير ذلك مما لامجال له... وتبعاً لذلك نجدهم يختلفون في تاريخ ولادة الحسنين عليهما السلام...

والصحيح أن عمرها حين زواجها عليها السلام كان تسع سنين— وقال آخرون غير ذلك — وقد تقدم تحقيق تاريخ ولادتها، وأنه بعدالبعثة بخمس سنين، فلاحاجة لاطالة الكلام في ذلك ...

ومن الطريف هنا: أن البعض — كمغلطاي — يناقض نفسه، فيذكرأنها تزوجت بأميرالمؤمنين(ع) بعد أحد، وعمرها ١٥ سنة. ولكنه يعود فيذكر في نفس الصفحة: أنها توفيت ولهاتسع وعشرون سنة. ويضيف: وقيل ثلاثون، وقيل خمس وثلاثون(١)!!. وعلى كل حال... فان كثيراً من المؤرخين

---

(١)— راجع: سيرة مغلطاي ص ١٧. والقول الأخير يدل على أنها ولدت قبل البعثة بحوالي ١٢ سنة، ولم يقل بذلك أحد...

يناقضون أنفسهم حينما يذكرون تاريخ ولادتها ووفاتها، وسنة زواجها، ومقدار عمرها، ومراجعة بسيطة، مع مقارنة خير شاهد ودليل على مانقول... وهذا يدلنا على أن ذلك ليس من قبيل الصدفة، وإنما له دوافع واهداف لامجال للافاضة فيها...

والحقيقة— وقد أشرنا إلى ذلك غير مرة—: أن عائشة هي التي كان لها ذلك السن العالي... وأما فاطمة عليها السلام فقد توفي النبي(ص) وعمرها ١٨ سنة، لكنهم عكسوا الأمر لحاجة في أنفسهم قضيت.

حديث الزواج:

ولقد خطب أبوبكر وعمر(رض) فاطمة أولاً، فقال رسول الله(ص): إنها صغيرة، فخطبها علي؛ فزوجها منه. قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه(١)...

وثمة نص آخر يفيد: أن أشراف قريش قد خطبوا فاطمة، فردهم النبي(ص) ومنهم عبدالرحمان بن عوف(٢) بإشارة من أبي بكر وعمر عليه، وكان قد خطبها أبوبكر فرده(ص)، ثم خطبها عمر فرده(٣).

---

(١)— مستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٦٧/١٦٨ وسكت عنه الذهبي في تلخيص المستدرك، وسنن النسائي ج ٦ ص ٦٢.

(٢)— البحار ج ٤٣ ص ١٠٨ و ١٤٠ عن ابن بطة في الابانة وعن غيره، وكفاية الطالب ص ٣٠٢/٣٠٣، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٨.

(٣)— صحيح ابن حبان، مخطوط في مكتبة: «قپوسراى» في استانبول، وسنن النسائي ج ٦ ص ٦٢، ومستدرك الحاكم ج ٢ ص ١٦٧، ولم يتعقبه الذهبي والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٦١، وكفاية الطالب ص ٣٠٤، وفضائل الخمسة ج ٢ ص ١٣٣ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٨٣ و ١٨٠ وعن ابن عساكر ص ٧٩ عن ابي الحسن بن شاذان. وعن علي بن سلطان في مرقاته ج ٥ ص ٥٧٤ في الشرح، وليراجع ص ١٤٢—١٤٥.

والبحار ج ٤٣ ص ١٠٧ و ١٠٨ عن البلاذري في التاريخ، وابن شاهين في فضائل الائمة ص ١٢٥ و ١٣٦ و ١٤٠ وقال في ص ١٠٨: «قد اشتهر في الصحاح بالاسانيد عن أمير المؤمنين، وابن عباس، وابن مسعود، وجابر الانصاري، وانس بن مالك، والبراء بن عازب، وأم سلمة، بالفاظ مختلفة، ومعاني متفقة: أن أبابكر، وعمر، خطبا إلى النبي(ص) فاطمة مرة بعد ←

وعلى كل حال... فقد قيل لعلي— وتصرح طائفة من الروايات أن أبابكر وعمر هما اللذان قصداه الى محل عمله، بعد أن ردهما النبي(ص) فقالا له(١)—: لم لاتخطب فاطمة؟... فخطبها عليه السلام إلى النبي فزوجه إياها... وصرح صلى الله عليه وآله وسلم غير مرة: بأنه إنما زوجه إياها بأمر من السماء، كما صرحت به المصادر الكثيرة...

وجاء أن سعد بن معاذ، أو أم أيمن، أو جماعة من الأنصار قد طلبوا منه(ع) أن يخطب فاطمة(٢). ولامانع من أن يكون الكل قد طلبوا منه ذلك لما يرون من مكانته وقرباه من النبي(ص)، بالاضافة الى أهليته في نفسه.

وقد عاتب الخاطبون النبي(ص) على منعهم، وتزويج علي(ع)، فقال(ص): والله، ما أنا منعتكم وزوجته بل الله منعكم وزوجه(٣).

وقد ورد عنه(ص) أنه قال: لولم يخلق علي ماكان لفاطمة كفؤ(٤)...

→

أخرى، فردهما»...

وكذلك فليراجع: ذخائر العقبى ص ٢٧—٣٠، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٨٩—٢٩٢، واسد الغابة ج ٥ ص ٥٢٠، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ١١، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤ عن البزار، والطبراني، ورجاله ثقات و ص ٢٠٥ عن الطبراني أيضاً، وشرح النهج ج ١٣ ص ٢٢٨ وليراجع ص ٢٢٧ وقال: «وقد روى هذا الخبر جماعة من الصحابة، منهم: أسماء بنت عميس، وأم أيمن، وابن عباس، وجابر بن عبدالله» والصواعق المحرقة ط سنة ١٣٧٥ هـ ص ١٣٩ و ١٤٠ و ١٦١ عن أحمد، وابن أبي حاتم، وأبي الخير القزويني والحاكمي، وأبي داود السجستاني. وكشف الغمة ج ١ ص ٣٥٣ و ٣٦٤ عن علي وام سلمة وسلمان، ومناقب الخوارزمي ص ٢٤٧، وجلاء العيون ج ١ ص ١٥٨ عن أمالي الشيخ، وكنزالعمال ج ١٥ ص ١٩٩ و ٢٨٦ و ٢٨٨ عن ابن جرير، وأبي نعيم، وقال: ان الدولابي صححه في الذرية الطاهرة...

(١)و(٢)— راجع: المصادر المتقدمة... فان كثيرامنها قد صرح بذلك ...

(٣)— البحار ج ٤٣ ص ٩٢.

(٤)— كنوز الحقائق للمناوى بهامش الجامع الصغير ج ٢ ص ٧٥ عن الفردوس للديلمي، وكشف الغمة ج ٢ ص ٩٨ والبحار ج ٤٣ ص ١٤١—١٤٥.

وعلى كل حال... فان في كيفية زفافها صلوات الله وسلامه عليها في الأول أو في السادس من ذي الحجة تفصيلات تظهر مالها عليها السلام من الفضل والمزية... وكذلك هي تعبر عن البساطة التي تميزها زفاف بنت أعظم انسان على وجه الأرض على رجل هو أعظم وأفضل الناس بعد النبي(ص)، حتى لقد جاء: أن فراشها كان إهاب كبش ينامان عليه ليلاً، و يعلف عليه الناضح نهاراً...

وقبل أن نمضي في الحديث، لابد من التعرض لبعض مايرتبط بهذا الموضوع، فنقول:

ألف: ميزات هذا الزواج:

و يقول العلامة الشيخ محمد حسن آل ياسين، وهو يتحدث عن ميزات هذا الزواج:

«وكانت أولى هذه الميزات: أنه زواج في السماء، وبأمر من الله تعالى، قبل أن يكون نسباً أرضياً، ومجرد ارتباط عاطفي، و يكفينا في ذلك ماحدثنابه الخليفة عمر بن الخطاب إذقال: «نزل جبر يل فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة ابنتك من علي(١)».

وكان ثاني هذه الميزات: أن الله تعالى قد جعل الذر ية النبو ية الطاهرة محصورة بهذا الزواج المبارك ، ومن طر يق هذين الزوجين، وفي ذلك يقول الخليفة عمر بن الخطاب: «سمعت رسول الله(ص) يقول: «كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة ماخلا سببي ونسبي، وكل بني أنثى فعصبتهم لابيهم ماخلاولد فاطمة فاني أبوهم وأنا عصبتهم(٢)».

ثم كان ثالث هذه الميزات: أن الزهراء عليها السلام وحيدة محمد التي لم يكن لها أخت في النسب الأبوى. أما ز ينب، ورقية، وأم كلثوم—

---

(١)— ذخائر العقبى ٣٠، و راجع شرح نهج البلاغة ج ٩ ص ١٩٣.

(٢)— ذخائر العقبى ص ١٦٩، وقر يب منه مافي شرح نهج البلاغة ج ١٢ ص ١٠٦.

وقد اشتهرن بكونهن بنات محمد— فهن بنات خديجة رضي الله عنها من زوجيها الأولين، ولم يؤيد التحقيق التاريخي المتعمق بنوتهن لمحمد(١)».

ونقول: إن التحقيق يؤيد أنهن ربيبات للنبي(ص) ولخديجة، ولسن بناته ولا بناتها وقد تقدم...

باء: لست بدجال:

لقد روى غير واحد: أن علياً خطب فاطمة إلى رسول الله(ص)، فقال(ص): هي لك ياعلي، لست بدجال... وفي نص آخر: خطب أبو بكر فاطمة إلى رسول الله(ص)، فقال النبي(ص): هي لك ياعلي لست بدجال(٢).

وبما أن في هذه الكلمة تعريضا صريحا بمن خطبها قبل أمير المؤمنين، فقد حاول ابن سعد، والبزار جعل التاء في «لست» للمتكلم، فقال ابن سعد: «وذلك أنه كان قد وعد علياً بها قبل أن يخطب إليه أبو بكر و عمر(٣)». وقال البزار: «معنى قوله: لست بدجال يدل على أنه كان وعده، فقال: إني لا أخلف الوعد».

وقال الهيثمي: رجاله ثقات إلا أن حجراً (ابن عنبس) لم يسمع من النبي(ص)(٤).

ونحن نقول: إن كلام كل هؤلاء لا يصح وذلك:

---

(١)— كان ماتقدم هو كلام الشيخ آل ياسين في كتابه الامام علي بن أبي طالب(ع) سيرة وتاريخ ص ٢٧.

(٢)— طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤ عن البزار، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥ عن العقيلي، والطبراني. وروى الحديث في الاصابة ج ١ ص ٣٧٤ عن الطبراني بنفس السند ونفس الراوي مع حذف كلمة «لست بدجال»، وهذا يعبر عن مدى انصاف وامانة العسقلاني في النقل!!!..

(٣)— طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٢.

(٤)— مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٤.

أولاً: لأن العقيلي قد روى هذا الحديث بنص آخر يوضح أن التاء للمخاطب لا للمتكلم، فقال: عن حجر بن عنبس قال: لما زوج النبي(ص) فاطمة من علي قال: لقد زوجتك غير دجال(١).

فمعنى هذا هو أن النبي(ص) يريد ينفي أن يكون قد زوج فاطمة رجلاً دجالاً، وليس يريد أن ينفي عن نفسه كونه دجالاً.

كما أنه لو كان يريد أن ينفي عن نفسه الخلف بالوعد لكان الانسب أن يقول: لست بمخلف وعدي أو نحو ذلك...

وحُكْمُ السيوطي على هذا الحديث بالوضع؛ لمكان موسى بن قيس، لا اعتبار به لأنه استند في ذلك إلى كلام العقيلي فيه، واتهامه له بالرفض— والعقيلي هو الذي يوثق عمر بن سعد قاتل الحسين!!.

وموسى بن قيس قد وثقه كل من تعرض له سوى العقيلي، فليراجع كلام ابن معين، وأبي حاتم، وأبي نعيم، وأحمد، وابن شاهين، وابن نمير(٢).

وأما حجر بن العنبس، فقولهم: لم يسمع من النبي(ص)، لا ندري مستنده، ونحن نرى: أنه يروي عن النبي، وقد عاصره، بل لقد ادرك الجاهلية، وذكره الطبراني في الصحابة(٣)... بل لماذا لا تكون نفس روايته هذه دليلاً على سماعه منه، كما يجعل نظائر المقام دليلاً على ذلك...

ولكن الحقيقة هي: أن ذنب حجر الوحيد هو: أنه حضر مع علي عليه السلام الجمل وصفين... ولهؤلاء اهتمام خاص في تقليل عدد الصحابة الذين كانوا مع أمير المؤمنين، وتكثير غيرهم، ولربما نشير إلى هذا الأمر بنوع من التفصيل في موقع آخر إن شاء الله تعالى...

---

(١)— اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥.

(٢)— تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٦٦/٣٦٧.

(٣)— الاصابة ج ١ ص ٣٧٤.

وثانياً: لقد نصت العديد من المصادر المتقدمة: على أنه لم يكن يخطر في بال أمير المؤمنين عليه السلام خطبة فاطمة عليها السلام، وأنه لما عرض عليه أبو بكر وعمر ذلك قال: لقد نبهتما نبي لأمر كنت عنه غافلاً، ثم ذهب الى النبي(ص)، فخطبها، فأجابه... وهذا يدل على أن النبي(ص) لم يكن قد وعده بها...

كما أن الروايات تنص على أنه(ص) قد أجا بهما بأنه ينتظر بها القضاء. ولوكان قد سبق منه وعد لعلي، لكان الانسب أن يقول لهما: إنها مخطوبة، أو انني وعدت بها فلاناً...

و إذن... فقد كان النبي يعرض بغير علي هنا، ممن له علاقة قريبة بهذا الأمر...

والغريب في الأمر: أننا نجد علياً عليه السلام نفسه يعرض بغيره في هذه الموضوع بالذات؛ فـ «عن أسماء بنت عميس: أنها قالت: قيل لعلي: ألا تتزوج بنت رسول الله(ص)؟ فقال: مالي صفراء ولابيضاء، ولست بمأبور—بالباء الموحدة، يعني غير الصحيح في الدين— ولا المتهم في الاسلام(١)».

وحينما طلب منه سعد بن معاذ أن يخطب فاطمة، قال له: «ما أنا بأحد الرجلين: ما أنا بصاحب دنيا يلتمس ماعندي، وقد علم مالي صفراء ولابيضاء، وما أنا بالكافر الذي يترفق بها عن دينه، يعني يتألفه، إني لأول من أسلم(٢)».

ولربما يكون ذلك تعريضاً بعثمان، حيث قد تقدم: أنه كان قدعاهد ابابكر على أن يسلم إذا زوجه النبي(ص) رقية، التي كانت ذات جمال رائع...

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٧.

(٢)— مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٧، ومصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٤٨٦، ومناقب الخوارزمي ص ٢٤٣، وكثير من المصادر المتقدمة، حين ذكر خطبة أبي بكر وعمر لفاطمة صلوات الله وسلامه عليها.

وعلى كل حال... فان ردّ النبي(ص) لأولئك الكبار عن فاطمة كان له أثر كبير في نفوسهم، حتى لقد قال شريف مكة في قصيدته المشهورة:

تلك كانت حزازة ليس تبرا حين رُدّاعنها وقد خطباها

جيم: ترّهات أبي حيان:

ومن الأمور الطريفة هنا: أن أباحيان التوحيدي— الناصبي المعروف— يروي عن أبي حامد المرو الروذي رسالة شفهية من أبي بكر لأمير المؤمنين عليه السلام، وفيها:

«ولقد شاورني رسول الله(ص) في الصهر؛ فذكر فتياناً من قريش، فقلت له: أين انت من علي؟ فقال: إني لأكره ميعة شبابه، وحدة سنة. فقلت: متى كنفته يدك، ورعته عينك حفت بهما البركة، وأسبغت عليهما النعمة، مع كلام كثير خطبت به رغبته فيك، وما كنت عرفت منك في ذلك حوجاء ولا لوجاء، ولكني قلت ماقلت، وأنا أرى مكان غيرك، وأجد رائحة سواك، وكنت إذ ذاك خيراً منك الآن لي(١)».

عجيب!! وأين كانت هذه الرواية عن انظار المؤرخين، وكيف أجمعت كلمتهم، وتضافرت وتواترت رواياتهم على مخالفتها وتكذيبها...

وعلى كل حال... فلسوف لانفيض في الحديث عن هذه الرواية؛ لأن ابن أبي الحديد المعتزلي قد كفانا مؤونة ذلك، وبيّن الكثير من امارات الوضع والاختلاق في هذه الرواية، فمن أراده فليراجعه(٢).

دال: مايقال عن موقف فاطمة من الزواج:

وذكر الحلبي: أنه لما استشار الرسول(ص) فاطمة: «بكت، ثم

---

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٧٦. ونقله في الهامش عن: صبح الاعشى ج ١ ص ٢٣٧—٢٤٧، ونهاية الارب ج ٧ ص ٢١٣—٢٢٩، ومحاضرة الابرار ج ٢ ص ١٠٢—١١٥، ونشرها ابراهيم الكيلاني مع رسالتين لابي حيان في دمشق سنة ١٩٥١.

(٢)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٨٥—٢٨٧.

قالت: كأنك يا أبت إنما ادخرتني لفقير قريش؟ فقال(ص): والذي بعثني بالحق، ماتكلمت في هذا حتى أذن لي الله فيه من السماء. فقالت فاطمة(رض): لقد رضيت مارضي الله ورسوله(١)».

كما أننا نجد روايات تقول: إنه(ص) لما رأى تغيرها خشي أن يكون ذلك من أجل أن علياً(ع) لامال له— فراجع المصادر الكثيرة المتقدمة...

وعن ابن اسحاق: أن علياً لماتزوج فاطمة، قالت للنبي(ص): زوجتنيه أعيمش، عظيم البطن... فقال النبي(ص): لقد زوجتكه وانه لأول أصحابي سلماً إلخ(٢).

ونحن لانصدق كل ذلك. أما:

أولاً: فلأن رواية الحلبي تدل على سوء ظن فاطمة صلوات الله وسلامه عليها بأبيها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وهي أبر وأتقى، وأجل من أن يحتمل في حقها ذلك. وهي التي لو لم يخلق علي عليه السلام لم يكن لها كفؤ على وجه الأرض— وأيضاً هي التي أذهب الله عنها الرجس، وطهرها تطهيرا، إلى غير ذلك مما يدل على مقامها السامي، الذي نالته بفضل عمق إدراكها وحسن معرفتها وعظيم تقواها...

وثانياً: إن الذي يطالع سيرة فاطمة وحياتها، يخرج بحقيقة لا تقبل الشك، وهي: أنها لم تكن تقيم لحطام الدنيا وزناً أبداً، أوليست هي التي طحنت حتى مجلت يدها؟ ثم قبلت بالتسبيح عوضا عن الخادم الذي كانت بأمس الحاجة إليه ليرفع عنها بعض ماتعانيه وتتعرض له؟!...

أوليست هي التي بقيت ثلاثة أيام طاوية هي وزوجها وولداها

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٦، وليراجع: كشف الغمة ج ١ ص ٢٦٧ عن مناقب الكنجي، وكنزالعمال ج ١٥ ص ٩٥، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٢، ونزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٦، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ١٩٥.

(٢)— مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ٤٩٠، وأخرجه الطبراني، وأنساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٠٤ وراجع ماذكره المحمودي في هامشه...

وفضة، وآثرت اليتيم والمسكين والاسير بالطعام؟! أو ليست هي التي رضيت باهاب كبش تنام عليه هي وزوجها ليلاً، و يعلفان عليه ناضحهما نهاراً؟!

إلى غير ذلك مما لامجال لتتبعه واستقصائه...

الرواية الصحيحة:

والرواية الصحيحة التي تنسجم مع سيرة و روح ونفسية الزهراء صلوات الله وسلامه عليها، وتنسجم مع نفسيات وخطط القرشيين، هي:

انه(ص) قال لابنته في رابع يوم زفافها: «كيف أنت يابنية، وكيف رأيت زوجك؟! قالت له: يا أبت خير زوج، إلا أنه دخل علي نساء من قريش، وقلن لي: زوّجك رسول الله من فقير لامال له. فقال لها: يابنية، ما أبوك بفقير، ولابعلك بفقير.» ثم ذكر(ص) لها فضائل علي عليه السلام ومناقبه(١).

وروى المعتزلي: أن الرسول(ص) سأل فاطمة عن حالها، فقالت: لقد طال أسفي، واشتد حزني، وقال لي النساء: زوجك أبوك فقيراً لامال له(٢). فقال لها: أما ترضين: أني قد زوجتك اقدم أمتي سلماً، واكثرهم علماً، وافضلهم حلماً؟ قالت: بلى رضيت يا رسول الله...

وفي رواية أخرى ذكرها المعتزلي، زاد فيها: وما زوجتك إلا بأمر من السماء، أما علمت: أنه أخي في الدنيا والآخرة؟ (٣)

بل إن ثمة مايدل على أن تعييرهم اياها قد كان بعد سنوات من زواجهما، و هذا هوالراجح، لأن نساء قريش الحاقدات انما كثرن بعد بدر واحد ، والخندق.

---

(١)– مناقب الخوارزمي ص ٢٥٦، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٦٢ عن المناقب، وليراجع: البحار ج ٤٣ ص ٩٩ عن تفسير القمي، وجلاء العيون ج ١ ص ١٧٠/١٧١ عنه أيضاً.

(٢)– نعم إنها تتألم وتحزن لهذا الاسفاف في التفكير، ولهذه النفوس المريضة، ولهذه الروح الشريرة التآمرية.

(٣)– شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٢٦/٢٢٧.

وفي رواية الخوارزمي: انها عليها السلام اقبلت وقد حملت الحسن و الحسين على كتفيها و هي تبكي بكاءً شديداً، قد شهقت في بكائها. فقال لها النبي(ص): ما يبكيك يا فاطمة، لاأبكى الله عينيك ؟ فقالت: يا رسول الله، ومالي لاأبكي ونساء قريش قد عيرنني، فقلن لي: إن أباك زوجك من رجل معدم لامال له: فقال (ص): لا تبكي يا فاطمة؛ فوالله، مازوجتك أنا، بل الله زوجك به الخ(١)...

نعم... و إذا عرف السبب بطل العجب... فان القرشيين بمافيهم نساؤهم، كانوا— في الاكثر— أعداء لعلي وآل علي عليه الصلاة والسلام، منذفجر الاسلام، و حتى قبل ظهورالاسلام؛ فان العداء كان موجوداً بين الهاشميين، الذين كانوا— عموماً— ملتزمين اجتماعياً، ويحترمون أنفسهم، ولهم من الفضائل والمزايا مايجعل غيرهم، ممن لم يكن لديه روادع دينية أو وجدانية، ينظر اليهم بعين الحنق والشنآن، والإحن والاضغان... ثم جاء الاسلام، فكان بنوهاشم— ولاسيما أبوطالب و ولده— أتباعه وحماته، و المدافعين عنه بكل غال و نفيس، ثم كانت ضربة قريش في بدر، و كان لعلي عليه السلام الحظ الأوفر، والنصيب الاكبر في اذلال قريش، و تحطيم كبريائها، وكذلك في أحد، والخندق، وغيرهما...

وإذن... فمن الطبيعي: أن نجد نساء قريش يحاولن ايجاد المتاعب في بيت علي، واثارة الفتنة بين علي و زوجته الطاهرة... و فاطمة هي التي تشكوهن للرسول الاعظم(ص)، بعد أن تعبر عن زوجها بأنه: خير زوج... و يكون ذلك سبباً في أن يظهر الرسول الاعظم صلى الله عليه و آله وسلم بعض فضائل أمير المؤمنين عليه السلام. و ذلك من أجل أن يبين لهم: أن المقياس ليس هوالمال والحطام، و إنما هوالدين والعلم، والفضائل النفسية والاخلاقية ...

وقد رأينا: أنهم لايزالون يهتمون بتنقص أهل البيت عليهم السلام وحتى فاطمة عليها السلام، فانظر على سبيل المثال ماجاء في الموسوعة العربية

(١)— مناقب الخوارزمي ص ٢٠٥ و راجع ص ٢٥٦ أيضاً.

الميسرة، (مادة فاطمة)... وفيها: أنها عليها السلام لم يكن لها أي دور سياسي أو اجتماعي(!!) وأنها كانت ضعيفة! وأن الشيعة قد نسجوا لها الفضائل حتى لقد فضلوها على عائشة(!!).بل تنقصوها هي وزوجها في شعرهم أيضاً، حتى اضطر الشاعر العظيم الحسين بن الحجاج، المتوفى سنة ٣٩١ هـ أن يتصدى للرد عليهم، فهو يقول:

فكان قولك في الزاهراء فاطمة ... قول امرئ لهج بالنصب مفتون
عيرتها بالرحا والزاد تطحنه ... لازال زادك حباً غير مطحون
وقلت: إن رسول الله زوجها ... مسكينة بنت مسكين لمسكين
كذبت يا ابن التي باب استها سلس ... الاغلاق بالليل مفكوك الزرافين
ست النساء غداً في الحشر يخدمها ... أهل الجنان بحور الخرد العين

فجزاك الله يا ابن الحجاج عن ابنة رسول الله، و عن أبيها و زوجها خير الجزاء وأوفاه، و بارك الله في هذا الاخلاص لهم و لقضاياهم، و آمنك الله يوم الفزع الاكبر من كل خوف، إنه خير مأمول، واكرم مسؤول...

مقارنة:

ولابد لنا أخيراً من أن نلفت النظر إلى أنه لابأس بالتأمل، وامعان النظر والمقارنة، بين ما يذكرونه عن مواقف سيئة لفاطمة(ع) تجاه أمير المؤمنين عليه السلام... و أنها قد رفضته أولا؛ لأنه فقير... و ما يذكرونه عن عثمان و زوجته، و أنها لما سئلت عنه قالت: «خير زوج...». مع أن القضية كانت على العكس تماماً؛ فان عثمان هو الذي كان يعامل زوجته معاملة غير مرضية، وفاطمة هي التي قالت عن زوجها: إنه خير زوج، و نساء قريش هنّ اللواتي حاولن الفتنة كما قدمنا...

ولكن السياسة قد اقتضت عكس المواقف، و تزييف الحقائق لحاجات في أنفسهم لاتخفى...

هاء: أم سلمة، و بنت عميس في زواج فاطمة:

أ— لقد ورد ذكر أم سلمة في بعض روايات تزويج فاطمة عليها السلام، مع أن أم سلمة إنما دخلت بيت النبي (ص) كزوجة له بعد تزويج فاطمة بأمير المؤمنين عليها السلام...

٢ـ و ورد أيضاً في عدد من الروايات ذكر لاسماء بنت عميس... مع أن أسماء كانت حينئذٍ مع زوجها جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين في الحبشة، ولم تأت إلى المدينة الاعام خيبر...

ويمكن الاجابة عن ذلك:

أولاً: بان المقصود هو أسماء بنت يزيد الأنصارية، ولكن شهرة بنت عميس، وأُنس ذهن الرواة باسمها جعلهم يضيفون عمداً ـ للتوضيح بزعمهم ـ أوعن غير عمد تبعاً لسليقتهم، كلمة: «بنت عميس»... وبهذا أجاب أيضاً الكنجي الشافعي(١)...

كما أن أسماءبنت يزيد هذه كانت تكنى بأم سلمة أيضاً، فلعلهم كانوا تارة يعبرون عنها باسماء، وأخرى يعبرون عنها بـ «أم سلمة»...

وثانياً: إن من الممكن: أن تكون أم سلمة قدحضرت زفاف فاطمة عليها السلام في ذي الحجة من السنة الثانية؛ لأن أبا عمر صاحب الاستيعاب يقول: إن رسول الله (ص) تزوجها في السنة الثانية في شوال بعد بدر، بل قيل قبل بدر أيضاً(٢).

و لربما يؤيد ذلك: أن بعض الروايات تصرح بانه(ص) كان حين تزويج فاطمة في بيت أم سلمة. و احتمال أن يكون المراد: «الذي صار فيما بعد بيتاً لها»، مخالف لظاهر الرواية التي هي صريحة فيأن أم سلمة كانت حينئذٍ زوجة له (ص)(٣).

و لسوف يأتي الحديث عن تاريخ زواج أم سلمة عن قريب إنشاءالله تعالى...

أما الاربلي، فيرى: أن التي حضرت زفاف فاطمة عليها السلام هي

---

(١)ـ كفاية الطالب ص ٣٠٧/٣٠٨، وكشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٧٣ عنه.

(٢)ـ راجع: الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٤٢١/٤٢٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٦ عن السمط الثمين، و سيرة مغلطاي، وغير ذلك.

(٣)ـ البحار ج ٤٣ ص ١٢٦ عن كشف الغمة و مناقب الخوارزمي ص ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٣.

سلمى بنت عميس أخت اسماء، لكن الرواة بدلوا اسمها باسم اختها لشهرتها، آوسها راوٍ فتبعوه...(١).

وعلى كل حال... فثمة خلط و اشتباه بين أسماء بنت عميس و أسماء بنت يزيد في رواية أخرى حول ولادة الامام الحسن عليه السلام، و منشؤه الاشتباه في كيفية قراءة نص الرواية، و لسوف نتعرض له ان شاء الله حين الكلام على ولادة الامام الحسن صلوات الله و سلامه عليه...

واو: هذا ضرب الرحمان لعثمان بن عفان.

و يقولون: إن عثمان رأى درع علي تباع في السوق ليلة عرسه؛ فدفع لغلام أربع مئة درهم، وأرسله اليه وأقسم عليه أن لايخبره بذلك، ورد الدرع معه، فلما أصبح عثمان وجد في داره أربع مئة كيس، في كل كيس أربع مئة درهم، مكتوب على كل درهم:

«هذا ضرب الرحمان لعثمان بن عفان»

فأخبر النبي بذلك ، فقال: هنيئاً لك يا عثمان...

وهذا كذب محض... ففي الحلبية: أن في فتاوى الجلال السيوطي: أنه سئل: «هل لهذه القصة أصل فاجاب عن ذلك كله: بأنه لم يصح.(٢) أي وهي تصدق بان ذلك لم يرد، فهو من الكذب الموضوع».

وقال ابن درويش الحوت: كذب شنيع(٣).

والعجيب أننا لم نجد لتلك الستة عشر الف درهم أثراً في المتاحف العالمية، ولا تداولها الناس، ولا احتفظوا بها تبركاً و تيمناً بأنها من: «ضرب الرحمان لعثمان بن عفان»!!... مع أنهم قداحتفظوا بشعر نبيهم، وحتى بالخرق التي مست جسده، والمواضع التي صلى فيها... فهل كان نبيهم

---

(١)— كشف الغمة ج ١ ص ٣١٦/٣٦٧.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٦ و للرواية نص آخر يخالفها كثيراً في مناقب الخوارزمي ص ٢٥٢.

(٣)— الغدير ج ٥ ص ٣٢٢.

أعز عليهم من ربهم؟!...أوحتى من عثمان؟ وهوالذي تؤيده السياسة على مرالعصور، أماالنبي فقدكانت ثمة محاولات لطمس اسمه، و محو آثاره، كما اتضح من تمهيد الكتاب...

و كم كنت أودلو أنني أرى خط الرحمان، كيف هو؟ و أقارن بينه و بين قواعد الخطوط الموجودة على الأرض... و أنه هل يستطيع أن يضارع ما أنتجه الخطاطون البارعون من مخلوقاته؟!!..

ولست أدرى أيضاً: أين كان الأمويون عن هذه الفضيلة العظيمة، لشيخهم وخليفتهم؟!.ولم لم يظهر واتلك الدارهم للمباهاة بها؟أو على الأقل: لم لم يذكّروا الناس بدعوات النبي (ص) له؟ حسب الرواية الأخرى التي تقول: إن عثمان قداشترى الدرع من علي، فجاء به علي(ع) و بالمال إلى النبي(ص) فدعاله بدعوات...

وعلى كل حال... فلربما نتلكم عن نفقات عثمان في مثل هذا السبيل حين الكلام على تجهيز جيش العسرة في غزوة تبوك انشاءالله، كما أننا قد المحنا إلى ذلك من قبل، حين الحديث على بئر رومة...

زاي: أخوة علي:

وجاء أنه لماتزوج علي عليه السلام فاطمة، أمر(ص)علياًأن لايحدث حدثا حتى يأتيه، ثم جاء(ص)، فقال: أثم أخي؟!. فقالت أم أيمن: يا رسول الله، هذا أخوك و زوجته ابنتك ؟!— و كان النبي(ص)آخى بين أصحابه،وآخى بين علي و نفسه— قال: إن ذلك يكون يا أم أيمن(١).

وهذه الرواية أقرب إلى الاعتبار من تلك الرواية القائلة: إنه لماخطب (ص) ابنة أبي بكر قال له أبوبكر: هل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه... و أنه (ص) أخبره: أنه اخوه في الاسلام و هو أخوه، وابنته

---

(١)— أنساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٣٥ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠٩ عن الطبراني، و رجاله رجال الصحيح... و فيه في رواية أخرى لكن الجواب ليس موجوداً وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦ عن الهيثمي...

تصلح له، فأنكحه حينئذٍ أبوبكر(١).

فان النبي (ص) لم يؤاخ أبابكر ولاأحداً قبل خطبته عائشة، لأنه إنما آخى بين المهاجرين قبل الهجرة بقليل، وهو إنما خطب عائشة قبل الهجرة بحو الي ثلاث سنوات...

ولو كان أبوبكر يتوهم: أن أخوة الاسلام تمنع من ذلك ، فان ذلك يعني: أن يكون أبوبكر قدبقي عدة سنوات بل من اول ظهور الاسلام يعتقد حرمة زواج أي مسلم بمسلمة، و هذا لايتوهمه إلا أبوبكر، ولايخطر ولم يخطر على بال أي من السذج و البسطاء، فكيف خطر في بال أبي بكر، الذي يعتقد فيه البعض كل حنكة و روية، و تعقل؟!...

حاء: متى كان تحريم الخمر:

و يروون عن علي بن الحسين(ع)، عن أبيه عن علي(ع): أنه بينما كان يستعد لنقل فاطمة(ع) و عنده شارفان من الابل، كان أخذهما من خمس غنائم بدر، قد أناخهما إلى جانب حجرة لبعض الأنصار، وإذا بحمزة بن عبدالمطلب قدخرج عليهما من بيت كان يشرب فيه، و عنده قينة تغنيه:

«ألا ياحمز للشرف النواء»

— خرج عليهما— وهوسكران؛ فجبّ أسنمتهما، و بقرخاصرتيهما، وأخرج كبدهما، ومضى لسبيله.

فشكاه علي الى رسول الله (ص)، فجاء معه الرسول و رأى، فنظر اليه حمزة، و صعد النظر إليه، وقال: وهل أنتم إلاعبيد لأبي؟ فتركه (ص) وانصرف، و ذلك قبل تحريم الخمر(٢).

---

(١)— راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٢٥ عن الطبراني، و رجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث و ص ٢٢٦ عن أحمد.

(٢)— البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٢ ص ١٢٠ كتاب الخمس حديث ١ و كتاب المغازي باب ١٢ و كتاب المساقات و صحيح مسلم كتاب الاشربة ج ٦ ص ٨٥ و ٨٦، و مسند أحمد ج ١ ص ←

وفي رواية: إن حمزة قدفعل ذلك في واقعة أحد، حتى إن الرسول إنما رضي عنه في وسط المعركة، و بعد أن حمل عدة حملات صاعقة على العدو(١).

وذلك لايصح، أما:

أولاً: فلأن مختلف الروايات الواردة في زواج أمير المؤمنين عليه السلام تقول: إنه (ع) لم يكن يملك إلادرعه الحطمية، التي باعها وانفق ثمنها على الزفاف، وتضيف بعض الروايات فرسه أيضاً...

ولو كان عنده شارفان من الابل لكان الأولى أن يذكرهما للنبي صلى الله عليه وآله حينما سأله عما يملك ، ممايريد أن يقدمه مهراً، فلتراجع الروايات المتقدمة...

و ثانياً: إن من المعلوم: أن زفاف فاطمة قد كان قبل أحد بعدة أشهر، فكيف تقول الرواية الثانية: إن ذلكقد كان في أحد؟...

كما أنهم قدقرروا: أن حمزة كان يوم أحد و قبله صائماً(٢). فكيف يكون قدشرب الخمر، وفعل مافعل في ذلك اليوم أوفي الذي قبله؟!...

وثالثاً: إن الخمر لم تكن سمعتها حسنة عندالعرب، و كانوا يدركون سوءها، و حرمها عدد منهم على نفسه قبل مجيئ الاسلام، مثل: عثمان بن مظعون، و عباس بن مرداس، و عبدالمطلب، وجعفر بن أبي طالب، و قيس بن عاصم، و عفيف بن معد يكرب العبدي، و عامر بن الظرب، وصفوان بن أمية

→

١٤٢ و البداية و النهاية ج ٣ ص ٢٤٥، والاصابة ج ٤ ص ٣٧٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦١ و تفسير البرهان ج ١ ص ٤٩٨، وتفسير الميزان ج ٦ ص ١٣١ كلاهما عن العياشي، و راجع مشكل الآثار ج ٢ ص ٢٨٧.

(١)— راجع: البحار ج ٢٠ ص ١١٥/١١٤ عن المجالس والاخبار ص ٥٨/٥٧ وعن تفسير العياشي ج ١ ص ٣٤٠/٣٣٩.

(٢)— مغازى الواقدى ج ١ ص ٢١١، وشرح النهج ج ١٤ ص ٢٢٤.

وغيرهم(١).... و ذلك لأنهم رأوها لا تناسب كرامتهم وسؤددهم، كما يظهر من رواية تنسب إلى أبي بكر؛ فقد روى ابن عساكر— و إن كان سيأتي عدم صحة هذه الرواية لكننا نذكرها لدلالتها على سوء سمعة الخمر عند العرب—: أنه قيل له في مجمع من الصحابة: هل شربت الخمر في الجاهلية؟! فقال أعوذبالله، فقلت: ولم؟ قال: كنت أصون عرضي، واحفظ مروءتي، فان من شرب الخمر كان متضيعاً في عرضه ومروءته الخ(٢).

وقال ابن الاثير: «وكان العباس بن مرداس ممن حرم الخمر في الجاهلية، فانه قيل له: ألا تأخذ من الشراب، فانه يزيد في قوتك؛ وجراءتك ؟فقال: لاأصبح سيدقومي، وأمسي سفيهاً، لاوالله لايدخل جوفي شيئ يحول بيني و بين عقلي أبداً»(٣).

ومن عرف حمزة، واطلع على سمّونفسه، وعزته، وأنفته و سجاياه، فانه يرى: أنه لايقصر عن هؤلاء، ولاعن غيرهم ممن حرمها على نفسه، إن لم يكن يزيد عليهم في كثير من الخصال والسجايا، التي تجعله يربأبنفسه عن أمر كهذا...

ولعل حشر حمزة— بل وحتى أميرالمؤمنين عليه السلام الذي ربي في حجر النبوة، ليس إلامن أولئك الحاقدين على الاسلام و حماته، وممن يهمهم الطعن في كرامة كل هاشمي، كما هو ظاهر سيرة الامويين و الزبيريين، وأذنابهم و من يتزلف لهم، ولو بالكذب والدجل والافتراء...

ورابعاً: إن الأقوال والروايات تكاد تكون متفقة على مخالفة رواية الشارفين المذكورة... و ذلك لأن رواية الشارفين تقول: إن تحريم الخمر كان حين زفاف فاطمة عليهاالسلام...

---

(١)— وأضاف في اسدالغابة ج ٣ ص ١١٣: ابابكر و عثمان بن عفان و عبدالرحمان بن عوف و عبدالله بن جدعان.

(٢)— الصواعق المحرقة ص ٧٣ عن ابن‌عساكر، وقال ابن حجر: وهو مرسل غريب سنداً و متناً...

(٣)— اسدالغابة ج ٣ ص ١١٣.

وروايات تحريم الخمر بعضها يقول: إنه كان في سنة الفتح، ولربما تدل عليه رواية عن ابي هريرة، أنه قال: لمانزل تحريم الخمر كنا نعمد إلى الحلقانة، الخ...(١) و من المعلوم: أن أباهريرة إنما اسلم عام خيبر... و منهم من يقول: إنها حرمت سنة ست، أوسنة أربع، و الاقل منهم يقولون: إنها حرمت سنة الهجرة في آية سورة البقرة(٢)...

ونحن نقول: ان الصحيح هو انها حرمت في مكة قبل الهجرة كماسنرى...

أدلة تحريم الخمر قبل الهجرة:

ونستدل على ذلك بمايلي:

١ـ عن معاذبن جبل؛ إن أول مانهى عنه النبي(ص) حين بعث شرب الخمر، وملاحاة الرجال(٣)...

وعن أبي الدرداء، أومعاذ بن جبل، عن النبي(ص) قال: إن أول شيئ نهاني عنه ربي بعد عبادة الاوثان: شرب الخمر و ملاحاة الرجال. قال الابشهي: إن هذا من أقوال النبي (ص) المتفق عليها(٤)...

و قريب من ذلك ماروي عن أم سلمة عنه (ص)(٥)...

إلا ان يناقش في ذلك :بان نهي الله له لايستلزم أن يكون (ص) قد أبلغ ذلك للناس مباشرة، إذ لعل ذلك كان مختصاً به لفترة من الزمن...

ويمكن الجواب بأن جعله مقترناً بعبادة الأوثان يشعر بأنه على حده

---

(١)ـ الفائق للزمخشري ج ١ ص ٣١٠.

(٢)ـ راجع هذه الأقوال و مصادرها في الغدير ج ٧ ص ١٠١/١٠٢.

(٣)ـ الغدير ج ٧ ص ١٠١ عن أوائل السيوطي ص ٩٠.

(٤)ـ مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥٣ عن البزار و الطبراني، و البحار ج ٢ ص ١٢٧ بسند صحيح، والمستطرف ج ٢ ص ٢٢٠.

(٥)ـ مجمع الزوائد ج ٥ ص ٥٣ عن الطبراني، وليراجع: سيرة المصطفى ص ٣٦٩.

ومن قبيله، في التشريع و في التبليغ... هذا عداعن أن رواية معاذ صريحة في أن الخمر كانت من أول مانهى عنه النبي(ص)، إلا أن تقرأ «نهي» بالبناء للمفعول... و هو خلاف الظاهر جداً.

قال العلامة الطباطبائي: «وقد تحقق بماقدمنا في تفسير آية الخمر و الميسر: أن الخمر كانت محرمة من أول البعثة، و كان من المعروف من الدين: أنه يحرم الخمر والزنا»(١).

٢ـ وقد روى الكليني والشيخ الطوسي: مايدل على أن الله مابعث نبياً إلا وفي علم الله عزوجل: أنه إذا أكمل له دينه كان فيه تحريم الخمر، ولم تزل الخمر حراماً الخ...(٢).

٣ـ قال أبوحاتم: كان النبي(ص) يدعوالخلق إلى الله وحده لاشريك له، و كان أبوجهل يقول للناس: «إنه كذاب يحرم الخمر، ويحرم الزنا»(٣).

٤ـ قال تعالى في سورة الاعراف التي نزلت في مكة قبل الهجرة: «قل: إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها و مابطن، و الاثم، والبغي بغير الحق(٤)»...

وقد فسرأئمة أهل البيت عليهم السلام: «الاثم» في الآية بالخمر (٥) ... كما أن أهل اللغة قد قرروا: أن الاثم معناه الخمر، قال الشاعر:

شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول

---

(١)ـ تفسير الميزان ج ١٦ ص ١٦٣.

(٢)ـ الكافي ج ٦ ص ٣٩٥، وليراجع الباب الذي قبله: «أصل تحريم الخمر» والتهذيب للشيخ...

(٣)ـ الثقات لابن حبان ج ١ ص ٦٩.

(٤)ـ الاعراف ٣٣.

(٥)ـ الكافي للكليني ج ٦ ص ٤٠٦.

و قال آخر:

نهانا رسول الله: أن نقرب الخنا وأن نشرب الاثم الذي يوجب الوزرا

وقال آخر:

يشرب الاثم بالصواع جهاراً وترى المسك بيننا مستعارا(١)

هذا كله... عداعن أن كون الخمر من الفواحش ظاهر، فان العرب كانوا يدركون سوءها كما يظهر من الحلبي(٢).

ولذا نرى: أن عدداً كبيراً منهم ممن يحترم نفسه، وشرفه، وسؤدده قد حرمها على نفسه، كأبي طالب عليه السلام وعبدالمطلب(٣) وجعفر بن ابي طالب(٤) و قيس بن عامر، و عامر بن الظرب، و صفوان بن أمية وغيرهم ممن تقدم.

بل إن عبدالله بن جدعان، الذي كان مولعاً بها، قد صرح بأنهم كانوا يسمونها بالسفاه، وأنه آنس بسببها الهوان، فهو يقول:

شربت الخمر حتى قال قومي ألست عن السفاه بمستفيق
وحتى ما أوسد في مبيتٍ أبيت به سوى الترب السحيق
وحتى اغلق الحانوت مالي وآنست الهوان من الصديق

ثم حرمها على نفسه؛ فلم يقربها(٥).

و بعد نزول هذه الآية، وتحريم الفواحش ماظهر منها ومابطن؛ فلايعقل أن يعتبرها العرب إلا من الفواحش.. ثم ان عطف الاثم الذي هو الخمر على الفواحش، من باب عطف الخاص على العام لمزيد الاهتمام به، وحرصاً على

---

(١)— راجع في هذه الاشعار، كلاً او بعضاً: مجمع البيان في تفسير الآية في سورة الاعراف، ولسان العرب ج ٢ ص ٢٧٢، و تاج العروس ج ٨ ص ١٧٩، و فتح القدير ج ٢ ص ٢٠١، والغدير ج ٦ ص ٢٥٤.

(٢)— راجع: السيرة الحلبية ج ١ ص ١٣٨.

(٣)— السيرة الحلبية ج ١ ص ١١٣.

(٤)— قاموس الرجال ج ٢ ص ٣٦٩ عن الامالى.

(٥)— نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٢٩٢.

الردع عنه، لأنه مما تألفه النفوس عادة، وتميل إليه، فيحتاج إلى مزيد من التأكيد والتكرار.

٥ـ لقد روى جماعة من المؤرخين: أن أعشى قيس خرج إلى رسول الله(ص) يريد الاسلام، وقد مدحه بقصيدة أولها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

فلما كان بمكة أو قريباً منها، اعترضه بعض مشركي قريش— وهو أبوجهل أو أبوسفيان كماسنرى— فسأله عن أمره؛ فأخبره أنه جاء ليسلم، فقال له:

«يا أبا بصير، إن محمداً يحرم الزنا؟ فقال الاعشى: والله إن ذلك لامر مالي فيه من إرب. فقال: و إنه ليحرم الخمر؟ فقال الاعشى: أما هذه ففي النفس منها لعلالات. ولكنني منصرف فأرتوى منها عامى هذا، ثم آتيه فأسلم، فانصرف راجعاً، ومات في عامه(١)».

وناقش البعض هذه الرواية: بأن الخمر إنما حرمت في سورة المائدة، وهي آخر مانزل. وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة والشارفين. فان صح خبر الاعشى، وماذكر له في الخمر، فلم يكن هذا بمكة، وانما كان بالمدينة، و يكون القائل له: أما علمت أنه يحرم الخمر من المنافقين، أومن اليهود، فالله أعلم. وفي القصيدة ممّا يدل على هذا قوله: «فان لها في أهل يثرب موعداً». وقد ألفيت للقالى رواية عن أبي حاتم، عن أبي عبيدة، قال: لقي الاعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس— وهو مقبل إلى رسول الله (ص)؛ فذكر له: أنه يحرم الخمر، فرجع، فهذا أولى بالصواب(٢).

---

(١)— سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٥—٢٨ والاغاني ط ساسي ج ٨ ص ٨٥/٨٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠١/١٠٢ والروض الأنف ج ٢ ص ١٣٦ وسيرة مغلطاي ص ٢٥ وتفسير الميزان ج ٦ ص ١٣٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٢ ومحاضرات الادباء المجلد الثاني ص ٤١٨ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ١٣٥.

(٢)— راجع: الروض الانف ج ٢ ص ١٣٦ والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٣ وسيرة مغلطاي ص ٢٥.

ونزيد نحن هنا: أن في رواية ابي الفرج وابن قتيبة: أن أباسفيان هوالذي كلم الاعشى، وأن ذلك كان والمشركون مع الرسول(ص) في هدنة(١).

ولكن هذه المناقشات لايمكن قبولها... فان قصة الشارفين قد تقدم أنها لايمكن أن تصح وكونها إنماحرمت في سورة المائدة أيضاً قد تقدم مافيه، وأنها قد حرمت قبل ذلك في سورة مكية، كما أن نزول القرآن بتحريمها لاينافي تحريمها على لسان النبي(ص) قبل ذلك ...

وأما قولهم: إن عامر بن الطفيل هوالذي قال للاعشى ذلك فلايمكن قبوله... إذ قد صرح آخرون: بأن القائل للاعشى ذلك هو أبوجهل، وبالذات فى دار عتبةبن ربيعة في مكة(٢) وأبوجهل قتل في بدر قبل نزول سورة المائدة، وقبل هدنة الحديبية بسنوات— كما أن رواية القتيبي وابي الفرج قد صرحت بأن القائل للاعشى ذلك هو ابوسفيان(٣)...

وبعد تحديد تلك الروايات: أن هذا قد جرى قرب مكة، بل وفي مكة نفسها، وبالذات في دار عتبةبن ربيعة... فلايمكن الألتفات إلى رواية أخرى ربما يكون الرواة قد تصرفوا فيها لتلائم مايعتقدونه من أن الخمر قد حرمت بعد الهجرة... ولربما يكون هذا هوالسر في تبديلهم كلمة «يثرب» بكلمة «مكة» في الشعر المنسوب إليه، وهوالدالية المتقدمة.

وإذاكان ذلك القول قد قيل في مكة أو بالقرب منها... فلايعقل أن يكون ذلك بعد الهجرة، وذلك لأن الاعشى كان يسكن: «منفوحة» باليمامة، والطريق بينها وبين المدينة مستقيم لايمر على مكة... والمرور على مكة لايكون إلا بقصد مستقل لها، إذلايعقل سلوك طريق دائري كهذا لمن يريد

---

(١)— الاغاني ط ساسي ج ٨ ص ٨٦، والشعر والشعراء ص ١٣٦.

(٢)— الروض الانف ج ٢ ص ١٣٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦٢، وليراجع البداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٣.

(٣)— الاغاني ج ٨ ص ٨٦ والشعر والشعراء ص ١٣٦.

المدينة...

ولعل فيما ذكرناه مايرجح، بل يقوي كون تحريم الخمر قد كان في مكة قبل الهجرة...

لا تدرّج في تحريم الخمر:

وبعد ماذكرناه يعلم: أنه ليس ثمة تدرّج في تحريم الخمر، وإنما حرمت بشكل نهائي وقاطع في مكة، ثم صارت تحصل تعديات ومخالفات. فكان يتكرر النهي عنها لاجل تلك المخالفات في الموارد الخاصة.

ويظهر ذلك من ملاحظة خصوصيات الآيات والموارد التي نزلت فيها...

والظاهر: أن إلْف الناس للخمر، وحبهم لها، والتذاذهم بها -مع أنهم يدركون مساوئها- يدل على أن تركها كان صعباً عليهم؛ لأنهم يرون أن ذلك لسوف يفقدهم لذة تحبها نفوسهم، وأليفاً تهفو إليه قلوبهم...

ولذلك تراهم يسألون عنها، ويكررون السؤال، ويجيبهم القرآن ببيان مساوئها، وبالزجر عنها، ولكنهم عنها لاينتهون، وغير معاقرتها لايطلبون... ولأحكام الله يخالفون... حتى الكبار منهم، وحتى أبوبكر وعمر، وابن عوف وغيرهم(١).

بل يظهر: أن بعضهم لم يتركها حتى بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم:

انتهينا! انتهينا:

ويقولون: انه بعد حرب بدر شرب عمر الخمر، وشج رأس

---

(١)- راجع: الدر المنثور، وتفسير الطبري، وجميع التفاسير، في آيات الخمر في سورة البقرة، والاعراف والنساء والمائدة، وجميع كتب الحديث في أبواب الاشربة حين الكلام على تحريم الخمر... والغدير للعلامة الأميني ج ٧ ص ٩٥-١٠٣ و ج ٦ ص ٢٥١-٢٦١.

عبدالرحمان بن عوف بلحى بعير، ثم قعد ينوح على قتلى بدر من المشركين في ضمن ابيات تقول:

وكائن بالقليب قليب بدر ... من الفتيان والعرب الكرام
وكائن بالقليب قليب بدر ... من الشيزى المكلل بالسنام
أيوعدني ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام
أيعجز أن يرد الموت عني ... و ينشرني إذا بليت عظامي
ألا من مبلغ الرحمان عني ... بأني تارك شهر الصيام
فقل لله يمنعني شرابي ... وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك الرسول؛ فخرج مغضباً، فرفع شيئاً كان في يده؛ فضرب به، فقال: أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، فأنزل الله تعالى:

«إنما يريد الشيطان: أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، و يصدكم عن ذكرالله، وعن الصلاة؛ فهل أنتم منتهون؟»(١).

فقال عمر: انتهينا، انتهينا(٢)...

وتعبير عمر بـ «انتهينا انتهينا» موجود في عشرات المصادر، و إن كانت هذه القصة لم تذكر فيها(٣).

وسورة المائدة من أواخر مانزل، بل يقال: إنها نزلت في حجة الوداع... وهذا يعني: أنهم ماكانوا يلتزمون كثيراً بالنواهي الواردة عن شرب الخمر، كما أشرنا إليه آنفاً...

وعلى كل حال... فان روايات شرب عمر للخمر بعدالهجرة كثيرة جداً... فراجع: الدرالمنثور في تفسير الآيات، أو أي كتاب تفسيري أو

---

(١)— المائدة ٩١.

(٢)— المستطرف ج ٢ ص ٢٢٠، وتفسير البرهان ج ١ ص ٣٧٠ و ٤٩٨. والميزان ج ٦ ص ١٣٦، والغدير ج ٦ ص ٢٥١ عن الزمخشري في ربيع الابرار في باب اللهو واللذات، والقصف واللعب.

(٣)— راجع في هذه المصادر: الغدير ج ٦ ص ٢٥٢—٢٥٣.

حديثي آخر، ولاسيما كتاب الغدير للعلامة الاميني في مجلديه السادس والسابع حسبما تقدم...

بل نجد: أن ركوة عمر كانت تُسكر كل من يشرب منها، حتى بعد خلافته، وقضية إقامته الحد على من شرب من ركوته فسكر معروفة... وقد اعترض عليه بقوله: «يا أمير المؤمنين إنما شربت من ركوتك»؟! فكان اعتذار عمر عن ذلك بأنه إنما حده لسكره لا لشربه!!(١) وهذا فقه جديد، ماعهدناه من غيره!!... والكلام حول هذا الموضوع طويل جداً لامجال له هنا...

وأما أبو بكر:

فيقول الفاكهي: إن الذي أنشد الابيات المتقدمة في رثاء قتلى بدر هو أبو بكر(٢).

واعتمد نفطويه على هذه الرواية، فقال: شرب أبو بكر الخمر قبل أن تحرم، ورثى قتلى بدر من المشركين(٣).

وقد بلغ شيوع شرب أبي بكر للخمر حداً اضطرت معه عائشة إلى التصدى للدفاع عن أبيها: فكانت تقول: «ماقال أبو بكر شعراً قط في جاهلية ولا إسلام، ولقد ترك هو وعثمان شرب الخمر في الجاهلية(٤).

وعنها: «لقد حرم أبو بكر الخمر على نفسه في الجاهلية»(٥).

و يظهر: أن أم المؤمنين قد فشلت في الدفاع عن أبيها، ولذلك نرى

---

(١)— راجع: مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ٩ ص ٢٢٤ والعقد الفريد ط دارالكتاب ج ٦ ص ٣٦٩، واحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٤٦٤، وحاشية ابن التركماني على سنن البيهقي المطبوعة معه ج ٨ ص ٣٠٦، والغدير ج ٦ ص ٢٥٨/٢٥٧ عنه وعن كنزالعمال ج٨ص١١٠.

(٢)— الاصابة ج ٤ ص ٢٢، ونوادر الاصول ص ٦٦، وليراجع فتح القدير ج ١ ص ٤٧٢ عن ابن المنذر وذكر الطبري الرواية محرفة في تفسيره.

(٣)— الاصابة ج ٤ ص ٢٢.

(٤)— الصواعق المحرقة ص ٧٣ عن ابن عساكر بسند صحيح.

(٥)— الصواعق المحرقة ص ٧٣ عن أبي نعيم بسند جيد.

الزهري يروي عن عروة، عن عائشة: أنها كانت تدعو على من يقول: إن أبابكر الصديق قال هذه القصيدة، ثم تقول: «والله ماقال أبوبكر شعراً في جاهلية ولافي اسلام»(١) ثم تنسب القضية الى رجل آخر يدّعى أن اسمه أبوبكر بن شعوب...

ولكننا لاندري ماتقول أم المؤمنين في قولهم المعروف: «كان أبوبكر شاعراً، وكان عمر شاعراً وكان علي أشعر الثلاثة(٢)».

و يعلق العلامة الأميني على تعليق الحكيم الترمذي على حديث شرب ابي بكر للخمر بقوله: «هو مما تنكر القلوب(٣)».

فيقول: «فكأن الترمذي وجد الحديث دائراً سائراً في الالسن، غير انه رأى القلوب تنكره»(٤).

كما أن العسقلاني قد حذا حذوالترمذى، فانه بعد أن ذكر أن ابن مردو يه يذكر ابابكر وعمر فيمن شرب الخمر في بيت ابي طلحة... قال: «وهو منكر، مع نظافة سنده،وما اظنه إلا غلطا(٥)».

ثم إنه بعد ذكره لقضية: «تحيي أم بكر بالسلام» قال: «وأبوبكر هذا يقال ابن شغوب، فظن بعضهم أنه أبوبكر الصديق، وليس كذلك.

ولكن قرينة ذكر عمر تدل على عدم الغلط في وصف الصديق، فحصلنا على تسمية عشرة(٦)» فهو كماترى قد عاد وأقربان أبابكر كان فيمن شرب الخمر في بيت أبي طلحة.

---

(١)— نوادر الاصول ص ٦٦ والمصنف ج ١١ص٢٦٦/٢٦٧ والاصابة ج ٤ ص ٢٢ والصواعق المحرقة ص ٧٣.

(٢)— كنزالعمال ج ١٥ ص ٩٧ عن ابن عساكر، وأنساب الاشراف بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٥٢ وترجمة علي من تاريخ ابن عساكر تحقيق المحمودي ج ٣ ص ٢٤٢ وفي هامشه عن كتاب الرجال لاحمدبن حنبل ج ١ ص ٣١٣ ط ١ وأنساب الاشراف ج ٢ ص ١١٤ و ١٥٣.

(٣)— نوادرالاصول ص ٦٦.

(٤)— الغدير ج ٧ ص ٩٦.

(٥)و(٦)— فتح الباري ج ١٠ ص ٣١ والغدير ج ٧ ص ٩٧/٩٨.

وعلى كل حال... فلا بأس بمراجعة ترجمة سعيدبن ذى لعوة في لسان الميزان وغيره، ومراجعة الغدير ج ٦ ص ٢٥١—٢٦١ و ج ٧ ص ٩٥—١٠٣ وجميع كتب الحديث في ابواب الخمر، وكتب التفسير في تفسير الآيات وغير ذلك.

الكذب على علي عليه السلام:

وأما محاولات حشر علي عليه السلام في أمر مشين كهذا... فهي محاولات فاشلة... فهو الذي ربي في حجر النبوة، وتهذب وتأدب منذ صغره على يدي أعظم رجل في التاريخ... ولم نعهد منه إلا الامتثال والخضوع المطلق لأوامر وتوجيهات الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... وسيرته خير شاهد على مانقول... ولسوف نرى أنه هوالذي حينما قال له الرسول(ص) يوم خيبر: «إذهب ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك مشى عليه السلام هنيهة، ثم قام، ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: على ما أقاتل الناس؟ قال النبي(ص) قاتلهم حتى يشهدوا أن لا اله إلا الله إلخ(١).».

ولعله لأجل هذا يأمر النبي(ص) رسوله إلى علي: أن لاينابذه من ورائه، كما ذكر عبدالرزاق في المصنف ج ٥ ص ٢١٧ وغيره.

فالصحيح هو مارواه القطان في تفسيره عن الحسن البصري، قال: إن علياً لم يقبل أن يشرب معهم في دار أبي طلحة، بل خرج من بينهم ساخطا على مايفعلون. قال الحسن:

«والله الذي لا إله هو ماشربها قبل تحريمها ولاساعة قط(٢)».

وحسبنا ماذكرناه هنا، فاننا لو أردنا استقصاء مخالفات الصحابة في هذا الموضوع لملأنا عشرات الصفحات من ذلك ومن مصادره... والحر تكفيه الاشارة...

---

(١)— صحيح ابن حبان، مخطوط في مكتبة: قپوسراى في استانبول ترجمة علي عليه السلام وأنساب الاشراف، بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ٩٣.

(٢)— تفسير البرهان ج ١ ص ٥٠٠ عن ابن شهرآشوب عن القطان في تفسيره.

خطبة علي بنت أبي جهل:

وتحكى هاهنا قصة خطبة علي(ع) بنت أبي جهل— ومن حقها أن تذكر في السنة الثامنة من الهجرة، ولكن بما أنها لا ريب في اسطوريتها كما سيتضح، فاننا نذكرها هنا ونبين كذبها— لمناسبة واضحة بين الحديث عن زواجه(ع) بفاطمة، وخطبته لغيرها؛ ولذلك فنحن نقول:

الحديث الموضوع:

في البخاري وغيره، عن المسور بن مخرمة، قال: سمعت رسول الله (ص) يقول، وهو على المنبر: إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا ان يريد ابن أبي طالب: أن يطلق ابنتي، و ينكح ابنتهم؛ فإنما هي بضعة مني، يريبني ما أرابها، و يؤذيني ما آذاها...

وفي البخاري وغيره أيضاً في رواية أخرى: عن المسور: إن فاطمة أتت رسول الله(ص) فقالت: يزعم قومك: أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكح ابنة أبي جهل، فسمعته حين تشهد يقول: إني انكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، و إن فاطمة بضعة مني، واني اكره أن يسوءها. والله، لاتجتمع بنت رسول الله و بنت عدوالله عند رجل واحد، فترك علي الخطبة...

وفي رواية أخرى لمسلم والبخاري وغيرهما: أن المسور قال: سمعت رسول الله (ص) على المنبر وهو يخطب في ذلك وأنا محتلم، فقال: إن فاطمة مني، وأنا أخاف أن تفتن في دينها... إلى أن قال: و إني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً، ولكن والله، لاتجتمع بنت رسول الله، و بنت عدوالله مكاناً واحداً ابداً...

وذكر مصعب الزبيري: أن علياً خطب جويرية(١) بنت أبي

(١)— و يقال: اسمها العوراء. و يقال: جرهمة. و يقال: جميلة. و يقال: الحيفاء. راجع فتح الباري ج ٧ ص ٦٨.

جهل، فشق ذلك على فاطمة، فأرسل إليها عتاب: أنا أريحك منها؛ فتزوجها؛ فولدت له عبدالرحمان بن عتاب.

وقال ابن اسحاق: حدثني من لا أتهم: أن رسول الله (ص) كان يغار لبناته غيرة شديدة، كان لاينكح بناته على ضرة(١).

وعندالحاكم: أن علياً خطب بنت أبي جهل؛ فقال له أهلها: لانزوجك على فاطمة(٢).

وعند ابن المغازلي: أنه(ع) خطب أسماء بنت عميس؛ فأتت فاطمة إلى النبي(ص) فقالت: إن اسماء بنت عميس متزوجة علياً. فقال: ماكان لها أن يؤذي الله ورسوله(٣).

وقد نظم مروان ابن أبي حفصة هذه القصة في قصيدة يمدح بها الرشيد، فكان مماقال:

وساء رسول الله إذساء بنته ... بخطبته بنت اللعين أبي جهل
فذم رسول الله صهر أبيكم ... على منبر بالمنطق الصادع الفصل(٤)

ونحن نعتقد: أنه لاريب في كذب هذه الرواية، وذلك استناداً الى مايلي:

---

(١)ـ راجع هذه النصوص في: صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والانصاف. وكتاب الخمس وكتاب المناقب، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٤١ وفي فضائل فاطمة، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٦١٦، وأسدالغابة ج٥ ص ٥٢١، والمصنف ج ٧ ص ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٠ بعدة نصوص وفي هامشه عن عدد من المصادر، ونسب قريش ص٨٧ و ٣١٢ وفتح الباري ج ٧ وج ٦ وج ٩ ص ٢٨٦، وتهذيب التهذيب ج ٧ ص ٩٠، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٨٨ و ٥١ وج ٤ ص ٦٤ـ٦٦، ومحاضرة الادباء المجلد الثاني ص ٢٣٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٨ وغير ذلك ونقل عن سنن ابي داود ج ١ ص ٣٢٤ و ٣٢٣.

(٢)ـ فتح الباري ج ٩ ص ٢٨٦.

(٣)ـ مناقب الامام علي لابن المغازلي ص ٣٦٥.

(٤)ـ شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٦٥.

أولاً: عداعن اختلاف الروايات كما يظهر بالمراجعة والمقارنة، فان ماجاء في هذه الروايات لاينسجم مع ماتقدم في بحث تكنية علي(ع) بأبي تراب: من أنه(ع) لم يسوء فاطمة قط...

وثانياً: عن بريدة: أنه لما استلم علي عليه السلام الغنائم من خالدبن الوليد في غزوتهم لبني زبيد، حصلت جارية من أفضل السبي في الخمس، ثم صارت في سهم آل علي، فخرج عليهم علي عليه السلام ورأسه يقطر؛ فسألوه؛ فأخبرهم: أنه وقع بالوصيفة التي صارت في سهم آل علي...

فقدم بريدة في كتاب من خالدعلى النبي(ص)، وصاريقرؤه عليه بريدة، ويصدق (أي بريدة) مافيه، فأمسك (ص) بيده، وقال: يابريدة أتبغض عليا؟ قال: نعم. فقال(ص): لاتبغضه، وان كنت تحبه فازدد له حباً، فوالذي نفسي بيده لنصيب آل علي في الخمس افضل من وصيفة...

وفي نص آخر: فتكلم بريدة في علي عندالرسول، فوقع فيه فلما فرغ رفع رأسه، فرأى رسول الله غضب غضباً لم يره غضب مثله إلا يوم قريظة والنضير. وقال: يابريدة، أحب علياً، فانه يفعل ما آمره... وكذا روي عن غير بريدة(١).

وفي الرواية التي عند المفيد رضوان الله عليه: «فسار بريدة، حتى انتهى إلى باب النبي(ص)، فلقيه عمر، فسأله عن حال غزوتهم، وعن الذي أقدمه؛ فأخبره: أنه إنما جاء ليقع في علي، وذكر له اصطفاءه الجارية من الخمس لنفسه، فقال له عمر: إمض لماجئت له؛ فانه سيغضب لابنته مماصنع

---

(١)— راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٨ عن الطبراني، وخصائص النسائي ص ١٠٣/١٠٢ ومشكل الآثار ج ٤ ص ١٦٠، ومسند أحمد ج ٥ ص ٣٥٩ و ٣٥١/٣٥٠ وسنن البيهقي ج ٦ ص ٣٤٢ وقال: رواه البخاري في الصحيح وحلية الأولياء ج ٦ ص ٢٩٤، وسنن الترمذي ج ٥ ص ٦٣٢ و ٦٣٩ و كنزالعمال ج ١٥ ص ١٢٤—١٢٥ و ١٢٦—٢٧١، ومناقب الخوارزمي الحنفي ص ٩٢، و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١١/١١٠ على شرط مسلم، وتلخيص المستدرك للذهبي بهامشه وسكت عنه، والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ عن أحمد والترمذي، وأبي يعلى وغيره بنصوص مختلفة. والغدير ج ٣ ص ٢١٦ عن بعض من تقدم، وعن كنزالعمال ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٤ و ٣٠٠ وعن نزل الابرار للبدخشي ص ٢٢ وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧١ وعن مصابيح السنة للبغوي ج ٢ ص ٢٥٧.

علي(١).

وثالثاً: وفي محاورة بين عمر وابن عباس، كان مما قاله ابن عباس له: يا أمير المؤمنين، إن صاحبنا من قد علمت، والله إنه ماغير ولابدل، ولا أسخط رسول الله(ص) أيام صحبته له، فقال: ولا في ابنة أبي جهل، وهو يريد أن يخطبها على فاطمة رضي الله عنها؟... قلت: قال الله في معصية آدم عليه السلام: «ولم نجد له عزما»(٢)؛ فصاحبنا لم يعزم على اسخاط رسول الله(ص)، ولكن الخواطر التي لايقدر أحد على دفعها عن نفسه. وربما كانت من الفقيه في دين الله، العالم بأمرالله، فاذانُبِّهَ عليها رجع واناب...

فقال: يا ابن عباس، من ظن أنه يرد بحوركم، فيغوص فيها معكم حتى بلغ قعرها؛ فقد ظن عجزاً(٣).

فابن عباس يصارح الخليفة بأن علياً لم يغضب الرسول، ولا أراد ذلك، ولاعزم عليه... وانكر قضية بنت أبي جهل، واعتبرهامن الخواطر التي ربما تمر، ولايقدر أحد على دفعها، وصدقه بذلك عمر.

و يلاحظ هنا مهارةابن عباس في تكذيب هذه القضية حيث لم يواجه الخليفة الثاني صراحة بذلك، وانما جاءه من الطريق المعقول والمقبول عنده، وقطع عليه كل طريق حتى قال له: «من ظن أنه يرد بحوركم إلخ...»

و يكاد النقيب أبو جعفر محمدبن أبي زيد، الذي وصفه ابن أبي الحديد بأنه منصف، ولايمكن اتهامه بالتشيع— كما تقدم في غزوة بدر— يكاد ان يصرح بأن عمر هوالذي أوحى للناس بأن النبي قد غضب من علي في هذه القضية، فهو يقول عنه:

---

(١)— ارشاد المفيد ص ٩٣ و قاموس الرجال ج ٢ ص ١٧٣ عنه.

(٢)— طه ١١٥.

(٣)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٥١، ومنتخب كنزالعمال ج ٥ ص ٢٢٩ بهامش مسند أحمد، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٢٤٩ عنه عن الزبير بكار في الموفقيات وقاموس الرجال ج ٦ ص ٢٥.

«ثم عاب علياً بخطبته بنت أبي جهل؛ فأوهم أن رسول الله (ص) كرهه لذلك، ووجد عليه(١)».

ورابعاً: قال الشيخ ابراهيم الانصاري ماملخصه— مع التقليم والتطعيم—إننا في نفس الوقت الذي نجدالنبي(ص) يقول في خطبته: «إني لست أحرم حلالاً، ولا أحل حراماً» نجده يفرض على علي أن يطلق ابنته، إن أراد تزوج ابنة أبي جهل... مع أن الله قد جعل الطلاق بيدالزوج، وليس للزوجة ولا لابيها حق فرض ذلك عليه...

ثم هو ينهى علياً عن الزواج بالثانية، مع أن الله تعالى أحل الزواج من مثنى وثلاث ورباع... و إذاكان يحرم على علي الزواج في حياة فاطمة لخصوصية لها(٢)، فلماذا يقدم علي على أمر محرم عليه حتى يضطر النبي (ص) إلى هذا الموقف... ولماذا يقدم على ايذاء فاطمة، وهو يسمع قوله(ص): فاطمة بضعة مني يؤذيها مايؤذيني؟! وكيف نوجه بعد هذا قوله(ص): لولا أن الله خلق علياً، لم يكن لفاطمة كفؤ، آدم فمن دونه؟!

بل إن الله تعالى هوالذي اختار علياً لفاطمة، فكيف يختار لها من يؤذيها و يغمها؟!

ثم... ألم يكن لدى علي عليه السلام من الأدب والاحترام بمقدار ماكان لبني المغيرة؛ فيستأذنونه صلى الله عليه وآله وسلم، ولايستأذنه علي عليه السلام؟!

ثم إننا لاندري ماحقيقة ايمان، وجمال، ومزايا بنت أبي جهل— التي كانت من الطلقاء(٣)— حتى جعلت علياً يقدم على خلق مشكلة بهذا الحجم له ولبني المغيرة، وحتى للنبي(ص) نفسه...

وأيضاً... لماذا لم يكلم النبي(ص) علياً سراً، و يطلب منه صرف

---

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ٨٨.

(٢)— كما احتمله العسقلاني فتح الباري ج ٩ ص ٢٨٧.

(٣)— طبقات ابن سعد ج ٨ ص ١٩١.

النظر عن هذا الأمر؟!. أم أنه فعل ذلك، فرفض علي حتى اضطر إلى فضحه وتأليب الناس ضده بهذه الصورة؟!

وكذلك الحال بالنسبة لبني المغيرة، لماذا لايردعهم عن تزويجه سراً،؟! أم أنه فعل ذلك، فلم يرتدعوا إلا بهذه الطريقة؟!... و إذا كانوا لايرتدعون؛ فلماذا يستأذنون؟!...

واعتذار العسقلاني عن ذلك بأنه(ص) أراد من خطبته على رؤوس الاشهاد: أن يشيع ذلك الحكم، و يأخذوا به على سبيل الايجاب أو الاولوية (١)

لايمكن قبوله... إذ قد كان يمكن أن يشيع هذا الحكم- بالطرق الأخرى التي تشيع فيها سائر الأحكام... ولاسيما وأنه ليس من الاحكام العامة التي يبتلي بها عامة المكلفين...

وأيضاً... فان ذلك لايتناسب مع كلمات النبي القاسية على المنبر، ولامع تعريضاته القوية المشعرة بأن علياً قد ارتكب أمراً عظيماً... هذا مع العلم بأنه(ص) لم يكن من عادته أن يواجه أحداً بمايعاب به؛ فكيف يعلن به على المنبر.

واعتذار العسقلاني أيضاً عن ذلك: بأنه لعله مبالغة في رضا فاطمة عليها السلام، لانها أصيبت بأمها و إخوتها، فكان إدخال الغيرة عليها يزيد من حزنها(٢).

لايصح أيضاً... فان رضا شخص لايبرر تنقص شخص آخر على أمر مباح بل مستحب... وكذلك... فان كون فاطمة قد أصيبت ، لايبرر منع زوجها من العمل بما هو مباح له... وهل لم يصب أحد باقربائه سواها؟ وهل كل من أصيبت بأقربائها تمنع زوجها من الزواج باخرى؟!. ولاسيما

---

(١)- فتح الباري ج ٧ ص ٦٨.

(٢)- فتح الباري ج ٧ ص ٦٩ وراجع: ج ٩ ص ٢٨٧.

بعد مرور السنوات العديدة على ذلك...

وأيضاً... فان هناك تعريضه بعلي(ع)، وأنه حدّثه ولم يصدقه... لاندري كيف؟ ومتى؟... وأن أبا العاص (الذي بقي على شركه حتى اسلم مع طلقاء مكة كرهاً أوطمعاً، والذي صرح الصادق بنفاقه كمانسب إليه(١)—) قد حدثه، فصدقه، كيف؟ ومتى؟ وفي أي مورد؟!.

وبعد... فما معنى: أن لاتجتمع بنت عدوالله وبنت رسول الله عند رجل... وقد جمع عثمان بين رقية و ام كلثوم بنتي رسول الله كما يقولون... وبين فاطمة بنت الوليدبن عبد شمس، ورملة بنت شيبة، و أم البنين بنت عيينة بن حصن، الذي كان من المنافقين...

وفاطمة... لماذا تتأذى من العمل بحكم إلهي مشرع في القرآن وعلى لسان أبيها؟!... ولماذا لا تكون مثال المؤمنة الراضية والمطمئنة، واين هو ايمانها القوي وثباتها؟!... ولماذا لا تكون كأي امرأة اخرى تواجه قضية كهذه؟!... وكيف بلغ بها الامر أن أصبح أبوهايخشى عليها الفتنة في دينها؟! كل ذلك لأن زوجها يريد التزوج من امرأة أخرى؟!...

ثم... الم تسمع قول أبيها: جدع الحلال أنف الغيرة(٢)؟ ولوكانت لم تسمع ذلك فلما لايذكر أبوها ذلك حينما اشتكت من زوجها... أو على الاقل لماذا لايتذكر هو ذلك ،قبل أن يصعد المنبر و يتكلم بذلك الحماس والعصبية والقسوة؟!. وهل يتناسب ذلك مع حكمته ونبل أخلاقه، وسمونفسه، وماعرف به من الكظم والحلم... وهذا المأمون يجيب ابنته على شكواها من قضية كهذه: إنا ما انكحناه لنحظر عليه ما اباحه الله تعالى... فهل كان المأمون اعلى نفساً، واكرم اخلاقا منه(ص)؟! والعياذ بالله(٣).

---

(١)— مستطرفات السرائر ص ٤٧٠.

(٢)— محاضرات الادباء المجلد الثاني ص ٢٣٤.

(٣)— راجع: مقالاً للشيخ ابراهيم الانصاري في مجلة الهادي سنة ٥ عدد ٢ ص ٣٠—٣٣: بعنوان اسطورة تزوج على ببنت أبي جهل. وتنزيه الانبياء للسيد المرتضى ص ١٦٨.

وخامساً: قال السيد المرتضى: «وبعد... فأين كان أعداؤه(ع) من بني امية وشيعتهم عن هذه الفرصة المنتهزة؟! وكيف لم يجعلوها عنواناً لما يتخرصونه من العيوب، والقروف؟! وكيف تمحلوا الكذب، وعدلوا عن الحق. وفي علمنا بأن أحداً من الاعداء متقدماً لم يذكر ذلك، دليل على انه باطل موضوع(١)».

وسادساً: وبعد كل ماتقدم: كيف يقول النبي(ص) لبنت أبي جهل (بنت عدوالله) على المنبر، وهوالذي منع الناس من أن يقولوا لعكرمة أخيها: (ابن عدوالله)، وقال كلمته الخالدة: يأتيكم عكرمة مهاجراً؛ فلا تسبوا أباه، فان سب الميت يؤذي الحي(٢).

وسابعاً: إن المسور بن مخرمة قد ولد في السنة الثانية للهجرة، فكيف يقول: إنه سمع النبي يخطب على المنبر وهو (يعني المسور) محتلم؟!.

ووجه ذلك ابن حجر بأن المراد بالاحتلام كمال العقل(٣) ويخالف هذا التوجيه كلاً من اللغة والعرف، فلايقال لطفل عمره ست سنين: إنه محتلم مهما كان له من الدراية، ومن العقل والفطنة(٤).

الرواية الاقرب إلى القبول:

وبعد... فان السيد المرتضى يرى: أن هذه الاسطورة إنما رواها الكرابيسى البغدادي، صاحب الشافعي. والكرابيسى معروف بنصبه وانحرافه عن أمير المؤمنين عليه السلام(٥).

ونحن... وإن كنا نرى: أنها بكيفيتها المتقدمة لاريب في بطلانها

---

(١)— تنزيه الانبياء ص ١٦٩.

(٢)— راجع مقال الانصاري في مجلة الهادي سنة ٥ عدد ٢ ص ٣٢.

(٣)— فتح الباري ج ٩ ص ٢٨٦.

(٤)— راجع مقال الانصاري أيضاً...

(٥)— تنزيه الانبياء ص ١٦٧.

وافتعالها... إلا أننا لانمانع في أن يكون لها أصل سليم عن كل ماقدمناه، ومنسجم مع روحية وعصمة النبي(ص) ووصيه، وبضعته الزهراء...

ولعل مارواه سويد بن غفلة والشعبي قريب من الواقعة الحقيقية، فقد ذكرا: أن علياً(ع) خطب ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام، فاستشار علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال(ص): أعن حسبها تسألني؟ قال علي: قد أعلم ماحسبها، ولكن أتامرني بها؟ قال: لا، فاطمة بضعة مني، ولا أحب أنها تحزن أو تجزع.

قال علي: «لا آتي شيئاً تكرهه(١)».

ولربما تكون فاطمة قد عرفت بقول عمر: عن النبي(ص): «إنه سيغضب لابنته» فاشتكته لذلك، لاغيرة من خطبة علي(ع) امرأة أخرى... فان فاطمة أجل وأرفع، واعمق ايماناً من أن تفكر في امر كهذا...

٥ـ أم سلمة في بيت النبي(ص):

وفي شوال السنة الثانية بعد بدر ـ كما قاله أبو عمر وغيره(٢) ـ وقيل: قبل بدر(٣)، وقيل: في السنة الرابعة(٤) تزوج الرسول صلى الله عليه وآله بأم سلمة، أفضل نساء النبي(ص) بعد خديجة، وأول مهاجرة إلى الحبشة مع زوجها أبي سلمة، وعادت إلى مكة فكانت أول ظعينة دخلت المدينة مهاجرة أيضاً ـ كمايقولون...

ونحن نرجح: أنها دخلت بيت النبي(ص) في السنة الثانية، وذلك لماتقدم: من أنها قد حضرت زفاف فاطمة في ذى الحجة من السنة الثانية،

---

(١)ـ كنزالعمال ج ١٦ ص ٢٨٠ عن أبي يعلى، والمصنف ج ٧ ص ٣٠١، وفتح الباري ج ٩ ص ٢٨٦ بأسناد صحيح عن الحاكم.

(٢)ـ الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٤٧١/٤٧٢، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٦ عن السمط الثمين عن أبي عمر، وذكره مغلطاي في سيرته بلفظ قيل.

(٣)ـ تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٦ وراجع سيرة مغلطاي ص ٥٥.

(٤)ـ سيرة مغلطاي ص ٥٥ وغيره كثير.

كزوجة للرسول(ص)... وان كناقد احتملنا — فيما تقدم — انها الأنصارية... ولكن ذكر بيت أم سلمة في بعض الروايات والتصريح بزوجيتها له(ص) حينئذٍ(١)، وعِلْمَنا بأنه(ص) كان كلما تزوج بامرأة بنى لها بيتاً، فلوكان قد تزوج أم سلمة في السنة الرابعة، فلم يكن قد بنى لها بيتاً في السنة الثانية... إن ذلك يقرب أن تكون أم سلمة كانت حينئذٍ زوجة له(ص)...

واحتمال أن يكون المراد: البيت الذي صار فيما بعدلام سلمة... لامبرر له؛ لأن الرواية تكاد تكون صريحة في كون أم سلمة كانت حاضرة، وكان يتعامل معها كزوجة ...

وعلى كل حال... فقد خطب أم سلمة أولاً أبو بكر فردته، ثم خطبها عمر فردته، ثم خطبها رسول الله (ص)، فقالت: مرحباً برسول الله(٢) إلخ. وذكرت له أنها غيرى، وأنها مصبية. فرد النبي(ص) عذرها وتزوجها.

والظاهر أنه حين تزوجها لم تكن قد بلغت الخامسة والعشرين من عمرها، بدليل: أنهم يقولون: إنها توفيت في اوائل خلافة يزيد سنة اثنين وستين، ولها أربع وثمانون سنة(٣) فيكون عمرها حينما هاجرت إلى الحبشة حوالى ١٥ سنة.

وعذر أم سلمة المتقدم يدل على كمال عقلها، وحسن أدبها، وعلى أنها كانت تحسب للعواقب حسابها، فان كونها غيرى لربما يوقعها فيما لاتحب، وتكون سبباً في أذى النبي، أوعدم راحته... وكونها مصبية لربما يعيقها عن القيام بواجباتها تجاه رسول الله (ص) على النحو الاكمل والأفضل.

---

(١)— البحار ج ٤٣ ص ١٢٦ عن كشف الغمة للاربلي ومناقب الخوارزمي ص ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٣.

(٢)— طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٤، ولم يذكر غير أبي بكر، وأسدالغابة ج ٥ ص ٥٨، والاصابة ج ٤ ص ٤٥٩.

(٣)— تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢.

وقد كانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب(١). وكانت من أجمل الناس(٢). ولأجل ذلك نجد عائشة تقول: لما تزوج رسول الله (ص) أم سلمة حزنت حزناً شديداً؛ لما علمت من جمالها، فتلطفت حتى رأيتها؛ فرأيت والله أضعاف ما وصفت من الحسن والجمال، فذكرت ذلك لحفصة— وكانتا يداً واحدة إلخ(٣). ثم ذكرت أن حفصة قد حاولت التخفيف من هموم رفيقتها في هذا المجال...

ولكن الظاهر أن ذكر حفصة هنا كان في غير محله، لأن الظاهر أنه(ص) قد تزوجها بعد ام سلمة لاقبلها كما سيأتي. فلابد وأن تكون قد ذكرت لها ذلك و لم تكن حفصة حينئذ زوجه له(ص)، أو ان غير حفصة هي صاحبة القضية مع عائشة.

ام سلمة على العهد:

وعلى كل حال... فقد كانت أم سلمة خير زوج لرسول الله(ص)، وبقيت بعده على العهد، لم تغير ولم تبدل، وقرت في بيتها كما أمرها الله، وناصرت وصي رسول الله، وعادت أعداءه ومحاربيه، حتى ليذكر البيهقي: أن عائشة دخلت على أم سلمة بعد رجوعها من وقعة الجمل، وقد كانت أم سلمة حلفت ألا تكلمها أبداً من أجل مسيرها إلى محاربة علي بن أبي طالب.

فقالت عائشة: السلام عليك يا أم المؤمنين.

فقالت: يا حائط، ألم أنهك؟ ألم أقل لك؟!

قالت عائشة: فاني استغفرالله وأتوب إليه (كيف تتوب إليه وهي عندما جاءها نعي علي أعتقت غلامها، وأظهرت الشماتة، وتكلمت بالكلام السيئ في حقه عليه السلام) كلميني يا أم المؤمنين.

---

(١)— الاصابة ج ٤ ص ٤٥٩ وحديث الافك ص ١٦١ عنه.

(٢)— تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٥.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦٧، وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٦٦، والاصابة ج ٤ ص ٤٥٩ عنه.

قالت: يا حائط، ألم أقل لك؟! أم أنهك؟!

فلم تكلمها حتى ماتت إلخ(١).

وبالمناسبة... فان ولد أم سلمة، واسمه «عمر» قد كان والياً لأمير المؤمنين عليه السلام على فارس والبحرين. وكان معه يوم الجمل(٢).

وفاة أم سلمة:

وقد توفيت أم سلمة في خلافة يزيد لعنه الله تعالى... ولايصح قول البعض، كالواقدي وغيره(٣): أنها توفيت سنة تسع وخمسين، وصلى عليها سعيدبن زيد، أو أبو هريرة(٤).

نعم... لايصح؛ وذلك:

أولا: لأن سعيدبن زيد قد توفي في سنة خمسين، أو إحدى وخمسين(٥)، فكيف يكون قد صلى على أم سلمة التي توفيت بعد ذلك بسنوات. وأبوهريرة؛ فانه قد توفي سنة سبع أوثمان أوتسع وخمسين... فبالنسبة للقولين الأولين لاريب في أنه قد توفي قبلها، وكذا بالنسبة للأخير، كما سنرى...

وثانياً: إننا لانرتاب في أن أم سلمة قد توفيت في خلافة يزيد، وذلك استناداً إلى مايلي.

١ً ـ ماهو معروف وثابت، من أن النبي صلى الله عليه وآله قد أودع عند أم سلمة قارورة فيها من تراب كربلاء، فاذا رأتها فاضت دماً؛ فقد قتل

---

(١)ـ المحاسن والمساوي للبيهقي ج ١ ص ٤٨١.

(٢)ـ قاموس الرجال ترجمة عمر بن أبي سلمة.

(٣)ـ راجع ترجمة أم سلمة في طبقات ابن سعد ج ٨، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٢٠٥، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢.

(٤)ـ كما ذكره أبو عمر في الاستيعاب، وابن الكحال، وابن الأثير.

(٥)ـ تهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، والاصابة ج ٤ ص ٤٦٠.

الحسين عليه الصلاة والسلام...

وهكذا كان، فقد عرفت استشهاد الامام الحسين عليه السلام، حينما فاضت هذه القارورة دما(١).

قال ابن كثير: «والأحاديث المتقدمة في مقتل الحسين تدل على أنها عاشت إلى ما بعد مقتله(٢)».

٢ً— روى الطبراني بسند رجاله ثقات: أنها رحمها الله توفيت زمن يزيد بن معاوية سنة اثنتين وستين(٣).

٣ً— وقال الذهبي: إنها عمرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد؛ فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيراً، ولم تلبث بعده إلا يسيراً، وانتقلت إلى الله تعالى(٤).

٤ً— عن شهر قال: أتيت أم سلمة أعزيها بالحسين(٥).

٥ً— رأت أم سلمة النبي(ص) في المنام، وأخبرها بقتل الحسين(٦).

٦ً— وقد روي بسند رجاله رجال الصحيح: أنها سمعت الجن تنوح على الحسين عليه السلام(٧).

---

(١)— راجع مصادر هذه القضية في كتاب: «سير تناوسنتنا» للعلامة الأميني، فانه مشحون بالمصادر لها.

(٢)— البداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٥.

(٣)— مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٦.

(٤)— مقتل الحسين للمقرم ص ٣٥٥ عن سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٢.

(٥)— مقتل الحسين للمقرم ص ٣٥٥ عن سير اعلام النبلاء ج ٢ ص ١٤٦.

(٦)— تهذيب التهذيب ج ٢ ص ٣٥٦، وتاريخ الخلفاء ص ٢٠٨، ومقتل الحسين للمقرم ص ٣٥٥ عنهما وعن: ذخائر العقبى ص ١٤٨ وعن امالي ابن الشيخ الطوسي ص ٥٦. وعن سير اعلام النبلاء ج ٣ ص ٢١٣.

(٧)— تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٠٨، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١٩٩ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٧٤٢ عنه.

٧ـ وروى مسلم في صحيحه: أن الحارث بن عبدالله بن أبي ربيعة، وعبدالله بن صفوان، دخلا على أم سلمة في خلافة يزيد بن معاوية؛ فسألا عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك حين جهز يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة بعسكر الشام الى المدينة، فكانت وقعة الحرة سنة ثلاث وستين(١).

هذا... وقد قال كثير من العلماء بأنها توفيت في خلافة يزيد، منهم: الذهبي ـ كماتقدم ـ ورجحه ابن كثير كماتقدم أيضاً، وابن أبي خيثمة، وابن حبان، وابونعيم، واليافعي وابن عساكر، وصححه(٢). وغيرهم...

ولعل الهدف من الاصرار على أنها قد توفيت سنة تسع وخمسين هو تكذيب تلك الفضيلة التي ثبتت للامام الحسين عليه السلام، والتي تظهر بشاعة وفظاعة تلك الجريمة التى ارتكبها يزيد، ومن معه من الأمويين وأذنابهم...

٦ـ حفصة في بيت النبي(ص):

وفي السنة الثالثة، وقال أبو عبيدة في الثانية في شهر شعبان عقد النبي(ص) على حفصة بعد انقضاء عدتها، بعد وفاة زوجها السابق خنيس بن حذافة المقتول في بدر، أو أحد، أو بعدها. والارجح الأول؛ لأن بعض الروايات تصرح بأن عمر قد عرض حفصة على عثمان «متوفى رقية بنت النبي(٣)». ورقية إنما توفيت بعد بدر أو في ذي الحجة ـ كما تقدم وهوالذي رجحناه...

وتقول بعض الروايات: ان عمر عرض حفصة على عثمان وابي بكر،

---

(١)ـ الاصابة ج ٤ ص ٤٦٠.

(٢)ـ راجع: الاصابة ج ٤ ص ٤٦٠، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٣٦٢، ومرآة الجنان ج ١ ص ١٣٧ والبداية والنهاية ج ٨ ص ٢١٥ وغير ذلك.

(٣)ـ طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٨/٥٧ وليراجع الاصابة ج ٤ ص ٢٧٣ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٢٦٨ و ٣٠٠.

فلم يجيباه إلى ماطلب، فشكا ذلك إلى رسول الله(ص)، فقال له: إن الله عزوجل قد زوج عثمان خيراً من ابنتك، وزوج ابنتك خيراً من عثمان...

وهذه الرواية و إن كانت صريحة في أن أم كلثوم أفضل من حفصة، و تلقي ظلالاً من الشك حول ماينسب إلى حفصة من الفضل... بالاضافة إلى أن سيرة حياتها وسلوكها مع النبي(ص) و بعده تجعل الباحث يميل الى ضد ذلك الذي ينسبه محبوها لها...

إلا أننا نجد: أن عرض عمر ابنته على أبي بكر، و عثمان غير مألوف، ولا معروف من الآباء، ولا ينسجم مع طبيعة العربي، وغروره، وحساسيته تجاه قضايا المرأة بشكل خاص، و بالأخص من قبل عمر، الذي له حساسية متميزة في هذا المجال، حتى لقد حرم زواج المتعة، الذي لم يكن معروفاً ولا مألوفاً في الجاهلية، انطلاقاً من هذه الحساسية بالذات، كما يبدو، ولذا فنحن نرى أن الرواية الاصوب والأقرب هي التي تقول:

«لما توفيت رقية خطب عثمان ابنة عمر حفصة؛ فردّه، فبلغ ذلك النبي(ص)، فقال: يا عمر، أولا أدلك على خير من عثمان؟، وأدل عثمان على خير له منك؟! قال: نعم يا نبي الله. قال: تزوجني ابنتك، وأزوج عثمان ابنتي. خرجه الخجندي(١)».

و يلاحظ: أنه لم يذكر في هذه الرواية: أن الله قد زوجه حفصة، و زوج عثمان أم كلثوم... وعدم ذكره هوالاقرب للصحة؛ فان زينب بنت جحش كانت تفتخر على نساء النبي بان الله هوالذي زوجها، أما هن فزوجهن أولياؤهن. ولوكان الله قد زوج حفصة حقاً لم يكن لكلام زينب هذا مجال..

وهكذا... فان الشواهد تتضافر على تأييد هذه الرواية الأخيرة... ولسوف يأتي ايضاً كلام مهم آخر عن زواجه(ص) من حفصة، حين الكلام على سر تعدد زوجاته(ص).

---

(١)— المواهب اللدنية ج ١ ص ٩٧، وذخائر العقبى ص ١٦٥.

٧- زينب بنت خزيمة في بيت النبي(ص):

وفي شهر رمضان المبارك من السنة الثالثة، وبعد تزوجه(ص) بحفصة، تزوج(ص) بزينب بنت خزيمة وماتت بعد شهرين، أو ثلاثة من اقترانها به، فهي أول أزواجه(ص) موتاً...

وقبل أن نمضي في الحديث لا بأس بأن نتوقف قليلاً لنلقي نظرة، ولنتأمل في الدوافع التي دعت النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم إلى تكثير زوجاته؛ فنقول:

دوافع تعدد زوجات النبي(ص):

إننا لابد- قبل طرح أي سؤال من ملاحظة مايلي:

إن حب الرجل للمرأة وإن كان أمراً طبيعياً، ولقد كان النبي(ص) رجلاً إنساناً؛ فمن الطبيعي أن يميل الى المرأة، ويشعر بالمتعة معها... ولكن أول ما يطالعنا في هذا المجال، هو أننا نلاحظ: أن أكثر زوجاته(ص) كن ثيبات: إما مطلقات، أو ترملن من أزواج قبله(ص)... مع أنه لوكان(ص) يهتم بأمور الجنس؛ فقد كان باستطاعته أن يتزوج خيرة الفتيات الابكار، ولوجد أولياء هن يفتخرون بمصاهرته لهم. وهوالذي حث وحبذوأثنى على الزواج بالابكار، ورغب فيه بشكل واضح وملموس...

ونلاحظ أيضاً: أنه(ص) وهو في مكة قد بقي٢٥ سنة مع زوجته الوفية، والتي كانت تكبره سناً على أشهر الأقوال، خديجة صلوات الله وسلامه عليها، ولم يتزوج عليها في حياتها أحداً، مع أن تعدد الزوجات كان مألوفاً لدى الناس آنئذٍ.

ونجده(ص) ثالثاً: يرفض عرض قريش عليه التزويج بأي النساء شاء، في مقابل أن يلين في موقفه، ويخفف من مواجهته لآلهتهم وعقائدهم.

ونلاحظ كذلك: أن نساءه(ص) كنّ على كثرتهنّ من قبائل شتى،

لا تكاد تجد منهن اثنتين من قبيلة واحدة، إلا من اللواتي لم يدخل بهن...

و بعد... فان جميع زوجاته - ايضا - باستثناء خديجة إنما دخلن بيت الزوجية عنده في المدينة المنورة، أي بعد أن تجاوز سن الخمسين، و بعضهن قبل وفاته (ص) بمدة قليلة.

وأيضاً... فـان هذا التعدد لم يشغل النبي (ص) عن واجباته، ولا أخرجه عن اتزانه، ولاطغى على وقته ونشاطه، كما أن تاريخ حياته (ص) يشهد: بأنه (ص) لم يكن يهتم بهذه الأمور، بل كان مثال العفاف والطهر البالغ، ولم يلوث نفسه بأي مما كانت الجاهلية تبيحه، وتشيع في مجتمعه ممارسته، ولم يستطع أحد من أعدائه أن يصمه بشيء من ذلك .

وأخيراً... فان مايجب الالتفات إليه هو: أنه (ص) قد خير زوجاته بين الرضا بحياة التقشف معه، و بين الطلاق والفراق...

و بعد ماتقدم فهل لنا الحق في أن نطرح هنا السؤال التالي؟!

إنه هل استيقظ فيه (ص) الشعور الجنسي في المدينة بالذات، و بعد شيخوخته، وفي أواخر عمره؟! و بالذات... هل استيقظ هذا الشعور على خصوص النساء اللواتي ترملن، أوطلقهن أزواجهن؟!.

اوهل أراد حقاً أن يتذوق نساء القبائل المختلفة في الجزيرة العربية؟!...

ولماذا اختص ذلك بالعربية دون غيرها؟!...

أسئلة تلح بالاجابة عنها بوعي، ومسؤولية، وإدراك ...

والجواب:

لا... فان ذلك كله لم يكن، و إنما كان زواجه المتعدد هذا لدوافع سياسية، واحكامية، و إنسانية... وانطلاقاً من مصلحة الاسلام العليا... ولتفصيل بعض مايمكن تفصيله نشير الى النقاط التالية:

١ً— إن بعض موارد ذلك الزواج كانت دوافعه إنسانية بحته، لكون تلك المرأة قد اسلمت وهاجرت، ثم توفي أوقتل عنها زوجها، ولا سبيل لها إلى الرجوع إلى أهلها المشركين؛ لأنها لا تستطيع أن تقاوم ضغوطهم النفسية والمادية عليها... هذا إن لم تتعرض للتعذيب الجسدي الوحشي، فيما لو أرادت أن تحتفظ بدينها وعقيدتها فيما بينهم... ولامعيل ولا كفيل لها في هذا المجتمع الجديد...

هذا بالاضافة إلى أن تأيمها سيطلق الالسنة والأهواء في حقها وفي اتهامها، ويجعلها تتعرض لضغوط— وحتى إلى اغراءات، ربما لا تناسبها ولا تناسب موقعها ومصيرها في هذا المجتمع الغريب عنها... هذا... إن لم يؤدّ ذلك إلى أزمات قبلية ونفسية لامبرر لها...

و إذن... فخير كافل وخير معين وحافظ و ولى هوالنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

٢ً— إن زواجه بجويرية قد نشأ عنه: أن يطلق المسلمون مئة أهل بيت وعند دحلان مئتين— كما يقولون— من الاسرى من قبيلتها، فأسلم من قومها خلق كثير، على حد تعبير المؤلفين في السيرة النبوية(١).

و إذن... فهذا نوع من أنواع التأليف على الاسلام والترغيب فيه، كما كان(ص) يتالفهم بطرق أخرى كبذل المال لهم، وتزويجهم، وتوليتهم بعض الأمور وغير ذلك ...

بل نجد عمرو بن العاص يذكر لنا نوعاً من أنواع التأليف لم يكن يخطر على بالنا؛ يقول عمرو: «كان رسول الله(ص) يقبل بوجهه، وحديثه على أشرّ القوم يتألفهم بذلك ، فكان يقبل بوجهه وحديثه علي، حتى ظننت أني خيرالقوم...» ثم ذكر أنه سأله عن نفسه وفلان وفلان وفلان، فأخبره أنهم افضل منه،فيقول عمرو : «فلو ددت أني لم أكن سألته(٢)».

---

(١)— سيرة المصطفى ص ٤٦٧.

(٢)— مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٥ عن الطبري بأسناد حسن، وفي الصحيح بعضه بغير سياقه، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٠٦ عن الترمذي في الشمائل ص ٢٥.

٣ً— إن زواجه بزينب بنت جحش قد كان لضرورة اقتضاها التشريع، حيث إنه(ص) كان قد تبنى زيدبن حارثة— زوجها— وكان العرب يعتقدون: أن آثار التبني هي نفس آثار البنوّة الحقيقية، فيحل له، ويحرم عليه، ويرث ويعامل— تماماً— كالابن الحقيقي بلافرق...

ولم يكن مجال لقلع هذا المفهوم الخاطئ إلا بالاقدام على عمل أساسي لامجال للريب، ولا للتأويل فيه... فكان زواج النبي(ص) من زوجة ابنه بالتبني هو الوسيلة الفضلى لقلع هذا المفهوم الخاطئ من أذهانهم... وهكذا كان...

٤ً— لقد كان بين كثير من القبائل التي كان عدد من زوجاته(ص) ينتمي إليها وبين المسلمين، وعلى رأسهم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم حروب وقتلى، وكان لقضية الثار والدم عندالعربي أهمية خاصة، كما المحنا إليه من قبل...

وبما أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد جاء لهداية الناس وإرشادهم، ولابد لهم من الايمان به، والتسليم لأمره ونهيه... بل لابد وأن تكون له مكانة ومحبة في نفوسهم تزيد على محبتهم لكل شيء آخر، حتى المال، والولد، والنفس بنص القرآن الكريم: «قل إن كان آباؤكم، وابناؤكم، واخوانكم، وأزواجكم، وعشيرتكم، وأموال اقتر فتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لايهدي القوم الفاسقين(١)».

نعم... لابد من ذلك ... ولكن وبعد أن اضطر الى مواجهتهم بالحرب، وقهرهم، وتمكن من السيطرة عليهم، كان لابد من تأليفهم وإيجاد علائق من نوع معين، تفرض عليهم، أو على الأقل على الكثيرين منهم— والنبي(ص) يهمه حتى الفرد الواحد—: أن يرتبطوابه، ويتعاملوا معه تعاملاً واضحاً، ومن مركز الثقة المتبادلة... ويقطع الطريق عليهم في أي موقف

---

(١)— التوبة ٢٤.

سلبي منه ومن دعوته...

وبعد أن يتمكن من شحنهم روحياً وعقائدياً يكون قد مهد الطريق للقضاء على الاحقاد والإحن... ويمكن— من ثم— العمل يداً واحدة من أجل هدف واحد، وفي سبيل واحد...

ولهذا نجده يتحمل من بعض تلك النسوة أذى كثيراً، ويواجه صعوبات جمة معها، ولكنه لايبادر الى قطع العلاقة معها نهائياً، وماذلك إلا لانه يتعامل مع زوجاته من موقفه السياسي الحرج، لامن جوّ بيت الزوجية(١).

٥ً— وكشاهد على ماتقدم نذكر: أن زواجه بحفصة مثلاً كان— على مايظهر زواجاً سياسياً؛ ويمكن أن يتضح ذلك من كلام أبيها عمر لها، حين طلقها النبي وأراد طلاقها مرة ثانية، فقد قال عمر لحفصة حينما تظاهرت هي وعائشة على النبي صلى الله عليه وآله، واعتزلها: «والله، لقد علمت: أن رسول الله لايحبك، ولولا أنا لطلقك رسول الله(ص)(٢)».

وحينما طلق رسول الله صلى الله عليه وآله حفصة في المرة الأولى، حثا عمر على رأسه التراب، وقال، مايعبؤالله بعمر، وابنته بعدها؛ فراجعها النبي رحمة لعمر(٣).

نعم... لقد كان موقف عمر حينما طلق النبي(ص) ابنته شديداً إلى الحد الذي يضطر معه النبي(ص) الى مراجعتها من جديد!!...

وقال لها أبوها عمر حينما أراد(ص) طلاقها في المرة الثانية: «إنه قد كان طلقك مرة، ثم راجعك من أجلي» أو: إن النبي طلقك وراجعك من

---

(١)— راجع كتاب: حديث الافك ص ١٦٥ للمؤلف...

(٢)— صحيح مسلم ج ٤ ص ١٦٥.

(٣)— اسدالغابة ج ٥ ص ٤٢٦، والاصابة ج ٤ ص ٢٧٣، والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٢٦٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٤ عن الطبراني.

أجلي، أو نحو ذلك (٢).

وبعد كل ماتقدم فانه يتضح: أنه لايصح قولهم: إنه(ص) إنما راجعها، لأن جبرئيل أمره بمراجعتها، لأنها صوامة قوامة(٢)... خصوصاً... وأن الصوامة القوامة لاتجعل النبي(ص) يضطر الى طلاقها مرتين، ثم يراجعها من أجل أبيها.

كذبة مفضوحة: ومن الكذب الواضح هنا ماروي من أنه لما طلقها النبي(ص) اغتم الناس. ودخل عليها خالها عثمان بن مظعون، وأخوه قدامة، فبينما هو عندها، وهم مغتمون، إذ دخل النبي(ص) على حفصة، وقال: ياحفصة، أتاني جبريل عليه السلام آنفاً؛ فقال: إن الله يقرؤك السلام، ويقول لك: راجع حفصة؛ فانها صوامة قوامة، وهي زوجتك في الجنة. وثمة نص قريب من هذا ورجاله رجال الصحيح (٣).

نعم... إن هذا من الكذب الواضح؛ فان عثمان بن مظعون قد توفي قبل زواج النبي(ص) بها بمدة، وقضية الطلاق إنما حصلت في قضية لهامع ماريه التي قدمت الى المدينة سنة سبع أوثمان...

هذا بالاضافة إلى أن الصوامة القوامة لايعهد منها أن تؤذي النبي إلى حد يضطر معه إلى طلاقها مرتين.

والتي تؤذي النبي لايعقل أن تكون معه في الجنة، والله تعالى يقول:

---

(١)— راجع هذه النصوص في: أسد الغابة ج ٥ ص ٤٢٦، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٤ عن الطبراني ورجاله رجال الصحيح، والاصابة ج ٤ ص ٢٧٣ عن أبي يعلى. وراجع: سيرة مغلطاي ص ٤٨.

(٢)— طبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٨ و ٥٩، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٤٤ عن البزار والطبراني، وأسد الغابة ج ٥ ص ٤٢٥ والاستيعاب بهامش الاصابة ج ٤ ص ٢٦٩، وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٢٣٨.

(٣)— راجع: مجمع الزوائد ج٩ ص٢٤٤ عن الطبراني في الاوسط وفي السند من لم يعرفهم وفي ص ٢٤٥ مايقرب من هذا النص، وقال: ان رجاله رجال الصحيح. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٧/٤١٦ وطبقات ابن سعد ج ٨ ص ٥٨.

«والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم(١)» وقال: «إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة، وأعدّلهم عذاباً مهينا(٢)».

وبعد هذا... فلايمكن أن نصدق: أن يأتي جبرئيل فيأمره بمراجعة من هذه حالها، ثم يحكم— علاوة على ذلك لها بالجنة...

وليراجع بعض قضاياها في بيت النبي في ترجمتها في قاموس الرجال، وغيره...

ولادة الامام الحسن(ع):

وولد الامام الحسن عليه الصلاة والسلام في النصف من شهر رمضان السنة الثالثة، على ماهو الأقوى؛ وكان رسول الله(ص) قد أمرهم أن يلفوه في خرقة بيضاء؛ فأخذه(ص)، وقبله، وأدخل لسانه في فيه، يمصّه إياه، وأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، وحلق رأسه، وتصدق بوزن شعره وَرِقاً (أي فضة) وطلى رأسه بالخلوق. ثم قال: يا أسماء، الدم فعل الجاهلية(٣)...

وسأل علياً عليه السلام، إن كان قدسماه؛ فقال عليه السلام: ماكنت لاسبقك باسمه. فقال(ص): ماكنت لاسبق ربي باسمه. فأوحى الله إليه: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى؛ فسمّه باسم ابن هارون. قال: وماكان اسمه؟. قال: شبر. قال: لساني عربي.

قال: سمه: «الحسن» فسماه الحسن(٤).

---

(١)— التوبة ٦١.

(٢)— الاحزاب ٥٧.

(٣)— راجع: البحار ج ٤٣ ص ٢٣٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨، فيظهر: أنهم كانوا في الجاهلية يطلون رأس المولود بالدم، فهو(ص) هنا ينهى عن ذلك ...

(٤)— البحار ج ٤٣ ص ٢٤١ وفي هامشه عن: علل الشرايع ج ١ ص ١٣١، ومعاني الاخبار ص ٥٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨، وغير ذلك وليراجع مناقب ابن شهر آشوب، عن مسند أحمد، وتاريخ البلاذري، وفردوس الديلمي ويقول بعض المحققين: انه لم يجد فى التوارة اسم شبر وشبير لابني هارون وقد ذكرت قصة ابناء هارون مفصلاً.

وهذا يدفع قولهم: إنهم سموا الحسن حرباً(١) أوحمزة؛ فان علياً في أدبه وفضله لم يكن ليسبق النبي(ص) في تسميته. وعقّ صلى الله عليه وآله وسلم عن الحسن بكبشين. وقيل: بكبش. وقيل: إن فاطمة عليها السلام هي التي عقت عنه، وهو بعيد، مع وجود ابيها وزوجها عليهما الصلاة والسلام...

وبقي أن نشير هنا إلى مايلي:

الف: ذكر اسماء بنت عميس هنا:

إنه قد ورد في عدد من الروايات ذكر لاسماء بنت عميس هنا(٢) واسماء إنما كانت حين ولادة الحسن(ع) في الحبشة؛ فالظاهر: أن ذلك اشتباه من الرواة، حيث زادوا كلمة: «بنت عميس» تبرعاً من عند أنفسهم جرياً على عادتهم، لأنها هي الاعرف...

والمقصود هنا هو اسماء بنت يزيد الانصارية وليس هذا الاشتباه إلا في بعض الروايات فان رواية العيون(٣) لاتحريف فيها.

وقد اشتبه الأمر على المحقق التستري هنا(٤) بسبب اشتباهه في كيفية قراءة الخبر، فان السجاد يروي عن اسماء بنت عميس، وهي تروي عن فاطمة، عن اسماء بنت يزيد الانصارية، وفي الرواية تارة يكون الكلام للسجاد، فيكون مراده بنت عميس، وأخرى يكون الكلام لبنت عميس، فيكون مرادها اسماء الانصارية.

كما أن قولها في الرواية: «فدفعته» اعتبر المحقق التستري: أن التاء فيه للمتكلم، مع أنها تاء التأنيث، وهكذا... فراجع.

---

(١)— راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨ عن أحمد، وابن أبي حاتم، والبحار ج ٤٣ ص ٢٥٤ و ٢٥٥ عن كشف الغمة، والاخبار الدخيلة ص ١٣ عن العيون ص ١٩٥.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٧، وذخائر العقبى، والبحار ج ٤٣ ص ٢٥٥.

(٣)— الاخبار الدخيلة ص ١٣/١٤ عن العيون ص ١٩٥.

(٤)— راجع: الاخبار الدخيلة ص ١٣/١٤.

وعليه فلامعنى للحكم على هذه الرواية التى ذكرها التستري بأنها فيها تحريف أصلاً.

و يذكر هنا: أن اسماء كانت حينئذٍ في الحبشة، وقد أرضعت هناك ابن النجاشي ملك الحبشة، فصار لها منزلة عندهم (١).

باء: الحسن والحسين، اسمان جديدان:

لقد ذكر البعض: أن العرب ماكانوا يعرفون اسمي: «الحسن، والحسين» إلى حين تسمية النبي(ص) لهما بهما، لا الذين كانوا من ولد نزار، ولا اليمن، مع سعة أفخاذهما، وكثرة ما فيها من الاسامي، وانما يعرف فيها «حسْن وحَسِين» على وزن سعد، وسعيد. فهما اسمان قدادّخرهما الله لهما(٢).

جيم: ارضاع أم الفضل للحسن:

لقدرووا: أن أم الفضل، زوجة العباس، قالت: قلت: يا رسول الله صلى الله عليك ، رأيت في المنام: كأن عضواً من اعضائك في حجري. فقال(ص): تلد فاطمة غلاماً، فتكفليه؛ فوضعت فاطمة الحسن،فدفعه إليها النبي(ص)،فرضعته بلبن قثم بن العباس(٣).

ونحن نشك في هذه الرواية لأن العباس لم يكن قدهاجر حينئذٍ إلى المدينة. و كانت زوجته معه في مكة.

كما أننا نجدالبعض ينكر أن يكون لقثم صحبة أصلاً(٤).

---

(١)— نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٨١.

(٢)— البحار ج ٤٣ ص ٢٥٢/٢٥٣ عن المناقب عن ابي الحسين النسابة، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢١٨، وليراجع اسدالغابة ايضاً...

(٣)— راجع: البحار ج ٤٣ ص ٢٤٢ و ٢٥٥، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤١٨/٤١٩ عن الدولابي والبغوي في معجمه، والاصابة ج ٣ ص ٢٢٧ وج ٤ ص ٤٨٧ عن ابن سعد بسند جيد، و قاموس الرجال ج ٧ ص ٢٨٤ عن نسب مصعب الزبيري.

(٤)— راجع الاصابة، ترجمة قثم...

وقد رويت هذه الرواية تقريباً عن أم ايمن، وأنها أرضعت الحسين(ع)، إلا أن فيه بدل في حجري: «في بيتي»(١) فلعل هذه الرواية هي الصحيحة ثم نسبت الى أم الفضل من قبل العباسيين، الذين يهمهم اثبات أمر كهذا لمن ينتسبون إليه...

---

(١)– البحار ج ٤٣ ص ٢٤٢/٢٤٣ عن امالي الصدوق، وعن المناقب، وقال: أخرجه القيرواني في التعبير، و صاحب فضائل الصحابة..

الفصل الثاني

قضايا وأحداث في المجال العام

تحويل القبلة:

وقد جاء في الروايات: أنه بعد بدركان تحويل القبلة من بيت المقدس الى الكعبة(١) وفي تفسير القمي: ان ذلك كان بعد الهجرة بسبعة اشهر، وصحح صاحب تفسير الميزان: أن ذلك كان في رجب، وقيل في النصف من شعبان. إلى غير ذلك مما لامجال لتتبعه...

وكان صلى الله عليه وآله وسلم حين قدم المدينة يتوجه إلى بيت المقدس فصار اليهود يعيرونه، و يقولون: أنت تابع لنا تصلى إلى قبلتنا...

فاغتم رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك غماً شديداً، وكان قد وعد بتحويل القبلة، فخرج في جوف الليل يقلّب وجهه في السماء، ينتظر أمرالله تعالى في ذلك، وأن يكرمه بقبلة تختص به...

فلما أصبح وحضرت صلاة الظهر— وقيل العصر— وكان في مسجد بني سالم، صلى الظهر بهم ركعتين؛ فنزل جبرئيل، فأخذ بعضديه، فحوله إلى الكعبة، فاستدارت الصفوف خلفه؛ فانزل الله عليه:

«قد نرى تقلب وجهك في السماء، فلنو لينك قبلة ترضاها، فولّ وجهك شطر المسجد الحرام، وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره(٢)».

---

(١)— الوسائل ج ٣ أبواب القبلة باب ٢ حديث ١ و ٢ و ١٢ و ١٧ وفي هوامشها اشارة إلى مواضع عديدة من الكتاب والى مصادر كثيرة أيضاً.

(٢)— البقرة ١٤٤.

فصلى ركعتين إلى الكعبة...

فقالت اليهود، الذين شق عليهم ذلك، والسفهاء: «ماولاّ هم عن قبلتهم التي كانوا عليها(١)».

و يقال: إن المسجد الذي جرى فيه ذلك سمي بـ «مسجد القبلتين»، وقيل: بل سمي به مسجد آخر، بلغ المصلين فيه تحوّل النبي إلى الكعبة، فتحولواهم أيضاً في وسط صلاتهم، فسمي مسجدهم بذلك...

تفسير و تحليل:

وجاء في بعض الاخبار عن الامام العسكري صلوات الله وسلامه عليه: ان هوى أهل مكة كان في الكعبة؛ فأراد الله أن يبين متبع محمد من مخالفه باتباع القبلة التي كرهها، ومحمد يأمرها...

ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها، والتوجه إلى الكعبة ليبين من يتبع محمداً فيما يكرهه، فهو مصدقه وموافقه إلخ(٢)...

ولايخفى أن ماذكر في هذه الرواية هومن حكَم تحويل القبلة، وفوائده، لا أنه هو السبب الأول والأخير لذلك... هذا كله على فرض صحة الرواية، والا فقد جاءبسند جيد مامفاده: أنه(ص) لم يكن يجعل الكعبة خلف ظهره في مكة بل كان يستقبلها هي و بيت المقدس معاً... ولكنه في المدينة استقبل بيت المقدس دون الكعبة حتى حُوِّل إليها(٣).

مناقشات لابد منها

وربما يقال: كيف يغتم صلى الله عليه وآله وسلم لتعيير اليهود، فان

---

(١)ـ البقرة ١٤٢... وراجع: البحار ج ١٩ ص ١١٤ و ١٩٥ و ٢٠٢، واعلام الورى ص ٧١، وتفسير القمي ج ١ ص ٦٣، وراجع أيضاً: السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٨/١٣٠، وتفسير الميزان ج ١ ص ٣٣٣/٣٣٤ عن الفقيه، ومجمع البيان والوسائل ج ٣ أبواب القبلة، الباب الأول والثاني...

(٢)ـ تفسير الميزان ج ١ ص ٣٣٣، وليراجع: البحار ج ١٩ ص ١٩٧.

(٣)ـ راجع: الوسائل ج ٣ ص ٢١٦.

وجود حكم شرعي موافق لهم، لايوجب غمه، ولا فعالية تعييرهم إياه؛ إذ ما اكثر الاحكام التي من هذا القبيل؛ فلماذا اختاروا منها تعييره في موضوع القبلة فقط؟!... ولو قبلنا: أنهم فعلوا ذلك، فانه صلى الله عليه وآله اذا كان يعلم أن في هذا الحكم مصلحة، فانه يأنس به، و يرتاح له، ولا تأخذه في الله لومة لائم، ولذا فهولايغتم لتعيير أحد...

ويمكن الجواب عن ذلك: أنه يمكن أن يكون(ص) يرى: أن ذلك يهيئ الفرصة لاعداء الاسلام لفتنة المؤمنين عن دينهم، وصد غيرهم عن التوجه إليه، والدخول فيه؛ فانه حينئذٍ يغتم و يهتم... و ينتظرالاذن من الله بتحو يل القبلة لتفو يت الفرصة على أعدائه... الذين سوف لن يدعوه وشأنه والذين يعيشون في المتناقضات... فإذا صلى إلى قبلتهم عيروه، و إذا تحول عنها، فسيقول السفهاء من الناس ماولاّهم عن قبلتهم التي كانوا عليها... نعم وهذه هي طبيعة الانسان الذي لايرى نفسه مسؤولاً عن مواقفه وحركاته وكلماته. ولاينطلق في مواقفه إلا من موقع السفه، وعدم التثبت...

البراء بن معرور لم يصلّ لغير الكعبة:

و يذكرهنا: أن البراءبن معرور خرج في سفر مع بعض قومه، فقال لهم: «يا هؤلاء، قد رأيت ألا أدع هذه البنية— (يعني الكعبة) مني بظهر، وأن أصلي إليها» فقالوا له: والله، مابلغنا: أن نبينا يصلي إلا إلى الشام، ومانر يد أن نخالفه.

فأصرّ البراء على الصلاة إلى الكعبة، فكان يصلي إليها، وهم يصلون إلى الشام، حتى قدموا مكة، فسأل النبي(ص) عن ذلك، فقال(ص): «لقد كنت على قبلة لوصبرت عليها»، فرجع البراء إلى قبلة النبي(ص)، فصلى إلى الشام. وأهله يزعمون أنه صلى إلى الكعبة حتى مات.

ولما حضره الموت أوصى أن يدفن، وتستقبل به الكعبة، ففعلوا...

وكانت وفاته في صفر قبل قدوم النبي(ص) المدينة مهاجراً بشهر(١).

ونحن نلاحظ هنا: أنه(ص) لم يحكم ببطلان عمل البراء، ولا لامه على مافعله، غاية ماهناك أنه أعلمه أنه قد استعجل الأمر...

و يستفاد من هذا أن موافقة الحكم الانشائي مقبولة إلى حدّما... بل إن النبي(ص) نفسه كان يمتثل هذا الحكم الانشائي، حيث كان يتوجه إلى بيت المقدس، جاعلاً الكعبة بين يديه... وأما في المدينة... فقد نسخ الاتجاه إلى بيت المقدس من الاساس، بجميع مراتبه، ولم يكن يمكن استقبال الكعبة و بيت المقدس معاً، فلم يكن ثمة، خيار في ترك بيت المقدس، الى الكعبة...

إلا أن يقال: إنه ليس في المقام حكم إنشائي، بالنسبة إلى الكعبة، بل كان الحكم فعلياً، على نحو التخيير مثلا مع أرجحية بيت المقدس لمصلحة وقتية...

تحوّل المصلين كيف كان:

وتواجهنا هنا أيضاً رواية تقول: إنه لما أُخبر بنو عبدالاشهل بتحو يل القبلة، وهم في الصلاة، وقد صلوا ركعتين إلى بيت المقدس، تحول النساء مكان الرجال، والرجال مكان النساء، وجعلوا الركعتين الباقيتين إلى الكعبة، فصلوا صلاة واحدة إلى قبلتين(٢).

وفي رواية أخرى: ان جبرئيل أخذ بيد النبي(ص) فحوّل وجهه إلى الكعبة، وحول من خلفه وجوههم حتى قام الرجال مقام النساء، والنساء مقام الرجال إلخ(٣).

وهذا يعني: أن النبي صلى الله عليه وآله قد ذهب مع جبرئيل الى

---

(١)ـ أسدالغابة ج ١ ص ١٧٣ـ١٧٤ والاستيعاب هامش الاصابة ج ١ ص ١٣٦ـ١٣٧ و قاموس الرجال ج ٢ ص ١٦٠/١٦٧.

(٢)ـ الوسائل ج ٣ ص ٢١٦ والتهذيب ج ١ ص ٤٤.

(٣)ـ الوسائل ج ٣ ص ٢١٩، والفقيه ج ١ ص ١٧٨.

الناحية الأخرى من المسجد وكذلك المصلون من الرّجال، ثم جاء النساء الى مكانهم فوقفن هناك .

وهكذا جرى في بني عبدالاشهل أيضاً...

وهذا يدل على أن السير الذي كان في المسجد من ناحية إلى ناحية لم يقدح في صحة صلاتهم تلك، مادام ان تحولهم هذا قدكان بامر من الله وفى طاعته.

ولكن ذلك لايدل على عدم قادحية هذا المقدار من السير فى سائر الصلوات في الظروف العادية لاحتمال اختصاص هذا التسامح بهذه الصلاة دون غيرها على الاطلاق.

ثار قريش بأرض الحبشة:

وحين مني مشركوا قريش بتلك الهزيمة القاتلة في بدر قالوا: إن ثارنا عند ملك الحبشة، فلنرسل الى ملكها ليدفع الينا من عنده من أتباع محمد، فنقتلهم بمن قتل منا؛ فأرسلوا عمروبن العاص، وعبدالله بن أبي ربيعة، ومعهما الهدايا و التحف...

فعرف الرسول (ص) بالأمر، فأرسل إلى النجاشي كتاباً يوصيه فيه بالمسلمين.

و يقولون: إن رسوله له كان عمروبن أمية الضمرى

ولكن ذلك محل شك ؛ فان عمرواً لم يكن قد اسلم بعد، لأنه إنما اسلم بعد أحد وهو إنما حمل كتاباً آخر ارسله النبي(ص) سنة ست أوسبع، كما سيأتي ان شاء الله تعالى...

وعلى كل حال... فقد رفض النجاشي طلب عمرو، و رجع من مهمته خائباً خاسراً؛ لأن المسلمين كانوا عند ملك لايظلم عنده أحد، على حد تعبيره (ص) عنه حسبما تقدم؛ ولأن النجاشي كان مسلماً سراً، كمايظهر من فرحه بنتائج حرب بدر...

هذا... وتذكرهنا أمور تدل على إسلام عمرو بن العاص حينئذٍ، وقد اضربناعنها، لأن من الثابت أنه لم يسلم إلا بعد سنوات من ذلك، وإنما يراد اثبات فضيلة له لا تثبت...

نهاية أبي لهب:

وبعد واقعة بدر بايام كانت نهاية أبي لهب لعنه الله تعالى، فقد أصيب بالعدسة، فقتلته، وهي بثرة من جنس الطاعون، تخرج في موضع من الجسد، تقتل صاحبها غالباً...

وقد تركه ابناه ليلتين، أوثلاثاً بلادفن، حتى انتن، وعابهم البعض على ذلك ،فاستحيوا، ودفنوه. بأن وضعوه الى جنب جدار، ثم قذفوا الحجارة عليه حتى واروه(١)... وهكذا فلتكن نهاية الظالمين والمشركين شراً وماهم عليه من الشرك في الشر اعظم واعظم.

غلبة الروم على الفرس:

وفي هذه السنة الثانية من الهجرة كانت غلبة الروم على فارس. ويقال: إن ذلك قد كان في نفس اليوم الذي التقى فيه الرسول بالمشركين في بدر، فنصر عليهم...

وفرح المسلمون بانتصار الروم هذا؛ لأن الروم كانوا أهل كتاب، و فارس مجوس لا كتاب لهم...(٢)

وقد ذكر الله ذلك في كتابه العزيز، فقال: الم. غلبت الروم في أدنى الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون. في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد و يومئذٍ يفرح المؤمنون بنصرالله...

---

(١)— البحار ج ١٩ ص ٢٢٨ وطبقات ابن سعد ج ٤ قسم ١ ص ٧٣، والبداية و النهاية ج ٣ ص ٢٠٨ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢، و مجمع الزوائد ج ٦ عن البزار والطبراني، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٥٨٧/٥٨٨ عنهم وعن دلائل أبي نعيم ص ١٧٠.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٨.

إلا أن من المحتمل قريباً أن يكون مراد الآية الأخيرة: أنهم يفرحون بنصرالله لهم في بدر، لابنصر الروم على الفرس...

رهان أبي بكر:

وتذكرهنا قضية ملخصها إن المشركين كانوا يحبون غلبة الفرس، لأنهم أصحاب اوثان، و كان المسلمون يحبون غلبة الروم لأنهم أصحاب كتاب... فأخبر النبي وهوفي مكة بأن الروم سيغلبون الفرس، فقامر أبوبكر المشركين: إن ظهر الروم فله كذا، وان ظهر الفرس فلهم كذا إلى خمس سنين (وذلك قبل أن يحرّم القمار)؛ فأمره رسول الله(ص) بزيادة المدة معهم، فزادها. فلما ظهرت الروم قمر أبوبكر، و حصل على ما أراد من المشركين، وعند كثيرين أنهم ظهروا عليهم في الحديبية لافي بدر(١).

مناقشة رواية الرهان:

ونحن لانصدق هذه الرواية أما:

أولاً: فلتناقض صورها. و نكتفي بذكر التناقضات التي أشارااليها العلامة الطباطبائي مع بعض الزيادات، قال أيده الله.

أقول: وفي هذا المعنى روايات أخر مختلفة المضامين في الجملة، ففي بعضها: أن المقامرة كانت بين أبي بكر و أبيبن خلف (و فلي البداية و النهاية ج ٣ ص ١٠٨: أمية بن خلف) وفي بعضها: أنها كانت بين المسلمين و المشركين، كان أبوبكر من قبل المسلمين، و أبي من قبل المشركين.

وفي بعضها: أنها كانت بين الطائفتين. و في بعضها: بين أبى بكر

---

(١)— راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٥٠ و ١٥١ عن أحمد، والترمذي، وحسنه النسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، و الطبراني في الكبير، والحاكم و صححه، وابن مردو يه، والبيهقي في الدلائل، والضياء في المختارة، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٢٩٨، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٨ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٦٩ عن بعض من تقدم وعن ابن جرير وعن تفسير ابن كثيرج ٣ ص ٤٢٢ و ١٠٨ و غيرذلك...

والمشركين كمافي هذه الرواية. و في بعضها ان الاجل المضروب: ثلاث سنوات وفي بعضها: خمس، وفي بعضها: ست، وفي أخرى: سبع. ثم الاجل المضروب اولاً انقضى بمكة، وهو سبع سنين؛ فمادّهم ابوبكر سنتين بامر النبي (ص)؛ فغلبت الروم. و في بعضها خلافه.

ثم في بعضها: أن الأجل الثاني انقضى بمكة. و في بعضها: أنه انقضى بعدالهجرة.

وكانت غلبة الروم يوم بدر. وفي بعضها: يوم الحديبية...

وفي بعضها: ان أبابكر لما قمرهم بغلبة الروم أخذ منهم الخطْر، وهو ماءة قلوص، وجاء به إلى النبي (ص)؛ فقال: إنه سحت، تصدق به(١) انتهى.

و من التناقضات: أن الخطر في بعضها: أربعة قلائص، و في بعضها: خمس. و في بعضها: عشر. و في أخرى: مئة. إلى غير ذلك من وجوه الاختلاف التي تظهر بالمراجعة والمقارنة...

وثانياً: قال العلامة الطباطبائي أيضاً:

«والذي تتفق فيه الروايات: أنه قامرهم؛ فقمرهم. وكان القمار باشارة النبي(ص). ووُجّه ذلك (أي في نفس الرواية كمافي بعض نصوصها) بأنه: كان قبل تحريم القمار؛ فانه قد حرم مع الخمر في سورة المائدة، وقد نزلت في آخر عهدالنبي (ص).

وقد تحقق بماقدمناه في تفسير آية الخمر والميسر: أن الخمر كانت

---

(١)— تفسير الميزان ج ١٦ ص ١٦٣، وللوقوف على المزيد من التناقضات، راجع: الدرالمنثور ج ٥ ص ١٥٠—١٥٣ عن مصادر أخرى غير ماقدمناه في هامش الصفحة السابقة، مثل مانقله عن: ابن جرير، وابي يعلى، و ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر، والترمذي و صححه، والدارقطني في الافراد، والطبراني، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي في شعب الايمان، وابن الحكم في فتوح مصر، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٦٩.

محرمة في أول البعثة. و كان من المعروف عن الدين أنه يحرم الخمر والزنا.. على أن الخمر والميسر من الاثم بنص آية البقرة: «يسألونك عن الخمر والميسر، قل: فيهما اثم كبير» الآية ٢١٩. والاثم محرم بنص آية الاعراف: «قل: إنما حرم ربي الفواحش ماظهر منها ومابطن، والاثم والبغي» الآية... الاعراف ٣٣. والاعراف من العتائق النازلة بمكة؛ فمن الممتنع: أن يشير النبي (ص) بالمقامرة.

وعلى تقدير تأخر الحرمة إلى آخر عهدالنبي(ص)، يشكل قوله لابي بكر، لما أتي بالخطر إليه: إنه سحت. ثم قوله: تصدق به؛ فلاسبيل إلى تصحيح شيئ من ذلك بالموازين الفقهية. و قدتكلفوا في توجيه ذلك بما يزيدالأمراشكالاً...

ثم إن مافي الرواية: ان الفرس كانوا عبدة أوثان،لايوافق ماكان عليه القوم؛ فانهم وان كانوامشركين، لكنهم كانوا لايتخذون أوثاناً(١).

تتميم وتعقيب: ونقول: ان كلام سيدنا العلامة هنا صحيح، إلا أنه يمكن الاجابة على الفقرة الأخيرة، فيقال: إن عبارة الرواية، هكذا: «كان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم؛ لأنهم أصحاب أوثان. و كان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أصحاب كتاب». فمن غيرالبعيد: أن يكون قوله: «لأنهم أصحاب أوثان» راجع للمشركين، أي أن سبب محبة المشركين لغلبة الفرس، هوكون المشركين أصحاب أوثان لاكتاب لهم؛ فأشبهوا الفرس في عدم الكتاب لهم، و لذلك فهم يميلون إليهم... وعلة محبة المسلمين لغلبة الروم هو كون المسلمين أصحاب كتاب، أي والروم كذلك...

سدّ الابواب في المسجد إلاباب علي(ع):

ولابأس بالتعرض هنا لقضية سدّ الابواب الشارعة في المسجد، غير

---

(١)– تفسير الميزان ج ١٦ ص ١٦٣/١٦٤.

باب علي أمير المؤمنين عليه السلام... فنقول

لقد رأينا: أن في الأخبار مايدل على أن هذه الحادثة قد كانت قبل استشهاد حمزة، وقبل وفاة رقية..

١ــ فعن أمير المؤمنين عليه السلام: لما أمر رسول الله (ص) بسدالابوب التي في المسجد خرج حمزة يجرقطيفةً حمراء، وعيناه تذرفان يبكي؛ فقال: ما أنا أخرجتك، وأنا اسكنته، ولكن الله اسكنه(١).

٢ــ وبهذا المعنى رواية أكثر تفصيلاً عن سعدبن أبي وقاص، فراجع...(٢).

٣ــ عن أبي الحمراء حبة العرني، قال: لما أمر رسول الله (ص) بسدالابواب التي في المسجد شق عليهم. قال حبة: إني لأنظر الى حمزة بن عبدالمطلب، وهو يجرّ قطيفة حمراء، وعيناه تذرفان يقول: أخرجت عمك، وأبابكر وعمر، والعباس واسكنت ابن عمك الخ...(٣).

لكن ذكر العباس فى الرواية في غير محله إذا كان حمزة هوالقائل له (ص)؛ لأن العباس لم يأت إلى المدينة إلا بعد سنوات من استشهاد حمزة، فلابد وأن يكون ذلك من اقحام الرواة...

٤ــ وفي نص آخر عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: قال رسول الله (ص): انطلق فرهم، فليسدوا أبوابهم؛ فانطلقت، فقلت لهم، ففعلوا إلاحمزة؛

---

(١)ــ الغدير ج ٣ ص ٢٠٨ عن أبي نعيم في فضائل الصحابة. ورواه السمهودي في وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٧ عن يحيى من طريق ابن زبالة وغيره عن عبدالله بن مسلم الهلالى عن أخيه، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٢.

(٢)ــ ملحقات إحقاق الحق ج ٥ ص ٥٦٠ عن ارجح المطالب ط لاهور ص ٤٢١ عن ابي سعد في شرف النبوة...

(٣)ــ الدرالمنثور ج ٦ ص ١٢٢، والاصابة ج ١ ص ٣٧٣، واحقاق الحق ج ٥ ص ٥٧٠ عن أرجح المطالب ص ٤٢١ عن ابن مردويه وفضائل الخمسة ج ٢ ص ١٤٩.

فقلت: يا رسول الله، فعلوا الاحمزة؛ فقال رسول الله: قل لحمزة: فليحول بابه. فقلت: إن رسول الله يأمرك أن تحول بابك ؛ فحوله؛ فرجعت إليه، وهو قائم يصلي، فقال: إرجع إلى بيتك (١)...

٥— وهناك رواية أخرى عن حذيفة بن أسيد تذكر: أن رقية كانت حينئذٍ على قيد الحياة بالاضافة إلى حمزة، ففيها— أنه بعد أن أرسل إلى ابي بكر و عمر فأمرهما بسد أبوابهما ففعلا: «ثم أرسل إلى عثمان— وعنده رقية— فقال: سمعاً وطاعة، ثم سدبابه»... إلى أن قال: «فقال له النبي (أي لعلي): اسكن طاهراً مطهراً. فبلغ حمزة قول النبي(ص) لعلي. فقال: يا محمد، تخرجنا و تمسك غلمان بني عبدالمطلب؟ فقال له نبي الله: لا، لوكان الامرلي ما جعلت من دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلاالله، و إنك لعلى خير من الله و رسوله، أبشر؛ فبشره النبي(ص)؛ فقتل يوم أحد شهيداً(٢)».

ونحن نستبعد جرأة حمزة على النبي(ص) بهذا النحو... فلابد وان يكون قد تساءل عن سرّ هذا التصرف، كما تساءل غيره؛ فاجابه بان الامر قد جاء من قبل الله تعالى...

٦— و في رواية أخرى عن رجل من اصحاب رسول الله: أنه خرج مناديه (ص) يامرهم بسدابوابهم، فلم يقم أحد، و في الثالثة: خرج، فقال: سدوا ابوابكم قبل أن ينزل العذاب، فخرج الناس مبادرين، و خرج حمزة بن عبدالمطلب يجر كساءه حين نادى سدوا أبوابكم الخ... إلى أن قال... فقالوا: سدابوابنا و ترك باب علي، وهو أحدثنا؟، فقال بعضهم: تركه لقرابته.

---

(١)— كنزالعمال ج ١٥ ص ١٥٥ و ١٥٦ عن البزار، و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٨ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٥ باسناد رجاله ثقات، الاحبة العرفي وهوثقة، و ذكره الاميني في الغدير ج ٣ ص ٢٠٩ عن المجمع وعن السيرة الحلبية ٣ ص ٣٧٤.

(٢)— مناقب الامام علي لابن المغازلي ص ٢٥٤ و ٢٥٥ و الطرائف لابن طاووس ص ٦٢، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٣١/٣٣٢، وعن عمدة ابن بطريق ص ٩١، ونقله في احقاق الحق ج ٥ ص ٥٦٨/٥٦٩ عن المناقب لعبدالله الشافعي و عن أرجح المطالب ص ٤١٥ عن ابن مردو يه وابن المغازلي.

فقالوا: حمزة أقرب منه، وأخوه من الرضاعة، وعمه إلخ(١)...

ولكننا نجد في مقابل ذلك، مايدل على أن هذه القضية قد كانت بعد فتح مكة، إذ قد جاء في بعض رواياتها ذكر للعباس عم النبي(ص)، والذي لم يقدم المدينة إلا بعدالفتح...

١ً- فعن أبي سعيد الخدري: وأخرج رسول الله عمه العباس، وغيره من المسجد، فقال له العباس: تخرجنا، ونحن عصبتك وعمومتك، وتسكن علياً؟! فقال: ما أنا اخرجتكم وأسكنته، ولكن الله أخرجكم واسكنه(٢).

٢ً- وهناك رواية عن علي في ذلك، و يصرح فيها باسم العباس(٣).

٣ً- عن جابر بن سمرة، قال: أمر رسول الله(ص) بسد الأبواب كلها غير باب علي. فقال العباس: يا رسول الله، قدرما أدخل اناوحدي وأخرج؟ قال: ما أمرت بشيء من ذلك، فسدها غير باب علي. قال: وربما مر وهو جنب(٤).

ولكن نفس هذه الرواية تقريباً... قد رو يت عن جابر بن سمرة، وفيها: أن رجلاً قال ذلك ولا تصرح بالاسم(٥).

٤ً- وثمة رواية أخرى عن سعد بن أبي وقاص تصرح باسم

---

(١)- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٨/٤٧٩ عن ابن زبالة، ويحيى.

(٢)- مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١٧، وراجع: وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٩ عن يحيى، وكشف الغمة ج ١ ص ٣٣٢.

(٣)- راجع: كنزالعمال ج ١٥ ص ١٥٥، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٥١، ومجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤، ومنتخب الكنز بهامش المسند ج ٥ ص ٥٥.

(٤)- مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤-١١٥ عن الطبراني، بسند فيه ناصح، وهو متروك، والقول المسدد ص ٢٣ و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٨٠، والغدير ج ٣ ص ٢٠٦ عن بعض من تقدم، وعن: السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧٤، وعن نزل الابرار ص ٣٥ واحقاق الحق ج ٥ ص ٥٥٥ عن مصادر أخرى.

(٥)- وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٩/٤٨٠.

العباس... ولكن لها نص آخر جاء فيه: أن عمه اعترض عليه، من دون تصريح بالاسم(١).

٥ـ وعن ابى الطفيل في حديث منا شدة علي للمجتمعين يوم الشورى قال(ع): «سد النبي أبواب المهاجرين وفتح بابي، حتى قام إليه حمزة والعباس؛ فقالا: يا رسول الله سددت ابوابنا وفتحت باب علي؟ فقال النبي: ما أنا فتحت إلخ...(٢)».

ونحن نرجح: أن حديث سد الابواب قد كان قبل استشهاد حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله تعالى عليه... وذلك لعدم وجود اختلاف في الروايات الدالة على ذلك من جهة... ولأننا نستبعد: أن يترك الصحابة اكثر من ثمان سنوات يمرون في المسجد حتى في حال الجنابة من جهة ثانية... ولأننا كذلك نجد في ذكر كلمة «عمه» في بعض الروايات، ثم إبدالها بكلمة «العباس» في غيرها مايشير إلى أن هذه الزيادة ـ عن عمد، أو عن غير عمد ـ قد جاءت من قبل الرواة أنفسهم اما اعتماداً على ما هو المركوز في أذهانهم، أولهدف سياسي معيّن...

وأخيراً... فان ذكر رقية في بعض النصوص الأخرى يؤيد بل يدل على صحة الروايات التي تصرح باسم حمزة رضوان الله تعالى عليه، لأن رقية قد توفيت في السنة الثانية، إما بعد بدر مباشرة، أو في ذي الحجة، كما تقدم...

حديث سد الأبواب... في مصادره:

وقد ذكرت المصادر الكثيرة جداً بالاسانيد الكثيرة الصحيحة: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد أمر بسد الأبواب، الاباب علي فأحدث ذلك هزة عنيفة بين المسلمين... ولاسيما وانه قد اجازله أن يدخل المسجد وهو جنب، كما في النصوص.

---

(١)ـ خصائص النسائي ص ٧٥/٧٤ واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٤٦، والغدير ج ٣ ص ٢٠٧ عن الأول.

(٢)ـ مناقب الخوارزمي الحنفي ص ٢٢٥.

وقال الناس في ذلك — ولاسيما قريش— قالوا: سددت أبوابنا، وتركت باب علي؟! فقال: ما بأمرى سددتها، ولا بأمري فتحتها. أو قال: ما أنا أخرجتكم من قبل نفسي وتركته، ولكن الله أخرجكم وتركه، و إنما أنا عبد مأمور، ما أمرت به فعلت، إن أتبع إلا مايوحى إلي... أو ماهو قريب من هذا...

وفي بعض النصوص: أنه صعد المنبر، وهو في حالة غضب، بعد أن عصوا أمره مرتين، ولم يطيعوا الا في الثالثة.

وعلى كل حال... فان مختلف النصوص تؤكد غضبهم وحنقهم من هذا الأمر...

و يقول الجويني «حديث (سد الابواب) رواه نحو من ثلاثين رجلاً من الصحابة، أغربها حديث عبدالله بن عباس(١)».

وقد روى له السيوطي فقط حوالي أربعين طريقاً على ماقاله الحجة الشيخ المظفر(٢).

وممن رواه من الصحابة: علي(ع)، عمر بن الخطاب، ولده عبدالله، زيدبن أرقم، البراء بن عازب، عبدالله بن عباس، أبوسعيد الخدري، جابر بن سمرة، أبو حازم الاشجعي، جابر بن عبدالله، جابر بن سمرة، عائشة، سعدبن أبي وقاص، أنس بن مالك، بريده، أبو رافع مولى رسول الله (ص)، و حذيفة بن أسيد الغفاري، ابن مسعود أبوذر الغفاري، أم سلمة أم المؤمنين... ورواه أيضاً: عبدالمطلب بن عبدالله بن حنطب أبوالحمراء، وحبة العرني، وكيسان البراد وغيرهم(٣).

---

(١)— فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٨.

(٢)— دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦٦.

(٣)— راجع المصادر التالية: مسند احمد ج ٤ ص ٣٦٩ وج ٢ ص ٢٦، وج ١ ص ١٧٥ و ٣٣١، و مجمع الزوائد ج ٩ ص ١١٤ و ١١٥ و ١٢٠ والخصائص للنسائي ص ٧٢—٧٥، و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٥ و ١١٧ و ١٣٤، وتلخيصه للذهبي بهامشه، والقول المسدد ص ١٩—٢٦، ←

النواصب، وحديث سدالابواب:

وبعد كل ماتقدم فلايمكن أن يصغى لقول ابن الجوزي، وابن كثير، وابن تيمية: ان حديث سدالابواب ليس بصحيح، أو أنه من وضع الرافضة(١).

فان تواتر هذا الحديث في كتب اهل السنة وتصحيح حفاظهم لكثير

وفتح الباري ج ٧ ص ١٢—١٤، و إرشاد الساري ج ٦ ص ٨٤/٨٥، و وفاء الوفاء للسمهودي ج ٢ ص ٤٧٤—٤٨٠، والبحار ج ٣٩ ص ١٩—٣٤، عن كثير من المصادر والبداية والنهاية ج ٧ ص ٣٤٢، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٤٦—٣٥٤. والصواعق المحرقة ص ١٢١ و ١٢٢ و ١٢٥ والمناقب للخوارزمي ص ٢١٤ ٢٣٥ و ٢٣٨ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٥—٢٠٨ و مناقب الامام علي لابن المغازلي ٢٥٢—٢٦١ وسنن الترمذي ج ٥ ص ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١، و كنزالعمال ج ١٥ ص ٩٦ و ١٠١ و ١٢٠ و ١٥٥، و انساب الاشراف، بتحقيق المحمودي ج ٢ ص ١٠٦، والاصابة ج ٢ ص ٥٠٩، و فضائل الخمسة ج ١ ص ٢٣١ وج ٢ ص ١٤٩—١٥٧ وحلية الاولياء ج ٤ ص ١٥٣، والطرائف لابن طاووس ٦٠—٦٣، و ترجمة الامام علي(ع) من تاريخ ابن عساكر، بتحقيق المحمودي ج ١ ص ٢٥٢— ٢٨١ و ٣٢٧ و ٢١٩ وكفاية الطالب ص ٢٠١—٢٠٤ و تذكرة الخواص ص ٤١، و تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٥، والدر المنثور ج ٣ ص ٣١٤، وعلل الشرايع ص ٢٠١/٢٠٢ و كشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٣٣٠—٣٣٥، و ينابيع المودة ص ٢٨٣، ومنتخب كنزالعمال بهامش مسند أحمد ج ٥ ص ٢٩، و ذخائر العقبى ص ٧٦/٧٧ و ٨٧، ولسان الميزان ج ٤ ص ١٦٥، و راجع سنن البيهقي ج ٧ ص ٦٥ و شرح النهج للمعتزلي ج ٩ ص ١٩٥ والغدير ج ٣ ص ٢٠١—٢١٥ عن غير واحد ممن تقدم، وملحقات إحقاق الحق ج ٥ من ص ٥٤٠ حتى ص ٥٨٦ عن كثير ممن تقدم وعن الحاوي للفتاوى ج ٢ ص ١٥ وغيره من المصادر وقد نقلنا بالواسطة عن: غاية المرام ص ٦٤٠ وارجح المطالب ط لاهور ط ٤٢١ والكشاف ج ١ ص ٣٦٦، واحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ٢٤٨ و كنزالعمال ج ٦ ص ١٥٢ و ١٥٧ و ٣٩١ و ٣٩٨ و ٤٠٨، و اخبار القضاة ج ٣ ص ١٤٩ و نزل الابرار ص ٣٤ و ٣٥ والخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٤٣ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٧٣/٣٧٤ ورواه أيضاً: الطبراني في الكبير والاوسط وأبو يعلى وسعيد بن منصور، والضياء في المختارة والكلاباذي، والبزار والعقيلي وابن السمان وكثير غيرهم.

(١)— اللآلى المصنوعة للسيوطي، ج ١ ص ٣٤٧ و تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٠١ و منهاج السنة ج ٣ ص ٩، والقول المسدد ص ١٩ و فتح الباري ج ٧ ص ١٣ عن ابن الجوزي و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٦.

من طرقه، ورواية العشرات من الصحابة له— أي نحو ثلاثين صحابياً.

إن ذلك لايمكن أن يخفى على أحد. و إذاجاز: أن يضع الرافضة مثل هذا الحديث، و يدخلوه في عشرات الكتب والمسانيد، فانه لايمكن الوثوق بعد بأي حديث، ولا كتاب، ولا في أي حافظ من أهل السنة ... هذا بالاضافة إلى مافي هذه الدعوى من رمي أمة بأسرها بالبله والتغفيل الذي لاغاية بعده...

و يكفي أن نذكر: ان العسقلاني بعد أن ذكر ستة من الاحاديث في سدالابواب الاباب علي، قال: «وهذه الاحاديث يقوي بعضها بعضاً، وكل طريق منها صالح، للاحتجاج، فضلاً عن مجموعها»... ثم ذكر أن ابن الجوزي لم يورد الحديث الا من طريق سعدبن ابي وقاص، وزيدبن أرقم وابن عمر مقتصراً على بعض طرقه عنهم، وأعلّه ببعض من تكلم فيه من رواته الخ(١).

وقال العسقلاني أيضاً بعد أن ذكر بعض طرقه: «فهذه الطرق المتظافرة من روايات الثقات تدل على أن الحديث صحيح دلالة قوية، وهذه غاية نظر المحدث(٢)». وقال: «فكيف يدعى الوضع على الاحاديث الصحيحة بمجرد التوهم؟ ولو فتح هذا الباب لا ادّعي في كثير من الاحاديث الصحيحة البطلان، ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون(٣)».

خوخة، أو باب أبي بكر:

وفي البخاري، عن ابن عباس: سدوا الابواب إلا باب أبي بكر، وعن ابي بكر، وعن ابي سعيد الخدري عنه(ص): إن أمنّ الناس علي في صحبته، وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبابكر،

---

(١)— فتح الباري ج ٧ ص ١٣ وراجع: ارشاد الساري ج ٦ ص ٨٥ وراجع: القول المسدد ص ٢٠ و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٦.

(٢)— القول المسدد ص ٢٣ واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٠ عنه باختلاف يسير في اللفظ.

(٣)— القول المسدد ص ٢٤/٢٥ وراجع ص ١٩ وعنه في اللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٠.

ولكن اخوّة الاسلام ومودته. لايبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر. أولا يبقين في المسجد خوخة الاخوخة أبي بكر... قال ذلك في مرضه الذي مات فيه... وعند مسلم، عن جندب: قبل أن يموت بخمس ليال، وعند الطبراني، وأبي يعلى باسناد حسن: عن معاوية وعائشة ان ذلك بعد أن صب عليه(ص) من سبع قرب من آبار شتى(١).

وقد استدلوا بذلك على استحقاق أبي بكر للخلافة، ولاسيما وأنه قد ثبت أن ذلك كان في أواخر حياته(ص) (٢).

ونقول:

١ـ ... انه بعد ان ثبت صحة حديث: سدوا الابواب إلا باب علي... وبعد أن اتضح: أنه لم يكن حين مرض وفاته(ص) أي باب مفتوحاً إلا باب علي، فاننا نعرف: أنه لامعنى لأن يأمرهم(ص) بسد هذه الابواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر(٣)، بعد أن لم يسمح النبي(ص) لذلك الرجل!! بكوة، ولو بقدر مايخرج رأسه، حتى ولو بقدر رأس الابرة(٤)!!

وبعد هذا... فاننا نعرف أنه لايصح قولهم في وجه الجمع: إنهم بعد أن سد النبي(ص) أبوابهم استحدثوا خوخا يستقربون منها الدخول إلى

---

(١)ـ راجع: البخاري، باب قول النبي(ص) سدوا الابواب إلا باب أبي بكر بهامش فتح الباري ج ٧ ص ١٢/١١ و باب الهجرة وفي كتاب الصلاة، وصحيح مسلم ج ٧ ص ١٠٨ و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٢/٤٧١ عنها وعن الطبراني، وأبي يعلى، وابن سعد، والقول المسدد ص ٢٥/٢٤ واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٥٠ و ٣٥٢ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٠ و ٢٢٩، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٠١، وتفسير الرازي ج ٢ ص ٣٤٧ والمصنف ج ٥ ص ٤٣١، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٤٦٩ عن مجمع الزوائد ج ٩ ط ٤٢.

(٢)ـ وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٣/٤٧٢، وفتح الباري ج ٧ ص ١٢ وارشاد الساري ج ٦ ص ٨٤ وراجع: القول المسدد ص ٢٤ والبداية والنهاية ج ٥ ص ٢٣٠.

(٣)ـ الغدير ج ٣ ص ٢١٣، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦١.

(٤)ـ وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٧، وراجع: فرائد السمطين ج ١ ص ٢٠٦ عن أبي نعيم، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٤٩ و ٣٥١.

المسجد(١).

٢ً- هذا بالاضافة إلى أن الحديث قد تضمن منّ أبي بكر على النبي(ص) بصحبته له، وقد تقدم في حديث الغار: أن ذلك لايصح... كما أنه قد تضمن حديث خلة أبي بكر... وتقدم في حديث المؤاخاة: أنه لايمكن أن يصح أيضاً...

٣ً- وأيضاً... فان البعض يذكر: أن بيت أبي بكر كان بالسنح، و يشك كثيراً، بل على حد تعبير التور بشتي: لم يصح: أن يكون له بيت قرب المسجد(٢)...

وأجيب: بأنه لايلزم من ذلك أن لايكون له دار مجاورة للمسجد، واستدل على ذلك بأنه قد كان لابي بكر أزواج متعددة كأسماء بنت عميس، وغيرها، و بأن ابن شبة قد ذكر: أنه كان له في زقاق البقيع دار قبالة دار عثمان الصغرى، واتخذ منزلاً آخر عند المسجد في غربيّه(٣).

ولكن ذلك لايثبت ماير يدون إثباته؛ فان تعدد أزواجه لايلزم منه أن يكون له بيت في جانب المسجد، ولاسيما إذا كان له بيت في زقاق البقيع- بعيداً عن المسجد- في قبالة دار عثمان الصغرى... ثم لماذا لايسكن ازواجه- لوكان له أزواج متعددون- في بيت واحد ذي حجر متعددة كغيره من أهل المدينة- ومنهم النبي(ص)- الذين كان لهم عدة زوجات...

ولعل هؤلاء قد اعتمدوا في ذكرهم بيتاً لأبي بكر عندالمسجد على هذا الحديث بالذات... أو أنهم أرادوا بذكرهم بيتاً له كذلك أن يمدوا يدالعون لهذا الحديث الذي توالت عليه العلل والاسقام... تماماً كما جعلوا-

---

(١)- فتح الباري ج ٧ ص ١٣، والقول المسدد ص ٢٥، و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٧، وهم عن الطحاوي في مشكل الآثار، والكلاباذي في معاني الأخبار.

(٢)- فتح الباري ج ٧ ص ١٢، وارشاد الساري ج ٦ ص ٨٤، و وفاء الوفاء ج ٢ ص ٤٧٣.

(٣)- المصادر الثلاثة المتقدمة...

حتى الآن– خوخة في المسجد من أجل تصحيح ذلك... ولكنهم لم يجعلوا باباً لعلي(ع)، وهو الذي ثبت أن النبي(ص) قد ابقى بابه مفتوحاً، وسد كل باب في المسجد سواه...

٤ً– وقد اعترف ابن عمر، وأبوه: أن علياً قد أوتي ثلاث خصال، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم: زوجه رسول الله (ص) ابنته وولدت له، وسد الابواب إلا بابه في المسجد، واعطاه الراية يوم خيبر(١).

فهذه الرواية صريحة في أنه(ع) قد اختص بذلك، كما اختص بالراية يوم خيبر، وبتزوجه فاطمة، وولادتها له...

ولوكان لابي بكر فضل هنا وامتياز لم يسمح عمر ولا ولده لنفسيهما باختصاصهما(ع) بهذا الوسام. وامتيازه في قضية سد الابواب كامتيازه في قضية الراية يوم خيبر، حيث إن أخذ أبي بكر وعمر لها ليس فقط لم يكن امتيازاً لهما، بل كان وبالاً عليهما، كما هو معلوم...

٥ً– وأخيراً... فقد قال المعتزلي عن البكرية التي ارادت مقابلة الاحاديث في فضل علي: انها «وضعت لصاحبها أحاديث في مقابلة هذه الأحاديث، نحو: «لو كنت متخذاً خليلاً» فانهم وضعوه في مقابلة حديث الاخاء، ونحو سدالابواب؛ فانه كان لعلي عليه السلام؛ فقلبته البكرية الى أبي بكر(٢)».

وما أجمل ماقاله الكميت في هذه المناسبة:

علي أمير المؤمنين وحقه ... من الله مفروض على كل مسلم
وروجه صديقة لم يكن لها ... معادلة غير البتولة مريم

---

(١)– راجع: مسند أحمد ج ٢ ص ٢٦، و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٥، والصواعق المحرقة الفصل ٣ باب ٩ و كنزالعمال، وغير ذلك من المصادر المتقدمة...

(٢)– شرح النهج ج ١١ ص ٤٩.

وردّم أبواب الذين بنى لهم بيوتاً سوى أبوابه لم يردّم

وان رسول الله أوصى بحقه إلخ...

وقال السيد الحميري:

وخبر المسجد إذ خصه مجلّلاً من عرصة الدار

إن جنباً كان و إن طاهراً في كل اعلان و اسرار

وأخرج الباقين منه معاً بالوحي من انزال جبار

وقال الصاحب بن عباد:

ولم يك محتاجاً إلى علم غيره إذا احتاج قوم في قضايا تبلدوا

ولا سدعن خير المساجد بابه وابوابهم إذ ذاك عنه تسدد.

كلام ابن بطريق حول حديث سدالابواب:

ولابن بطريق كلام هنا نلخصه على النحو التالي:

إن الله تعالى قد أظهر الفرق بين أمير المؤمنين عليه السلام، و بين غيره، و إذا كان الحرام على غيره قد حل له، فان ذلك يعني: أنه يمتاز على ذلك الغير... والنبي قد فتح ابواب الجميع على ظاهر الحال من الصلاح والخير، و النبي لايعلم الاهذا الظاهر إلا ان يطلعه الله على الباطن... و عليه فان كان تعالى قد سدابوابهم على ظاهر الحال، فقد بينا: أنها كانت صالحة عندالكل؛ ولذلك فتح أبوابهم أولاً، فلم يبق إلا انه قدسد أبوابهم، من أجل شيئ يرجع إلى الباطن، و فتح بابه لأنه قدانفرد بصلاح الباطن دونهم، (أوفقل: انفرد في كونه القمة من الصلاح الباطني) بالاضافة إلى مشاركته لهم في صلاح الظاهر...

و بذلك ... امتاز صلوات الله وسلامه عليه، عليهم...

ثم إن منعهم من الجواز و اباحته له إما أن يكون بلاسبب، و هو عبث لايصدر من حكيم، و إما أن يكون له سبب... و ذلك يدل على انفراده(ع) بمالايشركه فيه غيره.

واقواله(ص) تعضد هذا التخصص، وتدل على صلاح باطنه،

كقوله(ص): علي مني، وأنامنه. و قوله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى. و قوله: أنت أخي في الدنيا والآخرة. و قوله: صلت الملائكة علي و على علي سبع سنين قبل الناس. وقوله: من كنت مولاه فعلي مولاه. و قوله تعالى: «إنما يريدالله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت، و يطهركم تطهيرا...(١)» و غير ذلك من مناقبه و مآثره و مزاياه؛ فلولا ثبوت هذه المزايا له على غيره لما أنزله من نفسه بهذه المنازل، و لما أقامه من نفسه في شيئ من ذلك، ولا أذن الله له بتخصيصه وتمييزه عن امثاله وأضرابه الخ(٢)... انتهى ملخصاً...

كلام العلامة المظفر:

و يقول العلامة الشيخ محمد حسن المظفر رحمه الله ماملخصه:

إن هذه القضية تكشف عن طهارة علي، وأنه يحل له أن يجنب في المسجد، ويمكث فيه كذلك ،ولايكره له النوم فيه، تماماً كما كان ذلك لرسول الله(ص)... فان عمدة الغرض من سدالابواب هو تنزيه المسجد عن الادناس وابعاده عن المكروهات، و كان علي عليه السلام كالنبي طاهراً مطهراً، ولا تؤثرفيه الجنابة دنساً معنوياً، و كان بيت الله كبيته لكونه حبيبه القريب منه...

وابوبكر لم يكن ممن أذهب الله عنه الرجس وطهرهم تطهيرا؛ ليحسن دخوله للمسجد جنباً، ولاهو منه بمنزلة هارون من موسى ليمكن الحاقه به.

هذا كله. عداعن ضعف خبرباب أوخوخة أبي بكر بفليح بن سليمان(٣)، وباسماعيل بن عبدالله الكذاب الوضاع(٤).

---

(١)– الاحزاب ٣٣.

(٢)– راجع: كشف الغمة للاربلي ج ١ ص ٣٣٣/٣٣٤.

(٣)– راجع كتاب: حديث الافك ص ٦٠/٦١ للمؤلف.

(٤)– راجع ص ٢١/٢٢ من دلائل الصدق ج ١.

وأما محاولة فضل بن روزبهان إيهام، أن البيت كان للنبي، وكان علي(ع) ساكنا في بيت النبي(ص)، حيث قال: «كان المسجد في عهد رسول الله(ص)، وكان علي ساكناً بيت رسول الله(ص) لمكان ابنته الخ».

فهي محاولة فاشلة: و ذلك لأن الأخبار قدصرحت بأن الباب لعلي، حتى تكلم الناس في استثناء بابه. ولو كان الباب للنبي(ص) لما كان ثمة مجال لكلامهم، واعتراضهم، وحسدهم.

(أقول: بل لامجال لاستثنائه أصلاً، لأن النبي أمرهم بسدأبوابهم، أما الباب الذي له فهو يعرف وظيفته، وتكليفه فيه).

وواضح: أن هدف ابن روزبهان، هو أن يجعل المستثنى هوباب رسول الله(ص)، لأن البيت كان له، وإذن فلايكون لعلي(ع) فضل... و هكذا... فان الهدف الأول والأخير له— بحسب مايظهر من كلامه هو إنكار فضائل علي عليه السلام(١)... ولكن الله يابى إلا أن يتم نوره و يظهر دينه، و ينصرو يعزّوليّه...

سرقة طعمة:

و يذكر في السنة الثالثة، قبل وقعه أحد سرقة طعمة بن أبير يق درعاً لجاره قتادة بن النعمان. وكانت الدرع في جراب من دقيق؛ فينتثر الدقيق منها من دارقتادة حتى باب طعمة، ثم خبأها عند يهودي...

وتبع أصحاب الدرع الدقيق، حتى انتهوا إلى باب طعمة، فسألوه عن الدرع، فأنكرها، وحلف بالله ماله علم بها...

ثم اتبعوا أثر الدقيق حتى باب اليهودي؛ فأخبرهم: أن طعمة أعطاه إياه.

فلما ظهرت السرقة فرّطعمة إلى مكة مرتداً عن الاسلام، ونزل على

---

(١)— راجع دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٦١—٢٦٧.

رجل فنقب بيته أيضاً، فسقط عليه حجر منعه من الدخول والخروج حتى أصبح؛ فأخذ ليقتل، ثم ترك للجائه إليهم، وأخرج من مكة... فقتل في سرقة أخرى...

الارتداد...لماذا؟!

ليس عجيباً... أن يسرق الانسان شيئاً مّا، بدافع الحاجة أحياناً، أو بدافع الاضرار بخصمه أحيانا أخرى... أو لاقتضاء عادته و ظروفه النفسية وغيرها، وخصوصاً مع عدم بنائه نفسه، وأخلاقه وعاداته— و سلوكه بصورة عامة على وفق المبادئ والمثل العليا التي يؤمن بها...

ولكن العجيب حقاً... أن يتخلى هذا الانسان عن عقيدته و فكره و قناعاته بسبب أمرتافه كهذا... وهذا إن دل على شيئ؛ فانمايدل على أن هذه العقيدة لم تتخذ في نفسه صفة الأصالة والرسوخ الكامل... ولا اتصلت بعقله و بروحه. ولاهو تفاعل معها، وعاشها فكراً، و عقيدة وسلوكاً... و إنما كانت بالنسبة إليه نوعاً من الترف الفكري، أو انسياقاً في جو معين لم ير بأساً من الانسياق معه، و لاضرورة للتخلق عنه...

ملاحظة: حدالسرقة:

إن حدالسرقة هو قطع اليد، واختلفوا فيما يقطع منها. فقال: قوم بأن القطع للاصابع فقط... وإن كان الجمهور على أن القطع من الكوع(١) على حد تعبير ابن رشد، واتفق على ذلك الائمة الاربعة: أبوحنيفة، ومالك ، والشافعي، وابن حنبل(٢).

ولكن قدخالف الشيعة في ذلك ،وذهبوا تبعاً لائمتهم إلى أن القطع يجب أن يكون من أصول الأصابع... و يدل على ذلك من النصوص عن

---

(١)— بداية المجتهد ج ٢ ص ٤٤٧. والكوع: هو طرف الزند الذي يلي الابهام، ومنه المثل: أحمق يمتخط بكوعه.

(٢)— راجع: الفقه على المذاهب الاربعة ج ٥ ص ١٥٩.

أمير المؤمنين عليه السلام.

١ً ـ أن الجاحظ يذكر: ان أمير المؤمنين عليه السلام كان يقطع اليد من أصول الاصابع، حتى عدّ ذلك الجاحظ من المطاعن عليه(١)، و ذلك يدل على شهرة ذلك عنه...

٢ً ـ روى عبدالرزاق، عن معمر، عن قتادة: أن علياً كان يقطع اليد من الاصابع، والرجل من نصف الكف(٢).

٣ـ و يشير الى ذلك : أنهم يروون: انه(ع) قدجيئ بسارق، فقال لقنبر: إذهب به ياقنبر، فشداصبعه، وأوقدالنار، وادع الجزار ليقطع إلخ...(٣)

فان الظاهر: أنه أمر بشد إصبعه، ليكون القطع من أصول الاصابع...

٤ً ـ و يؤيد ذلك : قول عمر: لا تقطع الخمس (أي الاصابع) إلا في خمس(٤) أي دراهم.

٥ً ـ بل الظاهر: ان قطع الأصابع قد كان شائعاً قبل زمان عطاء، أي في الصدر الأول، كمايفهم من تساؤل ابن جريج، وجواب عطاء له، قال ابن جريج لعطاء: سرق الاولى. فقال: يقطع كفه. قلت: فما قولهم أصابعه؟!.

قال: لم ادرك إلا قطع الكف كلها(٥).

---

(١)ـ العثمانية ص ٩١.

(٢)ـ مصنف الحافظ عبدالرزاق ج ١٠ ص ١٨٥.

(٣)ـ كنزالعمال ج ٥ ص ٣١٦ عن مسند أبي يعلى، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦٤ عنه.

(٤)ـ سنن الدار قطني ج ٣ ص ١٨٦، وأخرجه ابن المنذر والنسائي. وأخرجه ابن أبي شيبة عن أبي هريرة وأبي سعيد... وفي هامش سنن الدارقطني عن: ابن شبرمة وابن ابي ليلى والحسن البصرى...

(٥)ـ مصنف عبدالرزاق ج ١٠ ص ١٨٥.

الفصل الثالث

غزوات و سرايا دفاعية

غزوات وسراياً

ونتكلم اولا عن خصوص ما كان بين المسلمين و بين المشركين، ثم نعقب ذلك بما كان منها بين المسلمين واليهود، في الفصل التالى.

فاما بالنسبة لما كان بين المسلمين وغيراليهود، فاننا نقول:

غزة بنى سليم:

١ــ إنه بعد بدر بسبع ليالي ــ كمايقولون ــ غزا(ص) بنفسه بني سليم، واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم، اوسباع بن عرفطة؛ فلما بلغ ماءً من مياههم يقال له الكدر اقام(ص) هناك ثلاث ليال، ثم رجع إلى المدينة، ولم يلق كيدا، وكان يحمل لواءه اميرالمؤمنين عليه السلام... و كان اللواء ابيض اللون.

و يبدوان هذه هي نفس الغزوة التى يقال لها: «غزوة قرقرة الكدر». وسببها انه قد بلغه (ص): ان جمعاً من بنى سليم وغطفان بقرقرة الكدر (والظاهر أنهم كانوا ينـوون غزوالمدينة) فسار اليهم فى ماء تين من اصحابه... فغنم منهم خمسمأة بعير، فخمسها، و قسم الباقي على اصحابه... و وقع غلام اسمه يسار فى سهمه؛ فاسلم، ورآه النبي يصلي، فأعتقه... و قال الواقدي: إن قرقرة الكدر كانت فى المحرم سنة ثلاث.

٢ــ و يقول الدمياطى ان غزوة بنى سليم هي نفس غزوة بحران،

حيث بلغه: ان جمعا كثيرا من بنى سليم كانوا فى بحران؛ فخرج اليهم في ثلاث مئة من اصحابه، لست خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث— ولم يظهر وجها للسير؛ فرجع ولم يلق كيدا.

٣— وارسل(ص) لعشر خلون من شوال فى السنة الثانية، غالب بن عبدالله الليثي في سرية إلى بني سليم وغطفان، فقتلوا منهم واحدا، واخذوا النعم، واستشهد ثلاثة من المسلمين...

ثم كانت:

غزوة السويق:

بعد رجوعه(ص) من غزوة قرقرة الكدر اي فى ذي الحجة من السنة الثالثة: فبعدان اصيبت قريش في بدر حلف ابوسفيان ان لايمس رأسه ماء من جنابة حتى يغز ومحمدا (ص)، وقال:

كروا على يثرب وجمعهم ... فان ماجمعوالكم نفل
ان يك يوم القليب كان لهم ... فان مابعده لكم دول
آليت لااقرب النساء ولا ... يمس رأسى وجلدي الغسل
حتى تبيد واقبائل الأو س ... والخزرج ان الفؤاد يشتعل.

فخرج فى ماءتي راكب من قريش ليبر بيمينه. وليثبت للناس: أن قريشاً لا تزال قادرة على التحرك. وأيضاً ليشد قلوب المهزومين في بدر.

فلما كان على بريد من المدينة (والبريد اثناعشر ميلا) نزل هناك، فاتصل ببعض بنى النضير من اليهود، ثم ارسل بعض اصحابه الى بعض نواحي المدينة؛ فحرقوا بعض النخل، و وجدوا رجلين فقتلوهما، وهما: معبدبن عمرو وحليف له، ثم انصرفوا راجعين؛ فنذر الناس بهم؛ فخرج(ص) فى طلبهم لخمس خلون من ذى الحجة، وجعل ابوسفيان واصحابه يلقون بجرب السويق(١) تخففا للهرب؛ فجعل المسلمون يأخذونه، ولم يدركهم المسلمون،

---

(١)— السويق: قمح اوشعير يقلى ثم يطحن ليسف اما بماء، اوعسل، اوسمن.

فعادوا إلى المدينة بعد خمسة ايام.

قال الحسني: «وانقلب فرار أبي سفيان عليه خزياً وعاراً، بعد أن كان يظن أن غزوته هذه ترفع من شأنه وتعيد إلى قريش شيئاً من مكانتها(١)».

غزوة ذى أمر:

وفى اول سنة ثلاث، اولإثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول، كانت غزوة ذي امر... ولربما تكون هي غزوة غطفان، جمع فيها دعثور بن محارب فى ذى امر جمعا من بنى ثعلبة بن محارب لحرب الرسول، اوليصيبوا من اطراف المدينة، فخرج الرسول اليهم، واصاب اصحابه(ص) رجلا يقال له جبار (اوحباب)؛ فاسلم، ودلهم على الطريق اليهم؛ فسمعوا بمسير الرسول(ص)؛ فهربوا فى رؤوس الجبال...

و يذكر هنا: انه اصاب الرسول(ص) مطر كثير؛ فنزع(ص) ثوبيه، ونشرهما على شجرة، واضطجع بمرأى من المشركين، واشتغل المسلمون فى شؤونهم، فنزل إليه دعثور (زعيم المشركين الغطفانيين) حتى وقف على رأسه، ثم قال: من يمنعك مني اليوم؟ فقال(ص):الله، ودفع جبريل فى صدره، فوقع على ظهره، ووقع السيف من يده، فأخذالنبي(ص) السيف، وقال له: من يمنعك مني؟ قال: لا احد، اشهد ان لا اله الا الله، واشهدان محمداً رسول الله. فأعطاه(ص) سيفه،فرجع إلى قومه، وجعل يدعوهم للاسلام... ونزلت هذه الآية: يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم، اذهمّ قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم(٢) الآية...

ولعل هذه هي نفس غزوة ذى القصة، التى يقال: انها فى المحرم سنة ٣ كما يلاحظ من قارن بينهما.

---

(١)— سيرة المصطفى ص ٣٨٢.

(٢)— سورة المائدة الآية رقم ١١.

سرية القردة:

وفى جمادى الاولى، فى السنة الثالثة كانت غزوة القردة. وكان اميرها زيدبن حارثة، فى اول امارة له... وذلك : ان نعيم بن مسعود قدم المدينة مشركا، فشرب الخمر مع بعض اصحابه، وذلك قبل تحريم الخمر— تقدم ان الخمر كانت قد حرمت فى مكة— واخبرهم بالعير.

وذلك : ان قريشاً قالت: «قد عور علينا محمد متجرنا، وهو على طريقنا».

وقال ابوسفيان، وصفوان بن امية: ان اقمنا بمكة اكلنا رؤوس اموالنا.

فاتفقوا بعد بدر على العدول عن طريقهم المعتاد الى الشام، وسلوك طريق العراق، فخرج جماعة فيهم صفوان، و ابوسفيان في تجارة اكثرها من الفضة. فبعث(ص) اليهم زيدا؛ فلقيهم على ماء يقال له: «القردة» فاصاب العير وما فيها. واعجزه الرجال، ورجع بالغنيمة إلى الرسول(ص)، فخمسها، فبلغ الخمس عشرين الفاً، وقسم الباقى للسرية.

وقبل ان نبدأ فى الحديث عن العمليات العسكرية بين بدر وأحد مع اليهود، نود ان نشير الى الملاحظات التالية:

ملاحظات على ماتقدم

ألف— الاعمى... والقضاء:

بالنسبة لاستخلاف ابن أم مكتوم، يذكر الحلبي رواية أبي داود القائلة: انه انما استخلفه على الصلاة؛ لأن الضرير لايجوز له الحكم بين الناس في القضايا والاحكام؛ لانه لايدرك الاشخاص، ولايثبت الاعيان، ولايدرى لم الحكم، وعلى من(١)...

---

(١)— راجع السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٥.

ونحن نشير الى مايلي:

١ً- ان تولّيه المدينة لايعني اصداره الاحكام، وتوليه منصب القضاء، لأن من الممكن حلّ مشاكل الناس بطريقة الصلح بين المتخاصمين، اوعلى ان يكون قاضى تحكيم يرضى بحكمه الخصمان، خصوصاً بملاحظة قصر فترة غيابه(ص) عن المدينة في سفراته تلك... او بأن يوكّل من له صلاحية القضاء بين الناس، و يكون هو الوالي العام الحافظ للنظام، والمنفذ لتلك الاحكام...

٢ً- ان حمل تولّيه المدينة من قبل النبي على تولّيه خصوص الصلاة بعيد جداً؛ فإن ذلك خلاف ظاهر تعبيرهم بأن النبي(ص) (استخلفه على المدينة)، خصوصاً اذا لاحظنا: انه قد استخلفه عليها اثنتي عشرة مرة، او يزيد...

٣ً- ان الاستدلال على عدم جواز تولى، الاعمى للقضاء بما ذكر مدفوع بأن طريق معرفة الاشخاص والاعيان لاينحصر بالنظر والرؤية؛ فيمكنه اثبات ذلك بالشهود، وليكن نفس توليته(ص) لابن ام مكتوم (لوثبت كون القضاء داخلافى ولايته) اثنتى عشرة مرة دليلا على جواز تولي الاعمى للقضاء...

باء- من أهداف تلك السرايا والغزوات:

إن العرب قدر أوا: أن النبي الذي خرج بالأمس إلى المدينة لاجئاً، لاقوة له، قد أصبح هو وأصحابه يقفون في وجه قريش، ويجْلون اليهود- كماسنرى-، و يرسلون السرايا تتهدد المسالك، و يقتلون ويأسرون...

وعرفوا: أن ثمة قوة يجب أن يحسب لها حسابها، ولابد من التفكير ملياً قبل الاقدام على أي عمل... ولكن الغرور كان يستولي على بعض تلك القبائل إلى حد التفكير في الدخول فى حرب مع النبي(ص) على حد تعبير البعض(١)...

---

(١)- سيرة المصطفى ص ٣٨٣.

ولعل لأجل ذلك كان(ص)يبادر إلى الهجوم، بمجرد أن يعرف: أنهم قد جمعوا واستعدواله، أو أنهم يستعدّون للاغارة على أطراف المدينة... أو بعد حصول الاغارة والافساد منهم، الأمر الذي يدلنا على أن تلك الغزوات والسرايا كانت وقائية بالدرجة الاولى، وتستهدف أموراً:

١ً- افشال مؤامرات الاعداء ، وردّ كيدهم إلى نحورهم.

٢ً- إن ذلك منه(ص) كان يمثل حرباً نفسية للمشركين؛ فانه: ماغزي قوم في عقردارهم إلا ذلوا... وخصوصاً إذا كان انكسارهم بعد التعبئة الكاملة والشاملة منهم لحرب هذه الفئة بالذات...

فإذا كانت هزيمتهم على يده(ص)، وفي عقردارهم، وفي أوج قدرتهم واستعدادهم. فان ذلك سوف يحطم معنوياتهم، ويجعلهم مضطرين لأن يعدّوا الى العشرة في المستقبل، قبل أن يقرروا أي موقف لهم تجاهه... وهذا مصداق آخر لكونه صلى الله عليه وآله وسلم قد نصر بالرعب.

٣ً- ثم هناك الانعكاس الاعلامي في المنطقة على قريش بالذات؛ فإذا انهزموا نفسياً؛فان هزيمتهم العسكرية سوف تكون أسهل وأيسر، وقد سئل أميرالمؤمنين عليه السلام: باي شيء غلبت الأقران؟

فقال: «مالقيت رجلاً إلا أعانني على نفسه.»

قال الرضي: يومئ بذلك إلى تمكن هيبته في القلوب(١).

جيم: الخمس:

قد رأينا: أنهم يذكرون: إنه(ص) في غزوة قرقرة الكدر قد خمس الغنيمة،وقسم الباقي على المحاربين. وقد تقدم بعض مايتعلق بالخمس في غزوة بدر و بعدها...

---

(١)- نهج البلاغة، بشرح محمد عبده، قسم الحكم، رقم ٣١٨.

دال: العتق... والصلاة:

يلاحظ: أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد أعتق الغلام يساراً، حيث رآه يصلي... و قد رأينا الامام السجاد عليه السلام كان يعتق مواليه بعد أن يذكرهم بذنوبهم.

ولعل سر عتقهم في مناسبة الصلاة يعود إلى: أن عتقه لهم في مناسبة كهذه يهدف إلى ربطهم، ودفعهم إلى الالتزام بها... ولاسيما حينما تطرح كقضية حاسمة في أسعد لحظات حياتهم، اللحظات التي ينالون فيها حريتهم، التي هي في الحقيقة عنوان هويتهم ووجودهم... وهذا في الحقيقة يكون دافعاً لهم لاكتشاف واقع وحقيقة الصلاة، ثم التفاعل معها بشكل جدي وعميق، ولتكون من ثم سبباً في تكاملهم الانساني، وسعيهم إلى الالتزام بسائر التعاليم الاخلاقية الانسانية الاسلامية...

كما أن ذلك يجعل هذا الانسان يرى في شخصية النبي(ص) مثلاً جديداً للانسان الهادف، الذي يعيش من أجل هدفه، و يفنى فيه بكل ما لهذه الكلمة من معنى... و يعرف: أنه لايهدف إلى استعباد أحد، ولايمكن أن يكون ذلك هدفاً له، و إنما هدفه الاسمى هو إعلاء كلمة الله تعالى فقط... وفقط. وهكذا... فمن يصبح عبداً لله بحق فهو جدير بالحرية حقاً.

وكذلك الحال كان بالنسبة للامام السجاد عليه الصلاة والسلام، وقد أشرت إلى هذا الموضوع في مقال مستقل، فمن اراده فليراجعه(١).

هاء: التورية بالغزوات:

وقد رأينا أيضاً: أنه(ص) في غزوة بحران لم يظهر وجها للسير... بل لقد كان من عادته(ص): أنه إذا أراد غزوة ورّى بغيرها(٢).

---

(١)— البحث هو بعنوان: «الامام السجاد باعث الاسلام من جديد» في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام» ج ١ ص ٥٣—٦٦.

(٢)— المصنف ج ٥ ص٣٩٨، والمنتقى لابن تيمية ج ٢ ص ٧٦٥.

ولربما يدل هذا على إرادة تفويت الفرصة على عيون العدو وجواسيسه، إن كان له ثمة عيون وجواسيس، وأيضاً على المنافقين الذين يوادّون من حادّالله، وكذلك على اليهود الذين كانوا لايألون جهداً، ولايدخرون وسعاً في مساعدة أعدائه ضده، ولا أقل من أنهم كانوا يهتمون في أن يفوته أعداؤه، ولايتمكن من الظفر بهم...

واو: قريش في مواجهة الاخطار:

لقد كانت سرية زيدبن حارثة للاستيلاء على قوافل قريش. وقد سمعنا كلام صفوان وأبي سفيان الذي يوضح لنا: أن قريشاً قد أصبحت تعتبر حربها مع النبي والمسلمين حرباً مصيرية، ومعركتها معركة حياة أوموت. ولم يكن ذلك ليخفى على النبي(ص)، فكان دائماً على استعداد لكل طارئ، و يتتبع كل تحركات العدو، وقد طوقهم من جميع الجهات تقريباً.

و يكفي أن نذكرهنا قول صفوان بن أمية لقريش:

«إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا؛ فماندري كيف نصنع بأصحابه،وهم لايبرحون الساحل... وأهل الساحل قدوادعوهم؛ فماندري أين نسكن. وان آفنا في دارنا هذه اكلنا رؤوس أموالنا، فلم يكن لنا بقاء. وحياتنا بمكة تقوم على التجارة إلى الشام في الصيف،و إلى الحبشة في الشتاء...».

زاي: مناقشة قضية دعثور:

وأما قصة دعثور مع الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فاننا و إن كنا لانستبعد وقوعها... ولكن قولهم: إن آية: «إذهمّ قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الآية(١)» قد نزلت في هذه المناسبة... لايصح. وذلك:

أولاً: إنه إذا كان المراد: أن الآية قد نزلت مباشرة حين وقوع قضية

---

(١)— سورة المائدة الآية رقم ١١.

دعثور، كما هو ظاهر التفريع بالفاء... فلايصح؛ لأن الآية في سورة المائدة، وهي قد نزلت في أواخر حياته صلى الله عليه وآله وسلم مرة واحدة... وغزوة ذي أمر كانت— كما يقولون— في أوائل السنة الثانية للهجرة.

وثانياً: إن الآية تذكر: أن «قوما» قدهموا بأن يبسطوا أيديهم إلى المسلمين، ودعثور شخص واحد، ولم نعهد اطلاق كلمة القوم على الواحد.

وقول البعض: إن قوله تعالى: لايسخر قوم من قوم، يشمل سخرية فرد من فرد...

لايصح؛ لأنه إنما يشمله بالملاك، لا بالظهور اللفظي، والآية التي نحن بصددها إنما هي اخبار عن حادث وقع، وليس فيها شمول ملاكي، كما هو ظاهر...

كما أننا لم نعهد التعبير عن الرجل الواحد بضمير الجمع إلا في مقام التعظيم، وبضرب من التجوز وهو هنا يمتن على المسلمين جميعاً بأن الله قد صرف عنهم من هموا ببسط أيديهم إليهم، ولو كان المقصود هو النبي، فلماذا يعبر عنه بضمائر الجمع؟

ودعوى: أن ذهابه يكون سبباً لذهابهم وبسط اليد إليه بسط لها إليهم، لأنه قائدهم، وبه قوام اجتماعهم...

هذه الدعوى كماترى خلاف المنساق من الآية، وفيها ضرب من التجوز والادّعاء كما قلنا... فلا يعتمد عليها إلا بدليل...

وثالثاً: قال الحسني: «... وموضع التساؤل في هذه القصة: أن النبي(ص) هل كان ينفرد عن أصحابه في غزواته؟! وهل يتركه أصحابه وحيداً في تلك الفلاة، والمشركون على مقربة منهم؟! وهب أنه ذهب إلى الشجرة ليجفف ثيابه من المطر، ولكن كيف تركه ذلك الجيش المؤلف من: (٤٥٠)مقاتلاً، وخفي عليهم ذلك الرجل الذي تحدّر من الجبل لاغتياله، وهو

بعيد عن أصحابه إلخ؟...(١)».

ولعل الآية قد نزلت فيمن يهم الرواة ابعاد التهمة عنهم، فلفقوا هذه المناسبة لابعاد الشبهة عن يحبون.

---

(١)— سيرة المصطفى ص ٣٨٤.

الفصل الرابع:

غدر اليهود...

و

مرحلة الاغتيالات المنظمة

مع عقائد اليهود وآثارها:

إننا قبل أن نبدأبالحديث عن العمليات العسكر ية التي جرت بين المسلمين واليهود فيما بين بدر وأحد... نودّ أن نشير باختصار إلى بعض عقائد اليهود، ثم نشير إلى بعض مايرتبط بمواقف وخطط اليهود، ومؤامرتهم على الاسلام، وعلى المسلمين، فنقول:

١ـ عنصر ية اليهود: اليهود شعب عنصري، يؤمن بتفوق عنصره على البشر كافة... والناس لاقيمة لهم ولا اعتبار، و إنما خلقوا لخدمة الاسرائيليين وحسب. فكل الناس إذن يجب أن يكونوا في خدمتهم، وتحت سلطتهم، كما يقول لهم تلمودهم.

فقد جاء في التلمود ما ملخصه: ان الاسرائيلي معتبر عندالله اكثر من الملائكة، وأن اليهودي جزء من الله. ومن ضرب يهودياً فكأنه ضرب العزة الالهية، والشعب المختارهم اليهود فقط، وأما باقي الشعوب فهم حيوانات. و يعتبر اليهود غيراليهود أعداء لهم، ولايجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم. و يلزم التلمود الاسرائيليين بأن يكونوا دنسين مع الدنسين، ويمنع من تحية غير اليهودي إلا أن يخشوا ضررهم، ولايجيزون الصدقة على غير اليهودى. ويجوز له سرقة ماله وغشه. كما أن على الاممين أن يعملوا، ولليهود أن يأخذوا نتاج هذا العمل...

ويجيز التلمود التعدي على عرض الاجنبي، لأنها إن لم تكن يهودية

فهي كالبهيمة. ولليهودي الحق في اغتصاب غير اليهوديات.

ولايجوز لليهودي الشفقه على غيره، ويحرم على اليهودي أن ينجي غيره(١) إلخ ماهنالك ممالايمكن الاحاطة به في هذه العجالة...

نعم... هذه هي نظرة اليهود لغيرهم، وهذه هي حقيقة مايبيتونه تجاه كل من هو غير يهودى. وقد نعى الله تعالى عليهم هذه النظرة السيئة، فقال:

«وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، قل: فلم يعذبكم الله بذنوبكم؟ بل أنتم بشر ممن خلق، يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء(٢)».

فهو يؤكد لهم: أنهم كغيرهم من الخلق، يعذبهم الله بذنوبهم، ولافضل لهم على غيرهم؛ لأن التفاضل إنما هو بالتقوى والعمل الصالح...

٢ـ اليهود... والمادة: واليهودي أيضاً يؤمن بالمادة، ويرتبط بها بكل وجوده وطاقاته، فهو يحب المال وجمعه حباً جماً، وهو يعيش من أجله، ويعمل في سبيله بكل ما أوتي من قوة وحول... فهو من أجل المادة ولد... وفي سبيلها عاش ويعيش... وعلى حبها سوف يموت... وهو يتمنى لو يعمر الف سنة ولايموت، قال تعالى: «ولتجدنهم أحرص الناس على حياة(٣)، ومن الذين اشركوا، يود أحدهم لو يعمر ألف سنة»(٤).

ولعل سر ذلك يعود إلى أن توراة اليهود المحرفة الحاضرة لم تشر بشكل واضح إلى البعث والقيامة، وإنما ورد حديث عن الارض السفلى، والجب التي

---

(١)ـ راجع: الكنز المرصود ص ٤٨ـ١٠٦ ومقارنة الاديان (اليهودية) لاحمد شلبي ص ٢٧٢ـ٢٧٤ عنه وعن: التلمود شريعة بني اسرائيل ٢٢ـ٢٥ و ٤٠ـ ٤٤ و ٦٥.

(٢)ـ المائدة ١٨.

(٣)ـ تنكير (الحياة) للتحقير، اي مهما كانت تافهة وحقيرة.

(٤)ـ البقرة ٩٦.

يهوى اليها العصاة ولايعودون «وان الذي ينزل إلى الهاو ية لايصعد».

و يقول البعض: إن الكتاب المقدس نفسه يعد الحياة الدنيا وحدها هي عالم الانسان، وليس هناك اعتقاد بعد ذلك في بعث وجنة أونار... وثوابهم وعقابهم مقصوران على الحياة الدنيا.

وعلى العموم... فان فكرة البعث لم تجدلها أرضاً خصبة في عالم اليهود، وقد حاول بعض طائفة الفر يسيين القول بها، ولكن هذه المحاولة لقيت معارضة شديدة، أما باقي الفرق اليهودية، فلم تعرف عنها شيئاً.

و إذا كان الانسان لايعتقد بالبعث، و يؤمن بأن الجزاء ليس إلا في هذه الدنيا، فمن الطبيعي أن يسعى الى المنكرات واقتراف الآثام(١)...

كما أننا لايجب أن نستغرب إذا رأينا: أن ارتباطهم بالناس مصلحي ونفعي، وأن المال واللذة هما المنطق الوحيد لهم في كل موقف، والمقياس للحق وللباطل عندهم.

كما وأننا لايجب أن نعجب، إذا رأينا: أن الشيوعية وهي التفكير الداعي إلى اعتبار المادة هي أساس الكون والحياة، وهي المحرك والمنطلق، وهي الغاية، و إليها ستكون النهاية... نعم... وهي المعيار والمقياس الذي لابد وأن يهيمن على كل شؤون الحياة والانسان والكون، وكل نظمه وقوانينه، وعلاقاته... نعم... لاعجب إذا رأينا: أن هذا التفكير يبدأ من اليهود، و إليهم ينتهي(٢).

٣ـ و يعتقد اليهود: أن الله سيغفرلهم كل مايرتكبونه من جرائم

---

(١)ـ راجع: احكامهم هذه في كتاب: مقارنة الاديان: اليهودية ص ١٩٩ و ٢٠٠ واليهود في القرآن ص ٣٧.

(٢)ـ الخطر اليهودي ص ٦٨ وفيه: أن أعضاء المجلس الشيوعي الذي كان يحكم روسيا سنة ١٩٥١ كان يتألف من سبعة عشر عضواً كلهم يهود صرحاء باستثناء ثلاثة هم: ستالين، وفيرشيلوف، و مولوتوف... وهؤلاء الثلاثة زوجاتهم يهوديات، وفيهم يهودي الام، أوالجدة، أوصنيعة مجهول النسب من صنائع اليهود، كما أن المنظرّ الاكبر للشيوعية هواليهودى كارل ماركس.

وعظائم، وهذا مايشجعهم على الفساد والانحراف والامعان في المنكرات والجرائم، وقد ردّ الله تعالى على عقيدتهم هذه(١)، حينما قال: «وقطعناهم في الارض أمماً، منهم الصالحون، ومنهم دون ذلك ، وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون. فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، يأخذون عرض هذا الأدنى، ويقولون: سيغفرلنا، وان يأتهم عرض مثله يأخذوه، ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب: أن لايقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا مافيه، والدار الآخرة خير للذين يتقون؛ أفلا تعقلون(٢)».

٣ـ وبعد ماتقدم، وبعد أن كان اليهودى لايعتقد بالآخرة... فان من الطبيعي أن يكون اليهود شعباً جباناً، لأنه يخشى الموت، ويرهب الأخطار، لأنه يرى بالموت نهايته الحقيقية(٣)... ومن طبع الجبان أن يتعامل مع خصومه بأساليب المكر والخداع، والغدر والخيانة بالدرجة الأولى...

من اسباب عداء اليهود للاسلام...

ونشير هنا إلى أننا نلاحظ: أن اليهود يحاربون الاسلام من أول يوم ظهوره، ويحقدون عليه، رغم أنهم كانوا أول من بشر بظهور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، مستندين في بشاراتهم تلك إلى الدلائل القاطعة التي يجدونها في كتبهم.. ونستطيع أن نذكر من أسباب عدائهم للمسلمين وللاسلام:

١ـ إنهم قد وجدوا أن هذا النبي يدعوالناس الى دين هو نظام كامل وشامل للحياة... وأن هذا الدين قد جاء بنظام اقتصادي متكامل ومتوازن... واهتم بمحاربة الربا، والاحتكار، وجميع أنواع واشكال استغلال انسان لانسان آخر... وجعل في أموال الناس حقاً معلوماً للسائل والمحروم،

---

(١)ـ اليهود في القرآن ٤٤/٤٥.

(٢)ـ الاعراف ١٦٨/١٦٩.

(٣)ـ ويلاحظ: أن العرب فى هذه الايام يجبنون عن مواجهة اليهود في حرب الكرامة والشرف... لماذا؟!... أليس لاجل ابتعادهم عن دينهم، واستسلامهم لانحرافاتهم وحبهم للحياة وقلة يقينهم بالموت والمعاد؟!.

فلم ينسجم ذلك مع أطماعهم، ومع ألفوه وأحبوه، بل رأوه يتنافى مع أهدافهم ومصالحهم، ومع نظرتهم للكون، وللحياة، والانسان...

٢ً— والذي زاد من حنقهم وحقدهم: أنهم كانوا يأملون أن يتم القضاء على هذا الدين من قبل قومه القرشيين، ومن معهم من ذؤبان العرب... فرضوا بالمعاهدة التي سلف ذكرها... ولكن فألهم قدخاب، فها هوالاسلام يزداد قوة واتساعاً ونفوذاً يوماً عن يوم، وها هو يسجل في بدرالعظمى أروع البطولات، وأعظم الانتصارات، فلم يعد يقرّلهم قرار، أو يطيب لهم عيش؛ فقد كانوا يرون أنه لابد من القضاء على هذا الدين قبل أن يكتسح المنطقة، و يضرى بهم إعصاره الهادر.

٣ً— ومما زاد في حنقهم وقلقهم: أنهم رأو النبي(ص) والمسلمين معه كما أنهم لايخدعون... كذلك هم لايستسلمون للضغوط، ولا تثنيهم المصاعب والمشقات مهما عظمت... وكلما زاد الاسلام اتساعاً كلما زاد الطموح لدى المسلمين، والضعف لدى خصومهم، و إذن... فلابد من اهتبال الفرصة، ومناهضة هذا الدين والقضاء عليه بالسرعة الممكنة.

٤ً— و يقول الجاحظ: «إن اليهود كانوا جيران المسلمين بيثرب وغيرها، وعداوة الجيران شبيهة بعداوة الاقارب، في شدة التمكن وثبات الحقد، و إنما يعادي الانسان من يعرف، ويميل على من يرى، و يناقض من يشاكل، و يبدوله عيوب من يخالط، وعلى قدرالحب والقرب يكون البغض والبعد، ولذلك كانت حروب الجيران و بني الاعمام من سائر الناس وسائر العرب أطول، وعداوتهم أشد...

فلما صار المهاجرون لليهود جيرانا، وقدكانت الأنصار متقدمة الجوار، مشاركة في الدار، حسدتهم اليهود على نعمة الدين، والاجتماع بعدالافتراق، والتواصل بعدالتقاطع إلخ(١)...»

---

(١)— ثلاث رسائل للجاحظ (رسالة الرد على النصارى) ص ١٤/١٣ نشر يوشع فنكل سنة ١٣٨٢ هـ .

٥ً ـ ثم هناك حسدهم للعرب أن يكون النبي الذي تَعِدبه توراتهم منهم، وليس اسرائيلياً، وقد اشار إلى ذلك تعالى فقال:

«ولما جاءهم كتاب من عندالله مصدق لمامعهم، وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ماعرفوا كفروابه؛ فلعنة الله على الكافرين. بئسما اشتروابه أنفسهم: أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده، فباؤا بغضب على غضب، وللكافرين عذاب مهين(١)».

٦ً ـ و يذكر البعض: أنهم حينما طلب النبي(ص) منهم أن يدخلوا في الاسلام امتعضوا، وأخذوا يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

٧ً ـ لقد عز عليهم وأرهبهم: ما رأوه من قدرة الاسلام على توحيد اهل المدينة: الاوس والخزرج، الذين كانوا إلى هذا الوقت أعداء يسفك بعضهم دماء بعض، قال تعالى: «وألف بين قلوبهم، لو أنفقت مافي الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم(٣)».

اليهود في مواجهة الاسلام:

لقد حاول اليهود مواجهة المد الاسلامي الكاسح بكل مالديهم من قوة وحول، ونذكر هنا بعض مايرتبط بالاساليب والطرق التي حاولوا الاستفادة منها في هذا السبيل من دون ملاحظة الترتيب بينها، ولاسيما وأن بعضها متداخل في الاكثر مع بعض، فنقول:

١ً ـ ما أشار إليه الجاحظ، من أنهم: «شبهوا على العوام، واستمالوا الضعفة، ومالأوا الاعداء والحسدة، ثم جاوزوا الطعن، وادخال الشبهة إلى

---

(١)ـ البقرة ٨٩ـ٩٠.

(٢)ـ راجع: اليهود في القرآن ص ٢٣.

(٣)ـ الانفال ٦٣.

إلخ(١)».

نعم... لقد حاولوا تشكيك العوام، وضعاف النفوس بالاسلام. بالاضافة الى مما لأتهم للذين وترهم الاسلام، أو وقف في وجه مطامعهم وطموحاتهم اللامشروعة واللا إنسانية. ونذكر مثلاً على ذلك :ماجاء في الروايات من أن الناس يعتبرون: أن من علامات الحق: أن لايرجع عنه من يقتنع به، فاذا رجع عنه فلابد وأن يكون ذلك لأجل أنه وجد فيه ضعفاً، أو نقصاً، ولذلك نجد ملك الروم يسأل أبا سفيان— أحد خصوم محمد: «هل يرجع عن الاسلام من دخل فيه؟ فقال أبوسفيان:لا...» وقد حاول اليهود أن يتبعوا نفس هذا الاسلوب... وقدحكى الله تعالى عنهم هذا الأمر، فقال: «وقالت طائفة من أهل الكتاب: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، واكفروا آخره لعلهم يرجعون(٢)».

٢ً— طرح الاسئلة الامتحانية على النبي(ص) بهدف تعجيزه... و يلاحظ: أن هذه المحاولات كانت تبذل من قبل مختلف قبائل اليهود: قر يظة. النضير. قينقاع. ثعلبة إلخ. ولكن محاولاتهم باءت بالفشل الذر يع. بل لقد ساهموا بشكل فعال في تجلى ووضوح تعاليم الاسلام، وترسيخها... وفشلهم هذا قددفعهم إلى أن يطلبوا من النبى(ص) أن يأتيهم بكتاب من السماء: «يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء، فقد سألوا موسى اكبر من ذلك ، فقالوا: أرنا الله جهرة(٣)».

ثم تمادوافي العناد واللجاح، الى ماهو أبعد من ذلك ، قال تعالى: «وقال الذين لايعلمون: لو لايكلمنا الله أو تأتينا آية، كذلك قال الذين لايعلمون من قبلهم مثل قولهم، تشابهت قلوبهم(٤)» الآية... فان سياق الآيات ظاهر في أن اليهود هم الذين قالوا ذلك ...

---

(١)— ثلاث رسائل للجاحظ (رسالة الرد على النصارى) ص ١٤.

(٢)— آل عمران ٧٢ وليراجع كتاب: اليهود في القرآن ص ٣١ فانه أشار أيضاً إلى هذا الأمر.

(٣)— النساء ١٥٣.

(٤)— البقرة ١١٨.

٣ـ ولما فشلوا في محاولاتهم محاربة الاسلام على صعيد الفكر، اتجهوا نحو أسلوب الضغط الاقتصادي على المسلمين؛ فيذكرون: أن رجالاً من أهل الجاهلية باعوا يهوداً بضاعة، ثم اسلموا وطلبوا من اليهود دفع الثمن فقالوا: ليس علينا أمانة، ولاقضاء عندنا؛ لأنكم تركتم دينكم الذي كنتم عليه، وادّعوا: أنهم وجدوا ذلك في كتابهم... فجاء في الآية المباركة الرد عليهم: «ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك، ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤده إليك، إلا مادمت عليه قائماً، ذلك بأنهم قالوا: ليس علينا في الاميين سبيل، و يقولون على الله الكذب وهم يعلمون(١)».

وأيضاً... فقد رفض رؤساء اليهود أن يقرضوا المسلمين مالاً في أول عهدهم في المدينة، وقد كانوا في ضنك شديد، فالمهاجرون فقراء لامال لهم، والذين دخلوا في الاسلام من أهل المدينة لم يكونوا على سعة من الرزق... وقد أجابوا رسول الله حينما طلب منهم القرض بقولهم : أحتاج ربكم أن نمده؟ فنزل قوله تعالى: «لقد سمع الله قول الذين قالوا: إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب ماقالوا إلخ(٢).»

٤ـ لقد حاولوا ممالأة أعداء الاسلام ومساعدتهم بكل ما أمكنهم، ولو بالتجسس، و بغير ذلك من وسائل.

٥ـ وحاولوا محاربة الاسلام أيضاً: عن طريق إثارة الفتن بين المسلمين، ولاسيما الاوس والخزرج، وبين المسلمين والمشركين.

ونذكرهنا على سبيل المثال قضية شاس بن قيس، الذي حاول تذكير الأوس والخزرج بأيام الجاهلية، واثارة الاحن القديمة في نفوسهم؛ فتثاور الفريقان، حتى تواعدوا أن يجتمعوا في الظاهرة لتصفية الحسابات، وتنادوا بالسلاح، وخرجوا، وكادت الحرب أن تقع بينهما؛ فبلغ الخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فخرج اليهم بمن كان معه من أصحابه المهاجرين؛ فوعظهم؛

---

(١)ـ آل عمران ٧٥.

(٢)ـ آل عمران ١٨١ راجع في ذلك: اليهود في القرآن ص ٢٨.

فأدركوا أنها نزعة من الشيطان، وكيد من عدوهم... فندموا على ما كان منهم، وتعانق الفريقان وتصافيا، وانصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ويقول البعض: ان الآيات الشريفة التالية قد نزلت في هذه المناسبة: «قل: يا أهل الكتاب، لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا، وأنتم شهداء، وما الله بغافل عما تعملون. يا أيها الذين آمنوا، إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يرد وكم بعد ايمانكم كافرين. وكيف تكفرون، وأنتم تتلى عليكم آيات الله، وفيكم رسوله، ومن يعتصم بالله، فقد هدي إلى صراط مستقيم(١)».

٦ـ ثم هناك تآمرهم على حياة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم كماسنرى... إن شاء الله تعالى...

موقف النبي(ص) من اليهود:

لقد رأينا: أن اليهود قد حاولوا: أن يكيدوا للاسلام وللمسلمين، باساليب شتى، وطرق متنوعة كلها باءت بالفشل الذريع؛ بسبب وعي القيادة الاسلامية العليا...

ولقد صبر الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم على مخالفاتهم الكبيرة تلك، ولازال يصبر عليها تفادياً لحرب أهلية قاسية في مقره الجديد .. حتى طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، وعرف المسلمون: أن اليهود كانوا ـ بزعمهم ـ يستغلون ظروف المسلمين ومشاكلهم، ويصعّدون من تحدياتهم لهم... وأصبحوا في الحقيقة هم الخطر الداهم والحقيقي الذي يتهدد وجود الاسلام من الاساس... ولاسيما وأن هذا العدو الماكر والحاقد يعيش في قلب المجتمع الاسلامي، ويعرف كل مواقع الضعف والقوة فيه، ويتربص به الدوائر، ويترصد الفرصة المؤاتية...

فكان لابد من صياغة التعامل مع هذا العدو على أساس الحزم

---

(١)ـ آل عمران ٩٩ـ١٠١.

والعدل، بدلاً من العفو والتسامح والرفق... فليس من الصالح أن يترك اليهود يعيثون في الارض فساداً، و ينقضون كل العهود والمواثيق، و يسددون ضرباتهم للمسلمين كيف وأنى شاؤا، بل لابد من الرد الحاسم والحازم والعادل على كل اعتداء، ومواجهة كل مكيدة، قبل أن يكون لابد من الندم حيث لاينفع الندم...

العمليات العسكرية في مرحلتين:

و بعد أن اتضح نقض اليهود لكل العهود والمواثيق... حاول الاسلام أن يتعامل معهم على مرحلتين:

الأولى: أن يتبع معهم اسلوب الانذار الحازم والعادل... فكانت الاغتيالات المنظمة بمثابة جزاء عادل لناقضي العهود، الذين يشكلون خطراً جدياً على صعيد استقرار المنطقة... كما أنها كانت بمثابة اطلاق صفارة الانذار لكل من ينقض عهداً، و يتآمر على مصلحة الاسلام العليا مع اعطائهم الفرصة للتفكير، وافهامهم أن الاسلام يمكن أن يتحمل، ولكنه ليس على استعداد لان يقبل بوضع كهذا إلى النهاية، ولاسيما إذا كان ذلك على حساب وجوده و بقائه.

الثانية: الحرب الشاملة والمصيرية... حيث لايمكن حسم مادة الفساد بغيرها من الوسائل... ونحن نتكلم عن هاتين المرحلتين، كلا على حدة في الصفحات التالية...

الاغتيالات المنظمة:

١ـ قتل أبي عفك:

كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد عاهد اليهود على الموادعة وعدم تعرض أي من الفريقين للاخر.

ولكن سرايا المسلمين في المنطقة، وماتبع ذلك من اجراءات على صعيد بناء المجتمع الجديد وتقويته قد زاد من قوة المسلمين، ورفع من معنوياتهم، وجعل منهم قوة لها خطرها... مع أنه لم يمض بعد عامان على قدومهم (يعني المسلمين) كلاجئين، يبحثون عن مأوى وملجأ وملاذ... و إذن... فلابد من تطويق هذا الخطر، والحد من هذا النفوذ قبل فوات الأوان؛ وحتى يتسنى لليهود الاستمرار في الاحتفاظ بالتفوق السياسي والاقتصادي في المنطقة... وقد بدأت محاولات اليهود في هذا السبيل من أوائل الهجرة، وقبل حرب بدر، ثم كانت حرب بدر ونتائجها المذهلة... فزاد ذلك من مخاوف اليهود والمشركين والمنافقين على حد سواء، فصعدوا من نشاطاتهم، وتحدياتهم بشكل ملحوظ كماسنرى.

وقد بدأ اليهود قبل بدر بالتحريض على الرسول الاعظم والمسلمين، و بالتعرض لهم بمختلف أنواع الأذى... فكان (أبو عفك) اليهودي يحرض على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و يقول فيه الشعر ؛ فنذر سالم بن عمير أن يقتله، أويموت دونه؛ فذهب إليه فقتله...

و يبدو أن قتله كان قبل حرب بدر— كما سيظهر من العبارات التالية:

٢ً— قتل العصماء بنت مروان:

فلما قتل أبو عفك تأففت العصماء بنت مروان (وهي من بني أمية بن زيد، وزوجة يزيد الخطمي) من قتل أبي عفك، فصارت تعيب الاسلام وأهله، وتؤنب الانصار على اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وتقول الشعر في هجوه (ص)، وتحرض عليه... واستمرت على ذلك إلى مابعد بدر.

فجاءها عمير بن عوف ليلاً لخمس بقين من شهر رمضان المبارك، فوجدها نائمة بين ولدها، وهي ترضع ولدها— وعمير ضعيف البصر— فجسّها بيده؛ فوجد الصبي على ثديها يرضع، فنحاه عنها، ثم وضع سيفه في صدرها حتى أخرجه من ظهرها، ثم ذهب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال له (ص): أقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم... قال (ص): لاينتطح فيها عنزان. أي لايعارض فيها معارض...

هذا... ولكن قدجاء في شواهد النبوة: أن عمير بن عدي الخطمي سمع أبياتها التي قالتها حين كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدر، والتي قالتها في ذم الاسلام والمسلمين، وكان ضريراً؛ فنذر: لئن ردّالله رسوله سالماً من بدر ليقتلنّها. ففي ليلة قدومه (ص) ذهب إليها عمير فقتلها؛ فلما رآه النبي (ص) قال له: اقتلت ابنة مروان؟ قال: نعم.

فأقبل صلى الله عليه وآله وسلم على الناس، وقال: «من أحب أن ينظر إلى رجل كان في نصرة الله ورسوله؛ فلينظر إلى عمير بن عدي».

فقال عمر: إلى هذا الاعمى؟ بات في طاعة الله ورسوله!!...

فقال النبي (ص): مــه يا عمر، فانه بصير... أو كما قال (١).

---

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٠٧ عن شواهد النبوة.

ورجع عمير إلى قومه من بني خطمة؛ فقال لهم: يابني خطمة، أنا قتلت ابنة مروان، فكيدوني جميعاً، ولا تنظرون.

فذلك أول ماعزالاسلام فى دار بني خطمة، وكان من أسلم منهم يستخفى باسلامه، و يومئذٍ أسلم رجال منهم بمارأوا من عزّ الاسلام...

ولعل ماجاء في شواهد النبوة من أن عميراً كان أعمى... ولاسيما ماورد على لسان عمر... قد جاء على سبيل المبالغة، لأنه كان ضعيف البصر بالفعل... فان من الصعب على الضرير أن يقوم بعملية كهذه، وهي نائمة ليلاً بين وُلدها... إلا أن يقال: إنه إذا عرف مكانها الذي تنام فيه،فان بامكانه تمييز الطفل عن غيره بواسطة تلمس ابدانهم، كما هو صريح الرواية...

ولكنها كما قلنا— تبقى عملية صعبة على الرجل الضرير... ولذلك فنحن نرجح طريقة المبالغة كما قلنا...

٣ً— قتل كعب بن الاشرف

قال الواقدي: إن قتل كعب بن الاشرف كان في ربيع الاول في سنة ثلاث.

وخلاصة ماجرى: أن اليهود كانوا يتوقعون: أن يستأصل المشركون شأفة المسلمين والاسلام، وكان لانتصار المسلمين في بدر وقع الصاعقة عليهم، وثارت ثائرتهم، وطاشت عقولهم.

قال ابن اسحاق: لما أصيب المشركون في بدر؛ فبلغ ذلك كعب بن الاشرف، وكبر عليه قتل من قتل في بدر، وبكاهم، وهجا النبي(ص) وأصحابه في شعره، وكان يشبب بنساء المسلمين (وأضاف البعض(١) نساء النبي(ص) أيضاً)، حتى آذاهم.

---

(١)— هو ابن سلام الجمحي في طبقات الشعراء ص ٧١.

فسار إلى مكة، وحرض على رسول الله(ص)، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على حرب رسول الله...

وسأله أبوسفيان: أديننا أحب إلى الله أم دين محمد وأصحابه، وأيّنا أهدى في رأيك، وأقرب إلى الحق: إنا لنطعم الجزور الكوماء، ونسقي اللبن على الماء، ونطعم ماهبت الشمال...

فقال له: أنتم أهدى منهم سبيلا(١).

فلما عاد إلى المدينة، قال رسول الله(ص): من لي بابن الاشرف؟ فانتدب له محمدبن مسلمة، وقال: يا رسول الله، لابدلنا أن نقول. قال: قولوا مابدالكم؛ فأنتم في حل من ذلك.

فذهب إليه هو وأبونائلة، أخو كعب من الرضاعة، وآخرون... فاجتمع به أبونائلة، وأظهر له تبرّمه من الوضع المعيشي الذي نجم عن قدوم النبي(ص) إليهم، وطلب منه: أن يبيعه طعاماً في مقابل رهن، فطلب ابن الاشرف أن يرهنوه نساءهم، فرفض أبونائلة، ثم طلب ابناءهم، فرفض أيضاً. وعرض عليه رهن السلاح، حتى لاينكر كعب السلاح إذا جاء مع أصحابه؛ فقبل كعب...

ورجع المفاوض إلى جماعته، فجاء بهم، ومعهم السلاح، وشيعهم(ص) إلى بقيع الغرقد، ودعا لهم؛ فلما انتهوا إلى الحصن صاحوابه، فقالت له زوجته— وكان حديث عهد بعرس— أسمع صوتا يقطر منه الدم. فقال لها كعب: إن أبا نائلة لورآه نائماً ما أيقظه. ونزل إليهم، فأخذ أبونائلة رأسه فشمه، وتعجب من طيبه، وكرّر ذلك حتى اطمأن كعب... ثم أخذ بفوديه، وقال: اضربوا عدوالله؛ فخبطوه بأسيافهم وقتلوه... وجرح منهم بأسيافهم الحارث بن أوس بن معاذ، فتفل(ص) على جرحه.

فأصبحوا وقد خافت يهود مماجرى لكعب «فليس بها يهودي إلا وهو

---

(١)— راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٦ والسيرة النبوية لابن كثيرج٣ص١١.

خائف على نفسه»... وذهبوا إلى رسول الله (ص)؛ فقالوا: قتل صاحبنا غيلة. فذكّرهم النبي(ص) ماكان يهجوه في اشعاره و يؤذيه. قال: ثم دعاهم النبي(ص) إلى أن يكتب بينه و بينهم صلحاً، قال: أحسبه قال: فذلك الكتاب مع علي(١).

وقال كعب بن مالك بهذه المناسبة ابياتاً منها:

فغودر منهم كعب صريعاً فذلّت بعد مصرعه النضير

قال الحسني: «ومع ذلك فلم يتراجعوا عن الدس والتحريض على المسلمين، والتصدي لهم، والنيل من النبي(ص)، وطلب منهم النبي أن يكفوا عماهم عليه، وأن يلتزموا بالعهد الذي أعطوه على أنفسهم، حين دخوله المدينة، فلم يزدهم ذلك إلا عتواً وتمادياً في إيذاء المسلمين، ونشر الفساد، والنبي(ص) من جانبه يوصي المسلمين بالهدوء وضبط الاعصاب(٢)»... ولابد أن يكون ذلك — لوصح — باستثناء ناقضي العهد من الشخصيات الخطرة، التي كانت تحرض على الاسلام والمسلمين، وتشكل خطراً جديا عليهم، كما يظهر من العبارة التالية...

٤ً— قتل ابن سنينة:

قالوا: وقال رسول الله(ص): من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه، فوثب محيصة بن مسعود على ابن سنينة اليهودي، فقتله، فقال له أخوه حويصة — ولم يكن قد اسلم بعد —: يا عدوالله، قتلته؟! أما والله لرب شحم في بطنك من ماله.

فقال محيصة: لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك». قال: فوالله، إن كان لأول اسلام حويصة. فاستحلفه على ذلك؛ فحلف له... فقال: إن دينا بلغ بك ما أرى لعجب! ثم أسلم(٣).

---

(١)— المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٢٠٤، وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٢٣.

(٢)— سيرة المصطفى ص ٣٧٨.

(٣)— راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ٨.

٥ـ قتل أبي رافع:

وفي جمادى الآخرة من السنة الثالثة، وقيل: سنة أربع. وعند البعض: بعد أحد، من دون تعيين. كان قتل أبي رافع ابن الحقيق بخيبر، الذي كان يظاهر ابن الاشرف في معاداته للنبي(ص)، و يؤذي النبي(ص) و يبغي عليه.

وذلك أنه: بعد قتل الاوس لابن الاشرف، قالت الخزرج: والله لايذهبون بها علينا عند رسول الله (ص)... فوقع اختيارهم على ابن الحقيق هذا، المعروف ببغيه وأذاه،والمظاهر لابن الاشرف... فاستأذنوا رسول الله (ص) في قتله،فاذن لهم...

فخرج إليه خمسة نفر، أو ثمانية، عليهم عبدالله بن عتيك، فأتوا داره ليلاً، فأغلقوا أبوابه على أهله، وكان هو في عليّة، فاستأذنوا عليه بِحُجَّةٍ: أنهم جاؤا يطلبون الميرة، فدخلوا عليه، وأغلقوا باب العليّة؛ فوجدوه على فراشه؛ فابتدروه، فصاحت المرأة؛ فأرادوا قتلها، ثم ذكروا نهي النبي(ص) عن قتل النساء والصبيان؛ فقتلوه، وخرجوا...

ولكنهم لم يطمئنوا إلى أنه قدمات؛ فأرسلوا أحدهم، فدخل بين الناس، وعرف الخبر منهم، ورجع إليهم فأخبرهم بهلاكه.

ثم رجعوا إلى النبي(ص)، واختلفوا فيمن قتله، فأخذ النبي(ص) أسيافهم، فرأى على سيف ابن أنيس أثر الطعام؛ فقال: هذا قتله...

وأضاف ابن الأثير في روايته المفصلة: ان ابن عتيك وصل إلى غرفته المظلمة،فناداه،فأجابه،فضرب جهة الصوت، فصاح؛ فهرب ابن عتيك ،ثم عاد إليه،فقال: ماهذا الصوت؛ فأجابه: أن رجلاً في البيت، فضرب نحو الصوت، فأثخنه، ثم وضع السيف في بطنه، حتى خرج من ظهره، ونزل من درج،فوقع،فانكسرت ساقه؛فعصبها بعمامة؛ثم جلس عندالباب، ليعرف إن كان قد قتل حقاً، فسمع أول الفجر نعيه، فانطلق إلى أصحابه، ثم

إلى النبي(ص)، فمسح(ص) رجله، فكأنه لم يشتكها قط...

وقبل المضي في الحديث لابد من تسجيل النقاط التالية:

ألف: الاسلام قيد الفتك:

إنه ربما يُتخيل: أن الاغتيالات المنظمة التي تحدثنا عنها لا تناسب ماورد من أن الاسلام قيد الفتك، فلايفتك مؤمن... حتى ليقال: إن هذا كان هوالمانع لمسلم بن عقيل من قتل عبيدالله بن زياد في بيت هاني بن عروة(١).

ولكن الحقيقة هي: أنه لامنافات بين ماذكر؛ فان المقصود بالفتك هوالقتل غدراً لمن يكون منك في أمن من ناحيتك...

وليس الأمر بالنسبة لليهود كذلك، لأنهم كانوا قدعاهدوا النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم: أن لايحاربوه ولايظاهروا عليه عدوه... و هؤلاء قد آذوا المسلمين، وهجوهم، وحرضوا المشركين عليهم، وناحوا على قتلى بدر، بل ذهب ابن الاشرف إلى مكة للتحريض عليهم، وشبب بالنساء المسلمات، وحتى بنساء رسول الله (ص)... الى آخر ماتقدم...

و إذن فقد صار هؤلاء من أظهر مصاديق «المحاربين»، وناقضي العهود، ولاباس بالاحتيال على المحارب لقتله؛ فان «الحرب خدعة(٢)»...

---

(١)— الجامع الصغير ج ١ ص ١٢٤ عن البخاري في التاريخ وأبي داود، ومستدرك الحاكم ومسند أحمد ومسلم وكنوز الحقائق بهامش الجامع الصغير ج ١ ص ٩٦، ومستدرک الحاكم ج ٤ ص ٣٥٢ و مسند أحمد ج ١ ص ١٦٦، و منتخب كنزالعمال بهامش المسند ج ١ ص ٥٧، و مقتل الحسين للخوارزمي ج ١ ص ٢٠٢ فصل ١٠ و مناقب ابن شهر آشوب ج ٢ ص ٣١٨ و مقتل الحسين للمقرم ص ١٧١ عنهم وعن: ابن الأثير ج ٤ ص ١١ و عن تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٤٠ و عن البحار ج ١١ في معجزات الصادق عليه السلام، وعن وقايع الايام عن الشهاب في الحكم والآداب.

ولابأس بمراجعة مشكل الآثار ج ١ ص ٧٨.

(٢)— المنتقى ج ٢ ص ٧٦٥.

وقد كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد غزوة ورّى بغيرها، كما أنه(ص) قد أجاز لهم أن يقولوا ماشاؤا، حينما ذهبوا إلى قتل ابن الاشرف، وذلك لأن شرّ هذا المحارب وفساده في الأرض، ووقوفه في وجه كلمة الله، واقامة العدل والحق أعظم من أي قول يقولونه، وأي أسلوب يتبعونه...

وأخيراً... فهل يشك أحد في أن من يكون في ساحة الحرب، فان لعدوه أن يختله من خلفه، و يتخلص منه؟!. ومن كان محارباً، فليس له أن يأمن عدوه...

و يدل على ماقلناه: أن نفس امرأة كعب بن الاشرف قد حذرته، وقالت له: «إنك امرؤ محارب، و إن صاحب الحرب لاينزل في مثل هذه الساعة»!!

كما أن مما يدل على ذلك: أنهم قد احتاجوا إلى تجديد العهد الذي نقضوه، وكتابة عهد آخر كان عند علي أمير المؤمنين، وصي النبي ووارثه، صلوات الله وسلامه عليه...

و بعد كل ماتقدم... فاننا نجد معاوية يحاول — كعادته — أن ينتقص رسول الله (ص)، و يظهر ابن الاشرف على أنه قد قتل مظلوماً... فعن عباية، قال: ذكر قتل كعب بن الاشرف عند معاوية، فقال: كان قتل غدراً... فقال محمد بن مسلمة: يامعاوية، أيغدر عندك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ لايظلني و إياك سقف بيت ابداً(١).

وحسبنا هنا: أن نقول عن معاوية ومواقفه ومخزياته: وكل اناء بالذي فيه ينضح.

باء: رعب اليهود:

إن هذه الاغتيالات التي نظمت، ونفذت ببراعة فائقة، وذكاء

---

(١)— مشكل الآثار ج ١ ص ٧٧.

وعبقرية نادرة، قد أرعبت اليهود، وأخافتهم، ولاسيما بعد قتل ابن الاشرف الغادر، حتى إنه «ليس بها يهودي إلا وهو خائف على نفسه». وحتى قال كعب بن مالك :

فغودر منهم كعب صريعاً فذلت بعد مصرعه النضير

وأصبح القضاء على من يغدر من اليهود أسهل وأيسر، فالمسلمون يملكون الجرأة الكافية، واليهود أصبحوا خائفين على أنفسهم، والقضاء على الخائف المرعوب أسهل وأيسر من القضاء على غيره، وكان ذلك واحداً من مصاديق قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «نصرت بالرعب». وذلك أمر طبيعي بالنسبة لمن لايؤمن بالمعاد، و يعتقد أن جنته هي هذه الدنيا، وأنه إذا فقد حياته، فقد فقد كل شيئ، حسبما المحنا إليه من قبل...

جيم: مع موقف عمير في أصالته ونبله:

١ً ـ يلاحظ: أن عمير بن وهب ينحّي ولد العصماء عن صدرها، ثم يقتلها...

وهذا يؤكد: على أن الاسلام ليس ضد الانسان، وإنما هو ضد مواقفه وتصرفاته المنحرفة عن الحق والعدل والفطرة، فهو يريد فقط: أن يقضي على مصدر الخطر على الحق والفطرة... وحينما لايبقى ثمة سبيل إلا القضاء على مصدر الفتنة؛ وحيث يكون آخر الدواء الكي؛ فانه لابدو أن يكتفى بالحد الأدنى، الذي يتحقق فيه الهدف الأقصى، وهو اقامة الدين والحق...

٢ً ـ ثم إننا لنكبر هذا التعقل النادر لعمير في موقف حرج وخطير كهذا... حتى إنه ليملك في هذه اللحظات الحساسة جداً أن يتخذ القرار الحاسم والمبدأي، وكما يريده الاسلام، بعيداً عن كل اضطراب وانفعال ـ ولاسيما وهو ضرير، كما قيل، أو ضعيف البصر ـ نعم... إنه يتصرف بهدوء واطمئنان ووعي، حتى في أحرج اللحظات، واكثرها إثارة للاعصاب، وتشويشاً للحواس... ومثل ذلك يقال بالنسبة لامتناعهم عن قتل المرأة التي كادت

تفضحهم بصياحها في قضية أبي رافع. حين تذكروا نهي النبي(ص) عن قتل النساء والصبيان...

وهذه هي الشخصية الاسلامية التي يريدها الاسلام، واستطاع أن يصدّر للعالم الكثير من النماذج الحية لها... من أمثال سلمان، وعمار، وأبي ذر، والمقداد، والاشتر وفوق هؤلاء جميعا سيدهم وامامهم وأميرهم، أمير المؤمنين علي عليه السلام، والأئمة من ولده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين...

و يكفي أن نذكر مثالاً وقدوة لكل الاحرار، والذين يعيشون المبدأ بكل وجودهم: أن أمير المؤمنين عليه السلام حينما أراد أن يقتل عمرو بن عبدودّ، فشتمه عمرو، وتفل في وجهه... قام عنه، حتى ذهب عنه غضبه، ثم عاد إليه فقتله، فعل ذلك ليكون قتله له خالصاً لله، لايتدخل فيه عنصر حب الانتقام لنفسه، وغضبه لها، ولو بشكل لاشعوري...

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ماسواها

٣ـ ثم هناك رواية شواهد النبوة، التي تضيف: أن بعض الصحابة قد نفس على عمير هذا الوسام النبوي الذي ناله عن جدارة واستحقاق، ولم يستطع أن يخفي ذلك في نفسه، بل ظهر في فلتات لسانه بتعبير فيه شيئ من الجفاء الجارح، دعا الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى محاولة حسم الموقف، ثم التلطيف والتخفيف من وقع تلك العبارة، ثم معاودة التأكيد على جدارة عمير، واستحقاقه للثناء، وعرفان حقه، بقوله(ص): «مه يا عمر، فانه بصير»...

٤ـ وهناك أيضاً موقف عمير في قومه، الذي أدّى إلى أن يعزّفيهم الاسلام، و يسلم منهم رجال...

فان في ثقة عمير بنفسه و بدينه، وصلابته في التعبير عن هذه الثقة، حتى لقد صرح لهم: أنه لم يعد يخشى أحداً على الاطلاق... إن في ذلك ... مايجعل كل من يتردّد في قبول الاسلام، بسبب خوفه وضعف نفسه... يشعر

بأن بامكانه أن يجد في الاسلام نصيراً ومعيناً وحامياً له، ولم يعد ثمة مايبرر موقفه السلبي منه... ولأجل هذا نجد: أن عدداً منهم يدخل في الاسلام، حينما شعر بعزّة الاسلام و بقوته في تلك القبيلة...

دال: ابن الاشرف، وأبوسفيان:

وفي قضية ابن الاشرف يواجهنا سؤال أبي سفيان لكعب عن الدين الحق، ثم محاولة أبي سفيان الاستدلال على أحقية دينه بما تقدم، من أنهم يطعمون الجزور الكوماء، و يسقون اللبن على الماء إلخ... ونحن هنا نسجل مايلي:

١ـ إن ذلك يؤيد ماقدمناه، من أن العرب كانوا يرون في اليهود مصدراً للمعرفة والثقافة

وذلك لأننا و إن كنا نكاد نطمئن إلى أن أباسفيان لم يكن يجهل بأحقية دين الاسلام، وأنه من أجلى مصاديق قوله تعالى: «وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم»، وإنما هو يحارب الاسلام من أجل الحفاظ على مصالحه الشخصية، وامتيازاته غير المشروعة ولا المعقولة، التي كرّسها العرف الجاهلي الظالم والمنحرف له ولا مثاله...

إلا أننا نعتقد: أن أباسفيان كان يهدف من سؤاله هذا لابن الاشرف اليهودي إلى خداع البسطاء والسذج من قومه وأتباعه، من أجل ضمان استمرارهم معه في حرب الاسلام والمسلمين وجدّيتهم في ذلك...

٢ـ إننا نلاحظ: أن كرم العرب هو أقصى ما استطاع أن يأتي به أبوسفيان كدليل على أحقية دينه... وقد تقدم في أوائل هذا الكتاب مايرتبط بماعرف عن العرب من ميزات وخصائص فلانعيد...

هاء: تساؤل حائر:

إنهم يذكرون: أن النبي(ص) قد أعلن بشكل عام رغبته في قتل ابن الاشرف، فقال: من لي بابن الاشرف، فانتدب له محمدبن مسلمة... ثم يذكرون كيفية احتيالهم عليه، وقتلهم له...

ولكن السؤال هناهو: كيف يعلن النبي ذلك، ثم لايصل الخبرالى مسامع ابن الاشرف عن طريق مشركي المدينة أويهودها، أو على الاقل منافقيها؟!... وكيف جازت عليه حيلتهم بهذه السهولة، وهو يعلم: أنه محارب؟!...

وعن محمدبن مسلمة ودوره في قتل ابن الاشرف تساور ناشكوك وشكوك ... فان من يراجع كتب السيرة يلاحظ: أن ثمة كثيراً من التركيز على دوره في هذه القضية، مع أن من يتأمل في وقائعها لايجد له كبير أثر فيها، بل الدور الاكبر هولأبي نائلة. وابن مسلمة لوكان معهم، فانما كان كغيره ممن كان...

كما و يلاحظ: أن ثمة اهتماماً في اعطائه بعض الأدوار الهامة في الدفاع عن الاسلام، والدين... ونحن نشك في ذلك، ولانستبعد أن يكون للسياسة يدفي هذاالامر، وإظهاره على أنه رجل شجاع، مناضل، مخلص إلخ... في مقابل الآخرين ممن تهتم السلطة بايجاد بدائل لهم وعنهم... فان محمدبن مسلمة كان ممن امتنع عن بيعة أميرالمؤمنين عليه السلام— كما في كتاب سليم بن قيس، وخلفاء ابن قتيبة، وفيه: أن علياً عليه السلام قال لعمار رحمه الله: «ذنبي إلى محمدبن مسلمة: أني قتلت أخاه يوم خيبر، مرحب اليهود» (ولعله كان أخاله من الرضاعة). وفي شرح المعتزلي: أنه كان من المهاجمين لبيت فاطمة عليها السلام، وأنه هوالذي كسر سيف الزبير... وكان أيضاً: أحد ثقات الخليفة الثاني ومعتمديه، كما نص عليه البلاذري وغيره(١) كما أن عمر قد بعثه إلى الشام في مهمة قتل سعدبن عبادة كما يقول التستري(٢)...

واو: التنافس القبلي:

ولقد رأينا: أن التنافس القبلي بين الأوس والخزرج، حينما وظف في

---

(١)— الزهد والرقائق لابن المبارك ص ١٧٩.

(٢)— راجع في كل ذلك: قاموس الرجال ج ٨ ص ٣٨٨.

خدمة الاسلام والمسلمين آنى ثماراً خيّرة... فكان قتل الخزرج لابي رافع واحدة من تلك الثمار، وكان هوالنتيجة البنّاءة الطبيعية لهذا التنافس، الذي سعى النبي(ص) إلى تغيير منطلقاته وأهدافه، لتكون في خدمة الدين والحق والخير للانسان، الفرد والجماعة على حد سواء...

زاي: جهل وغرور ابن الاشرف:

إن غرور كعب بن الاشرف، واعتداده الزائد بنفسه حتى ليقول لزوجته عن أبي نائلة: إنه لو وجده نائماً لما أيقظه، والأهم من ذلك جهله بالتغيير الجذري الذي يحدثه الاسلام في نفس وفي شخصية الانسان... إن كل ذلك... هوالذي أوقعه في الفخ الذي نصبه له أولئك المجاهدون البواسل، الذين نذروا أنفسهم لخدمة دينهم الحق...

ولو أنه كان قد أدرك ماكان حويصة قد أدركه في أخيه محيصة، وعاش الواقع الحي الذي يواجهه، وحاول أن يتفاعل معه، وتخلى عن عنجهيته وغروره لماكان ينبغي أن يسبقه حويصة إلى التشرف بالاسلام.

حاء: الاسلام والانسان:

وقد سبق: أن حويصة حينما عرف أن هذا الدين قد بلغ بأخيه: أنه لو أمره الرسول بقتل أخيه لقتله، أدرك أحقية هذا الدين، وتشرف بالدخول فيه...

وسبق كذلك: أن أحد الاخوة يبارز أخاه في صفين، ويلقيه على الأرض، ويجلس على صدره ليذبحه، فلما رأى وجهه عرف أنه أخاه، ولكنه بقي مصراً على قتله، رغم تدخل الآخرين، ولم يقبل أن يتركه إلا إذا أذن له أمير المؤمنين عليه السلام، فأذن له، فتركه حينئذٍ...

كما أن هذه الدرجة من اليقين هي التي دعت عبدالله بن عبدالله بن أبيّ الى: أن يستأذن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم في قتل أبيه المنافق... إلى غير ذلك من الامثلة التي لامجال لاستقصائها.

نعم... وهذا اليقين هوما أشار إليه عمار بن ياسر رضوان الله تعالى عليه، حينما قال عن الجيش الذي جاء لمحاربة أمير المؤمنين: والله، لوقاتلونا حتى ابلغونا سعفات هجر لعلمنا: أننا على الحق وأنهم على الباطل...

فعمار لم ير النصر العسكري، والقوة العسكرية مقياساً للحق والباطل، كما هو شأن ضعاف النفوس... بل هو يجعل النصر والهزيمة رهن الحق والباطل. فالمحق منتصر دائماً، حتى حينما يكون منهزماً عسكرياً وسياسياً، والمبطل هوالمنهزم، و إن كان منتصراً على الصعيد العسكري و غيره في ظاهر الأمر...

نعم...إن قضية حويصة ومحيصة...تمثل لنا الشخصية التي يريد الاسلام، واستطاع الرسول الاعظم(ص) والائمة من بعده: أن يصنعوا منها نماذج متفوقة، تعتبر حب الله متفوقاً على كل حب، ورابطة العقيدة تسموا على كل رابطة(١).

ولكن لم تستطع سائر الاجهزة الحاكمة: أن تصنع ولو نموذجاً واحداً من هذا القبيل، حتى ولو في المستوى الأدنى... و إذا مالوحظ وجود فرد يتجه في هذا السبيل، فانك ستجده يرتبط بأهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، بنحو من الارتباط والاتصال...

و بعد ماتقدم... فاننا لابد وأن نفسح المجال أمام الحديث عن المرحلة الثانية هنا، فالى الصفحات التالية:

---

(١)— راجع مقال: الحب في التشريع الاسلامي في كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام، أول الجزء الثاني.

الفصل الخامس:

حروب علنية بين المسلمين واليهود

قريش... تحرض اليهود على نقض العهد:

قال عبدالرزاق: «وكتب كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: «انكم أهل الحلقة والحصون، وانكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا. ولايحول بيننا وبين خدم نسائكم، وهو الخلاخل — [شيء] — فلما بلغ كتابهم اليهود أجمعت بنو النضير [على] الغدر إلخ...»

ثم يذكر قضية غدر بني النضير.. وماجرى بينهم وبين المسلمين(١).

ونحن نستقرب أن يكون بنو قينقاع هم أول من استجاب لطلب قريش هذا، ولاسيما وأن قريشاً قد كتبت لهم بعد بدر، وكان نقض بني قينقاع للعهد بعد بدر أيضاً... أما قضية بني النضير فقد كانت فى السنة الرابعة بعد أحد، كما هو معلوم...

كما أن المؤرخين يقولون: إن بني قينقاع لما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد، ونبذوا العهد الذي كان بينهم وبين النبي(ص): أن لايحاربوه، وأن لايظاهروا عليه عدوه، ونبذوه إلى رسول الله (ص)، وكانوا أول من غدر من اليهود...

تصعيد التحدي:

قالوا: وكان بنو قينقاع أشجع وأشهر قوم من اليهود، واكثر اليهود

---

(١) — المصنف لعبد الرزاق ج ٥ ص ٣٥٩.

أموالاً، وأشدهم بغياً، وكانوا صاغة، وكانو حلفاء لعبدالله بن أبي، وعبادة بن الصامت...

فبينما هم على مجاهرتهم وكفرهم، إذ جاءت امرأة مسلمة إلى سوقهم(١)؛ فجلست عند صائغ منهم، لأجل حلي لها؛ فأرادوها على كشف وجهها، فأبت. فعمد الصائغ، أورجل آخر إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي لا تشعر... فلما قامت انكشفت سوأتها؛ فضحكوا منها؛ فصاحت، فوثب مسلم على من فعل ذلك فقتله، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستنصر أهل المسلم بالمسلمين، فغضب المسلمون؛ وقال(ص): «ما على هذا قرّرناهم»؛ فتبرأ عبادة بن الصامت من حلفهم، وقال: يا رسول الله، أتولّى الله ورسوله، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار...

وتمسك ابن أبي بالحلف، وأصرّ على الرسول(ص) بتركهم، وقال: إنه امرؤ يخشى الدوائر، فنزل فيه قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا، لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض... إلى قوله تعالى: فان حزب الله هم الغالبون(٢)».

فجمعهم النبي(ص) في سوقهم، وقال لهم: «يا معشر يهود، احذروا من الله مثل مانزل بقريش من النقمة، واسلموا؛ فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل، تجدون ذلك في كتابكم، وعهد الله اليكم.»

قالوا: «يا محمد، إنك ترى أناقومك ؟! ولايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب، فأصبت لهم فرصة. إنا والله، لو حاربناك، لتعلمن أنا نحن الناس».

فأنزل الله تعالى: «قل للذين كفروا: ستغلبون... إلى قوله: لعبرة

---

(١)— راجع هذه القضية في: الكامل لابن الأثيرج ٢ ص ١٣٧ و ١٣٨، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣و٤، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٨.

(٢)— راجع: الدر المنثورج ٢ ص ٢٩٠/٢٩١ عن: ابن اسحاق، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر، وابن أبي شيبة.

لأولي الابصار(١)» وقوله: «واما تخافن من قوم خيانة؛ فانبذ إليهم على سواء(٢)». كذا يقولون.

فتحصن بنو قينقاع في حصونهم... فاستخلف(ص) على المدينة أبا لبابة، وسار إليهم، ولواؤه الابيض (أوراية العقاب السوداء) يحمله أمير المؤمنين عليه السلام (وقولهم: بيد حمزة ينافيه ماسيأتي من الادلة الكثيرة على أن علياً(ع) كان صاحب لواء رسول الله(ص) في كل مشهد).

وحاصرهم النبي(ص) خمس عشرة ليلة، ابتداء من النصف من شوال السنة الثانية... أوفي صفر سنة ٣، (وهو بعيد بملاحظة: أنهم إنما غضبوا من انتصار المسلمين في غزوة بدر).

وقذف الله في قلوبهم الرعب. وكانوا أربعمأة حاسر، وثلاثمأة دارع؛ فسألوا رسول الله (ص): أن يخلي سبيلهم، ويجليهم عن المدينة، وأن لهم نساءهم والذرية، وله الأموال والسلاح. فقبل(ص) منهم، وفعل بهم ذلك، وأخذ أموالهم وأسلحتهم، وفرقها بين المسلمين، بعد أن أخرج منها الخمس، وأجلاهم عن المدينة إلى أذرعات (بلد بالشام).

فيقال: إنه لم يدُر عليهم الحول حتى هلكوا...

وفي نص آخر: انهم أنزلوا من حصونهم وكتفوا، وأراد(ص) قتلهم، فأصر ابن أبي عليه(ص): أن يتركهم له بحجة: أنه امرؤ يخشى الدوائر، أربعمأة حاسر، وثلاثمأة دارع، قد منعوه من الاحمر والاسود، على حد تعبيره... فاستجاب النبي(ص) الى طلبه واصراره، وأجلاهم... ونزل في ابن أبي قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض... إلى قوله: حزب الله هم الغالبون(٣)».

---

(١)— آل عمران ١٢.

(٢)-الأنفال ٥٨.

(٣)— المائدة. ٥٦

وقبل أن نمضي في الحديث لابد من تسجيل النقاط التالية:

ألف: نزول الآية في ابن أبي:

إن نزول قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء إلخ... في ابن أبي محل شك، وذلك لمايلي:

١ـ إن ابن ابي لم يكن مؤمناً، والآية تخاطب الذين آمنوا.

هذا بالاضافة إلى ذكر النصارى في الآية، ولم يكن للنصارى دور في قضية بنى قينقاع.

الا ان يقال: إن الخطاب للمؤمنين وذكر النصارى إنما هو لاعطاء قاعدة كلية، وتحذير المؤمنين من موقف يشبه موقف ابن أبي... فما فعله ابن أبي كان سبب نزول الآية في تحذير المؤمنين من موقف كهذا...

٢ـ إن الظاهر بل المصرح به هو أن سورة المائدة قد نزلت جملة واحدة في حجة الوداع سنة وفاته(ص)، وقضية بني قينقاع إنما كانت قبل أحد... فهل تأخر نزول الآية عن مناسبتها مايقرب من ثمانية سنين؟!!.

٣ـ إن آية: «إنما وليكم الله ورسوله إلخ...» موجودة في ضمن الآية المدعى نزولها في ابن أبي فى هذه المناسبة... مع أنه قد تواترت الروايات في أن هذه الآية قد نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام في غدير خم المبارك ...

حقيقة القضية:

ولعل هذا هوالسر في دعوى نزول مجموع الآيات في هذه المناسبة، أي من أجل التشبيه والتضليل للسذج والبسطاء وتشكيكهم في قضية الغدير، التي كانت ولا تزال الشوكة الجارحة في أعين شانئي علي عليه السلام ومبغضيه...

فالظاهر هو أن هذه الآيات قد نزلت لتحذير المسلمين من الاتجاه الذي كانت بوادره تظهر وتختفي بين الحين والحين، من الاندفاع نحو اهل الكتاب بصورة عامة... حتى لقد كان الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله

وسلم نفسه يواجه بعض مايعبر عن هذا الاندفاع نحو الثقافة اليهودية، والخضوع لهيمنة فكر أهل الكتاب عموماً!! وقد رأى النبي (ص) في يد عمر (رض) ورقة من التوراة، فغضب، حتى تبين الغضب في وجهه، ثم قال: ألم آتكم بها بيضاء نقية؟! والله، لو كان موسى حياً ماوسعه إلا اتباعي... وفي رواية أمهوكون فيها يابن الخطاب؟ إلخ وفي أخرى: أن عمر نسخ كتاباً من التوراة بالعبرية، وجاء به، فجعل يقرؤه على رسول الله (ص) (١).

وقد ازداد ذلك عنفاً وقوةً بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... وهذا موضوع هام جداً، ومتشعب الأطراف... حيث إن آثار التأثر بأهل الكتاب قد ظهرت بشكل أو بآخر في كثير من المجالات: العقائدية، والفكرية، والفقهية، وغير ذلك ... وقد كنا بدأنا ببحث هذا الموضوع، وتوصلنا فيه إلى العديد من النتائج المذهلة على صعيد الفكر، والسياسة، والعقيدة، والتشريع نسأل الله تعالى أن يوفقنا لاتمامه انه ولي قدير...

باء: حول الراية:

إن الظاهر: هو أن الراية في هذه الحرب كانت سوداء، لأن هذه هي راية حرب وغضب رسول الله (ص) على أهل الكفر والشرك والضلال، فيقول الكميت مشيراً إلى ذلك:

و إلافار فعوا الرايات سوداً على أهل الضلالة والتعدي.

وقد كانت رايته (ص) يوم فتح مكة سوداء، وكانت راية اميرالمؤمنين عليه السلام في حربه لاعدائه سوداء أيضاً، إشارة إلى أن من يحاربهم عليه السلام لايفترقون عمن حاربهم الرسول (ص) فيما سبق...

كما أننا قد قلنا: اننا سنشير في أوائل غزوة أحد إلى أن حامل لواء

---

(١)— راجع مقدمة ابن خلدون ص ٤٣٦ واضواء على السنة المحمدية ص ١٦٢ والاسرائيليات في التفسير والحديث ص ٨٦ وفتح الباري ج ١٣ ص ٢٨١ عن ابن أبي شيبة واحمد، والبزار ومسند أحمد ج ٣ ص ٣٨٧ وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

النبي(ص) في جميع حروبه هو أمير المؤمنين عليه السلام... فكل ما يذكر خلاف ذلك ماهو إلا عربدة وتضليل...

وأما أن راية العقاب كانت قطعة من برد لعائشة، كما ذكره الحلبي(١)... فنحن نشك في ذلك ،لأنه هو نفسه قد ذكر في وقعة خيبر: ان « المقريزي لما ذكر رُتَبَ الرياسة في الجاهلية، ذكر: أن العقاب كان في الجاهلية راية تكون لرئيس الحرب، وجاء الاسلام وهي عند أبي سفيان، وجاء الاسلام والسدانة واللواء عند عثمان بن أبي طلحة، من بني عبدالدار(٢)».

والعبارة مشوشة، كماترى ، ولكنها تدل على أي حال على أن العقاب لم تكن من مرط عائشة... ثم إننا لاندري لماذا اختار مرط عائشة ليكون راية له!!...

جيم: الخمس:

١ـ إننا نلاحظ: أن الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم قد فرق السلاح والاموال التي غنمها من بني قينقاع على المسلمين، مع أنها كانت مما أفاء الله عليه، فهي له دون غيره... ولكنه صلى الله عليه وآله آثر أن يفرقها بين المسلمين بعد اخراج الخمس منها، اعانة لهم، ولطفا بهم، وعطفاً عليهم...

٢ـ قالوا: إن خمس بني قينقاع كان أول خمس قبضه رسول الله (ص) (٣).

وهذا محل شك أيضاً، فقد تقدم قولهم: إنه قد خمّس ماغنمه المسلمون من المشركين في غزوة قرقرة الكدر... وكذا قيل في غزوة بدر، وفي سرية ابن جحش.

---

(١)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٠٩.

(٢)ـ السيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٥/٣٦.

(٣)ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٧٤.

وتوجيه ذلك بأن المراد هنا: أنه أول خمس قبضه، وفيما تقدم كان(ص) لايقبض الخمس، وانما يرده على المسلمين... ضعيف... فقد سبق في غزوة بدر: أنه(ص) قدبقي يقسم الخمس على المسلمين بعد ذلك أيضاً، حتى في غزوة حنين... وبعدها كما أشير إليه فى بعض النصوص المتقدمة، فراجع...

دال: بعض أهداف ونتائج حرب بني قينقاع:

ان حرب المسلمين لبني قينقاع، وهم اشجع اليهود، واكثرهم مالاً، والقضاء عليهم معناه:

١ً— أنه(ص) لاير يد أن يفسح المجال لهم— كما يقول الحسني— لأن «يطمعوابه، و يكتلوا حولهم من يشاركهم الرأي من المنافقين والاعراب»، لأن صبر النبي(ص) عليهم، وامره للمسلمين بالتحمل مهما أمكن، جعل اليهود يظنون: أن هذا ناتج عن ضعف وخور فاستمروا في تحرشاتهم(١).

٢ً— أن يسهل القضاء على الآخر ين من الاعداء، ممن هم اقل منهم قوة وعدداً، وعدة ومالاً... لانهم إذارأوا: ان اصحاب الشوكة لم يستطيعوا ان يأتوا بشيء؛ فانهم سوف يقتنعون بانهم— وهم الاضعف— اولى ان لا يأتوا بشيٍ ايضاً...

٣ً— ان ماغنمه المسلمون من بني قينقاع، من شأنه ان يز يد من طموح المسلمين للقضاء على اعدائهم، و يسهّل عليهم الوقوف في وجههم؛ حيث يرتاح بالهم من جهة معاشهم، ولايبقى مامن شأنه ان يشغل بالهم، و يستبد بتفكيرهم...

٤ً— كما ان ذلك إنما يعني التخلص من عدوداخلي يعرف مواضع الضعف والقوة. وربما يكون اخطر من ذلك العدو الخارجي بكثير.

---

(١)— سيرة المصطفى ص ٣٧٩.

٥ـ اننا نلاحظ: ان القضاء على اليهود كان يتم على مراحل، وذلك بطبيعة الحال اسهل وايسر من القضاء عليهم، فيما لوكانوا مجتمعين، دفعة واحدة، وفى صعيد واحد، يعين بعضهم بعضاً.

٦ـ والمسلمون ايضا، إذا رأوا أنفسهم قد استطاعوا القضاء على اشجع اليهود، واكثرهم قوة ونفوذاً، فانهم سوف يتشجعون للقضاء على من سواهم، ولايبقى مجال للخوف ولا للتردد.

هاء: الحجاب:

ان قضية المرأة التى ارادوها على كشف وجهها، تدل بشكل قاطع على ان الحجاب قد كان مفروضاً حينئذ، اي فى السنة الثانية للهجرة، مع ان المعروف هو: ان الحجاب قد فرض بعد ذلك بعدة سنين. فان صحت هذه الرواية، فذلك القول يكون فى غير محله.

الا ان يقال: ان المراد: أن فرض الحجاب وايجابه كان فى سنة خمس، او بعدها... وهذا لاينافى ان يكون الالتزام بالحجاب، على اعتبار انه امر راجح وحسن كان قبل ذلك بسنين. وذلك اتباعاً لتوجيهات النبي(ص)، وترغيباته، ودعواته الى ذلك؛ اذلايبعد ان يكون تشريع الحجاب قد جاء تدريجاً؛ لتتقبله النفوس، وتألفه العادة. ولاسيما إذا لاحظنا: انه ربما كان امراً صعبا على نساء الجزيرة العربية، اللواتي يعشن فى جوحار جداً، كما هو معلوم.

واو: الغرور... والايمان:

اننا نلاحظ: انه(ص) لاينسب انتصاراته الساحقة على المشركين إلى نفسه، أو الى جيشه... ولايسمح لنفسه بأن تتوهم: أنها هي التي انتصرت بالقوة، والعدة، والعدد، او بالعبقرية الحربية؛ فان الانتصار الذي سجل فى بدر مثلاً لم يكن فى المقاييس المادية انتصاراً. وانما هو معجزة الهية، لايمكن لأحدان يحترم نفسه إلا ان يذعن إلى هذه الحقيقة، و يسلم بها... وهذا هو ماقرره الله تعالى بقوله: ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة... آل عمران ١٢٣.

كما انه تعالى قد تعرض لحالة العجب بالنفس فى حنين، فقال: لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة، و يوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم من الله شيئاً (التوبة ٢٥).

هذا بينما نجد بني قينقاع مغترين بقوتهم وشوكتهم، حتى قالوا له: لوحار بناك لتعلمن: انا نحن الناس... فوعدهم الله بالهزيمة والخذلان... و صدق الله وعده، فزاد ذلك من يقين المؤمنين وتصميمهم، ومن ذل الكافرين وخزيهم.

زاي: الاستجابة لابن أبي:

وان استجابة النبي(ص) لابن أبي في بني قينقاع كانت تهدف إلى الحفاظ على الجبهة الداخلية من التصدع. ولولا ذلك فلربما كان ينتهى الامر إلى النزاعات المكشوفة، والمواجهات العلنية، الأمر الذي لم يكن في صالح الاسلام والمسلمين في تلك الفترة؛ فان الابقاء على العلاقات الحسنة مع المنافقين في تلك الفترة كان أمراً ضرورياً؛ لكسب أكبر عدد منهم في المستقبل، عن طريق التأليف والترغيب، وكذلك من ابنائهم، ثم توفير الطاقات لعدو أشدّ وأعتى... كما أن اجلاء بني قينقاع، كما أنه يعتبر ضربة نفسية لغيرهم من اليهود كذلك هو يعتبر اضعافاً لابن أبي ومن معه من المنافقين.

حاء: بنو قينقاع تحت الاضواء:

وأما لماذا تجرأ بنو قينقاع على نقض العهد... فالظاهر: أن ذلك يرجع: إلى غرورهم واعتدادهم بشجاعتهم، و بكثرتهم، ولعلهم كانوا يتوقعون نصر حلفائهم من الخزرج لهم، كما يظهر من قولهم له(ص): لتعلمن أنا نحن الناس... ثم هناك اعتمادهم على مايملكونه من خبرة عسكرية، ومعرفة بالحرب، وقد عبروا عن ذلك أيضاً بقولهم له(ص): لايغرنك أنك لقيت قوماً لاعلم لهم بالحرب...

و إلا... فاننا لانرى مبرراً لأن تعلن قبيلة واحدة الحرب على كثير

من القبائل في المدينة، إن لم تكن تملك شيئاً من مقومات النصر المحتمل...

ولكن كثرتهم وخبرتهم الحربية لم تغن عنهم شيئاً، كما ان حلفاءهم من الخزرج إما تخلوا عنهم؛ لأن الوفاء لهم خيانه لعقيدتهم ومبدئهم، الذي يبذلون أرواحهم في سبيل الحفاظ عليه... و إما أنهم لم يتمكنوا من نصرهم، بسبب ماقذف الله في قلوبهم من الرعب، وكون ذلك سوف يتسبب لهم بانشقاقات وخلافات داخلية... وأقصى ما استطاع ابن أبي أن يقدمه لهم، هو أن يمنع من استئصالهم، مع الاكتفاء باجلائهم إلى مناطق بعيدة لن يمكنهم الصمود فيها اكثر من سنة، وليواجهوا من ثم الفناء والهلاك .

وأما لماذا لم يهب اليهود لنصرة بني قينقاع... فان ذلك يرجع إلى أنه قد كان بينهم و بين سائر اليهود عداوة، وذلك لأن اليهود كما قال ابن اسحاق: «كانوا فريقين، منهم بنو قينقاع ولفهم(١)، حلفاء الخزرج. والنضير وقريظة ولفّهم حلفاء الاوس، فكانوا إذا كانت بين الاوس والخزرج حرب، خرجت بنو قينقاع مع الخزرج، وخرجت النضير وقريظة مع الاوس. يظاهر كل من الفريقين حلفاءه على اخوانه، حتى يتسافكوا دماءهم بينهم، و بأيديهم التوراة يعرفون فيها ما عليهم ومالهم، والأوس والخزرج أهل شرك يعبدون الأوثان: لايعرفون جنة ولاناراً ولابعثاً ولاقيامة، ولاكتاباً، ولاحلالاً، ولاحراماً؛ فاذا وضعت الحرب أوزارها افتدوا أساراهم، تصديقاً لما في التوراة، وأخذ به بعضهم من بعض، يفتدي بنو قينقاع من كان من أسراهم من أيدى الاوس، وتفتدي النضير وقريظة مافي أيدي الخزرج منهم، و يطلون ما أصابوا من الدماء وقتلى من قتلوا منهم فيما بينهم، مظاهرة لأهل الشرك عليهم(٢)».

وكانوا بذلك مصداقاً لقوله تعالى وهو يخاطب اليهود: «و إذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم، ولاتخرجون أنفسكم من دياركم، ثم أقررتم وانتم تشهدون. ثم انتم هؤلاء تقتلون أنفسكم، وتخرجون فريقاً منكم من

---

(١)— لفهم: أي من يعدّفيهم.

(٢)— السيرة النبوية، لابن هشام ج ٢ ص ١٨٨/١٨٩.

ديارهم، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان، و إن يأتوكم أسارى تفادوهم، وهو محرم عليكم اخراجهم(١)».

(١)— البقرة ٧٣ و ٨٤.

الباب الثامن:

غزوة أحد... وحتى السنة الرابعة من الهجرة

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب
الفصل الثاني: نصر وهزيمة
الفصل الثالث: في موقع الحسم
الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح
الفصل الخامس: غزوة حمراء الأسد، وإلى السنة الرابعة...

كلمة أخيرة:

الفصل الأول:

قبل نشوب الحرب

غزوة أحد:

أجواء ومواقف:

وفي سنة ثلاث— وشذ من قال في سنة أربع— في شوال يوم السبت على الاشهر— كانت غزوة أحد، وهو جبل يبعد عن المدينة حوالي فرسخ...

وذلك أن نتائج حرب بدر كانت قاسية على مشركي مكة، ومفاجأة لليهود والمنافقين في المدينة... فقريش لايمكن أن تهدأ حتى تثأر لكرامتها، ولمن قتل من أشرافها... حتى لقد أعلنوا المنع عن بكاء قتلاهم؛ لأن ذلك يذهب الحزن، ويطفئ لهيب الأسى من جهة... ولأنه يدخل السرور على قلوب المسلمين من الجهة الأخرى... ولكنهم عادوا فتراجعوا عن هذا القرار؛ فسمحوا للنساء بالبكاء؛ لأن ذلك— بزعمهم— يثير المشاعر، ويذكر الرجال بالعار الذي لحق بهم...

ومضت قريش تستعد لقتال محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وتعبّئ النفوس، وتجهز القوى الحربية لأخذ الثار، ومحو العار.

ومضى اليهود الذين اصبحوا يخافون على مركزهم السياسي، والاقتصادي في المنطقة، والثقافي أيضاً يحرضون المشركين على الثار ممن وترهم... وأعلنوا بالحقد، ونقض العهد... حتى كال لهم المسلمون ضربات صاعقة، هدّت كيانهم، وجرحت كبرياءهم وغرورهم...

ومن جهة النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ومن معه من المسلمين؛ فانهم لن يتخلوا عن الكعبة، ولن يتركوا قريشاً وغطرستها وغرورها، ولاسيما بعد تعديها عليهم، وظلمها القبيح لهم، حتى اضطرهم ظلمها وتعديها إلى الهجرة من ديارهم، تاركين لها كل مايملكون...

وكذلك ... فان النبي(ص) قد حاصر قريشاً بمعاهداته للقبائل التي في المنطقة، ومواد عاته لها، وأصبح يسيطر على طريق تجارتها ولم يعد آمنالها، وبكلمة... لقد أصبحت ترى نفسها بين فكي «كمّاشة»... فلابد لها إذن من كسر هذا الطوق، وتجاوز هذه المأزق... وهذا ماعبر عنه ذلك الزعيم القرشي— كما تقدم في سرية القردة— بقوله لقريش:

«إن محمداً وأصحابه قد عوروا علينا متجرنا؛ فماندري مانصنع بأصحابه، وهم لايبرحون الساحل، وأهل الساحل قدوا دعوهم؛ فماندري أين نسكن. و إن أقمنا في دارنا هذه اكلنا رؤوس اموالنا، فلم يكن لنا بقاء. وحياتنا بمكة تقوم على التجارة إلى الشام فى الصيف، و إلى الحبشة في الشتاء».

جيش المشركين إلى أحد:

وكانت العير التي كانت وقعة بدر من أجلها— وهي ألف بعير كما قالوا— قد بقيت سالمة ومحتبسة في دار الندوة. واتفقوا مع أصحابها على أن يعطوهم رؤوس أموالهم، وهي خمسة وعشرون أو خمسون الف دينار— على اختلاف النقل— و يصرف الربح في قتال المسلمين... وكان كل دينار يربح ديناراً، وهو مبلغ هائل في وقت كان للمال فيه قيمة كبيرة، والقليل منه يكفي للشيء الكثير...

وبعثوا الرسل إلى القبائل يستنصرونهم، وحركوا من أطاعهم من قبائل كنانة، وأهل تهامة... واشترك الشاعر أبو عزة الجمحي في تحريض القبائل على المسلمين، وهو الذي اسر في بدر، ومنّ عليه النبي(ص) بشرط أن لايظاهر عليه— وقد شارك في ذلك

بعد أن ألح عليه صفوان بن أمية، وضمن له إن رجع من أحد أن يغنيه، و إن اصابه شيء أن يكفل بناته...

وخرجت قريش بحدّها وجدّها، وأحابيشها ومن تابعها...

وأخرجوا معهم بالظعن خمس عشرة امرأة،فيهن هند بنت عتبة، لئلاّ يفروا، وليذكرنهم قتلى بدر. يغنين و يضربن بالدفوف ليكون أجدّهم في القتال.

وخرج معهم الفتيان بالمعازف، والغلمان بالخمور، وكان جيش المشركين ثلاثة آلاف مقاتل، وقيل: خمسة آلاف، ونحن نرجح الأول؛ لقول كعب بن مالك:

ثلاثة آلاف ونحن نصيبه ثلاث مئين إن كثرنا وأربع(١)

أي: وأربع مئين:

وكان في جيش المشركين سبعمأة دارع، ومئتا فارس على المشهور وقيل: مئة. ومئة رام. ومعهم الف— وقيل ثلاثة آلاف— بعير،ولايبعد صحته. كلهم بقيادة أبي سفيان الذي صار زعيم قريش بعد قتل أشرافها في بدر...

وكان معهم أبو عامر الفاسق، الذي كان قد ترك المدينة إلى مكة مع خمسين رجلاً من أتباعه من الاوس كراهية لمحمد، خرج إلى مكة يحرض على رسول الله صلى الله عليه وآله، و يقول لهم: إنهم على الحق، وماجاء به محمد باطل... فسارت قريش إلى بدر،ولم يسرمعهم، وسار معهم إلى أحد، وكان يزعم لهم: إنه لو قدم على قومه لم يختلف عليه اثنان منهم، فصد قوه، وطمعوا في

---

(١)— البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠٧... نعم يمكن أن يكون عمدة الجيش ثلاثة آلاف، ومعهم من العبيد والخدم— وهم مقاتلون أيضاً— ألفان... بل في البحار ج ٢٠ ص ١١٧: أن أباسفيان قد استأجر الفين من الأحابيش...

نصره، ولكن الامر كان على عكس ذلك كماسنرى.

وكان مع المشركين أيضاً: وحشي غلام جبير بن مطعم، الذي وعده سيده بالحرية إن هو قتل محمداً، أو علياً، أو حمزة، بعمه طعيمة بن عدي؛ فانه لايدرى في القوم كفؤاً له غيرهم(١).

فقال وحشي له— أو لهند—: اما محمد؛ فلن يسلمه أصحابه، وأما حمزة فلو وجده نائماً لما أيقظه من هيبته، أما علي فانه حذر مرس، كثير الالتفات... وسيأتي: أنه تمكن من الغدر بحمزة، اسدالله واسد رسوله.

سؤال...

و يرد هنا سؤال: وهو انهم إذا كانوا قد أخرجوا معهم النساء لئلاّ يفروا، فلماذا فرواحين حميت الحرب وتركوا النساء؟!...

والجواب عن ذلك سيأتي... حين الكلام على هذا الموضوع، ان شاءالله تعالى...

وصول الخبر إلى المدينة:

و يقولون: إن العباس بن عبدالمطلب كتب إلى النبي(ص) يخبره بمسير قريش، و بكيفية أحوالهم و بعددهم، مع رجل غفاري، على أن يصل إلى المدينة في ثلاثة أيام، فقدم الغفاري المدينة، وسلم الكتاب إلى النبي(ص)، وهو على باب مسجد قباء، فقرأه له أبي بن كعب، فأمره(ص) بالكتمان.

و وقعت الاراجيف بالمدينة. وقال اليهود: إن الغفاري ماجاء بخبر يسر محمداً... وفشا الخبر بخروج المشركين قاصدين المدينة بعدتهم وعددهم، هكذا قالوا...

ولكننا نجد في مقابل ذلك : أن الواقدي يذكر: أن نفراً من خزاعة

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١١٧.

فيهم عمرو بن سالم سروا من مكة أربعاً، فوافوا قريشاً وقد عسكروا بذي طوى، فلما وصلوا المدينة أخبروا رسول الله(ص) الخبر، ثم انصرفوا، ولقوا قريشاً ببطن رابغ.

على أربع ليال من المدينة...

فقال أبوسفيان: أحلف بالله، إنهم جاؤا محمداً فخبروه بمسيرنا، وعددنا، وحذروه منا، فهم الآن يلزمون صياصيهم، فما أرانا نصيب منهم شيئاً في وجهنا... فقال صفوان بن أمية: إن لم يصحروا لنا عمدنا إلى نخل الأوس والخزرج فقطعناه، فتركناهم ولا أموال لهم؛ فلايختارونها أبداً. و إن اصحروا لنا فعددنا اكثر من عددهم، وسلاحنا اكثر من سلاحهم، ولنا خيل، ولاخيل معهم، ونحن نقاتل على وترلنا عندهم، ولا وترلهم عندنا(١).

وقد يقال: لامانع من أن يكون الخبر قد وصل الى النبي من قبل الغفاري، ومن قبل هؤلاء معاً...

وقبل أن نمضي في الحديث لابد وأن نشير إلى النقاط التالية:

ألف: سؤال يحتاج إلى جواب:

إننا لابد وأن نتساءل: كيف قبلت قريش باقامة العباس في مكة مسلماً— حيث يقال إنه اسلم في بدر— وقريش لم تكن لترحم احباءها وابناءها إذا علمت باسلامهم، ولاسيما بعد تلك النكبة الكبرى التي أصابتها على يد ابن أخيه في بدر، حيث قتل ابناءها وآباءها وأشرافها؟. إلا أن يقال: إنه كان مسلماً سراً وقد تقدمت بعض التساؤلات حول وضع العباس في مكة في غزوة بدر، فلانعيد...

باء: المشركون... وأزمة الثقة:

و يلاحظ هنا: أن أباسفيان لم يكن يثق بمن هم على دينه، ولا يستطيع أن يعتمد عليهم، ولذلك نراه يبادر إلى اتهامهم بأنهم قد أخبروا محمداً

(١)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٠٥، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٨/٢١٩.

بمسيرهم، وعددهم، وحذروه منهم...

وقد اشير إلى هذه الحالة في حديث سدير، قال: قلت لأبي عبدالله: إنى لا لقى الرجل لم أره ولم يرني فيما مضى قبل يومه ذلك؛ فأحبه حباً شديداً، فاذا كلمته وجدته لي مثلما أنا عليه له، ويخبرني: أنه يجدلي مثل الذي أجد له، فقال: صدقت يا سدير، إن ائتلاف قلوب الابرار إذا التقوا،وإن لم يظهروا التودد بالسنتهم،كسرعة اختلاط قطر السماء على مياه الانهار، وان بعد ائتلاف قلوب الفجار إذا التقوا، وان اظهروا التودد بالسنتهم، كبعد البهائم عن التعاطف، وان طال اعتلافها على مذود واحد(١).

ويمكن ان يستفاد هذا المعنى ايضاً من بعض الآيات القرآنية، قال تعالى:

«لايزالون مختلفين الامن رحم ربك، ولذلك خلقهم» هود ١١٩.

وقال تعالى: «والف بين قلوبهم، لو انفقت مافى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم، ولكن الله ألّف بينهم انه عز يز حكيم» الانفال ٦٣. وقال: «واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم؛ فاصبحتم بنعمته اخوانا» آل عمران ١٠٣...

وموجز القول فى سر ذلك : وقد اشار العلامة الطباطبائى إلى ذلك ايضاً... ولسوف نكتفى بتلخيص كلامه لمافيه من الخصوصيات، و إن كان أصل الكلام قد كان محط نظرنا أيضاً:

إن الكفار انما يلتقون على مصالحهم الدنيو ية الشخصية، و يتفقون ويختلفون على اساسها؛ وذلك لان الانسان يحب بطبعه ان يخص نفسه باللذائذ والنعم، وعلى هذا الاساس يحب هذا و يبغض ذاك . وحيث انه لايستطيع ان يلبي كل مايحتاج إليه من ضرور يات حياته؛ فإنه لابدّله من حياة اجتماعية تعينه على ذلك ، و يتبادل مع الآخر ين ثمرات الا تعاب، حيث ان كل

(١)— سفينة البحارج ١ ص ٢٠٤.

شخص له مؤهلات تجعله يختص ببعض الامتيازات لنفسه، من مال، اوجمال، اوطاقات فكرية، اونفسية او غريزية، او غير ذلك... هذه الامتيازات التي تطمح إليها النفوس و يتنافس فيها البشر عموما... و بسبب الاحتكاكات المتوالية، ومايصاحبها من وجوه الحرمان والبغي والظلم، والشح، والكرم فى هذه الامور التي يتنافسون فيها فان العداوات والصداقات تنتج عن ذلك.

واما محاولات بذل النعم لفاقديها فانها لا ترفع هذه النزاعات والعداوات وغيرها الا فى موارد جزئية، واما الحالة العامة فتبقى على حالها؛ لأن هذا البذل لايبطل غريزة الاستزادة، والشح الملتهب، على ان بعض النعم لا تقبل الا الاختصاص والانفراد، كالملك، والرئاسة، فالشرور، والاحقاد، التي تتولد عن ذلك باقية على حالها...

هذه حالة المجتمع الكافر بالله، الذي لايؤمن الا بالمصلحة الدنيوية الشخصية، واللذات الحاضرة. ولكن الله قدمنّ على المسلمين، وأزال الشح من نفوسهم: «ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»، والف بين قلوبهم وذلك لأنه عرّفهم:

أن الحياة الانسانية حياة خالدة، وان الحياة الدنيا زائلة لاقيمة لها، وان اللذة المادية لاقيمة لها، واللذة الواقعية هي ان يعيش الانسان فى كرامة عبودية الله سبحانه، ورضوانه، والقرب والزلفى منه تعالى مع النبيين والصديقين، وهناك اللذة الحقيقية الدائمة، قال تعالى: «وما هذه الحياة الدنيا الا لهو و لعب، وان الدار الآخرة لهي الحيوان لوكانوا يعلمون» عنكبوت ٦٤... كما انه لايملك احد لنفسه نفعاً ولاضراً، ولاموتا ولاحياة، بل هو فى تصرف الله الذي بيده الخير والشر، والنفع والضر، والغنى والفقر... وكل نعمة هي هبة من ربه، وما حرم منه احتسب عند ربه أجره، وما عندالله خير وابقى... و إذلم يعد للمادة قيمة عندالمؤمنين؛ فان اسباب الضغن والحقد تزول، و يصبحون بنعمته اخوانا، ولايبقى فى نفوسهم غل، وحسد، ورين(١).

---

(١)— راجع تفسير الميزان ج ٩ ص ١١٩—١٢١.

وهكذا يتضح: ان موقف الخزاعيين، وعدم التزامهم بنصر قومهم، والحفاظ على اسرارهم امر طبيعي. كما ان سوء ظن ابي سفيان، وعدم ثقته بهم هو ايضاً نتيجة طبيعية للشرك، وعدم الايمان... ومن كل ذلك نعرف أيضاً سر عدم تأثير تشجيع النساء في ثبات المشركين، ولا منعهم عار أسر نسائهم من الهزيمة، وتركهن في معرض السبي، مع انهم اخرجوهن لهدف هو عكس ذلك تماماً...

ولكن الامر بالنسبة للمسلمين (الحقيقين) كان على عكس ذلك تماماً كما سنرى.

الثانية: إننا نلاحظ: ان النبي(ص) يأمر أبياً بكتمان خبر مسير قريش، و يستفيد من عنصر السرية هنا؛ وذلك حتى لايفسح المجال امام الحرب النفسية، التي لابد وأن يمارسها اليهود والمنافقون ضد المسلمين... وأيضاً.... ليفوّت الفرصة عليهم، ويحبط مؤامراتهم المحتملة؛ لانهم في الحقيقة— وهم العدو الواقعي— هم العدو الاخطر، والمطلع على مواطن الضعف والقوة لدى المسلمين... اي ان إعلان الأمر في وقت مبكر لسوف يستدعي اصراراً على معرفة خطة المواجهة مع العدو، وهذا يسهّل على المتآمرين والخونة وضع الخطط اللازمة لافشال خطة المسلمين في الدفاع عن أنفسهم. كما أنه يعطي أعداءهم الفرصة لاعلام قريش بالامر، وبكل الخصوصيات اللازمة لمواجهة خطة المسلمين وافشالها، او على الاقل تكبيد المسلمين اكبر عدد ممكن من الخسائر.

وعنصر السرية هذا قد اعتمد النبي(ص) عليه في اكثر من موقف في معركة أحد هذه كما سنرى

المشركون في طريق المدينة:

ولما انتهت قريش إلى الابواء ائتمروا في ان ينبشوا قبر أم محمد(ص)، وقالوا: «فإن النساء عورة؛ فان يصب من نسائكم أحداً، قلتم: هذه رمة امك فإن كان براً بأمه— كما يزعم— فلعمري لنفادينهم برمة أمه، وان لم يظفر بأحد

من نسائكم، فلعمري ليفدين رمة أمه بمال كثير، ان كان بهابراً».

وكانت زعيمة هذا الرأي هند زوجة ابي سفيان، فاستشار ابوسفيان اهل الرأي من قريش، فقالوا: لا تذكر من هذا شيئاً؛ فلو فعلنا نبشت بنو بكر وخزاعة موتانا...

وسارت قريش حتى نزلت بذي الحليفة، وسرحوا ابلهم فى زروع المدينة، التى كان المسلمون قد اخلوها من آلة الزرع قبل ذلك ... وارسل النبي(ص) بعض العيون لمراقبتهم، وأرسل ايضا عمرو بن الجموح سراً لمعرفة عددهم وعدتهم، وقال له: إذا رجعت فلاتخبرنى بين احد من المسلمين، الا ان ترى في القوم قلة، فرجع اليه فاخبره خاليا، وامره الرسول(ص) بالكتمان...

ونشير نحن هنا إلى امرين:

احدهما: ان سبب امره(ص) بذلك واضح، فان معرفة المسلمين بعددهم وعدتهم سوف يثبط من عزائم بعضهم، ممن اعتادوا: أن يقيسوا الامور بالمقاييس المادية، ولم يتفاعلوا بعد مع دينهم وعقيدتهم، بشكل كامل. ولا اطلعوا على تعاليم الاسلام واهدافه، وارتبطوابها عقليا ووجدانيا، وعاطفيا وسلوكيا، بنحو اعمق واقوى... و إنما دخلوا فى الاسلام، اما عن طريق الاعجاب، او القناعة العقلية. ولم يمض على دخولهم فيه الافترة قصيرة جداً.

الثانى: ان مافكر به القرشيون من نبش قبر أمه(ص) انما يعبر عن مدى الاسفاف الفكري لقريش، حتى انها لتفكر باتباع ابشع اسلوب وادناه فى حربها مع المسلمين... وهذا ان دل على شيء فانما يدل على امور:

احدها: إفلاسهم على صعيد المنطق والفكر، وحتى على صعيد الخلق الانسانى، بل والعلاقات والضوابط المعقولة. في المواجهة مع المسلمين، الذين هم القمة فى كل ذلك...

الثاني: مدى حقدهم الدفين على الاسلام والمسلمين.

الثالث: مدى عمق الجرح، وعنف الصدمة الساحقة التي تلقتها

قريش في بدر... ولا تزال تتلقاها على صعيد طرق قوافل تجارتها إلى الشام، ويحتمل إلى الحبشة أيضاً...

النبي(ص) يستشير اصحابه:

و يقولون: إنه لما نزل المشركون قرب المدينة، و بث المسلمون الحرس على المدينة، وخصوصاً مسجد الرسول، وأراد(ص) الشخوص، جمع(ص) اصحابه للتشاور في امر جيش لم يواجه المسلمون مثله من قبل، عدة وعدداً.

و يذكرون: انه(ص) أخبرهم برؤيا رآها، رأى بقراً يذبح، وأن في سيفه ثلمة، وأنه في درع حصينة، فأوّل البقر: بناس من أصحابه يقتلون... والثلمة: برجل من أهل بيته يقتل. والدرع: بالمدينة... وللرواية نصوص أخرى لامجال لها...

و إذا كانت رؤيا النبي(ص) من الوحي. وكانت هذه الرواية صحيحة... فان ذلك يكون توطئة لاعلامهم بالموقف الصحيح، وأن عليهم أن يلتزموا بتوجيهات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم...

ولكنهم اتجهوا في مواقفهم وقراراتهم نحو العكس من ذلك... حيث يقولون: إن ابن أبي قد أشار بالبقاء في المدينة، فاذا أقبل العدو رماه الاطفال والنسوة بالحجارة، وقاتله الرجال بالسكك. و إن أقام في خارج المدينة أقام في شر موضع...

وكان صلى الله عليه وآله وسلم— كما يقولون— كارها للخروج من المدينة أيضاً...

ولكن من لم يشهد بدراً، وطائفة من الشباب المتحمسين، والذين ذاقوا حلاوة النصر في بدر، وحمزة بن عبدالمطلب، وأهل السنّ قد رغبوا بالخروج وأصروا عليه، لأنهم— كما يقول البعض— يرون خيل قريش وابلها ترعى زروعهم، وتعيث فيها فساداً...

واحتجوا لذلك :بأن إقامتهم في المدينة ستجعل عدوهم يظن فيهم

الجبن، فيجرؤ عليهم: «وقد كنت يوم بدر في ثلاثمأة رجل؛ فأظفرك الله بهم، ونحن اليوم بشر كثير.»

وبعد أن ذكروا: أن هذا أمر قد ساقه الله اليهم في ساحتهم.

قال نعيم بن مالك: يا نبي الله، لاتحرمنا الجنة؛ فوالذي نفسي بيده لأدخلنها. فقال له(ص): بم؟ قال: بأني أحب الله ورسوله، ولا أفرمن الزحف. فقال له(ص): صدقت.

وقال له أنصاري: متى نقاتلهم يا رسول الله، إن لم نقاتلهم عند شعبنا.

وقال آخر: إنى لا أحب أن ترجع قريش إلى قومها لتقول: حصرنا محمداً في صياصي يثرب وآطامها؛ فتكون هذه جرأة لقريش. وهاهم قد وطأوا سعفنا؛ فاذا لم نذب عن عرضنا فلم ندّرع؟!

وقال آخر: إن قريشاً مكثت حولاً تجمع الجموع، وتستجلب العرب في بواديها، ومن اتبعها من أحابيشها، ثم جاؤونا قد قادوا الخيل، واعتلوا الابل، حتى نزلوا ساحتنا؛ فيحصر وننافي بيوتنا وصياصينا؟ ثم يرجعون وافرين لم يكلموا؟!؛ فيجرؤهم ذلك علينا، حتى يشنوا الغارات علينا، ويصيبوا أطلالنا، ويضعوا العيون والارصاد علينا، مع ما قد صنعوا بحروثنا، ويجترئ، علينا العرب حولنا إلخ... وثمة كلام آخر هنا عن حمزة وغيره لامجال له...

وأبى كثير من الناس إلا الخروج، فنزل(ص) على رأي غالبية الناس... ثم دخل بيته ليلبس لامة الحرب... ففي هذه الاثناء أدركهم الندم على اصرارهم على النبي(ص) واستكرا ههم له، وهو أعلم بالله ومايريد، ويأتيه الوحي من السماء...

فلما خرج النبي(ص) عليهم، وقد لبس لامته؛ ليتوجه مع أصحابه إلى حرب قريش، قالوا: يا رسول الله، امكث كما أمرتنا. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ماينبغي لنبي إذا أخذ لامة الحرب أن يرجع حتى يقاتل...

ثم وعظهم... وعقد الألوية، وخرج بجيشه لحرب قريش وجمعها...

وفي رواية: أنهم لما صاروا على الطريق قالوا: نرجع. فقال(ص): ماكان ينبغي لنبي إذا قصد قوماً أن يرجع عنهم...

و هاهنا أمور هامة لابد من التنبيه عليها...

ألف: هل النبي(ص) يحتاج الى رأي أحد؟!

وقد تقدم حين الكلام على السرايا قبل بدر، وفي نفس موقعة بدر بعض الكلام حول استشارة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه في أمر الحرب...

ونعود هنا للاشارة إلى هذا الأمر من جديد، على أمل أن يضم القارى ماكتبناه هنا وهناك ، وهنالك،بعضه إلى بعض، و يستخلص النتيجة المتوخاة من طرح هذا الموضوع، والاشارة الى جوانبه المختلفة... فنقول:

إنه لاريب في حسن المشاورة وصلاحها. وقد ورد الحث عليها في الأخبار الكثيرة... و يقولون: إنه في مناسبة قضية أحد نزل قوله تعالى:

«فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك ، فاعف عنهم، واستغفرلهم، وشاورهم في الأمر؛ فاذا عزمت فتوكل على الله، إن الله يحب المتوكلين. إن ينصركم الله فلاغالب لكم إلخ(١)».

وعن ابن عباس بسند حسن: لما نزلت: وشاورهم في الامر، قال رسول الله (ص): أمّا إن الله ورسوله لغنيان عنها، ولكن جعلها الله رحمة لأمتي؛ فمن استشار منهم لم يعدم رشداً، ومن تركها لم يعدم غيا(٢).

والسؤال هناهو:

إنه إذاكان الله ورسوله غنيين عنها، فلماذا يأمرالله تعالى نبيه بأن

---

(١)— آل عمران ١٥٩—١٦٠.

(٢)— الدر المنثور ج ٢ ص ٨٠ عن ابن عدي، والبيهقي في شعب الايمان.

يشاور أصحابه في الأمر؟!...

وسؤال آخر، وهو: هل يمكن بضم الآية التي في سورة الشورى: «وأمرهم شورى بينهم(١)»، وبضم سائر الروايات التي تحث على الاستشارة— هل يمكن— أن يفهم من ذلك: ضرورة اتخاذ الشورى كمبدأ في الحكم والسياسة، وفي الادارة، وفي سائر الموارد والمواقف، حسبما تريد بعض الفئات أن تتبناه، وتوحي به على أنه أصل اسلامي أصيل ومطرد؟!...

أما الجواب عن السؤال الأول؛ فاننا نحسب: أن ماتقدم حين الكلام على السرايا قبل بدر، وعلى الشورى في بدر كاف فيه؛ ونزيد هنا تأييداً لما قدمناه هناك مايلي:

١ً— إن بعض الروايات تفيد: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يستشير أصحابه إلا في أمر الحرب.

فقد روي بسند رجاله ثقات، عن عبدالله بن عمرو، قال: كتب أبوبكر الى عمرو بن العاص: ان رسول الله شاور في الحرب، فعليك به(٢).

٢ً— إن الآية التي في سورة آل عمران: (وشاورهم في الأمر) خاصة بالمشاورة في الحرب، لأن اللام فيها لايمكن أن تكون للجنس بحيث تشمل كل أمر، بل هي للعهد، أي شاورهم في هذا الأمر الذي يجري الحديث عنه، وهو امر الحرب، كما هو واضح من الآيات السابقة واللاحقة؛ فالتعدي الى غير الحرب يحتاج الى دليل...

٣ً— إن الآية تنص على أن استشارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأصحابه لاتعني أن يأخذ برأيهم حتى ولو اجتمعوا عليه؛ لأنها تنص على أن

---

(١)— سورة الشورى ٣٨.

(٢)— مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣١٩ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٨ عن كنزالعمال ج ٢ ص ١٦٣ عن البزار والعقيلي، وسنده حسن، والدر المنثور ج ٢ ص ٩٠ عن الطبراني بسند جيد عن ابن عمرو.

اتخاذ القرار النهائي يرجع إلى النبي(ص) نفسه، حيث قال تعالى: «وشاورهم في الأمر؛ فاذا عزمت فتوكل على الله».

٤ـ لقد ذكر بعض العلماء: أن الأمر في الآية ليس للوجوب؛ و إلا لكان بقية الأوامر في الآية كذلك، و يلزم منه وجوب العفو عن كبائرهم حتى الشرك.

و إذا كان الضمير في الآية يرجع إلى الفارين فهو يعني: أن الشورى تكون لأهل الكبائر من أمته، مع أن الله قد نهى رسوله عن اطاعة الآثم، والكفور، ومن أغفل الله قلبه(١) فالحق: أن الأمر وارد عقيب توهم الخطر عن هؤلاء، ليبيح مشاورتهم ومعاملتهم معاملة طبيعية(٢).

٥ـ إن رواية ابن عباس المتقدمة تفيد: أن استشارته(ص) أصحابه لاقيمة لها على صعيد اتخاذ القرار؛ لأن الله ورسوله غنيان عنها، لأنهما يعرفان صواب الآراء من خطائها، فلا تزيدهما الاستشارة علماً، ولا ترفع جهلاً، وانما هي أمر تعليمي أخلاقي للأمة؛ بملاحظة فوائد المشورة لهم؛ لأنها تهدف إلى الامعان في استخراج صواب الرأي بمراجعة العقول المختلفة. وفي نهج البلاغة: من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها، وفيه أيضاً: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استبدّ برأيه. وعن أنس عن النبي(ص): ما خاب من استخار، وماندم من استشار(٣). إلى غير ذلك ممالامجال لتتبعه.

و إذا كانت الاستشارة أمراً تعليمياً أخلاقياً، فلا محذور على الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فيها...

---

(١)ـ راجع: سورة الكهف ٢٩ والاحزاب ٥٦ والدهر ٣٤ وأقول: وتنافي أيضاً الآية التي في سورة الشورى التي خصت الشورى بالمؤمنين الذين لهم صفات معينة...

(٢)ـ راجع: الاسلام واسس التشريع ص ١٠٣ـ١٠٢ للعلامة السيد عبدالمحسن فضل الله.

(٣)ـ الدر المنثور عن الطبراني في الاوسط.

باء: من أهداف استشارته(ص) أصحابه:

و يقول الشهيد السعيد، المفكر والفيلسوف الاسلامي الكبير، آية الله الشيخ مرتضى مطهري، قدس الله نفسه الزكية:

إن النبي(ص) وهو في مقام النبوة، وأصحابه يتفانون في سبيله، حتى ليقولون له: انه لو أمرهم بأن يلقوا أنفسهم في البحر لفعلوا— إنه صلى الله عليه وآله مع ذلك لايريد أن ينفرد في اتخاذ القرار، لأن أقل مضار ذلك هو أن لايشعر أتباعه بأن لهم شخصيتهم وفكرهم المتميز، فكانه يقول لهم: انهم لايملكون الفكر والفهم والشعور الكافي، و إنماهم مجرد آلة تنفيذلا أكثر ولا أقل... وأنا فقط أملك حرية اصدار القرار، وعليكم انتم التنفيذ فقط

وطبيعي أن ينعكس ذلك على كل حاكم يأتي بعده، لأن لهم في رسول الله اسوة حسنة...

و بكلمة: إنه ليس من لوازم الحكم الاستبداد بالرأي، فقد استشار النبي(ص)— وهو معصوم— أصحابه في بدر وأحد (١) انتهى.

وأيضاً... فان ظروف وأجواء آية: «وشاورهم في الأمر». تشعربأنه قدكان ثمة حاجة لتاليفهم، وجلب محبتهم وثقتهم، واظهار العطف والليونة معهم، وان لايفرض الرأي عليهم فرضاً. رحمة لهم، وحفاظاً على وحدتهم واجتماعهم، ولم شعثهم، وجمع كلمتهم، وكبح جماحهم؟! .فالآية تقول: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ؛فاعف عنهم، واستغفرلهم، وشاورهم في الامر». أي أنه قد بدرمن أصحابه أمرسيء يستدعي العفو عنهم واللين معهم، و إرجاع شخصيتهم اليهم، ليطمئنوا إلى أن مابدر منهم لم يؤثر على مكانتهم عنده فلا داعي لنفورهم منه.

هذا كله عداعما قدمناه حين الكلام على بدر، وعلى السرايا التي

(١)— جريدة «جمهورى اسلامي» الفارسية عدد ٣٠ ربيع الاول ١٤٠٠ هـ.

سبقتها، فليراجع...

جيم: وأما الجواب عن السؤال الثاني:

فنشير إلى مايلي:

١ـ ماقدمناه: من أن قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» ليس إلا أمراً تعليمياً أخلاقياً، وليس أمراً إلزامياً يوجب التخلف عنه العقاب، و إنما يمكن أن يوجب وقوع الانسان في بعض الاخطاء...

٢ـ إن الضمير في «أمرهم» يرجع إلى المؤمنين... أي الأمر الذي يرتبط بهم؛ فالشورى إنما هي في الأمور التي ترجع إلى المؤمنين وشؤونهم الخاصة بهم، وليس للشرع فيها الزام أومدخلية، كما في أمور معاشهم ونحوها... مما يفترض في الانسان أن يقوم به... أما إذا كان ثمة الزام شرعي، فما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة... وأطيعوا الله واطيعوا الرسول...

وعليه... فمورد الحكم، والسياسة، والادارة، وغيرذلك، لايمكن أن يكون شورائياً إلا إذا ثبت أن الشارع ليس له فيه حكم، ونظر خاص...

وقد قال العلامة الطباطبائي مدالله في عمره: «...والروايات في المشاورة كثيرة جداً، وموردها مايجوز للمستشير فعله وتركه بحسب المرجحات. وأما الاحكام الالهية الثابتة، فلامورد للاستشارة فيها، كما لارخصة فيها لأحد، و إلا... كان اختلاف الحوادث الجارية ناسخاً لكلام الله تعالى(١)».

٣ـ وأما قوله تعالى: «وشاورهم في الأمر»، فانه ظاهر في كون ذلك في ظرف كونه حاكماً ووالياً عليهم؛ فان عليه أن يستشيرهم في هذا الظرف... وهذا لايعني أن يكون نفس الحكم شورائياً وانتخابياً، بأي وجه...

---

(١)ـ تفسير الميزان ج ٤ ص ٧٠.

٤ً— إن القرار النهائي يتخذه المستشير نفسه، ولربما وافق الاكثر، ولربما خالفهم... و يدل على ذلك قوله تعالى: «فاذا عزمت فتوكّل على الله»... وليس في الآية إلزام برأي الاكثرية... بل ولا برأي الكل لوحصل إجماعهم على رأي واحد...

ملاحظة: الشورى لمن؟

إن هذه الشورى التي دلّ عليها قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم» ليست لكل أحد، و إنما هي خاصة بأولئك المؤمنين، الذين لهم تلك الصفات المذكورة في الآيات قبل و بعد هذه العبارة، قال تعالى: «فما أوتيتم من شيئ فمتاع الحياة الدنيا، وما عندالله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون. والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش، و إذا ماغضبواهم يغفرون. والذين استجابوا لربهم، وأقاموا الصلاة، وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون. والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون(١)».

نعم... إن هؤلاءهم أهل الشورى(٢)، وليس لغيرهم الحق في أن يشاركهم فيها؛ لأن ذلك الغير، لايؤمن على نفسه؛ فكيف يؤمن على مصالح العباد، ودمائهم، وأموالهم، واعراضهم؟!...

دال: نظرية: خلافة الانسان... وشهادة الانبياء:

و يقول الشهيد السعيد، المفكر الاسلامي، آية الله السيد محمد باقر الصدر، قدس الله نفسه الزكية، ماملخصه:

---

(١)— الشورى.

(٢)— واحتمال: أن يكون المعنى: ما عندالله خير وأبقى لجماعات مختلفة، وهم:

١ً— الذين آمنوا...

٢ً— الذين يجتنبون كبائر الاثم إلخ... هذا الاحتمال خلاف الظاهر هنا... فان المراد أن الذين يجمعون هذه الصفات هم الذين يكون ما عندالله خير وابقى لهم... والا... فلوكان أحد ينتصرعلى من بغى عليه ولكنه غير مؤمن مثلاً فلاشك في ان ما عندالله ليس خيراً وابقى له... وكذا لوكان أمرهم شورى بينهم وهم غير مؤمنين.

إن الله عزوجل قد جعل الخلافة لآدم، لابما أنه آدم، بل بما أنه ممثل للبشرية، فخلافة الله في الحقيقة هي للأمة وللبشر أنفسهم، فقد قال تعالى: و إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الارض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسدفيها و يسفك الدماء، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال: اني أعلم مالا تعلمون(١).كما أن المراد بالامانة في قوله تعالى: إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال، فأبين أن يحملنها،وأشفقن منها، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً(٢)... هو هذه الخلافة بالذات... التي تعنى الإدارة والحكم في الكون.

واستشهد على ذلك أيضاً بقوله تعالى: يا داود إنا جعلناك خليفة في الارض،فاحكم بين الناس بالحق(٣)... و بقوله تعالى: إذجعلكم خلفاء من بعد قوم نوح(٤). وبقوله تعالى: ثم جعلناكم خلائف في الارض(٥).

ورتب على ذلك: أنه بعد وفاة النبي(ص)، وفقد الامام، وتحرر الأمة من الطاغوت، فانها تمارس دورها في الخلافة الزمنية...و يكون دور المجتهد المرجع هوالشهادة والرقابة على الأمة...

وقال ما ملخصه: إن الله هورب الارض وخيراتها، ورب الانسان والحيوان... فالانسان مستخلف على كل ذلك. ومن هنا كانت الخلافة في القرآن أساساً للحكم. وقد فرّع الله الحكم بين الناس على جعل داود خليفة... ولما كانت الجماعة البشرية هي التي مُنِحت— ممثلة بآدم— هذه الخلافة، فهي إذن المكلفة برعاية الكون، وتدبير أمر الانسان، والسير بالبشرية في الطريق المرسوم للخلافة الربانية.

وهذا يعطي مفهوم الاسلام الاساسي عن الخلافة، وهو أن الله تعالى أناب الجماعة البشرية في الحكم،وقيادة الكون واعماره،اجتماعياً وطبيعياً.

---

(١)— البقرة ٣٠. (٢)— الاحزاب ٧٢. (٣)— ص ٢٦. (٤)—الاعراف٦٩.
(٥)—يونس ١٤.

وعلى هذا الاساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم،وشرعية ممارسة الجماعة البشرية حكم نفسها بوصفها خليفة عن الله...

وفي عملية اعداد وتربية الامة يتولى النبي والامام— مسؤولية الرقابة والشهادة على الامة،ومسؤولية الخلافة...ليهيئ الامة لتحمل مسؤولياتها في الوقت المناسب... وبعد أن فقد الامام(ع)؛ بسبب ظروف معينة تعرضت لها الأمة؛ فان المرجع— غير المعصوم— لابد وأن يتولى أمر الخلافة والشهادة مادامت الأمة محكومة للطاغوت، ومقصاة عن حقها في الخلافة العامة.

«... وأما إذا حررت الأمة نفسها،فخط الخلافة ينتقل إليها؛ فهي التي تمارس الخلافة السياسية والاجتماعية في الأمة،بتطبيق أحكام الله، وعلى أساس الركائز المتقدمة للاستخلاف الرباني. وتمارس الأمة دورها في الخلافة في الاطار التشريعي للقاعدتين القرآنيتين التاليتين:

(وأمرهم شورى بينهم).

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر)».

فان النص الأول يعطي للأمة صلاحية ممارسة أمورها عن طريق الشورى،مالم يرد نص خاص على خلاف ذلك. والنص الثاني يتحدث عن الولاية، وأن كل مؤمن ولي الآخرين. ويريد بالولاية تولي أموره، بقرينة تفريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عليه. والنص ظاهر في سريان الولاية بين كل المؤمنين والمؤمنات بصورة متساوية...

وينتج عن ذلك : الأخذ بمبدأ الشورى، وبرأي الاكثرية عند الاختلاف.

وهكذا... وزّع الاسلام في عصر الغيبة مسؤوليات الخطين بين المرجع والأمة، وبين الاجتهاد الشرعي،والخلافة الزمنية(١)». إلى آخر كلامه

---

(١)— هذا محصل ماجاء في كتاب: خلافة الانسان وشهادة الانبياء للشهيد الصدر، والفقرات الأخيرة هي في ص ٥٣/٥٤.

قدس الله نفسه الزكية...

مناقشة ماتقدم:

وأما نحن... فاننا نسجل هنا النقاط التالية:

أولاً: إن الآية الثانية تقول: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله، أولئك سيرحمهم الله، إن الله عزيز حكيم(١)».

فاذا كان تفريع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دليلاً على أن المراد بالولاية هو تولى أمور بعضهم البعض؛ فما هو وجه تفريع إقامة الصلاة، وايتاء الزكاة على ذلك ؟!...

ولم لايفهم من الآية: أنها- فقط- في مقام اعطاء حق الامر بالمعروف والنهي عن المنكر للمؤمنين جميعاً؛ فهي تجعل لهم الولاية بهذا المقدار، لاأكثر؟!

بل لم لايفهم منها: أنها في مقام اعطائهم حق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بسبب محبة بعضهم بعضاً، أو بسبب كون بعضهم تابعاً لبعض، ومطيعاً له، أو بسبب نصرته له، ونحو ذلك ... فقد ورد للولي معانٍ كثيرة، ومنها: المحب. والصديق. والنصير.

والولي: فعيل، بمعنى فاعل، من وليه إذا قام به، قال تعالى: الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت، يخرجونهم من النور إلى الظلمات(٢)...

وكل هذه المعاني محتملة في الآية المشار إليها- إن لم يكن من بينها ما هو الاظهر- وليس فيها مايوجب تعيّن كون الولي فيها بمعنى الحاكم، والمتولي

---

(١)- التوبة ٧١. (٢)- البقرة ٢٥٧.

للأمر.

وثانياً: لوكانت هذه الآية تعطي حقاً للمؤمنين في أن يحكم بعضهم بعضاً؛ فاللازم أن تعطي الآيات الأخرى هذا الحق بالذات للكفار، وتصير حكومتهم على بعضهم البعض شرعية!! فقد قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء، بعضهم أولياء بعض (١)... الآية.» وقال تعالى: «والذين كفروا بعضهم أولياء بعض(٢)» وقال تعالى: «إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون(٣)». وقال تعالى: «و إن الظالمين بعضهم أولياء بعض، والله ولي المتقين(٤)». إلى غير ذلك من الآيات التي بهذا المضمون...

بل إن الآية الأخيرة تنفي الولاية عن المؤمنين، وتخصها بالله تعالى. فلو كان المراد بالولاية الحكم... فلابد من القول بان الولاية التي يترتب عليها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... ليست بهذا المعنى... أو انها ولاية بهذا المقدار، لا أكثر...

والقول: بأن هذه الآيات ونظائرها ناظرة إلى أن من طبيعة الكفار أن يتولى بعضهم بعضاً... وليس في مقام جعل ولاية شرعية لهم...

يقابله القول: بأنه لم لا تكون الآيات التي تتعرض للولاية بين المؤمنين ناظرة إلى نفس هذا المعنى أيضاً؟!...

و إذا كانت آيات ولاية الكفار يراد منها الولاية بمعنى النصرة، والمحبة، ونحو ذلك...

فلتكن تلك الآيات لها هذا المعنى أيضاً... فانها كلها لها سياق واحد، وتريد أن تنفي وتثبت أمراً واحداً...

وثالثاً: لوسلمنا: أن معنى الآية هو: أن كل مؤمن ولي للاخرين...

---

(١)— المائدة ٥١.
(٢)— الانفال ٧٣.
(٣)— الاعراف ٢٧.
(٤)— الجاثية ١٩.

فهل يعني ذلك: أن الآية تجعل كل مؤمن حاكماً على الآخرين، ومحكوماً لهم في آن واحد؟... أم أن الآية تريد فقط: أن تعطي للبعض الحق في أن يحكم و يتسلط على البعض الآخر؟!...

و إذا كان الظاهر هوالثاني، فماهي شرائط هذه الحكومة؟ وماهي ظروفها؟ وما الذي يجب توفره في هذا الحاكم؟!: العلم؟ الاجتهاد؟ العدالة؟ إلخ... ومن الذي يعين هذا الحاكم، ومن يختاره؟ هل هو المعصوم؟ أم غيره؟...

ورابعاً: وأما بالنسبة لآيات الاستخلاف في الأرض والشهادة، فنشير إلى:

الف: إنه ليس في آية سورة الاحزاب: أن المراد بالأمانة: الخلافة... وقد قيل: إنها التكاليف وقيل: هي العقل. وقيل: هي الولاية الالهية. وقيل: هي معرفة الله... إلى غير ذلك من الأقوال(١).

والجزم بأن المراد هو الخلافة... ثم ترتيب أحكام واستنتاجات معينة على ذلك، ليس بأولى من الجزم بغيره ...

بل إن في الآية التي تلي تلك الآية مايؤيد: أن المراد بالآية أمراً اعتقادياً، أو نحو ذلك، وليس الخلافة، فقد قال تعالى: «إنا عرضنا الامانة على السماوات والارض والجبال؛ فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الانسان إنه كان ظلوماً جهولاً. ليعذب الله المنافقين والمنافقات، والمشركين والمشركات، و يتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، وكان الله غفوراً رحيما».

باء: وأما آية استخلاف آدم، فليس فيها مايشير إلى أن المراد هو استخلاف النوع البشري، إلا قول الملائكة: أتجعل فيها من يفسد فيها، و يسفك الدماء... وهذا لايدل على اكثر من أن الملائكة قد فهموا: أن هذا المخلوق الجديد (الخليفة) له طبيعة شرّيرة، تقتضي ماذكروه، ولا تدل على أن الخلافة

---

(١)– راجع: تفسير الميزان ج ١٦ ص ٣٤٨–٣٥٢ في تفسير الآية...

قد منحت لكل من له هذه الطبيعة...

جيم: ثم... ما المراد بهذا الاستخلاف؟ هل هو الحكم والامارة؟، أم هو التسليط على الكون ومافيه. واعطاؤه حق التصرف في ماخلقه الله، على حد قوله تعالى: «هو أنشأكم من الارض، واستعمركم فيها»، ولذلك هو يطلب منهم شكر هذه النعمة، والايمان بالله تعالى؟.. الظاهر هو الثاني.

و يؤيد ذلك: أن من يطالع آيات الاستخلاف يجد: أن اكثرها ناظر إلى البشر جميعاً، مؤمنهم وكافرهم، ثم تتهدد الكافرين، وتتوعدهم...

ومما يؤيد: أن يكون المراد بالخلافة في اكثر الآيات، هو اعمار الكون: انه إذاكان البشر خلفاء؛ فهم خلفاء على أي شيء؟! إنهم خلفاء ووكلاء على غير أنفسهم؛ إذلايعقل أن يكون الشيء خليفة على نفسه. فالبشرية لها خلافة على غيرها مما في الكون.

وهذا... يؤيد أن يكون معنى الخلافة ليس هو الامارة...

دال: وفي مقابل ذلك نجد: أنه تعالى لم يستخلف المؤمنين فعلاً، وانما وعدهم بالاستخلاف حيث قال: «وعدالله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الارض(١)».

فالجمع بين هذه الآية، والآيات الأخرى، يحتم علينا: أن نقول: إن المراد بآيات «خلائف» ونحوها، هو النيابة في اعمار الكون، والتمكين من التصرف في الطبيعة... والمراد من هذه الآية الأخيرة هو الحكم والسلطان... فهذه الآية أدل دليل على أن الخلافة بمعنى الحكم والسلطان لم تمنح للبشر عامة، و إنما وعدالله المؤمنين بها في الوقت المناسب، ولوفي زمن ظهور المهدي عليه الصلاة والسلام...

هاء: إن آية استخلاف داود، وتفريع الحكم بين الناس بالحق على

---

(١)— النور ٥٥.

هذه الخلافة، التي لابد وأن يكون معناها الحكم والسلطان... لا تدل على جعل الخلافة لكل البشر؛ فلعل كونه نبياً له مدخلية في استحقاق هذا المنصب الخطير؛ لأن نيله درجة النبوة، انما هو لأجل أنه يحمل خصائص معينة — كالعصمة ونحوها— أهلته لذلك الأمر الخطير الذي يتفرع عليه الحكم بالحق.

واو: إننا نلاحظ: أنه ليس في جميع الآيات التي استعملت لفظ: «خليفة»، ومشتقاته في القرآن مايدل على أن هذا المستخلف هو خليفة لله لالغيره... بل ذكرت الآيات: أن الله تعالى قد جعل خلفاء، ولم تبين: أنهم خلفاء لمن.

زاي: ولو سلمنا... فان الاستخلاف في الارض، ليس معناه جعل جميع المناصب الالهية لهذا المستخلف، وليس في هذا اللفظ ما يفيد عموم المنزلة... بل هو ينصرف إلى نوع معين من الأمور؛ فمثلاً لو قيل: فلان استخلف فلاناً على أهله... فانه ينصرف إلى الاستخلاف في أمور معينة يمكن الاستخلاف فيها... ولايمكن أن يعني ذلك :ثبوت كل حق كان لذاك لهذا... فان الاستخلاف حكم يجري في كل موردٍ قابل لذلك....

ولايمكن أن يتمسك باطلاقه لاثبات قابلية مايشك في قابليته.

وخامساً: إن قوله تعالى: «وأمرهم شورى بينهم»، يدل على أن الأمور الراجعة لهم هي التي يمكن أن يمارسوا فيها حق الشورى... فلابد أولاً من اثبات: أن مسألة الحكم، والتصرف في امور الغير حق لهم، ليمكنهم أن يفصلوا فيها عن طريق مبدأ الشورى، ولايمكن للحكم أن يثبت موضوعه و يوجده، كما أشرنا إليه آنفاً.

ولدينا مايدل على أن الحكومة ليست حقاً لهم: وهو ماتقدم حين الكلام على عرض النبي(ص) دعوته على القبائل، حيث قال لبني عامر: الامرلله يضعه حيث يشاء... ثم هناك مقبولة— بل صحيحة— عمر بن حنظلة: «ينظران من كان منكم ممن قد روى حديثنا، ونظر في حلالنا وحرامنا، وعرف أحكامنا؛ فليرضوا به حكماً؛ فإني قد جعلته عليكم

حاكما(١)» ونظائرها... ولم يعين في الروايات: أن يكون ذلك في زمن الطاغوت، أوفي ما بعد الاطاحة به، ولاصورة رقي الامة ايمانياً وفكرياً، ولاعدمها...

وسادساً: هذا كله... عداعن أن هذه الشورى لايفهم منها إلا مبدأ كلي مجمل، ولا تدل على أنه لوخالف بعض الأمة فيما يراد إجراء مبدأ الشورى فيه... هل ينفذ حكم الاكثرية على تلك الأقلية؟ أم لابد من إرضاء الجميع في أي تصرف، وأية قضية... وأنه لوتساوت الآراء فماذا يكون مصير الشورى الى غير ذلك ممايرتبط بشرائط الشورى وحدودها...

و أخيراً... فلو انه رحمه‌الله استدل على ولاية الفقيه بصحيحة عمر بن حنظلة، المشار إليها آنفاً لكان أولى فانها تقرر: أن الحكم حق للمجتهد الجامع للشرائط فقط، ولايحق لغيره ان يتصدى له، حيث قال عليه السلام: «فاني قد جعلته عليكم حاكما»، وهذا هوالحق الذي لامحيص عنه...

هاء: ماهورأى النبي(ص) في أحد؟

غالب الروايات، بل كلها متفقة على أن النبي صلى‌الله عليه وآله وسلم كان يرجح البقاء في المدينة... ولكن اصرار أصحابه هوالذي دعاه إلى العدول عن هذا الرأي...

ولكن العلامة السيد الحسني أيده‌الله تعالى يرى: أن النبي كان يرى الخروج إلى العدو، عكس رأي عبدالله بن أبي ابن سلول، و إنما استشارهم ليختبرنواياهم، و يستدل على ذلك بما ملخصه:

ان ملاقاة جيش مكة داخل المدينة سيمكنهم من احتلالها خلال

---

(١)— الوسائل ج ١٨ باب ١١ من ابواب صفات القاضي حديث ١... والرواية معتبرة جداً؛ فان عمر بن حنظلة شيخ كبير روى عنه عدد كبير من الثقات الكبار والاعيان، بل لم يروعنه ضعيف إلا رجل واحد... ومن بين من روى عنه— وهم كثير— من لايروى إلا عن ثقة كماقيل— كابن بكيروصفوان الجمال...

ساعات معدودة؛ لأن المنافقين، والمرتابين من سكان المدينة— وعددهم كثير، وكانوا على اتصال دائم معهم— سيعاونونهم على النبي(ص) والمسلمين... ولايعقل أن يُخلص ابن أبي ومن معه من المنافقين والمرتابين من المهاجرين والأنصار في الدفاع عن محمد(ص) ورسالته، وهم يلتقون مع الغزاة التقاء كاملاً...

وكان ابن أبي هو المشير على الرسول بالبقاء في المدينة، ووافقه على ذلك شيوخ المهاجرين. وأدرك النبي(ص) الغاية، ولكنه بقي يتظاهر بالموافقة على رأي ابن أبي؛ ليختبر بقية المسلمين، وان كان فيمن وافق ابن أبي من لايشك في حسن نيته، كما أنه لاشك في أن فيهم المتآمرين. ولما اختبرهم(ص) وعرف نواياهم،أعلن عن رأيه الذي كان قد انطوى عليه من أول الأمر...

و يرجّح ذلك : أنه لما خرج المسلمون إلى أحد رجع ابن أبي في ثلاثماة وخمسين من أتباعه المنافقين، و بعض اليهود إلى المدينة بلاسبب. وفي رواية: أنه هو نفسه(ص) أمرهم بالرجوع، وقال: لانحارب المشركين بالمشركين...

وذلك دليل قاطع على سوء نواياهم، وأنه(ص) كان يتخوف منهم أن ينضموا إلى المشركين حين احتدام الحرب، و إذاكان في ريب من أمرهم، وهم خارج المدينة؛ فكيف يوافقهم على مقابلة الغزاة في داخلها، و يطمئن إليهم في الدفاع عنها؟!...

و إذا كان ابن سلول صادقاً في قوله: إنه سيدافع عن المدينة في الداخل، فلماذا رجع من الطريق وهو يعلم: أن جيش النبي(ص) بأمسّ الحاجة إلى المساعدة؟!.

و إذن... فالخروج من المدينة هو الأصوب، ولو أنه بقي فيها لأصبح خلال ساعات معدودات تحت رحمة المشركين... انتهى ملخصاً(١).

---

(١)— سيرة المصطفى ص ٣٩٦—٣٩٩.

و يؤيد رأي الحسني أيضاً: المبدأ الحربي القائل: ماغزي قوم في عقر دارهم الاذلوا (صدق علي عليه السلام).

ونحن هنا نشير إلى مايلي:

١ً- إن أباسفيان- كماتقدم- كان يخشى أن يلزم أهل يثرب صياصيهم، ولايخرجوا منها(١). وهذايعنى: أنهم يعتبرون بقاء المسلمين في المدينة معناه: تضييع الفرصة على قريش، وعدم تمكينها من تحقيق أهدافها... وغاية ما استطاع صفوان بن أمية أن يقدمه لأبي سفيان، كبديل مرضٍ ومقنع، هو أنهم حينئذٍ سوف يلحقون بأهل المدينة خسائر مادية كبيرة؛ فانهم إن لم يصحروا لهم عمدوا إلى نخلهم فقطعوه؛ فتركوهم ولا أموال لهم.

و إذن... فالموقف الصحيح كان هو البقاء في المدينة... فان الخسائر المادية يمكن الصبر عليها وتحملها، أما الخسائر في الارواح، فانها تكون أصعب وأنكى.

٢ً- إن ضرار بن الخطاب كان يخشى مثل ذلك أيضاً... لأن الأنصار قتلوا قومه يوم بدر، فخرج الى أحد، وهو يقول: «إن قاموا في صياصيهم فهي منيعة، لاسبيل لنا إليهم، نقيم أياماً، ثم ننصرف. و إن خرجوا إلينا من صياصيهم أصبنا منهم؛ فان معنا عدداً اكثر من عددهم، ونحن قوم موتورون، خرجنا بالظعن يذكرننا قتلى بدر، ومعنا كراع ولاكراع معهم، وسلاحنا اكثر من سلاحهم، فقضي لهم إن خرجوا إلخ(٢)».

٣ً- إننا نلاحظ: أن صفوان بن أمية لم يذكر لأبي سفيان شيئاً عن احتمال تعاون المنافقين معهم، وتمكينهم من القضاء على الاسلام والمسلمين بسهولة، أو على الأقل كان على أبي سفيان أن يدرك ذلك، و يبتهج له...

٤ً- إن من الواضح: ان ابن أبي، ومن معه لم يكن باستطاعتهم

---

(١)- مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢١٨.

(٢)- مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٨٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٧٤.

الاقدام على مثل تلك الخيانة في تلك الظروف؛ لأن معنى ذلك: أن يذبح من قومه، والخزرج، وطائفة من المهاجرين أعداد هائلة، ولم يكن بامكانه أن يسمح بذلك ، ولايوافقه عليه من معه؛ لانهم قومهم وابناؤهم، واخوانهم، وآباؤهم...ولم يكن التخلي عنهم سهلاً وميسوراً إلى هذا الحد...

و إذا أرادوا أن يتخلوا عن مثل هؤلاء،و يسلموهم إلى القتل، بعد أن يقدمواهم أيضاً العديد من القتلى... فمن يبقى لابن أبي— بعد استئصال هؤلاء— ولاسيما بملاحظة قلة سكان المدينة آنئذٍ؟!. وهل تبقى المدينة مدينة؟!. وهل يمكن لابن أبي أن ينصب نفسه ملكاً على من يتبقى له في ظروف كهذه؟!. وهل يستطيع بعد هذا أن يعتمد على إخلاص من معه له؟! وهل باستطاعته أن يحتفظ لهم بمكانتهم وموقعهم في قبال اليهود، الذين كانت العداوة بينهم و بين أهل يثرب متأصلة على مرالسنين؟!... وهل يستطيع أيضاً: أن يقاوم أطماع من حوله من قبائل الغزو والغارة؟!أو حتى أن يستقل في اتخاذ القرار عن قريش؟! وهل باستطاعته أن يأمن قريشاً،و يطمئن إلى التعامل معها على المدى البعيد، بعد أن أدركت مدى خطر المدينة على مصالحها الحيوية؟!...وهل؟إلى آخر ماهنالك...

أم أن ذلك ليس في الحقيقة إلا انتحاراً سياسياً، لامبرر له، ولايقدم عليه أحد... ولا تساعد عليه أي من الموازين والمقاييس حتى الجاهلية منها، فضلاً عن العقلائية والاجتماعية؟!...

ولقد كان باستطاعة ابن أبي: أن ينحاز إلى المشركين في المعركة في خارج المدينة...و يكون ذلك —و إن كان أيضاً يحمل في طياته اخطاراً جمة له ولاصحابه— أقرب إلى تحقيق اهدافه،واسلم له في الوصول إليها— بملاحظة ماسبق— ولكن الظاهر هو أن دوافعه للاشارة بالبقاء هي حب السلامة، وعدم التعرض للاخطار المحتملة ما أمكنه... وحتى لايتكرر انتصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بدر مرة أخرى... ولا سيما مع ملاحظة زيادة عدد المسلمين وحسن عدتهم بالنسبة إلى السابق، كما يفهم من كلام بعض المشيرين كماتقدم... يضاف إلى ذلك : أنهم الآن يدافعون عن شرفهم وعرضهم،

وبلدهم، وعن وجودهم، فلابد وأن يكونوا أكثر تصميماً واقداماً...

كما أن من الممكن أن يكون التزلف إلى النبي(ص) داخلا في حسابات ابن أبي أيضاً في بادئ الأمر.

ونلاحظ: أن التزلف، والتظاهر— الكلامي— بالتدين، وبالغيرة على الاسلام ومصالح المسلمين، يكون لدى المنافقين أكثر من غيرهم.

هذا بالاضافة إلى أنه لوكان ثمة احتمال من هذا النوع لأشار إليه أبوسفيان، أوصفوان بن أمية، أو ضرار بن الخطاب، أوغيرهم، كما قلنا...

٥ً— وأيضاً... فان الحسني نفسه يقول: إن الذين أصروا على البقاء كان من بينهم المخلص والمنافق... وهذا ينافي قوله الآخر: إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يريد أن يختبر أصحابه، و يكتشف نواياهم... و إذن... فقد فشل النبي صلى الله عليه وآله وسلم في محاولا ته تلك، فكيف يقول الحسني بعد ذلك: إنه(ص) وقف على نوايا الجميع، ومحصها تمحيصاً دقيقاً؟!...

والحقيقة هي: أن إصرارهم على الخروج كان ناشئاً عن الاسباب التي ذكروهاهم أنفسهم في كلامهم.

٦ً— ثم إننا لابد وأن نسأل الحسني أخيراً: هل كان النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم— حقاً— يتعامل مع أصحابه بهذه الطريقة الماكرة— والعياذ بالله— فيظهر لهم خلاف مايبطن؟! نعوذبالله. من الزلل والخطل في القول والعمل...

واو: لبس لأمة الحرب... يعني القتال:

يلاحظ: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد أن لبس لأمة حربه يرفض الرجوع إلى الرأي الأول، لأن ذلك معناه ان ينتزع عنه مفهوم خاطئ يضر بالمصلحة العليا للاسلام والمسلمين، ولاينسجم مع مركزه كقائد... بل ربما تكون له آثار سيئة وخطيرة على المدى البعيد...

وهذا المفهوم هو أنه رجل ضعيف، تتفاذفه الأهواء والآراء، ولايملك اتخاذ القرار... بل هو ألعوبة بأيدي أصحابه، والمنتسبين إليه!

كما أن ذلك من شأنه أن يجعل قراراته في المستقبل عرضة للصراعات الفكرية، بين اصحابه الذين تختلف مستوياتهم فكرياً، واجتماعياً، وسياسياً، وايمانياً، وغير ذلك ... و يفسح المجال أمام الاطماع، وظهور الاختلاف، ثم التمزق، والفشل الذريع... ولايعود يملك مجتمعاً متلزماً، قوياً متماسكاً، وقادراً على مواجهة الاخطار، والمعضلات الجسام التي تنتظره، والمهمات التي لابد وأن يضطلع بها... فضلاً عن أن يتحمل هذا المجتمع مسؤولية نشر الاسلام، والدفاع عنه في العالم أجمع...

هذا كله... عداعن أن هذا التردد سوف يقلل من قيمة الوحي في نفوسهم، و يضعف — من ثم — ارتباطهم بالغيب، وايمانهم به... وهو ركن أساسي في الدعوة الاسلامية، ونجاحها، واطراد تقدمها...

فليكن ذلك درساً لهم، يعلمهم: أنه لاينبغى لهم أن يعارضوا الوحي الالهي بعقولهم القاصرة عن إدراك عواقب الأمور...

ومن الجهة الأخرى... فان العدو سوف يرى في هذا التردد ضعفاً، وفشلاً، و يزيد ذلك في طمعه بالمسلمين، وجرأته عليهم...

كما أنه لسوف يجعله يعتمد اسلوب الضغط على النبي (ص) من خلال أصحابه، ويحاول تشويش مواقفه وتمييعها، إن لم يكن توجيهها إلى مايوافق مصالحه وأهدافه عن هذا السبيل...

وأخيراً... فان المعتزلي يرى: أن تردد المسلمين دليل على فشلهم في الحرب، فان النصر معروف بالعزم والجد، والبصيرة في الحرب... وأحوالهم هنا كانت ضد أحوالهم في بدر، وأحوال المشركين في بدر كانت ضد أحوالهم هنا؛ ولذلك انكسرت قريش في بدر(١)...

---

(١) — شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٦.

زاي: من الأكاذيب:

أولاً: لقد جاء في رواية نادرة: أن ابن أبي قد أشار بالخروج(١).

ولكن ذلك لايصح، وذلك:

١ً— انه لايبقى معنى حينئذٍ لاحتجاج ابن أبي لرجوعه من وسط الطريق بأنه(ص): خالفه واطاعهم.

٢ً— إن القرآن يلمح إلى أن المنافقين كانوا يصرون على البقاء في المدينة، فانه بعد رجوع المسلمين من أحد، وقدقتل منهم من قتل، قال المنافقون: لو أطاعونا ماقتلوا(٢)... وهؤلاء هم الذين احتجوا لرجوعهم: بقولهم: لونعلم قتالاً لاتبعناكم...

وثانياً: يقولون: إنه (ص) خرج إلى أحد من بيت عائشة(٣).

مع أن من الثابت: أنه(ص) كان إذا سافر كان آخر عهده بفاطمة، وإذا رجع بدأ ببيت فاطمة أيضاً(٤).

إلا أن يكون مقصودهم بيت عائشة الذي كان لفاطمة، واستولت عليه عائشة بعد وفاة الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، كما أوضحناه في مقال لنا بعنوان: «أين دفن النبي(ص) في بيت عائشة، أم في بيت فاطمة،؟» وهو في الجزء الاول من كتابنا: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام فراجع.

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٩.

(٢)— آل عمران ١٦٨.

(٣)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٥، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٨٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٣ عن ابن الكلبي، ومجاهد، والواقدي...

(٤)— مسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٥، وذخائر العقبى ص ٣٧ عن أحمد، وأبي عمر، واسعاف الراغبين بهامش نورالأبصار ص ١٧٠ عن أحمد، والبيهقي... وغير ذلك كثير فانه لامجال لتتبعه.

وثالثاً: وأما قولهم: إنه بعد أن استشار النبي(ص) أصحابه دخل بيته، ودخل معه أبو بكر وعمر، فعمماه ولبّساه... فلا يعبأبه لضعف مستنده من جهة، ولان النبي(ص) لم يكن يحتاج إلى من يعممه و يلبسه، بل كان باستطاعته أن يمارس ذلك بنفسه من جهة ثانية ...

وحسبنا ماذكرناه هنا، ولنعد إلى الحديث عن السيرة العطرة فنقول:

عقد الألوية:

و يقولون: إنه بعد أن استشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه، وخرج عليهم لابساً لأمة حربه، استخلف على المدينة ابن أم مكتوم وعقد الألوية...

فاعطى اللواء أمير المؤمنين عليه السلام، كمانص عليه البعض(١).

و يقول البعض: إن لواء المهاجرين كان مع علي، وقيل: مع مصعب بن عمير(٢) و يقال: إنه اللواء الاعظم(٣). وقيل: إنه(ص) سأل عمن يحمل لواء المشركين، فقيل له: طلحة بن أبي طلحة، فأخذ اللواء من علي، ودفعه الى مصعب بن عمير، لأنه من بني عبدالدار، وهم أصحاب اللواء في الجاهلية(٤).

وكان لواء الأوس مع أسيد بن حضير، ولواء الخزرج مع حباب بن المنذر، وقيل مع سعد بن عبادة، كذا يقولون...

---

(١)— الاوائل لابي هلال ج ١ ص ١٨٣، والثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٢٤—٢٢٥، وراجع: البحار ج ٢٠ ص ٤٩، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٢.

(٢)— مغازي الواقدى ج ١ ص ٢١٥، وشرح النهج للمعتزلي ١٤ ص ٢٢٧، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦ عن المنتقى.

(٤)— أنساب الاشراف ج ١ ص ٣١٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٠.

اللواء مع علي عليه السلام فقط:

ونحن لايمكننا قبول ما ادعوه من أن اللواء كان مع مصعب بن عمير، أو أنه أخذه من علي وأعطاه لمصعب... والصحيح هو أنه كان مع علي في أحد، و بدر، وفي كل مشهد... و يدل على ذلك:

١ً— قد تقدم في غزوة بدر: أن عليا كان صاحب لواء رسول الله (ص) في بدر، وفي كل مشهد...

٢ً— عن ابن عباس، إنه قال: لعلي بن أبي طالب(ع) أربع ماهن لأحد: هو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو صاحب لوائه في كل زحف، وهوالذي ثبت معه يوم المهراس، وفرالناس، وهوالذي أدخله قبره(١).

٣ً— عن ابن عباس: كان علي أخذ راية رسول الله يوم بدر. قال الحاكم: وفي المشاهد كلها(٢).

٤ً— وعن مالك بن دينار: سألت سعيدبن جبير و إخوانه من القراء: من كان حامل راية رسول الله (ص)؟ قالوا: كان حاملها علي(رض)...

وفي نص آخر: أنه لما سأل مالك سعيدبن جبير عن ذلك غضب سعيد، فشكاه مالك إلى إخوانه من القراء، فعرّفوه: أنه خائف من الحجاج، فعاد وسأله، فقال: كان حاملها علي(رض). هكذا سمعت من عبدالله بن عباس(٣).

---

(١)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١١ و تلخيصه للذهبي بهامشه، ومناقب الخوارزمي ص ٢٢/٢١، وارشاد المفيد ص ٤٨ و تيسيرالمطالب ص٤٩.

(٢)— ذخائر العقبى ص ٧٥.

(٣)— راجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٣٧ وصححه، وقال: له شاهد من حديث زنفل العرفي، وفيه طول فلم يخرجه الحاكم، ومناقب الخوارزمي ص ٢٥٩/٢٥٨، وذخائر العقبى ص ٧٥ عن أحمد في المناقب.

٥ً- عن جابر: قالوا: يا رسول الله، من يحمل رايتك يوم القيامة؟ قال: من عسى أن يحملها يوم القيامة، إلا من كان يحملها في الدنيا، علي بن أبي طالب؟! وفي نص آخر: عبر باللواء بدل الراية(١).

٦ً- وحينما مر سعد بن أبي وقاص برجل يشتم علياً، والناس حوله في المدينة، وقف عليه، وقال: يا هذا، على ماتشتم علي بن أبي طالب؟ ألم يكن أول من أسلم؟ ألم يكن أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله؟ ألم يكن ازهد الناس؟ ألم يكن أعلم الناس؟... وذكر حتى قال: ألم يكن صاحب راية رسول الله (ص) في غزواته؟(٢).

وظاهر كلامه هذا: أن ذلك كان من مختصاته صلوات الله وسلامه عليه...

٧ً- عن مقسم: أن راية النبي(ص) كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وراية الانصار مع سعد بن عبادة، وكان إذا استحر القتال كان النبي(ص) ممايكون تحت راية الأنصار(٣).

٨ً- عن علي قال: كسرت يده يوم أحد، فسقط اللواء من يده؛ فقال رسول الله(ص): دعوه في يده اليسرى؛ فانه صاحب لوائي في الدنيا

---

(١)- هامش ص ١٨٠ من احتجاج الطبرسي عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٦٧ عن نظام الملك في اماليه، وكفاية الطالب ص ٣٣٦ وقال: ذكره محدث الشام- اي ابن عساكر- في ترجمة علي(ع) من كتابه بطرق شتى عن جابر، وعن أنس وفي هامش كفاية الطالب عن: كنزالعمال ج ٦ ص ٣٩٨ عن الطبراني، وعن الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢ و مناقب أميرالمؤمنين لابن المغازلي ص ٢٠٠ وفي هامشه عن عمدة القاري ج ١٦ ص ٢١٥ وعن مناقب الخوارزمي ص ٢٥٨.

(٢)- مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٠٠ وصححه على شرط الشيخين هو والذهبي في تلخيص المستدرك، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٥١٤/٥١٥. وأظن أن القضية كانت مع سعد بن مالك أبي سعيد الخدري لأن سعد بن ابي وقاص كان منحرفاً عن اميرالمؤمنين و يشير إلى ذلك ماذكره الحاكم في مستدركه ج ٣ ص ٤٩٩ من أن أبا سعيد قد دعا على من كان ينتقص علياً فاستجاب الله له.

(٣)- المصنف لعبدالرزاق ج ٥ ص ٢٨٨ و فتح الباري ج ٦ ص ٨٩ عن أحمد عن ابن عباس باسناد قوي.

والآخرة(١).

٩ً- عن عامر: ان راية النبي(ص) كانت تكون مع علي بن أبي طالب، وكانت في الانصار حيثما تولوا(٢).

١٠ً- عن ثعلبة بن أبي مالك، قال: كان سعد بن عبادة صاحب راية رسول الله(ص) في المواطن كلها؛ فاذا كان وقت القتال أخذها علي بن أبي طالب(٣).

وبالنسبة لوقعة أحد وغيرها نشير الى انه:

١١ً- قد ورد في احتجاج الامام الحسن المجتبى صلوات الله وسلامه عليه بفضائل أمير المؤمنين (ع)... على معاوية، وعمرو بن العاص، والوليد الفاسق- ورد قوله: «وأنشدكم الله، ألستم تعلمون: أنه كان صاحب راية رسول الله (ص) يوم بدر، وإن راية المشركين كانت مع معاوية، ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أحد، و يوم الأحزاب، ومعه راية رسول الله (ص)، ومعك ومع أبيك راية الشرك إلخ(٤)».

١٢ً- قال ابن هشام: «لما اشتد القتال يوم أحد، جلس رسول الله (ص) تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي: أن قدم الراية. فتقدم علي؛ فقال: أنا أبوالقصم. فطلب أبوسعيد بن ابي طلحة- وهو صاحب لواء المشركين منه البراز؛ فبرز إليه علي، فضربه علي فصرعه(٥)...».

وهذا معناه: أنه عليه السلام كان صاحب الراية العظمى، فأمره(ص)

---

(١)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٤ عن الرياض النضرة، عن ابن الحضرمي، وذخائر العقبى ص ٧٥.

(٢)- المصنف لعبدالرزاق ج ٥ ص ٢٨٨.

(٣)- اسدالغابة ج ٤ ص ٢٠ وانساب الاشراف ج ٢ ص ١٠٦ لكن فيه ميسرة العبسي بدل سعد بن عبادة.

(٤)- كفاية الطالب ص ٣٣٦، وشرح النهج للمعتزلي ج ٦ ص ٢٨٩، والغدير ج ١٠ ص ١٦٨ عنه.

(٥)- سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٧٨، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

بتقديمها، ثم طلب منه صاحب لواء المشركين البراز، لأنه إذا سقطت الراية العظمى انكسر الجيش وانهزم...

١٣ً- وقال القوشجي: في غزاة أحد جمع له الرسول(ص) بين اللواء والراية(١)...

١٤ً- وأخيراً... فيظهر من بعض الروايات الفرق بين اللواء والراية، وأن الراية كانت في يدقصي، ثم انتقلت في ولده حتى انتهت إلى النبي(ص)، فأعطاها رسول الله (ص) لعلي في غزاة ودّان، وهي أول غزاة حمل فيها راية مع النبي(ص)، ثم لم تزل مع علي في المشاهد، في بدر، وأحد.

وكان اللواء يومئذٍ في بني عبدالدار، فأعطاه رسول الله (ص) لمصعب بن عمير، فاستشهد، ووقع اللواء من يده؛ فتشوقته القبائل؛ فأخذه رسول الله (ص)، فدفعه إلى علي، فجمع له يومئذ الراية واللواء، فهما إلى اليوم في بني هاشم(٢)...

وهذا أيضاً هو مراد القوشجي في كلامه الآنف...

ونقول نحن: إن هذه الروايات تنافي ماتقدم: من أنه عليه السلام كان صاحب لوائه (ص) في كل زحف، كما تقدم عن ابن عباس، وعن جابر، وقتادة:

ولكن ممالاشك فيه: أن علياً- حسب النصوص المتقدمة- هو صاحب لواء رسول الله (ص)، وهو أيضاً صاحب راية رسول، لوكان ثمة فرق بينهما... و إن كنانشك في ذلك باعتبار: آن بعض أهل اللغة ينصون على عدم الفرق(٣)، فان كلامنهما عبارة عما يجعله القائد من الأقمشة في طرف رمح أو نحوه...

---

(١)- شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٦.

(٢)- الارشاد للشيخ المفيد ص ٤٨.

(٣)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٤٧.

ونجد وصف اللواء بالأعظم تارة(١)، كما يصفون الراية بالعظمى أيضاً(٢).

إلا أن يقال: إن مصعب بن عمير كان صاحب لواء المهاجرين، فلما استشهد في أحد صار لواؤهم الى علي، فعلي عليه السلام صاحب راية ولواء رسول الله، وهو أيضاً صاحب لواء المهاجرين... ولعله هو الاظهر...

وقد تقدم بعض الكلام حول هذا الموضوع في غزوة بدر؛ فلا نعيد...

عدة وعدد المسلمين:

ثم توجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أحد... ومعه:

ألف رجل، و يقال: تسع مئة، وزاد بعضهم خمسين...

منهم مئة دارع.

ليس معهم فرس(٣).

وقيل: مع النبي(ص) فرسه، وفرس لأبي بردة بن نيار(٤).

وقيل: كان معهم فرس واحد(٥).

رجوع المنافقين:

و يظهر مما يأتي: أنه(ص) خرج نحو احد من ثنية الوداع، شامي

---

(١)— راجع حياة الصحابة ج ١ ص ٤٣١، و تاريخ ابن عساكر ترجمة علي(ع) بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١١٠ والمنتقى.

(٢)— كما في قول ابن ابي الحديد عن هزيمة الشيخين في خيبر:

ولِلرايـة الـعـظـمـى وقـد ذهـبـابـهـا ملابس ذل فوقها وجلابيب

(٣)— وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٨٤ و ٢٨٥ عن ابن عقبة، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢١، وفتح الباري

(٤)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٠، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢١.

(٥)— مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٧ عن الطبراني، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٧٦٩ عن كنز العمال ج ٣ ص ١٣٥ عن الطيالسي.

المدينة...

ورجع ابن ابي مما بين المدينة واحد بمن معه من المنافقين، واهل الريب... وكانوا ثلاثمئة رجل، رجع، وقال: محمد عصاني واطاع الولدان— سيعلم— ماندري علام نقتل انفسنا واولادنا هاهنا ايها الناس؟ فرجعوا. وتبعهم جابر بن عبدالله الانصاري يناشدهم الله في انفسهم، وفي نبيهم ، فقال ابن ابي: لو نعلم قتالاً لاتبعناكم، ولو اطعتنا لرجعت معنا...

وقيل: ان النبي(ص) امرهم بالانصراف لكفرهم(١)... فبقي(ص) في سبع مئة من أصحابه، اوست مئة.

و برجوع ابن ابي سقط في ايدي بني حارثة و بني سلمة، ثم عادوا إلى الموقف الحق، قال تعالى: اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا...الآية.

وروي بسند رجاله ثقات: انه بعد ان جاوز النبي(ص) ثنية الوداع إذا هو بكتيبة خشناء، فقال(ص): من هؤلاء؟ قالوا: عبدالله بن ابي بن سلول في ست مئة من مواليه اليهود. فقال: وقد اسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: مروهم فليرجعوا، فاننا لاننتصر باهل الكفر على اهل الشرك . او: فاننا لانستعين بالمشركين على المشركين(٢).

الخيانة... وآثارها...

إن من الطبيعي: أن يكون لانخذال المنافقين أثر سيئ على نفوس المسلمين ومعنو ياتهم؛ فان حدوث الخيانة ورجوع ابن أبي وأصحابه المنافقين كان أحدالاسباب الرئيسة لتهيؤ بعض المسلمين نفسياً للهزيمة في المعركة...

---

(١)— سيرة مغلطاي ص ٤٩.

٢)— وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٨٣ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢ عن الوفاء والطبراني في الكبير والاوسط بسند رجاله ثقات، وذكر مثل ذلك عن الكشاف ومعالم التنزيل والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٠ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٧ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٥.

حكى الله ذلك بقوله: «إذهمت طائفتان منكم أن تفشلا(١)»...

كما أن هذه الخيانة التي جاءت في لحظات حرجة وحساسة، قد مهدت الطريق، ومنحت العذر لمن تبقى من المنافقين للفرار في أحرج اللحظات، وأخطرها على الاسلام والمسلمين بصورة عامة...

وهذا يؤيد، و يؤكد سلامة موقفه(ص) في ارجاعه في غزوة بدر من لم يكن مسلماً، وعدم قبوله باشتراك بعض اليهود في حرب أحد، حيث أرجع كتيبتهم... ولذلك شواهد كثيرة يجدها المتتبع في السيرة النبوية...

وقد أشار الله تعالى إلى خيانتهم في العديد من الآيات، فهو يقول عن المنافقين: «لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبالاً(٢)». و يعطي قاعدة عامة في التعامل مع غيرالمؤمنين، فيقول: «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار(٣)». إلى غير ذلك مما لامجال لتتبعه...

و بعد هذا فاننا نعرف عدم صحة ماروي عن الزهري، قال: «كان يهود يغزون مع النبي(ص) فيسهم لهم كسهام المسلمين(٤)».

وما ذلك إلا لأنه: «زين للذين كفروا الحياة الدنيا، و يسخرون من الذين آمنوا(٥)»، ولأن: «الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت(٦)»، ومن هذا المنطلق قال ابن أبي هنا: ماندري علام نقتل أنفسنا وأولادنا؟...

هذا من جهة... ومن الجهة الثانية، فان المنافقين واليهود كانوا يلتقون مع المشركين في الهدف مرحلياً... لأنهم جميعاً لايستطيعون أن يروا انتصار الاسلام والمسلمين في المنطقة، لأنهم— وهم الذين لاهمّ لهم إلا الدنيا— يرون ذلك يضر بمصالحهم، وبموقعهم السياسي والاجتماعي، والاقتصادي في المنطقة...

---

(١)— آل عمران ١٢٢. (٢)— التوبة ٤٧. (٣)— هود ١١٣.

(٤)— مصنف عبدالرزاق ج ٥ ص ١٨٨، وسنن البيهقي ج ٩ ص ٥٣، ونقل عن ابن أبي شيبة.

(٥)— البقرة ٢١٢. (٦)— النساء ٧٦.

و إذا حارب اليهود والمنافقون مع المسلمين، فإنما يفعلون ذلك ،إما تمهيداً للخيانة بهم، واسلامهم إلى أعدائهم. و إما طمعاً بالمال والغنائم... ومن يقاتل من أجل ذلك؛ فانه لايستطيع أن يضحي بنفسه، بل انما يكون مع المسلمين مادام النصر حليفهم... حتى إذا رأى أنهم في معرض الخطر، فانه لابد وأن يخذلهم في أحرج اللحظات، الأمر الذي سوف يؤثر تأثيراً مباشراً على معنو ياتهم، ومن ثم على مستقبلهم ومصيرهم أيضاً...

سؤال... وجوابه:

ولكن يبقى سؤال: إنه إذاكان الحال على ماتقدم، فلماذا يقبل النبي(ص) المنافقين يحاربون في جيش المسلمين، مع أن ذلك يشكل خطراً عظيماً عليهم؟ ولماذا لايفضحهم و يكشفهم للناس؟! ثم هو يمنع اليهود وغيرهم من الكفار؟ أو على الأقل لماذا لايتخذ تدبيراً معيناً يمنعهم به من الحضور في ساحة الحرب؟!...

والجواب يتلخص في النقاط التالية:

١ـ إن ابقاء المنافقين في المدينة، يسرحون ويمرحون ربما يكون الخطر فيه أعظم مما لواصطحبهم معه في الحرب، لأن ذلك يفسح المجال لهم للتآمر، من دون أن يكون من يستطيع دفع كيدهم، وردّ بغيهم... وماقضية تبوك إلا الدليل القاطع على مانقول، حيث اضطر الرسول الاعظم إلى ابقاء خليفته ووصيه، ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى، حينما شعر أن تخلف المنافقين عن الخروج إلى تبوك يحمل في طياته أخطاراً جساماً، لايمكن لأحد مواجهتها إلا للنبي(ص) أو أخيه علي عليه السلام...

٢ـ و إذاكان النفاق ايجابياً، بمعنى انه يظهر الاسلام حفاظا على مصالحه أولاسباب خاصة أخرى مع عدم ابائه عن الدخول فيه، وتقبله طبيعياً له، وليس نفاقاً حاداً سلبياً يهتم بهدم الاسلام والكيد له ـ إذا كان كذلك ـ فانه تبرز الحاجة إلى محاولة إعطائهم الفرصة للتعرف اكثر فأكثر على تعاليم الاسلام وأهدافه، ولكي يعيشوا أجواءه من الداخل، وليكتشفوا ما أمكنهم من اسرار عظمته وأصالته... فتلين له قلوبهم، وتخضع له عقولهم...

وهذا بالذات... ماكان يهدف إليه الاسلام من التألف على الاسلام، واعطاء الاموال والاقطاع،وحتى المناصب والقيادات لمن عرفوا بـ

«المؤلفة قلوبهم» بالاضافة إلى دفع كيدهم وشرهم...

وقد تقدّم: أن رسول الله (ص) كان يقبل بوجهه وحديثه على أشر القوم، يتالفهم بذلك، حتى إن عمرو بن العاص ظن بنفسه أنه خير القوم.. ثم صار يسأل النبي(ص) عن المفاضلة بين نفسه وغيره، فلما عرف: أنهم افضل منه، قال: «فلوددت اني لم أكن سألته(١)».

٣ً- المحافظة على من أسلم من أبنائهم، واخوانهم وآبائهم، وأقاربهم، حتى لا تنشأ المشاكل العائلية الحادة فيما بينهم... ولايتعرض المسلمون منهم للعقد النفسية والاجتماعية، التي ربما تؤثر على صمودهم واستمرارهم...

٤ً- وكذلك... فان اتخاذ أي إجراء ضد المنافقين لربما يكون سبباً في تقليل اقبال الناس على الاسلام، وعدم وثوقهم بمصيرهم، وماسوف يؤول إليه أمرهم فيه، ولاسيما إذالم يستطيعوا أن يتفهموا سرّ ذلك الاجراء، ولا أن يطلعوا على أبعاده وخلفياته...

ولسوف يأتي: أن سبب إظهار وحشي للاسلام، هو أنه كان معروفاً عن النبي(ص): أنه كان لايتعرض لمن يظهر الاسلام بشيء يسوءه.

٥ً- إن اتخاذ أي إجراء ضد المنافقين معناه: فتح جبهة جديدة، كان بالامكان تجنبها... واضطرار هؤلاء الساكتين ظاهراً، انصياعاً لظروفهم إلى المجاهرة بالعداء ـ وهم عدو داخلي كثير العدد، وخطير جداً، يعرف مواضع الضعف، ومواضع القوة ـ والانضمام إلى غيرهم من الاعداء، العاملين ضد الاسلام والمسلمين. وواضح ان تصرفاً كهذا ليس من الحكمة ولا من الحنكة في شيء، لأنه يأتي في ظرف يحتاج فيه الاسلام إلى تمزيق أعدائه وتفريقهم؛ حيث لايستطيع مواجهتهم جميعاً في آن واحد...

---

(١)- راجع: مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٥ عن الطبراني باسناد حسن، وفي الصحيح بعضه بغير سياقه. وحياة الصحابة ج ٢ ص ٧٠٦ عن الترمذي في الشمائل ص ٢٥.

بقي امران:

أحدهما: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد حاول أن يحد من فعالية المنافقين ما أمكنه، وذلك بتنبيه الصحابة إلى خططهم ومؤامراتهم، والكشف عن حقيقتهم ووجودهم وتحذير الناس منهم، وذكر افعالهم وأوصافهم لهم باستمرار. حتى حينما كان النبي(ص) في مكة، بل لقد اتخذ احياناً إجراءات عملية ضدهم، كهدم مسجد الضرار، وغير ذلك مما يظهر جلياً في الآيات القرآنية الكثيرة، والمواقف النبوية المختلفة... وهذا بطبيعته يمثل حصانة ومناعة للمسلمين ضد النفاق والمنافقين ومكائدهم.

الثاني: إنه يظهر مماتقدم: أنه قدكان ثمة كتيبة لليهود بقيادة ابن أبي، وقد ارجعها رسول الله (ص) من الطريق... ثم رجع ابن ابي مع طائفة من المنافقين. بل يظهر: أن المنافقين قد رجعوا من نفس احد(١).

ارجاع الصغار... والحراسة:

وردّ رسول الله(ص) من استصغرهم، مثل: ابن عمرو بن ثابت وسمرة بن جندب، ورافع بن خديج ثم سمح(ص) لرافع؛ لانه رام. وكان يتطاول من الشغف على الخروج.

فيقال: فقال سمرة لزوج امه: أذن لرافع وردنى، وانا اصرعه؟! فامرهما(ص) بالمصارعة؛ فصرعه سمرة بن جندب؛ فاذن له أيضاً(٢).

ونزل(ص) فى مكان فى الطريق، وعين محمد بن مسلمة فى خمسين آخرين لحراسة الجيش. ويقولون: ثم قال: من يحرسنا الليلة؟ فقام رجل فقال: انا. فسأله عن اسمه فقال: ذكوان. فاجلسه، ثم سأل الثانية، فقام

---

(١)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٣٠.

(٢)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٦ وشرح النهج ج ٤ ص ٢٢٧.

رجل، فقال: انا. فسأله عن اسمه فقال: أبو سبع، فاجلسه، وفى الثالثة قام رجل وتسمى بابن عبدالقيس فاجلسه. ثم امر بقيام الثلاثة. فقام ذكوان وحده؛ فسأل عن الباقين، فاخبره انه هو صاحب الاسماء الثلاثة، فكان هوالذي حرسه(١).

قال المعتزلي: قلت: قد تقدم هذا الحديث فى غزوة بدر، وظاهر الحال انه مكرر، وانه انما كان فى غزاة واحدة. ويجوز ان يكون قد وقع في الغزاتين، ولكن على بعد(٢).

الريب فيما ينقل عن سمرة:

ونحن هنا نرتاب فيما نقل عن سمرة بن جندب، وذلك:

١ً ـ ان ابن الأثير يذكر: أن صاحب هذه القضية هو جابر بن سمرة، حليف بني زهرة(٣).

٢ـ إن سمرة لم يكن مستقيماً ولامراعياً للشرع في تصرفاته... فحياة سمرة، وتاريخه، ونفسيته وروحيته، سواء في حياة النبي(ص)، أو بعد وفاته، كل ذلك يأبى عن نسبة مثل ذلك إليه...

فأما في حياة النبي(ص)... فاننا نجد: أنه هو صاحب العذق الذي كان في حائط الانصاري، وبيت الانصاري في ذلك الحائط أيضاً؛ فكان يمر الى نخلته، ولايستأذن، فكلمه الانصارى، فأبى... فشكاه إلى النبي(ص) فكلمه النبي(ص) فأبى أن يستأذن... فساومه النبي(ص)، وبذل له ماشاء من الثمن... فأبى أيضاً، فبذل له نخلة في الجنة في مقابلها، فأبى أيضاً... فقال رسول الله (ص) حينئذٍ للانصاري: إذهب فاقلعها، وارم بها إليه؛ فانه لاضرر ولاضرار...

---

(١)ـ تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٢/٤٢٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢١ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٢٨.

(٢)ـ شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٢٨/٢٢٩.

(٣)ـ الكامل ج ٢ ص ١٥١.

كما أنه هو نفسه— كما في الروضة— الذي ضرب رأس ناقة النبي(ص) فشجها، فشكته إلى رسول الله (ص).

وأما بعد وفاة النبي (ص) فانه قتل من المسلمين مالايحصى؛ حتى إن زياد ابن أبيه استخلفه على البصرة، وأتى الكوفة مدة وجيزة، فقتل تمانية الآف، كما عن الطبري... وقتل سبعة وأربعين رجلاً من بني عدي في غداة واحدة، كلهم قد جمع القرآن... وكان يقتل من يتشهد الشهادتين، ويبرأمن الحرورية. وبعد موت زياد أقره معاوية على البصرة ستة أشهر ثم عزله؛ فقال: لعن الله معاوية، لو أطعت الله كما أطعت معاوية لما عذبني أبداً... وكان يخرج من داره مع خاصته ركباناً فلايمر بطفل، ولاعاجز، ولاحيوان إلاسحقه هو وأصحابه، وهكذا إذا رجع... فلم يكن يمر عليه يوم إلا وله قتيل أو اكثر.

وبذل معاوية له مئة ألف، ليروي: آن آية: «ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا... إلى قوله: والله لايحب الفساد(١)» نزلت في علي عليه السلام، وأن آية: «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، والله رؤوف بالعباد(٢)»، نزلت في ابن ملجم؛ فلم يقبل، فبذل له مئتي ألف، ثم ثلاث مئة، ولكنه قبل حين بذل له أربع مئة ألف، كما في شرح النهج للمعتزلي...

كما أن سمرة هذا قد حضر مقتل الحسين، وكان من شرطة ابن زياد، وكان يحرض الناس على الخروج إلى قتال الامام الحسين عليه السلام (٣).

نعم... هذا هوسمرة، وهذه هي نفسيته، وأفاعيله فان كان حقاً هو صاحب القضية المتقدمة وهو بعيد في الغاية... فلابد وأن يكون هدفه هوالحرب من اجل المال، وغيره من المكاسب الدنيوية، مهما كانت تافهة وحقيرة...

٣ً— وإن من الأمور التي شاعت وذاعت، ورواها المحدثون والمؤرخون بشكل واسع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سمرة، وأبي هريرة،

(١)— البقرة ٢٠٤. (٢)— البقرة ٢٠٧.

(٣)— راجع فيما تقدم: قاموس الرجال ج ٥ ص ٨—١٠.

وأبي محذورة: آخركم موتاً في النار. فكان سمرة: آخرهم موتاً، كما نص عليه البلاذري وغير واحد(١).

وتأويل ذلك: بأن سمرة قدمات في قدر مملوءة ماءاً حاراً(٢)... لايصح... لأنه خلاف الظاهر، فان ظاهر الكلام: أن المراد هوالنار الأخروية، كما هو المتبادر... لا أن موته بسبب أن النار تجعل الماء حاراً، ثم يقع فيه؛ فان ذلك — بالاضافة إلى أنه مجاز لامبرر له إلا إرادة تبرئة ساحة رجل له امثال تلك الجنايات والعظائم—... لوكان هوالمراد لكان الاصح التعبير بقوله: «بالنار»، لا «في النار»، أو يقول: في الماء الحار، ونحو ذلك...

وإذن... فهذه الكرامة لا تناسب كل ما أشرنا إليه آنفا، ولا تنسجم مع واقع سمرة ونفسيته. ولعل سر التكرم عليه بهذه الفضيلة هو طاعته الخارقة لمعاوية، ومعاونته لابن زياد، وتحريضه على قتل الحسين... وغير ذلك...

ولو أننا قبلنا صدور ذلك منه؛ فانه ولاشك قد انقلب على عقبيه بعد ذلك، ولا ينفعه أمثال هذه الأمور، بعدأن كانت عاقبته هي: النار...

الشك في قصة ذكوان:

١ً— وأما قصة ذكوان بن عبد القيس فنحن نستبعدها أيضاً، وذلك، لأننا لانستطيع أن نصدق: أن النبي(ص) كان ساذجاً إلى هذا الحد؛ بحيث لايستطيع أن يدرك: أن الذي أجابه في المرات الثلاث، بل الاربع هو شخص واحد حتى سأل عنه الباقين!!...

٢ً— ثم إننا لم نفهم المبرر لعدم إجابة غير ذكوان من المسلمين الذين يبلغ عددهم حوالي سبع مأة رجل، وفيهم أعظم المؤمنين، وكثيرون من الغيارى على حياة الرسول وأصحابه، ويفدونه بأرواحهم، وبكل غال ونفيس.

---

(١)— راجع: قاموس الرجال، والاصابة ج ٢ ص ٧٩.
(٢)— راجع الاصابة ج ٢ ص ٧٩.

٣ـ كما أننا لانفهم المبرر لامره(ص) اياه بالجلوس في المرات الثلاث!! ولمَ لَمْ يوافق على طلبه من المرة الأولى؟!...

الفصل الثاني:

نصر و هزيمة

التعبئة للقتال:

و يقولون: إنه لما وصل النبي(ص) إلى منطقة القتال اختار أن ينزل إلى جانب جبل أحد، بحيث يكون ظهرهم إلى الجبل...

ثم عبأ أصحابه، وصار يسوى صفوفهم؛ حتى إنه ليرى منكب الرجل خارجاً، فيؤخره...

وأمرهم أن لايقاتلوا أحداً حتى يأمرهم.

وكان على يسار المسلمين جبل فيه ثغرة؛ فأقام عليها خمسين رجلاً من الرماة، عليهم عبدالله بن جبير، وأوصاه: أن يردوا الخيل عنهم، لايأتوهم من خلفهم. وفي رواية قال: إن رأيتمونا تختطفنا الطير، فلا تبرحوا من مكانكم هذا حتى أرسل اليكم، و إن رأيتمونا هزمنا القوم، واوطأناهم؛ فلا تبرحوا حتى أرسل اليكم(١).

وحسب نص آخر: احموا ظهورنا؛ فان رأيتمونا نقتل؛ فلا تنصرونا، و إن رأيتمونا قد غنمنا، فلا تشركونا(٢)...

وكان شعاره يوم أحد: أمت. أمت.

---

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٣ عن البخاري.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٤، عن الطبراني والحاكم، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٢.

و يقولون أيضاً: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد ظاهر بين درعين، كما نص عليه الحاكم، وطائفة من المؤرخين. و يقول الواقدي: إنه كان قد لبس قبل وصوله إلى أحد درعاً، فلما وصل إلى ساحة الحرب لبس درعاً أخرى، ومغفراً، و بيضة فوق المغفر(١).

ومن جهة أخرى: فقد عبأ المشركون قواهم، استعداداً للحرب، وأرسل أبوسفيان إلى الأنصار: خلوا بيننا و بين ابن عمنا؛ فننصرف عنكم؛ فلاحاجة بنا إلى قتالكم، فردوا عليه بمايكره(٢) ونشير هنا إلى مايلي:

ألف: المظاهرة بين درعين:

إننا نشك في أنه(ص) قد ظاهر بين درعين... وهو يرى: أن غالب أصحابه لادرع لهم يحميهم من سيوف المشركين، فصلاً عن أن يكون لهم درعان، ولم يكن النبي(ص) ليميز نفسه عليهم... بل كان من عادته أن يجعل نفسه كأحدهم...

باء: المنطق القبلي لدى أبي سفيان:

إن محاولة أبي سفيان استعمال المنطق القبلي؛ انما كانت لتفريق الناس عن النبي(ص)؛ ليتمكن من القضاء على حركته من أسهل طريق؛ فلايتعرض للعدوات الحادة بينه و بين المدنيين، ولا للخسائر الكثيرة في الارواح... ولا لتغيير المعادلات السياسية في المنطقة... إلى غير ذلك من الاعتبارات الكثيرة في جوكهذا...

ولكن فأله قدخاب، فقد وجد: أن الاسلام والمسلمين لا يأبهون لمنطق كهذا... وأصبح المسلم أخا للمسلم أيا كان، ومن أي قبيلة كانت... أما ابوسفيان واصحابه فعدو محارب، حتى ولو كانوا آباءهم، أو ابناءهم، او إخوانهم، أوعشيرتهم، أو غيرهم...

---

(١)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢١٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٠.

(٢)— الكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥١.

أبو دجانة... والسيف:

و يقولون: إنه(ص) أخذ سيفاً، وقال: من يأخذ هذا السيف بحقه، فطلبه جماعة، منهم الزبير. وفي نصوص أخرى: أبو بكر، وعمر، وتضيف رواية الينابيع علياً أيضاً؛ فلم يعطهم إياه. فسأله أبو دجانة: ماحقه؟ فقال: أن تضرب به العدو حتى ينحنى. فطلبه أبو دجانة؛ فأعطاه إياه، فجعل يتبختر بين الصفين، فقال(ص): إنها لمشية يبغضها الله إلا في هذا الموطن. فقاتل أبودجانة قتالاً عظيماً، حتى حمل على مفرق رأس هند— التي كانت تحوش المسلمين بهجماتها— ثم عدل السيف عنها؛ لأنها صرخت، فلم يجبها أحد؛ فكره أن يضرب بسيف رسول الله امرأة لا ناصرلها(١).

ملاحظات على هذه الرواية:

١ـ إن قضية عرضه السيف على الصحابة، ومنعه من البعض، واعطائه لابي دجانة، يمكن أن تكون صحيحه...

ولكن ماتقدم عن الينابيع، من ذكر علي عليه السلام فيمن لم يعطه(ص) السيف فى غير محله... كيف؟ وسيأتي: أنه لم يثبت أمام ذلك الجيش الهائل سوى أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه... وهذا يقرب: آنه عليه السلام كان يدرك : أنه لم يكن هوالمقصود للنبي(ص) في دعوته للمسلمين، لأنه كان يعرف موقعه ودوره في المعركة...

ويمكننا أن نحتمل هنا— بسبب ماعرفناه وما ألفناه من هؤلاء الرواة والمحدثين—: أن اضافة اسم علي في الرواية قد كانت من أجل الحفاظ على كرامة وشخصية الطالبين والممنوعين الحقيقيين عن السيف في هذا الموقف...

---

(١)— راجع نصوص هذه الرواية المختلفة في: لباب الآداب ص ١٧٦ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٤/٤٢٥، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٢/٢٢٣/٢٢٥، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥٧، والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦/١٧ وفيها ذكر عمر والزبير، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٥٩، وحياة الصحابة ج ١ ص٥٧٥—٥٧٧عن غير واحد، و ينابيع المودة إلى غير ذلك من المصادر الكثيرة التي لامجال لتعدادها.

فانهم لم تكن مواقفهم الحربية تأبى عن مثل هذا، حيث لم تؤثر عنهم مواقف حربية شجاعة في ساحات الجهاد، بل أثر عنهم العكس من ذلك تماماً...

٢ـ ثم اننا لانفهم: لماذا يرفض رسول الله (ص) إعطاء السيف للزبير، ولابي بكر وعمر، بعد طلبهم إياه، قبل ابي دجانه، ولماذا لايجربهم، ليظهر مواهبهم ومواقفهم؟! ولماذا يواجههم أمام الناس بهذا الرفض الفاضح والقاسي، حتى لقد وجدوا في انفسهم من منعه لهم؟.

ولربما يقال: إنه أراد أن يعطيه أنصار ياً؛ ليقتدي به الانصار...

وجوابه: إنه قد كان اللازم حينئذٍ: أن يوضح ذلك لهم بكلمة، أو باشارة، حتى لايتعرض الممنوعون لسوء ظن الناس بهم، أوحتى لاينسبوا للفشل والعجز، وتصير كرامتهم في معرض الامتهان... و إن كنا سنرى: أن هؤلاء الممنوعين لم يكونوا في المستوى المطلوب، وكان أبودجانة أولى منهم بهذا التكريم، لأن هذه القضية قد جرت لوصحت بعد عودة المسلمين من الهزيمة... وسيأتي بعض الكلام في ذلك إن شاء الله...

٣ـ إن ماذكروه: من أن هندا كانت تقاتل المسلمين وتحوشهم قد كذبته أم عمارة رحمها الله؛ فراجع(١).

كما أن من المعلوم: أنه(ص) قد كان يوصي سراياه و بعوثه وصايا عديدة، ومنها: أن لايقتلوا امرأة، ولا ولا إلخ...

٤ـ إننا نلاحظ: أن هذه القضية التي تذكر تبختر أبي دجانة بين الصفين، وقول النبي(ص) له...ـ نلاحظ ـ: أن نفس هذه القضية هي التي كانت من علي عليه السلام يوم الخندق، فاعترض عمر، ونبّه النبي(ص) إلى مشيته، فأجابه النبي(ص) بهذا الجواب. وستأتي مصادر هذه القضية هناك، وأنها ثابتة بلاريب...

و يبعد أن تتعدد الواقعة بكل خصوصياتها... كما أنه بعد قضية أبي

---

(١)ـ مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٧٢، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٦٨.

دجانة في أحد لايبقى مورد لاعتراض عمر في الخندق، إذ نستبعد عدم اطلاعه على ماجرى في أحد... إن لم يكن هو نفسه المعترض- كما تعودناه منه في المواقف المختلفة، حتى ليندر أن تجد في التاريخ اعتراضا على النبي لغيره!!...

ولا أقل من حضوره وشهوده الاحداث عن قرب، فانه ممن طلب السيف ورُفض طلبه... و إذا كان ثمة تبديل وتغيير، فلاعجب، فانها شنشنة نعرفها من أخزم...

وعلى كل حال... فان مشية علي عليه السلام يوم الخندق، كان الهدف منها هوالافتخار بعظمة و بعزة الاسلام، وذل أعدائه حتى في حال انتصارهم من جهة... ثم الحرب النفسية لأعدائه، والتأثير على معنوياتهم من جهة أخرى...

نشوب الحرب، وقتل أصحاب اللواء:

وكان أول من رمى بسهم في وجوه المسلمين أبوعامر الفاسق في خمسين ممن معه، بعد أن حاول استمالة قومه من الاوس؛ فردوا عليه بما يكره، فتراموا مع المسلمين، ثم ولوامدبرين.

وحرض أبوسفيان بني عبدالدار، حاملي لواء المشركين على الحرب، وجعل النساء يضربن بالدفوف، ويحرضنهم بالاشعار.

وطلب طلحة بن أبي طلحة، حامل لواء المشركين البراز، فبرز إليه علي عليه السلام فقتله... فسرّ رسول الله (ص) بذلك ، وكبّر تكبيراً عالياً- و يقال: إن طلحة سأل علياً: من هو؟. فأخبره فقال: قد علمت ياقضم: أنه لايجسر عليّ أحد غيرك (١)-وقد ضربه علي (ع) على رأسه، ففلق هامته إلى

---

(١)- فعن أبي عبدالله عليه السلام: أن رسول الله (ص) كان بمكة لم يجسر عليه أحد؛ لموضع أبي طالب، وأغروابه الصبيان، وكانوا إذا خرج رسول الله (ص) يرمونه بالحجارة والتراب، وشكا ذلك الى علي عليه السلام، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله (ص)، إذا خرجت فأخرجني معك ، فخرج رسول الله (ص) ومعه أميرالمؤمنين عليه السلام، فتعرض الصبيان لرسول الله (ص)

موضع لحيته، وانصرف علي عليه السلام عنه، فقيل له: هلا ذففت عليه؟! قال: إنه لما صرع استقبلني بعورته؛ فعطفتني عليه الرحم. وقد علمت أن الله سيقتله، وهو كبش الكتيبة(١).

وفي رواية أخرى: إنه صلوات الله وسلامه عليه قال: إنه ناشدني الله والرحم، فاستحييت، وعرفت أن الله قد قتله(٢).

وقيل: إن ذلك كان حينما قتل عليه السلام أبا سعيد بن أبي طلحة. وثمة كلام آخر في المقام لا أهمية له...

قال ابن هشام: «لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله (ص) تحت راية الأنصار، وأرسل الى علي: أن قدّم الراية، فتقدم علي، وقال: أنا أبوالقصم (والصحيح: أبو القضم)؛ فطلب أبوسعيد بن أبي طلحة— وكان صاحب لواء المشركين— منه البراز، فبرز اليه علي، فضربه، فصرعه... ثم ذكر قصة انكشاف عورته حسبما تقدم(٣).

واقتتل الناس، وحميت الحرب، وحارب المسلمون دفاعاً عن دينهم، وعن وطنهم، الذي فيه كل مصالحهم، و يتوقف على حفظه مستقبلهم و وجودهم... حاربوا فئة حاقدة، تريد الثأر لقتلاها في بدر، وهي أكثر منهم عدداً، واحسن عدّةً...

ثم شد أصحاب رسول الله (ص) على كتائب المشركين، فجعلوا يضربون وجوههم، حتى انتقضت صفوفهم، ثم حمل اللواء عثمان بن أبي طلحة،

كعادتهم، فحمل عليهم أمير المؤمنين، وكان يقضمهم في وجوههم، وآنافهم، وآذانهم، فكان الصبيان يرجعون باكين إلى آبائهم، و يقولون: قضمنا علي، قضمنا علي، فسمي لذلك: «القُضَم»... راجع: البحار ج ٢٠ ص ٥٢، و تفسير القمي ج ١ ص ١١٤، وأشار إلى ذلك أيضاً في نهاية ابن الأثير.

(١)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٢٦، و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٦ و غير ذلك.

(٢)— تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٤، والكامل لابن الاثير ج ١ ص ١٥٢، و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٣ و غير ذلك.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

أخو طلحة السابق، فقتل، ثم أبوسعد أخوهما، ثم مسافع، ثم كلاب بن طلحة بن أبي طلحة، ثم أخوه الجلاس، ثم أرطاة بن شر حبيل، ثم شر يح بن قانط، ثم صواب، فقتلوا جميعاً... وبقي لواؤهم مطروحاً على الأرض، وهزموا، حتى أخذته أحدى نسائهم، وهي عمرة بنت علقمة الحارثية، فرفعته، فتراجعت قر يش الى لوائها، وفيها يقول حسان:

ولـولا لـواء الحـارثـيـة أصبـحـوا يبـاعـون في الاسـواق بالثمن البخس.

و يقال: إن أصحاب اللواء بلغوا أحد عشر رجلاً(١).

قال الصادق عليه السلام، بعد ذكره قتل أمير المؤمنين عليه السلام لاصحاب اللواء: «وانهزم القوم، وطارت مخزوم، فضحها علي عليه السلام يومئذ(٢)».

كما أن رماة المسلمين الذين كانوا في الشعب قد ردوا حملات عديده لخيل المشركين، حيث رشقوا خيلهم بالنبل، حتى ردوها على أعقابها.

وقبل المضي في الحديث نسجل هنا مايلي:

الف: بنو مخزوم... وأهل البيت:

ولعل ماتقدم هو سر حقد خالد بن الوليد المخزومي على أمير المؤمنين عليه السلام— وكان خالد على ميمنة المشركين في أحد— وقد تقدمت الاشارة إلى حقد خالد هذا حين الكلام على أسطورة زواج علي عليه السلام ببنت أبي جهل...

وقد روى الحاكم، عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: «إن أهل بيتي سيلقون من بعدى من أمتي قتلاً وتشر يداً، و إن أشد قومنا لنا بغضاً: بنو أمية، و بنو المغيرة، و بنو مخزوم(٣)».

---

(١)— تار يخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

(٢)— الارشاد للمفيد ص ٥٢، والبحار ج ٢٠ ص ٨٧ عنه.

(٣)— مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٤٨٧.

باء: الزبير والمقداد على الخيل:

وثمة رواية تفيد: أن الزبير والمقداد كانا على الخيل، وحمزة بالجيش بين يديه(ص)، وأقبل خالد الذي كان على ميمنة المشركين، وعكرمة بن أبي جهل على الميسرة، فهزمهم الزبير والمقداد، وحمل النبي(ص)، فهزم أبا سفيان(١).

ونحن نشك في صحة هذه الرواية... فقد تقدم: أنه لم يكن مع النبي(ص) خيل... وجاء في بعض الروايات: أنه كان ثمة فرس واحد، أو فرسان: فرس للنبي، والآخر لابي بردة بن نيار كما تقدم... إلا أن يقال: إن المراد: أنه كان في مقابل خيل المشركين: الزبير والمقداد... ولكن ذلك بعيد عن سياق الكلام... ولاسيما إذا لم يكن معهما خيل...

ثم إننا لاندري أين كان علي عليه السلام، الذي قتل نصف قتلى المشركين أو اكثر كما سيأتي؟!... ولماذا لا تتعرض له هذه الرواية، ولا تدلنا على دوره في هذه الحرب؟!...

جيم: اخلاص علي(ع):

وأما أن علياً انصرف عن قتل حامل لواء المشركين، لأنه قد عطفته عليه الرحم، فلايمكن أن يصح؛ لأن علياً لم يكن ليرحم من حادّالله، وكان في كل اعماله مخلصاً لله تعالى. كل الاخلاص، وقد قدمنا موقفه حينما قتل عمرو بن عبدودّ...

فالظاهر: أن الصحيح: هو أنه ناشده الله والرحم، واستقبله بعورته فانصرف عنه— وهو بلاء تعرض له أميرالمؤمنين مع غيره أيضاً، كعمرو بن العاص، وبسر بن أرطاة في وقعة صفين— كما هو معلوم.

نعم لقد انصرف عنهم جميعاً، بدافع من كرم النفس، وطاعة لله. فهو

---

(١)— الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٥٢.

حين يقتل قومه يقتلهم طاعة لله، وحين ينصرف عنهم ينصرف كذلك لكرم النفس والنبل، وطاعة لله أيضاً... حيث لم يكن ثمة حاجة للتذفيف عليه، ومشاهدة مالايحسن مشاهدته منه— عورته— وقد علم أن الله سيقتله من ضربته تلك ،التي فلقت هامته إلى موضع لحيته...

دال: من قتل أصحاب اللواء:

واننا نبادر إلى القول: إن عليا اميرالمؤمنين عليه الصلاة والسلام هوالذي قتل جميع أصحاب اللواء الأحد عشر— ولايعتنى بتفصيلات طائفة من المؤرخين في من قتل هذا ومن قتل ذاك — ونستند في ذلك إلى مايلي:

١ً— قال الطبري، وابن الاثير، وغيرهما: «وكان الذي قتل أصحاب اللواء علي، قال أبو رافع: قال: فلما قتلهم أبصر النبي(ص) جماعة من المشركين إلخ». وستأتي المصادر الكثيرة جداً لهذا النص حين الكلام على مناداة جبرئيل:

لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى الا علي

فإلى هناك ...

٢ً— وقد نص على أنه عليه السلام هوالذي قتل أصحاب اللواء عدد جمّ من المؤرخين وغيرهم(١).

و إذا كان هذا هوالصحيح في قتل أصحاب اللواء... و إذا كنا نلاحظ كثيراً: أنهم في مقام تفصيلاتهم الأخرى في هذا المقام وفي غيره أيضاً، يحاولون اعطاء كثير من الامتيازات لأولئك الذين لم تكن لهم علاقات حسنة باهل البيت(ع)... بل كان لغالبهم عداوات كبيرة مع علي وأهل بيته،

---

(١)— راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٣ عن الاسكافي، وليراجع: آخر العثمانية للجاحظ ص ٣٤٠، و شرح التجريد للقوشجى ص ٤٨٦، و مجمع البيان ج ٢ ص ٥١٣، والبحار ج ٢٠ص ٢٦ و ٤٩ و ٦٩ و ٨٧، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٣ والارشاد للشيخ المفيد ص ٥٢، وعن الخصال ج ٢ ص ١٢١/و١٢٤.

وعلاقات وثيقة بأعدائهم ومناوئيهم.

إننا بملاحظة كل ذلك ... نستطيع أن نعرف سر محاولة صرف الانظار هنا عن رجل الجهاد الحقيقي، الذي كان ولايزال شوكة جارحة في أعين أعداء الدين الحق، الذين يحاربون الله ورسوله بالسلاح تارة، وبالكذب والدعايات المسمومة أخرى، وبالتحريف والتزوير ثالثة... وهكذا...

ونحن لابد وأن نشير هنا: إلى أن من الممكن أن يكون بعض ماذكروه عن غير علي صحيحاً أيضاً... وأنهم قد قتلوا بعض المشركين. ولكن من المؤكد: أنه لم يكن لهم دور بهذا المستوى المعروض فعلاً، ولاهم قتلوا أصحاب اللواء... ولكن مناوئي أهل البيت قد بدلوا الاسماء... ومن هنا... فلامانع من أن يكون أحدهم قد قتل بطلاً من المشركين، بأن ضربه بالسيف، فقطع يده وكتفه، حتى بلغ مؤتزره، فبدا سحره (أي رئته) ثم رجع، وقال: أنا ابن ساقي الحجيج...

ولسوف يأتي إن شاء الله المزيد من الكلام فيما يرتبط بهذا الموضوع.

٣ـ وعن أبي عبدالله، عن ابيه عليهما السلام، قال: كان اصحاب اللواء يوم أحد تسعة، قتلهم علي بن أبي طالب عن آخرهم إلخ(١).

و يمكن تأييد ذلك بما سيأتي إن شاء الله، من أن أمير المؤمنين(ع) قد قتل نصف بل اكثر قتلى المشركين في معركة أحد...

هاء: مبارزة أبي بكر لولده:

و يقولون: إن ابابكر دعا ابنه عبدالرحمان للبراز ـ وكان عبدالرحمان من أشجع قريش، وأشدهم رماية(٢) ـ يالطيف!! ـ يوم أحد، فقال له النبي(ص): متعنا بنفسك، أما علمت أنك منى بمنزلة سمعي من بصرى،

---

(١) المفيد ص ٥٢، والبحار ج ٢٠ ص ٨٧ عنه.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٨.

فأنزل الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم(١).

وذكرت قصة شبيهة بهذه لابي بكر وابنه في يوم بدر أيضاً... لكن فيها: أن عبدالرحمان هوالذي دعا أباه للبراز... ولكن لم يذكر فيها نزول الآية بهذه المناسبة(٢)... كما أن اكثر المصادر لم تذكر قوله: أما علمت أنك مني بمنزلة إلخ...

وفي بعض السير: أن أبابكر قال لولده يوم بدر وهو مع المشركين: أين مالي يا خبيث؟. فقال له عبدالرحمان كلاماً معناه: إنه لم يبق إلا عدة الحرب، التي هي السلاح، وفرس سريعة الجري، وجنان يقاتل عليه شيوخ الضلال(٣).

ولنا على ماذكر ملاحظات:

١ً— أما بالنسبة لمال أبي بكر الذي طالبه به. فيردّه قولهم: إن ابابكر حمل ماله كله حين هاجرمن مكة إلى المدينة، حتى إن أباه لما جاء وسأل: إن كان أبقى لاهله شيئاً، اضطرت أسماء لأن تضع الحصى في كيس وتلمسه إياه على أنه نقود.

٢ً— وأما نزول الآية فيه... فأيضاً لاندرى: هل نصدق هذا؟! أم نصدق قولهم: إن أبابكر سمع والده أبا قحافة يذكر النبي(ص) بشرّ؛ فلطمه لطمة سقط منها، فنهاه النبي(ص) أن يعود لمثلها، فقال: والله، لو حضرني

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩ و ٢٢٤ وفيها عن علي مايؤيد هذا والعثمانية للجاحظ ص ٦٢ ولم يذكر نزول الآية وكذا في الكامل لابن الأثيرج ٢ ص ١٥٦ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥٦ مثله، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٥٧، وملحق العثمانية ص ٣٣٠ و ٣٤٠، والبحارج ٢٠ هامش ص ١٠٣ عن كشف الغمة، وعن المقريزي في الامتاع...

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٨، والاستيعاب هامش الاصابة ج ٢ ص ٣٩٩/٤٠٠ وراجع غزوة بدر، فقد اشرنا إلى هذه الرواية هناك أيضاً.

(٣)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٩١.

سيف لقتلته به(١). وهذا يعنى أن الآية مكية.

كما أن هذا ينافي ماقيل في تفسير هذه الآية، من أن المراد: الدعوة إلى الحرب. أو الى القرآن(٢). ومقتضى ماذكر في قصته: أنه دعاه لترك الحرب، وليبقى حياً ويمتعهم بنفسه.

٣ً- قال ابن ظفر في الينبوع: «لم يثبت أن أبابكر دعا ابنه للمبارزة، وإنما هو شيء ذكر في كتب التفسير(٣)».

٤ً- ولماذكر الجاحظ في عثمانيته هذه الحادثة متبجحاً بها، أجابه الاسكافي بقوله: «ماكان أغناك يا أبا عثمان عن ذكر هذا المقام المشهور لابي بكر، فانه لوتسمعه الامامية لاضافته الى ما عندها من المثالب، لأن قول النبي صلى الله عليه وآله: «إرجع» دليل على أنه لايحتمل مبارزة أحد، لأنه إذا لم يحتمل مبارزة ابنه، وأنت تعلم حنو الابن على الاب، وتبجيله له، واشفاقه عليه، وكفه عنه، لم يحتمل مبارزة الغريب الاجنبي.

وقوله: «ومتعنا بنفسك» إيذان بأنه كان يقتل لوخرج، ورسول الله كان أعرف به من الجاحظ. فأين حال هذا الرجل من حال الرجل الذي صلي بالحرب، ومشى إلى السيف بالسيف، فقتل السادة والقادة، والفرسان والرجالة(٤)».

٥ً- وأخيراً... فان عائشة تقول: ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن، غير ان الله انزل عذري(٥)... وحتى عذرها هذا لايمكن أن يكون قد نزل فيها

---

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩.

(٢)- راجع الدر المنثور ج ٣ ص ١٧٦ عن ابن أبي شيبة وعبدبن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن اسحاق.

(٣)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٦٩.

(٤)- شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٤ و ص ٢٨١ وليراجع آخر كتاب العثمانية ص ٣٤٠ وليراجع ص ٢٣٠.

(٥)- صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ ج ٣ ص ١٢١، وتفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٥٩، والدر المنثور ج ٦ ص ٤١، وفتح القدير ج ٤ ص ٢١.

كما اثبتناه في كتابنا حديث الافك.

فكيف تكون الآية قد نزلت بهذه المناسبة؟!...

هزيمة المشركين:

و يقولون: إنه لما قتل أصحاب اللواء، وانتكست راية المشركين، صاروا كتائب متفرقة، وصار أصحاب الثغرة يرمون المشركين، و «اقتتل الناس قتالا شديداً، وامعن في الناس حمزة، وعلي، وأبو دجانة في رجال من المسلمين، وانزل الله نصره على المسلمين، وكانت الهزيمة(١)»...

وعلى حد تعبير الديار بكرى: «وقاتل علي في رجال من المسلمين(٢)»...

وانهزموا، واتبعهم المسلمون، يضعون السيف منهم حيث شاؤا، حتى أجهضوهم، و وقعوا ينتهبون العسكر، و يأخذون مافيه من الغنائم.

وقد روى كثير من الصحابة ممن شهد أحداً، قال كل واحد منهم: والله، إني لأنظر إلى هند وصواحبها منهزمات، ومادون أخذ هن شيء لمن أراده، ولكن لامرد لقضاء الله(٣)...

و يذكرون هنا أيضاً... أن سعدبن أبي وقاص قتل بطلاً آخر، رماه بسهم، ثم أخذ يسلبه درعه، فنهض اليه نفر، فمنعوه سلبه، وكان أجود سلب لمشرك . درع فضفاضة، ومغفر، وسيف جيد، يقول سعد: «ولكن حيل بيني و بينه».

و يذكرون كذلك: أن عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح، قد قتل أحد

---

(١)— الكامل لابن الأثير ج ١ ص ١٥٣.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧.

(٣)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٢٩، و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٩ عنه و مجمع البيان ج ٢ ص ٥١٣، و غير ذلك كثير.

فرسان المشركين؛ فنذرت أم المقتول: أن تشرب في قحف رأس عاصم الخمر، وجعلت لمن جاءها به مئة من الابل؛ فلما قتل يوم الرجيع، وأرادوا أن ياخذوا لها رأسه حمته الدبر— أي جماعة النحل والزنابير—... وثمة تفصيلات أخرى تقال هنا لامجال لتتبعها...

ونحن هنا نشير إلى مايلي:

الف: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد؟!

إنه مع ان الفرصة كانت متاحة لسبي نساء قريش في أحد، ولكن لم يسب منهن أحد... بل نجد: انه لم يسب لقريش أحد طيلة حروبها مع المسلمين، فى مدة عشر سنين...

وهذا فى الحقيقة لطف الهي، ونعمة عظيمة— على الاسلام وعلى والمسلمين وذلك :

أولاً: لان سبي نساء قريش لسوف يوقع بعض المسلمين من المهاجرين في حرج نفسي واجتماعي، ربما تكون له آثار سيئة على موقعه فى الاسلام والمسلمين... بل ربما يوجب ذلك حرجاً لبعض المسلمين من الانصار من اهل المدينة انفسهم؛ لأن العلاقات النسبية عن طريق التزويج والتزوج كانت موجودة بين مكة والمدينة... حتى ان بعض قتلى اللواء فى احد كانت أمهم اوسية...

كما ان ذلك سوف يؤثر على موقف المكيين من الاسلام. رفضا او قبولا؛ فإن دخولهم على مجتمع قد عاملهم هذه المعاملة القاسية، فى اكثر القضايا حساسية، عاطفيا، واجتماعيا، (بل ربما توجب لهم— على حدفهمهم وزعمهم— عار الدهر) سوف يكون صعباً جداً، ولاسيما إذا كان لابدوان يطلب منهم: التعامل مع هذا المجتمع بروح الصفاء والمحبة والاخوة... وانى يمكنهم ذلك بعد الذي كان...

وثانياً: إنه إذا كان لم يسب لقريش احد، ولم تستطع ان تنسى

ثارات بدر، واحد، وسائر المعارك ، حتى ان حرب صفين— كما قالت ام الخير بنت الحريش— كانت لاحن بدرية، واحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب بها معاوية حين الغفلة؛ ليدرك ثارات بني عبد شمس(١)... بل ان مجزرة كربلاء، وفاجعة قتل الحسين، واهل بيته واصحابه، كانت لها دوافع بدرية، واحن احدية أيضاً، فقد قال اللعين يزيدبن معاوية:

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً ثم قالوا: يايزيد لا تشل

كما أنه لما وصل رأس الحسين عليه السلام إلى المدينة رمى مروان بالرأس نحو قبر النبي(ص)، وقال: يا محمد يوم بيوم بدر(٢) وقيل: إن الذي قال هذا هوالاشدق، كما فى مثالب أبي عبيدة، كما ذكره في الغدير ١٠ ص ٢٦٤.

هذا عداعن واقعة الحرة، وسائر المواقف العدائية لقريش تجاه أهل البيت، واصحابهم، وشيعتهم... فلو أن النبي(ص) كان قد سبى أحداً من قريش؛ فما هي الحالة التي يمكن ان تتصور لزينب، وسبايا كربلاء؟!... اللواتي تجرعن الغصص، وواجهن افظع المصائب والبلايا، على يد يزيد الغادر الاثيم... واعوانه، اعوان الشيطان؟! ومع ذلك نجدهم يقولون: إنه امام مجتهد، أو انه كان مجتهداً متأولاً مخطئاً(٣). فانالله، وانا إليه راجعون!!

باء: مقارنة:

قال المعتزلي: «قلت: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على

---

(١)— العقد الفريد ط دارالكتاب ج ٢ ص ١١٧، وصبح الاعشى ج ١ ص ٢٥٠، وبلاغات النساء ص ٣٨ وفي الغدير ج ٩ ص ٢٧١ عنهم وعن نهاية الارب ج٧ص٢٤١.

(٢)— شرح النهج للمعتزلي تحقيق محمدابوالفضل ابراهيم ج ٤ ص ٧١، ٧٢ عن الاسكافي.

(٣)— الفصل لابن حزم ج ٤ ص ٨٩ و تاريخ ابن كثير ٧/٢٧٩ و ٨/٢٢٣ و ج ١٣ ص ٩، والغدير ٩/٩٣/٣٩٤ عنهم. والعواصم من القواصم... وكذا قالوا في ابن ملجم أيضاً كما ذكره في الغدير عنهم أيضاً فراجع الصفحات المشار إليها.

السلب، و يتأسف على فواته، وذاك يقتل عمرو بن عبد وديوم الخندق، وهو فارس قريش، وصنديدها، ومبارزه؛ فيعرض عن سلبه؛ فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفس سلب؟! فيقول: كرهت أن أبزّ السبيّ ثيابه... فكأن حبيباً عناه بقوله:

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب(١)»

الهزيمة بعد النصر:

و يقولون: إنه لمارأى أصحاب الثغرة المشركين قد انهزموا، وأن المسلمين يغنمون، اختلفوا، فبعضهم ترك الثغرة للغنيمة. وفي معالم التنزيل: إنهم قالوا: نخشى أن يقول رسول الله (ص): من أخذ شيئاً فهوله، ولايقسم الغنائم— كمالم يقسمها يوم بدر(٢)— وقال بعضهم— وكانوا فوق العشرة، أو دونها—: لانخالف أمر رسول الله (ص)...

ولما سأل رسول الله (ص) التاركين لمراكزهم عن سبب ذلك، قالوا: تركنا بقية إخواننا وقوفاً، فقال: بل ظننتم: أنا نغل؛ فلا نقسم لكم. فأنزل الله تعالى: وما كان لنبي أن يغلّ، ومن يغلل يأت بما غلّ— الآية— وقال بعضهم: وانزل الله: منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة.

فلما رأى خالد قلتهم، وخلاء الجبل، واشتغال المسلمين بالغنيمة، ورأى ظهورهم خالية، صاح في خيله، فمرّبهم، وتبعه عكرمة في جماعة؛ فحملوا على من بقي في الثغرة؛ فقتلوهم جميعاً؛ ثم حملوا على المسلمين من خلفهم... ورأت قريش المنهزمة عودة رجالها للحرب، ورفعت الحارثية لواءهم الذي كان ملقى على الارض؛ فعادوا الى الحرب من جديد...

---

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧.

(٢)— الظاهر: أن هذه جملة اعتراضية، زادها الرواة تبرعاً... و إلا فقد تقدم: أنه(ص) قد قسم الغنائم في بدر، بل لقد ادّعوا— و إن كان ذلك كذباً—: أنه(ص) قد أسهم لمن لم يكن قد حضرها، فكيف بغيره... فراجع...

وطبيعي: أن المسلمين الذين كانوا قد تفرقوا، و انتقضت صفوفهم، ولم يعودوا صفاً واحداً كالبنيان المرصوص، يشد بعضهم بعضاً... وفقدوا الارتباط بقيادتهم الحكيمة، وهم في طلب المغنم، لم يمكنهم مقاومة هذه الحملة الضارية، وضاعوا بين اعدائهم، فكان همُّ كل واحد منهم أن ينجو بنفسه— اهمّتهم انفسهم— على حد تعبير القرآن الكريم...

ولاسيما و ان أحد المشركين قد قصد مصعب بن عمير وهو يذب عن رسول الله، فظن انه الرسول نفسه فقتله،— (فيقال: ان اللواء كان معه فأخذه أبو الروم و يقال: بل اخذه ملك في صورة مصعب— والذي عليه المحققون: ان النبي(ص) اعطاه علياً(ع) وقد قدمنا أن الظاهر هو: أن هذا اللواء خاص، وليس هولواء الجيش، الذي كان مع علي(ع)—). ونادى قاتل مصعب— اوغيره—: ان محمداً قد قتل؛ فازداد المشركون جرأة، وهزم المسلمون الذين، لم يستطيعوا جمع شملهم، ولمّ شعثهم... وثبت علي(ع) وحده معه(ص)، يدافع عنه.

وخلص العدوّ الى رسول الله (ص)، فكسرت رباعيته الشريفة، وكلمت شفته، وشج في وجهه، ونشبت حلقتان من الدرع في وجهه الشريف، ودث بالحجارة، حتى وقع لشقه... هكذا يقولون...

و يقولون أيضاً: إن أبا عبيدة هوالذي انتزع حلقتي الدرع، فسقطت ثنيتاه، فكان أحسن الناس هتما. وقيل: بل انتزعهما ابوبكر، وقيل: طلحة، وقيل: عقبة بن وهب(١)...

ولابد أن يكون انتزاعها بعد عودة المسلمين من هزيمتهم، كما سنرى... كما أن من كسر رباعيته(ص) لم يولد له ولد، إلا وابتلي بالهتم، كما يقولون...

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٥، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣٣، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣١. وليلاحظ مدى الاختلاف في هذا!!

الرسول يدعوهم في اخراهم:

نعم... لقد هزم المسلمون، وجعل الرسول(ص) يدعوهم في أخراهم: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله، إليّ يا فلان، إليّ يا فلان، وهم يصعدون ولا يلوون، ولا يعرّج عليه أحد، والنبل يأتي إليه من كل ناحية...

واستمروا في هزيمتهم حتى الجبل، وفيهم: أبو بكر، وعمر، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم... أما عثمان فقد استمر في هزيمته ثلاثة أيام— كما سنرى—.

علي(ع)... وكتائب المشركين:

وحين انهزم الناس غضب صلى الله عليه وآله وسلم، ونظر إلى جنبه فاذا علي عليه السلام؛ فقال: مالك لم تلحق ببني أبيك؟! فقال عليه السلام: يا رسول الله، أكفر بعد إيمان؟!، إن لي بك أسوة(١).

و يقول النص التاريخي: كان الذي قتل أصحاب اللواء علي، قاله أبو رافع.

وصارت تحمل كتائب المشركين على رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقول: يا علي اكفني هذه؛ فيحمل عليهم، فيفرقهم، و يقتل فيهم... وهكذا... حتى قصدته كتيبة من بني كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف الاربعة، فقال له (ص): اكفني هذه الكتيبة؛ فيحمل عليها، وإنها لتقارب خمسين فارساً، وهو عليه السلام راجل، فمازال يضربها بالسيف حتى تتفرق عنه.

ثم تجتمع عليه هكذا مراراً، حتى قتل بني سفيان بن عويف الاربعة، وتمام العشرة منها، ممن لايعرف بأسمائهم... فقال جبريل عليه السلام: يا محمد، إن هذه المواساة، لقد عجبت الملائكة من مواساة هذا الفتى!

---

(١)— البحار ج ٢٠ ص ٩٥ و ١٠٧ عن إعلام الورى، و روضة الكافي ص ١١٠.

فقال(ص): ومايمنعه، وهو مني وأنا منه؟!...
فقال جبريل: وأنا منكما...
ثم سمع مناد من السماء:
لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى إلا علي...
فسُئِل(ص) عنه؛ فقال(ص): هذا جبريل(١).

قال المعتزلي: «...قلت: وقد روى هذا الخبر جماعة من المحدثين، وهو من الاخبار المشهورة، ووقفت عليه في بعض نسخ مغازي محمدبن اسحاق، ورأيت بعضها خالياً منها، وسألت شيخي عبدالوهاب بن سكينة رحمه الله عن هذا الخبر، فقال: هذا الخبر صحيح إلخ(٢)...»

وبعد أن صدّ أميرالمؤمنين عليه السلام تلك الكتائب لم يعد منهم أحد(٣).

وأصيب أميرالمؤمنين عليه السلام بجراح كثيرة، قال أنس بن مالك:

---

(١)— النص المتقدم في اكثره للمعتزلي في شرح النهج ج ١٤ ص ٢٥٠/٢٥١ عن الزاهد اللغوي غلام ثعلب، وعن محمدبن حبيب في أماليه. وراجع الرواية في: تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٧ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٤، و فرائد السمطين، الباب الخمسين ج ١ ص ٢٥٧، و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٤ و ١٢٢ عن البزار و عن الطبراني، و كنزالعمال ج ١٥ ص ١٢٦ والبداية والنهاية ج ٦ ص ٥، واللآلي المصنوعة ج ١ ص ٣٦٥، و تفسير القمي ج ١ ص ١١٦، والبحار ج ٢٠ ص ٥٤ و ٩٥ و ١٠٥ و ١٠٧ و ١٠٢ عن القمي وعن علل الشرايع ص ١٤، و عن الارشاد ص ٥١، و اعلام الورى وتفسير فرات ص ٢٤/٢٦، وروضة الكافي ص ١١٠، وعيون أخبار الرضا ج ١، و حياة الصحابة ج ١ ص ٥٥٩، و ربيع الابرار ج ١ ص ٨٣٣، و مناقب الخوارزمي ص ١٠٣، إلا أن فيه: أن ذلك كان في بدر. والغدير ج ٢ ص ٥٩—٦١، عن العديد من المصادر، وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٠٦ و تاريخ ابن عساكر— ترجمة علي(ع) بتحقيق المحمودي ج ١ ص ١٤٨/١٤٩/١٥٠ وفي هامشه عن الفضائل لاحمدبن حنبل، الحديث رقم ٢٤١ و عن المعجم الكبير للطبراني ج ١ في الورق ٥٠ في ترجمة أبي رافع. و غاية المرام ص ٤٥٧، و فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٤٣ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٢، وعن علي بن سلطان في مرقاته ج ٥ ص ٥٦٨ عن احمد في المناقب.
(٢)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥١.
(٣)— الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٣، والبحار ج ٢٠ ص ٨٨.

«أتي رسول الله (ص) بعلي(ع) يومئذٍ وفيه نيف وستون جراحة، من طعنة، وضربة، ورمية. فجعل رسول الله(ص) يمسحها وهي تلتئم باذن الله تعالى كأن لم تكن(١).

وقبل أن نتابع حديثنا لابد وأن نشير إلى الأمور التالية:

ألف: استشهاد حمزة رضوان الله عليه:

وبعد قتل أصحاب الالوية، واشتداد الحرب، قال وحشي: والله، إني لأنظر إلى حمزة يهدّ الناس هداً، بسيف مايبقي شيئاً، مثل الجمل الأورق... فاختبأ وحشي خلف شجرة، أو حجر، ورصد حمزة حتى مرّ عليه، بعد قتله سباع بن عرفطة بن عبدالعزى، وقبله أبانيار، فأتاه من ورائه(٢) فدفع عليه حربته، فأصابت ثنّتة... فأقبل حمزة نحوه، فغلب، فوقع؛ فلمامات جاءه وحشي، وأخذ حربته، وشغل المسلمون عن وحشي بهزيمتهم(٣)...

ورجع وحشي إلى العسكر، ومكث فيه، ولم يكن له بغيره حاجة... وأعطته هند ثوبها وحليها، ووعدته عشرة دنانير بمكة...

نعم... عشرة دنانير لقاتل أسدالله وأسد رسوله!!...

استطراد حول وحشي:

ولما عاد وحشي إلى مكة أُعتق... ويقال: إنه ندم على مافعل لأنه لم يعتق(٤)... فلما كان فتح مكة هرب إلى الطائف؛ فقيل له: «ويحك، إنه والله لايقتل أحداً من الناس دخل دينه»، فذهب مع الوفد إلى المدينة.. وقبل أن يقع نظر النبي(ص) عليه شهد شهادة الحق... فلمارآه النبي (يقال: إنه طلب منه: أن يحدثه كيف قتل حمزة، ففعل)، وقال له(ص): غيب وجهك

---

(١)— البحار ج ٢٠ ص ٢٣، ومجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩.

(٢)— البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠١.

(٣)— ارشاد المفيد ص ٥٠ والبحار ج ٢٠ ص ٨٤.

(٤)— راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤، والطبري ج ٢ ص ١٩٥.

عني. فكان يتنكبه حيث كان؛ لئلاّ يراه حتى قبضه الله(١).

قال ابن اسحاق: فبلغني: أن وحشياً لم يزل يحدّ في الخمر حتى خلع من الديوان. فكان عمر بن الخطاب يقول: قد علمت: أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة. ثم مات غريقاً في الخمر(٢).

ونشير نحن هنا إلى مايلي:

الأوّل— إن كلمة عمر في حق وحشي تشير إلى أنه يعتبر: أن ذلك هو فعل الله بوحشي، وأنه مجبور على ذلك... ولعل ذلك كان من عمر لرواسب معنية أشار إليها العلامة المحقق السيد مهدي الروحاني في كتابه: بحوث مع أهل السنة والسلفية... وتحدّث عن أن عقيدة الجبر كانت موجودة في الجاهلية، وبقيت رواسبها إلى مابعد ذلك...

والذي نعتقده، وهدانا إليه القرآن والاسلام والعقل، هو أن الله تعالى لم يكن ليجبر عباده على شيء، وإنما هم يعصون ويطيعون بملء إختيارهم.

الثاني— إن وحشياً قد أسلم؛ لأن من عادة النبي صلى الله عليه وآله: أن لايقتل أصحابه، كما أنه لماطلب عمر من النبي(ص) أن يقتل إبن أبي المنافق، أجابه: دعه، لايتحدث الناس: أن محمداً يقتل أصحابه(٣)، كما أنهم لما رجعوا من أحد إلى المدينة، وأرجف بهم المنافقون، واظهروا الشماتة، طلب عمر بن الخطاب من النبي صلى الله عليه وآله: أن يأمره بقتلهم، فرفض (ص) ذلك؛ لأنه مأمور أن لايقتل من يتشهد الشهادتين(٤)... ولسوف نشير

---

(١)— راجع في ذلك: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٩، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٧٢ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ١٨ عن ابن اسحاق. وقال في آخره: وأخرجه البخاري، عن جعفر بن عمر.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٦، واسعاف الراغبين، بهامش نورالابصار ص ٨٦.

(٣)— المصنف ج ٩ ص ٤٦٩، وفي الهامش عن: البخاري ج ٨/٤٦٠/٤٦٢ عن ابن المديني، والحميدي عن ابن عيينة، وأخرجه مسلم.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦ ولهذا نظائر أيضاً لامجال لتتبعها...

إلى ذلك في أواخر غزوة أحد، إن شاء الله تعالى...

نعم... وهذه هي الخطة الحكيمة والصحيحة، وذلك لأن قتله لاصحابه، معناه:

١ً ـ أن لايرغب أحد بعد في الدخول في الاسلام؛ لأنه لايرى فيه عصمة لنفسه، ولايطمئن لمستقبله ووجوده...

٢ً ـ أن يفسح المجال أمام أعداء الاسلام للقيام بحملة دعائية ضده، ومنع الناس من التعرف عليه والاهتداء بهديه...

٣ً ـ إن ذلك ربما يدفع ضعفاء النفوس، ممن أظهروا الاسلام إلى التخلي عنه، ابتعاداً بانفسهم عن مواطن الخطر بزعمهم...

٤ً ـ كما أنه لايبقى مجال للتعصبات القبلية، التي ربما تؤدي إلى خروج قبيلة بكاملها من الاسلام... ولعله لأجل ذلك نجد أباسفيان لايثأر لأبي أزهر الدوسي، وكان في جواره، ومنع ولده من ذلك، وقال له: «أتريد أن تفرق بين قريش؛ فيقوى علينا محمد؟ لعمري مابدوس عجز عن طلب ثارهم(١)».

الثالث: إن موقف الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من وحشي، إن دل على شيء؛ فانما يدل على أن وحشياً لم يكن مسلما حقاً... وعليه فان التشهد بالشهادتين، وإن حقن دم وحشي... إلا أنه إنما اسلم حينما رأى البأس، بعد أن أهدر النبي صلى الله عليه وآله وسلم دمه... فاسلامه و ايمانه لاينفعه؛ لأنه في الحقيقة لم يكن مستنداً إلى الاختيار، ولا إلى القناعة الوجدانية والعقلية بهذا الدين... وأعتقد: أنه لولا شبهة: أن النبي(ص) إنما قتل مسلماً، وماسوف يوجب ذلك من تبلبل في الافكار، و من ضرر على الاسلام، لكان للنبي(ص) أن يقتله... و ان اعماله الشنيعة والقبيحة، وسيرته الخبيثة لتدل دلالة واضحة على أنه لم يسلم، وانما استسلم... تماماً

---

(١)ـ نسب قريش لمصعب الزبيري ص ٣٢٣.

كما كان الحال بالنسبة لطلقاء مكة، أبي سفيان واصحابه...

باء: هل يدعو النبي(ص) على قومه؟!:

وقد رووا عن أنس: أن النبي(ص) جعل يمسح الدم عن وجهه، و يقول: كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم، و هو يدعوهم إلى ربهم؛ فأنزل الله تعالى: «ليس لك من الأمر شيئ، أو يتوب عليهم أو يعذبهم، فانهم ظالمون(١)».

وقيل: إنه(ص) جعل يلعن أباسفيان، وصفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، والحرث بن هشام، فنزلت الآية فتيب عليهم كلهم(٢).

وقيل: انه(ص) همّ أن يدعو عليهم، فنهاه الله تعالى بهذه الآية؛ لعلمه بأن فيهم من يؤمن، فكف عن الدعاء عليهم(٣)...

و نحن نشك في صحة ماتقدم، و ذلك لمايلي:

١ً- تناقض الروايات المتقدمة

٢ً- إنهم يقولون: إن سبب نزول الآية هو: أنه(ص) كان يقنت في صلاته بعد الركوع، و يدعو على مضر، و في صلاة الفجر يدعو على بعض الاحياء العربية؛ فنزل قوله تعالى: ليس لك من الامر شيئ(٤).

---

(١)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٩ عن ابن اسحاق، والترمذي، والنسائي، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤٥، ومجمع البيان ج ٢ ص ٥٠١، والبحار ج ٢٠ ص ٢١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٤، والدر المنثور ج ٢ ص ٧١/٧٠ عن: ابن أبي شيبة، وأحمد، وعبدبن حميد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن جرير، والنسائي، وابن المنذر، والنحاس في ناسخه، وابن أبي حاتم، وعبدالرزاق، والبيهقي في الدلائل.

(٢)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٤، والدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن: احمد، والبخاري، والترمذي، وابن جرير، والنسائي، وابن أبي حاتم، والبيهقي في الدلائل.

(٣)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤١/٢٣٤، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٩.

(٤)- الدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن البخاري ومسلم، و ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والنحاس في ناسخه والبيهقي في سننه، و مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠١، والبحار ج ٢٠ ص ٢١ عنه...

وفي نص آخر: إنه (ص) كان يلعن فلاناً و فلاناً من المنافقين، فانزل الله سبحانه الآية(١).

و في أخرى: ان الآية قدنزلت، حينما أساء رجل من قريش الأدب مع النبي(ص)، فدعا عليه(ص)(٢).

٣ـ انهم يقولون: إنه (ص) قد قال حين شج في وجهه: اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون(٣)...

٤ـ وأخيراً... فان الآية المباركة المذكورة، لوكانت نازلة «ردّاً على النبي(ص) لم يبق ثمة مناسبة بينها و بين الآية التي قبلها... ولم يمكن تفسير هذه الآية تفسيراً معقولاً و مقبولاً، و خصوصاً قوله تعالى: «أو يتوب عليهم»، فانه عطف على الآية قبلها... و الآيتان هما:

«ليقطع طرفاً من الذين كفروا، أو يكبتهم، فينقلبوا خائبين. ليس لك من الامر شيئ، أو يتوب عليهم، أو يعذبهم؛ فانهم ظالمون. ولله مافي السماوات و مافي الأرض، يغفر لمن يشاء، و يعذب من يشاء»(٤).

والمعنى: أن نصرالله لكم ببدر، وامداده لكم بالملائكة، وغير ذلك من أمور، إنما هو ليقطع الله منهم طرفاً، و يقلّل عدتهم بالقتل والأسر، أوليخزيهم و يغيظهم، أوليتوب عليهم، أو ليعذبهم...

فأما القطع و الكبت؛ فلأن الأمر إليه (أي إلى الله) لالك يا محمد، لتمدح أوتذم ـ و قد ذكر هذا بنحو الجملة الاعتراضية بين الاقسام المتقدمة ـ وأما التوبة والعذاب؛ فلان الله هوالمالك لكل شيئ؛ فيغفر لمن يشاء، و يعذب

---

(١)ـ الدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن النحاس فى ناسخه، وعبدبن حميد...

(٢)ـ الدر المنثور ج ٢ ص ٧١ عن ابن اسحاق والنحاس في ناسخه...

(٣)ـ تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٢ عن ابن عائذ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦، و مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠١، والبحار ج ٢٠ ص ٢١ و ٩٦ عنه وعن اعلام الورى...

(٤)ـ آل عمران ١٢٧ـ١٢٩.

من يشاء(١)...

فلا ربط للاية إذن... بالكلام المنسوب إلى النبي(ص)... ولو كان الكلام منفصلاً عما قبله كما تقتضيه الروايات المتقدمة لورد السؤال: إن قوله: «أو يتوب عليهم» معطوف على ماذا؟!...

هذا... ويجب أن لاننسى: أن ثمة يداً تحاول أن تثبت الايمان للاربعة المتقدم ذكرهم، ولغيرهم من أعوانهم — ممن صارت السلطة فيما بعد الى قومهم و أبنائهم... مع أنهم من الطلقاء و المنافقين المؤلفة قلوبهم، و مع أنه قد صدرت منهم أمور تدل على أنهم لم يسلموا، و إنما استسلموا — كما سنذكره عن أبي سفيان في أواخر غزوة أحد إن شاء الله تعالى...

استطرادهام:

وان مما يلفت النظر هنا قولهم فيما تقدم: إنه(ص) جعل يلعن صفوان وابا سفيان إلخ... فنزلت الآية، فتيب عليهم كلهم...

وأعجب من ذلك: أن نجد ابن كثير يدعي: بالنسبة لدعاء النبي(ص) على معاوية بقوله: «لاأشبع الله بطنه، قال: فما شبع بعدها(٢): أن معاوية قد انتفع بهذا الحديث دنيا و آخرة: أما في الدنيا فكان بعد ما يأكل الكثير يقول: والله ما اشبع وإنما اعياء، وهذه نعمة و معدة يرغب فيها كل الملوك ... وأما في الآخرة، فقد اتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري، وغيرهما من غير وجه، عن جماعة من الصحابة: أن رسول الله(ص) قال: اللهم إنما أنا بشر (و في رواية: اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر) فايما عبد سببته، أوجلدته، أودعوت عليه، و ليس لذلك أهلاً، فاجعل ذلك كفارة و قربة تقربه بها عندك يوم القيامة»(و في نص: سببته أو لعنته أوجلدته، فاجعلها له زكاة و رحمة. أو: فاجعل ذلك له قربة إليك.).(٣)— قال ابن

---

(١)— راجع: تفسير الميزان ج ٤ ص ٩.

(٢)— صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٧، والبداية والنهاية ج ٨ ص ١١٩.

(٣)— راجع في هذه النصوص: صحيح مسلم ج ٨ ص ٢٧، وج ٢ ص ٣٩١ كتاب البر والصلة ←

كثير: «فركب مسلم من الحديث الأول و هذا الحديث فضيلة لمعاو ية، ولم يورد له غير ذلك »(١).

ونحن نحيل القارئ الى الغدير ج ١١ ص ٨٩/٩٠. ليراجع تعليقة العلامة الاميني على هذا المقام حول شبع بطن معاو ية. أما نحن فنكتفى بالاشارة إلى الحديث الثاني، فنسجل مايلي:

١ـ روي عنه(ص) انه قال: المؤمن لايكون لعاناً، وقوله: وقد أبى الدعاء على المشركين: إني لم أبعث لعاناً، و إنما بعثت رحمة، فلم يلعنهم ولادعا عليهم، وقال(ص) لمالعنت جار ية ناقتها: لا تصاحبنا ناقة عليها لعنة...

وقال سلمة بن الاكوع: كنا إذا رأينا الرجل يلعن أخاه رأيناً أنه قد أتى بابا من الكبائر...

وجاء في اللعنة أحاديث كثيرة لامجال لتتبعها(٢).

٢ـ وقد ذكر في الرواية: السباب. مع أنه (ص) قال: ـ سباب المؤمن فسوق. وقال: المستبان شيطانان يتهاتران و يتكاذبان. و غير ذلك... (٣).

٣ـ وأما ان النبي بشر يرضى و يغضب، فانه(ص) هونفسه قال لعبدالله بن عمرو: أكتب عني في الغضب والرضا، فوالذي بعثني بالحق نبياً

والغدير ج ١١ ص ٨٩ و ج ٨ ص ٢٥٢ عنه و عن مسند أحمد ج ٢ ص ٢٤٣، و صحيح البخاري ج ٤ ص ٧٨ كتاب الدعوات ودلائل الصدق ج ١ ص ٤١٦ و راجع نسب قر يش لمصعب ص ٢١٩، واسد الغابة ج ٥ ص ٤٨٥، والمصنف ج ٥ ص ٢١٤ وج ١١ ص ١٨٩ وج ٩ ص ٤٦٩.

(١)ـ البداية والنهاية ج ٨ ص ١١٩ والغدير عنه.

(٢)ـ راجع هذه الأحاديث في الغدير للعلامة الاميني ج ١١ ص ٨٩ـ٩٣ و ج ٨ ص ٢٥٢ عن كثير من المصادر ودلائل الصدق ج ١ ص ٤١٦.

(٣)ـ الغدير ج ١١ ص ٩١ و ج ٨ ص ٢٥٢ عن البخاري ج ١ و مسلم، والترمذي والنسائي، وابن ماجة، والطبراني، والحاكم، والدار قطني وأحمد، والطيالسي والهيثمى، والسيوطي، والمناوي.

مايخرج منه إلاحقاً واشار إلى لسانه(١).

٤ً— وكان (ص)— كما وصفه أميرالمؤمنين لايغضب للدنيا؛ فاذا أغضبه الحق، لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شيئ حتى ينتصر له...(٢)

٥ً— و عنه (ص): المسلم من سلم الناس من يده و لسانه... كمافي أوائل صحيح البخاري...

٦ً— وروى البخاري في كتاب الادب: أنه (ص) لم يكن سباباً و لافحاشاً و لالعاناً...

٧ً— وقد قال تعالى: «الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغيرما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً و اثماً مبينا». و بعد هذا فاننا نعرف: أنه لاقيمة لقولهم: ان من خصائصه(ص) جواز لعن من شاء بغير سبب(٣).

قال المظفر رحمه‌الله: «نعم ربما يلعن بعض المنافقين وفراعنة الامة، الذين ينزون على منبره، نزو القردة لكشف حقائقهم؛ إذ يعلم بابتلاء الامة بهم، كبني أمية الشجرة الملعونة في القرآن.

لكن أتباعهم وضعوا الحديث الذي صيروا فيه اللعنة زكاة ليعموا على الناس امرهم، ويجعلوا لعن النبي(ص) لهم لغواً ودعاءه على معاوية بأن لايشبع الله بطنه باطلاً، فجزاهم الله تعالى عن نبيهم مايحق بشأنهم(٤)».

ولا تذهب نفسك عليهم حسرات:

هذا... ومما يلفت النظر هنا: أننا نجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم،

---

(١)— الغدير ج ١١ ص ٩١ عن سنن الدارمي ج ١ ص ١٢٥، وعن احياء العلوم ج ٣ ص١٦٧: أخرجه أبو داود.

(٢)— الغدير ج ١١ ص ٩٢ عن الترمذي في الشمائل...

(٣)— الغدير ج ١١ ص ٩٣ عن الخصائص الكبرى ج ٢ ص ٢٤٤، والمواهب اللدنية ج ١ ص ٣٩٥.

(٤)— دلائل الصدق ج ١ ص ٤١٧، وراجع الغدير ج ١١ ص ٨٩—٩٤.

مع مانالته به قريش، كان يقول— وفي تلك اللحظات بالذات—: اللهم اهد قومي فانهم لايعلمون...

وما ذلك إلا لأنه رجل هادف... لايكرههم، ولايعاديهم؛ لأنهم عدو، و إنما هو يكره كفرهم، وانحرافهم، واعمالهم الشاذة، التي تعود أولاً وأخيراً بالدمار عليهم وعلى اخوانهم من بني الانسان... ولقد كان يذوب حسرة وشفقة عليهم؛ حتى عاتبه الله تعالى بقوله: «ولا تذهب نفسك عليهم حسرات(١)».

نعم... إن النبي(ص) يرأف على عدوّه، وتذهب نفسه حسرات عليه، ويهتم و يبذل كل غال ونفيس في سبيل انقاذه... وليس أشد على الانسان من أن يعيش قضية آخر، ومشاكله، و يبذل كل مافي وسعه من أجل انقاذه... و إذا به يرى ذلك الغير يعاديه و يعلن الحرب عليه، و يعمل على قتله— من أجل أن يحتفظ بذلك الانحراف بالذات، وفي سبيل الابقاء على تلك المشاكل نفسها...

ومن أجل ذلك احتاج الانبياء إلى أعظم مراتب الصبر... كما يظهر من الآيات القرآنية...

وقد أشرنا من قبل إلى أن وصي وتلميذ محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أمير المؤمنين عليه السلام يرسل منادياً ينادى في جيش عائشة بما مضمونه: ان اتقوا سيف الاشتر، وجندب بن زهير... وما ذلك إلا لأنه يريد اعلاء كلمة الله بأقل قدر ممكن من الخسائر... لأنه يحب لهم الهداية، ولايريد أبداً لهم الضلالة والغواية... وكان— كأخيه— تذهب نفسه حسرات عليهم.... كما يظهر من كلماته المرّة المعبرة عن غصته وآلامه... هذا... عداعن الحرب النفسية التي تعجل في كسر شوكتهم، وتحطيم كبريائهم.

لم يثبت في أحد غير علي(ع):

وأما عن الذين ثبتوا يوم أحد، فنجد الروايات مختلفة جداً، وتذكر

---

(١)— فاطر ٨.

أرقاماً متعددة من واحد إلى ثلاثين...

والصحيح هو أن علياً وحده هوالذي ثبت يوم أحد، وفرّالباقون. و يدل على ذلك :

١ً— قال القوشجي، بعد أن ذكر قتل علي عليه السلام لاصحاب اللواء: «فحمل خالدبن الوليد باصحابه على النبي(ص)؛ فضربوه بالسيوف والرماح، والحجر، حتى غشي عليه، فانهزم الناس عنه سوى علي(ع)؛ فنظر النبي(ص) بعد افاقته، وقال: اكفني هؤلاء، فهزمهم علي عنه، وكان اكثر المقتولين منه(١)».

٢ً— وقد قالوا: «كان الفتح يوم أحد بصبرعلي(رض)(٢)».

٣ً— عن ابن عباس، قال: لعلي أربع خصال، هو أول عربي وعجمي صلى مع النبي(ص)، وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف، وهوالذي صبر معه يوم المهراس، أي يوم أحد، انهزم الناس كلهم غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره(٣)...

٤ً— ما سنذكره— بعد الحديث عن موقف علي— من أن من يذكر: أنهم ثبتوا لاريب في فرارهم، كما تدل عليه النصوص...وقبل أن نشير إلى هذه الناحية لابد من الاشارة إلى مايمكن أن يقال حول ثبات علي(ع) في هذا الموقف...

إنه مني... وأنا منه:

و إن قول النبي(ص) عن علي عليه السلام: إنه مني وأنا منه، لابد

---

(١)— شرح التجريد ص ٤٨٦، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٧ عنه.

(٢)— نورالأبصار ص ٨٧، والارشاد للمفيد ص ٥١ و ٥٢، والبحارج ٢٠ ص ٦٩و٨٦ و٨٧ و ١١٣ والاحتجاج ج ١ ص ١٩٩/٢٠٠.

(٣)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١١١، ومناقب الخوارزمي ص ٢١/٢٢، وراجع: ارشاد المفيد ص ٤٨ وتيسيرالمطالب ص٤٩.

وأن نفهم معناه ومغزاه... وهو قريب من قوله(ص): حسين مني وأنا من حسين...

ولعل المراد: أن أمير المؤمنين عليه السلام هو من النبي(ص) سلوكاً، وعقيدة، ومبدأ، ونضالاً، وأدباً، وخلوصاً، وصفاء. إلخ... فالنبي(ص) هوالذي صنع علياً، وعلمه، وثقفه، وأدبه...

كما أن النبي(ص) من علي... النبي... الذي يكون وجوده الحقيقي بوجود دينه ومبدئه، وفكره، وعقيدته وسلوكه، ومواقفه— هذا النبي— من علي وعلي هوالذي سوف يبعثه من جديد من خلال احيائه لمبادئه،وفضائله وآدابه وعلومه، وغير ذلك...

وهكذا كان... فلولا علي لم يبق الاسلام، ولاحفظ الدين... حتى اننا نجد أحدهم يصلي خلف علي عليه السلام مرة؛ فيقول: إنه ذكره بصلاة رسول الله (ص) (١) هذه الصلاة التي لم يبق منها إلا الاذان وحتى الاذان قد غيروه، كما تقدم في تمهيد الكتاب...

و يلاحظ هنا: أنه(ص) قد قدّم قوله: «إنه مني»، تماماً كما قدم قوله: «حسين مني»، لأن صناعة النبي(ص) لهم سابقة على احيائهم لدينه... فثقافة وفكر ونفسية، ودين وخصائص وآداب النبي(ص) لسوف يبعثها علي والحسين... وهكذا العكس...

ومن هناصح للنبي(ص) أن يقول: أنا وانت ياعلي أبوا هذه الأمة (راجع مقالنا: الحب في التشريع الاسلامي،في كتاب: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام ج ٢).

كما أنه ليس من البعيد أن يكون جبريل قد كان يستفيد و يتعلم من النبي(ص) وعلي(ع)؛ ولاجل ذلك قال: وأنا منكما...

---

(١)— الغدير ج ١٠ ص ٢٠٢/٢٠٣ عن العديد من المصادر.

وقد ناشدهم أمير المؤمنين بهذه القضية بالذات في قضية الشورى(١)، وذلك يؤكد مغزاها العميق... ومدلولها الهام...

لاسيف إلا ذوالفقار:

و إن منادات جبرئيل بـ «لاسيف إلا ذوالفقار إلخ...». لها مغزى عميق أيضاً... فانها تأتي تماماً في مقابل مافعله الذين فرواو جلسوا يتآمرون— هل يرسلون ابن أبي لأبي سفيان ليتوسط لهم عنده... أم أن كونهم من قومهم، وبني عمهم يجعلهم لاشيء عليهم، أم يرجعون إلى دينهم الأول— كما سيأتي— فان كل ذلك يدل على أن الذي كان سيفه خالصاً لله حقاً هو أمير المؤمنين عليه السلام، فانه لاسيف خالصاً لله، وفي سبيل الله إلا سيفه ذوالفقار...

وهذا السيف هوالذي قال عنه أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته إلى بعض عماله، يتهدده على تلاعبه بأموال الامة، مشيراً إلى هذا: «ولأضربنك بسيفي الذي ماضربت به أحداً إلا دخل النار»، وقد أشار إلى ذلك بعض المحققين أيضاً...

كما أن أمير المؤمنين(ع) هوالذي كان الله ورسوله، وجهاد في سبيله، أحب إليه من كل شيء حتى من نفسه... وجراحه الكثيرة جداً شاهد صدق على ذلك...

أما غير علي(ع) فقد كانت نفسه— بدرجات متفاوته طبعاً— أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله... ولاجل ذلك تخلى عن كل ذلك، حينما رأى نفسه تلك في خطر... بل لقدهمّ بعضهم بأن يتخلى حتى عن دينه— حيث قال: «إرجعوا الى اخوانكم، و إلى دينكم الأول»! بل نجد البعض يرى: أن عشيرته الكافرة أحب اليه من الله ورسوله، وجهادٍ في سبيله، ومن دينه! فنراه يقول: «نلقي إليهم بأيدينا، فانهم قومنا و بنو عمنا»! و يلاحظ: أن اكثر

---

(١)— البحار ج ٢ ص ٦٩، عن الخصال ج ٢ ص ١٢١ و ١٢٤.

ذلك الكلام قد كان من المهاجرين على وجه العموم!!.

كما أن أولئك كلهم لافتوّة لهم، ولا رجولة عندهم... وعلي(ع) وحده هوالفتى، لأنه يملك نفسه، ولا تملكه نفسه، أما أولئك، فان نفوسهم تملكهم... فتهلكهم...

ولعل مما يشير إلى ماذكرنا: أننا نجدالله تعالى يؤكد في الآيات النازلة في أحد على أنه كان ثمة اتجاه إلى امتحان أصحاب النبي(ص) هؤلاء، وتمحيصهم... كما أنه يبين لهم مدى ارتباطهم بنبيهم الاعظم، صلى الله عليه وآله وسلم و يبين لهم: أن أمر هذا النبي(ص) لايهمهم، بل هو ان مات أوقتل انقلبوا على اعقابهم... ونحن نكتفي هنا بذكر الآيات التالية—:

«إن يمسسكم قرح، فقدمس القوم قرح مثله، وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا، و يتخذمنكم شهداء، والله لايحب الظالمين. وليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين. أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم، و يعلم الصابرين. ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه؛ فقد رأيتموه وأنتم تنظرون. وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أوقتل انقلبتم على اعقابكم إلخ(١)».

ومما هو جدير بالملاحظة هنا: ان هؤلاء يفرون هنا، ولايثبت الاعلي، و يتركون النبي(ص) عرضة للشدائد والبلايا، وعلي وحده هوالذي يثبت، و يدفع عن هذا الرسول، و يرد عنه، تماما كما كان فى بدر... يحارب، ثم يرجع ليتفقد الرسول(ص) كما تقدم.

والدليل على انهم قد اهمتهم انفسهم، ولم يهتموا بحفظ نفس الرسول: اننا نجدهم— بعد سنوات— لايعنيهم موت الرسول الاعظم(ص)، في قليل ولا كثير، حتى لقد اخرج ابن سعد، عن عبدالرحمن بن سعيدبن يربوع، قال: جاء علي بن ابي طالب(رض) يوماً متقنعاً متحازنا، فقال له ابوبكر(رض): اراك متحازناً. فقال علي: انه عنانى مالم يعنك !! قال ابوبكر: اسمعوا

---

(١)— آل عمران ١٤٠—١٤٤.

مايقول، انشدكم الله، اترون أحدا كان احزن على رسول الله(ص) مني(١)؟!

فان عليا لم يكن يراهم محزونين على النبي(ص) ولامهتمين بأمره ولاحتى حين وفاته، ولاحتى يعنيهم أمره أصلا، حتى اضطر ابوبكر إلى هذا الاستشهاد؛ لانقاذ موقفه... ولابد وان يكون قداستشهد من هم على رأيه، وعلى مثل موقفه، من المقربين اليه...

بل نجد النبي(ص) نفسه يلمح للصحابة: ان غيرهم يحبه اكثر منهم فقد روي انه قال: ان قوما يأتون من بعدي يوداحدهم أن يفتدي رؤيتي باهله وماله(٢).

بل إننا نجده(ص) يفضل الذين يأتون بعده، ولم يروه على أصحابه، كما يظهر من عدد من الروايات(٣).

الفارّون في أحد:

ومما يدل على أنه لم يثبت غير علي(ع): أن من تحاول بعض الروايات التأكيدعى ثباتهم لاريب في فرارهم، فيلاحظ التعمد والاصرار على ثبات طلحة، وسعدبن أبي وقاص، وغيرهم... مع أنه لاينبغي الريب في فرارهم... ولبيان ذلك نقول:

فرارسعد:

و يدل على فرار سعد:

١ـ ماتقدم من أنه لم يثبت سوى علي عليه السلام.

---

(١)ـ حياة الصحابة ج ٢ ص ٨٤.

(٢)ـ مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٦ عن البزار وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤١٧ عنه.

(٣)ـ مجمع الزوائد ج ١٠ ص ٦٦ و ٦٧ عن أبي يعلى والبزار، وأحمد، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤١٦ و ٤١٧.

٢ً ـ عن السدي: لم يقف إلا طلحة وسهل بن حنيف(١). ولعل عدم ذكر علي عليه السلام بسبب أن ثباته اجماعي، لم يرتب فيه أحد...

٣ً ـ وعند الواقدى أنه لم يثبت سوى ثمانية، وعدّهم، وليس فيهم سعد... أما الباقون ففروا والرسول يدعوهم في اخراهم(٢).

٤ً ـ و يعد الاسكافي، وابن عباس، وغيرهم من ثبت يوم أحد، وليس فيهم سعد(٣).

٥ً ـ وسلمة بن كهيل يقول لم يثبت غير اثنين، علي، وابو دجانه(٤).

٦ـ عن سعد، قال: لما جال الناس عن رسول الله (ص) تلك الجولة تنحيت، فقلت: أذود عن نفسي، فإما أن استشهد، واما أن أنجو... إلى أن قال: فقال رسول الله (ص): اين كنت اليوم يا سعد؟! فقلت: حيث رأيت(٥).

فرار طلحة:

و يدل على فراره.

١ً ـ جميع ماتقدم في أنه لم يثبت سوى علي(ع)...

٢ً ـ و يدل على ذلك أيضاً قول سلمة بن كهيل المتقدم...

٣ً ـ انتهى انس بن النضر إلى عمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيدالله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: مايجبسكم؟ قالوا: قتل رسول الله. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟! قوموا، فموتوا على مثل

---

(١)ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠١، ودلائل الصدق ج ٣ ص ٣٥٦ عنه.
(٢)ـ مغازي الواقدي ج ١ و شرح النهج عنه، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٦ عن الأول
(٣)ـ راجع شرح النهج ج ١٣ ص ٢٩٣، وآخر العثمانية ص ٢٣٩.
(٤)ـ المصدر المتقدم.
(٥)ـ مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٦، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٦.

مامات عليه رسول الله (ص)، ثم استقبل القوم؛ فقاتل حتى قتل(١).

فرار أبي بكر:

و يدل على فراره:

١ـ جميع ماتقدم في ثبات أمير المؤمنين عليه السلام... وماتقدم في فرار سعد، ما عدا الحديث الاخير المختص بسعد...

٢ـ عن عائشة: كان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى، ثم قال: ذاك كان يوم طلحة... ثم أنشأ يحدث، قال: كنت أول من فاء يوم أحد؛ فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله (ص)؛ فقلت: كن طلحة، حيث فاتني مافاتني. يكون رجلاً من قومي(٢).

وحسب نص آخر، عن عائشة: لما جال الناس عن رسول الله (ص) يوم أحد كنت أول من فاء إلى رسول الله (ص)، فبصرت به من بعد، فإذا برجل قد اعتنقني من خلفي مثل الطير، يريد رسول الله (ص)؛ فاذا هو أبوعبيدة، قال الحاكم: صحيح الاسناد(٣).

---

(١)ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ١٩٩، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٥٦، والثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٢٨، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٦٨، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٤ عن ابن اسحاق، وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ٨٨ والدر المنثور ج ٢ ص ٨١ عن ابن جرير، و قاموس الرجال ج ٢ ص ١٢٥، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٦ عن الدر المنثور، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٤، وحياة الصحابة ١ ص ٥٣١ عنه. ولكن قد اقتصر في مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٨٠، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٨٦ على ذكر عمر فقط...

(٢)ـ منحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي ج ٢ ص ٩٩، وطبقات ابن سعد ج ٣ ص ١٥٥، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٨، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣١، عن الصفوة، وابن أبي حاتم، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٩ عن الطيالسي، و كنزالعمال ج ١٠ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ عن: الطيالسي، وابن سعد، وابن السني، والشاشي، والبزار، والدار قطني في الافراد، وابي نعيم في معرفة الصحابة، والطبراني في الكبير والاوسط، وابن عساكر، والضياء في المختارة... وقد صرح في مقدمة الكنز بصحة مايعزوه لبعض هؤلاء، وحياة الصحابة ج ١ ص ٢٧٢ عن ابن سعد وعن الكنز عمن تقدم باضافة ابن حبان، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩ عن الكنز أيضاً...

(٣)ـ مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٧، وتلخيصه للذهبي بهامش نفس الصفحة، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩ عن المستدرك، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٢ عن البزار...

ولكن ما أراده أبو بكر لم يصل إليه، فان طلحة كان قد فرّ أيضاً كما فرّ هو، ولكنه فاء الى رسول الله (ص) قبله.

ثم إننا لانستطيع أن نوافق أبابكر على هذه الروح القبلية التي كانت تستبد به، وتهيمن على فكره وعقله وروحه، حتى في هذه اللحظات الحرجة والخطيرة...

٣ـ قال الأمير اسامة بن منقذ لمادوّن عمر الدواوين، جاء طلحة بنفر من بني تميم يستفرض لهم. وجاء أنصاري بغلام مصفّر سقيم، فسأل عنه عمر؛ فأخبر أنه البراء بن أنس بن النضر، ففرض له في أربعة آلاف، وفرض لاصحاب طلحة في ست مئة؛ فاعترض طلحة. فأجابه عمر:

«إني رأيت أبا هذا جاء يوم أحد، وأنا وأبو بكر قد تحدثنا: أن رسول الله قتل؛ فقال: يا أبا بكر، و ياعمر، مالي أراكما جالسين؟! إن كان رسول الله قتل؛ فان الله حي لايموت إلخ(١)...».

٤ـ قال زيد بن وهب لابن مسعود: وأين كان أبو بكر وعمر؟ قال: كانا ممن تنحى(٢).

٥ـ قال المظفر رحمه الله مامعناه: إنه كيف يتصور ثبات أبي بكر في ذلك اليوم الهائل، وحومة الحرب الطاحنة التي لم يسلم فيها حتى النبي(ص)، فضلاً عن علي عليه السلام ـ كيف يتصور ثباته في ظروف كهذه، وما أصاب وما أصيب، وكيف يسلم، وهو قد ثبت ليدفع عن النبي(ص) السيوف والرماح والحجارة، ولاسيما مع مايزعمه أولياؤه من أنه قرين النبي(ص) في طلب قريش له، حتى بذلوا في قتله مابذلوه في قتل النبي(ص)؟ ثم أتراهم ينعون اصبع طلحة، ولاينعون جراحة أبي بكر؟!(٣).

٦ـ روى مسلم: أن رسول الله قد أفردفي أحد في سبعة من الأنصار

---

(١)ـ لباب الآداب ص ١٧٩، وليراجع: حياة محمد لهيكل ص ٢٦٥.

(٢)ـ الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٠، والبحار ج ٢٠ ص ٨٤ عنه.

(٣)ـ راجع: دلائل الصدق للشيخ المظفر ج ٢ ص ٣٦٠.

و رجلين من قريش(١).

قال الشيخ المظفر: «إن أحد الرجلين علي، والآخر ليس أبابكر؛ إذلا رواية، ولاقائل في ثباته، و فرار سعد أوطلحة(٢)»... هذا... وقد ذكر في سح السحابة: أن الانصار قدقتلوا جميعاً واحداً بعد واحد(٣).

٧— و يرد الاسكافي على الجاحظ بقوله: «أما ثباته يوم أحد؛ فأكثر المؤرخين وأرباب السير ينكرونه»(٤).

٨— لقد رووابسند صحيح، عن ابن عباس: في قوله: «وشاورهم في الأمر»: أبوبكر و عمر.(٥).

قال الرازي: «وعندي فيه اشكال؛ لأن الذين أمرالله رسوله بمشاورتهم، هم الذين أمره بالعفو عنهم، و يستغفرلهم. وهم المنهزمون؛ فهب أن عمر كان من المنهزمين؛ فدخل تحت الآية، إلا أن أبابكر ماكان منهم؛ فكيف يدخل تحت هذه الآية(٦)...»

وأجابه المظفر بقوله: «إن الاشكال موقوف على تقدير ثبات أبي بكر، وهو خلاف الحقيقة. هذا... والآية ظاهرة في الأمر بمشاورتهم للتأليف، كمايظهر من كثير من أخبارهم، و مثله الأمر بالعفو عنهم، والاستغفارلهم(٧)».

---

(١)— صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٨ في أول غزوة أحد، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٣٤٦ عن سح السحابة.

(٢)— دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٦.

(٤)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٣، وليراجع آخر العثمانية ص ٣٣٩.

(٥)— مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٧٠ و تلخيصه للذهبي هامش نفس الصفحة، وصححاه على شرط الشيخين، والدرالمنثور ج ٢ ص ٩٠ عن الحاكم، والبيهقي في سننه، وابن الكلبي، وتفسير الرازي ج ٩ ص ٦٧ عن الواحدي في الوسيط عن عمرو بن دينار، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩ عمن تقدم...

(٦)— تفسير الرازى ج ٩ ص ٦٧.

(٧)— دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٩.

فرار عمر:

و يدل على فراره:

١ــ ما تقدم في ثبات أمير المؤمنين فقط...

٢ــ ما تقدم في فرار طلحة، وماجرى بينهم و بين أنس ابن النضر.

٣ــ ماتقدم في فرار أبي بكر، في حديث فرض عمر لابن أنس ابن النضر. و كذلك ماذكره ابن مسعود... ثم ماقاله المظفر... ثم ماقاله مسلم، وعلق عليه المظفر... ثم ماذكره ابن عباس، وعلق عليه الرازي، وأجابه المظفر...

٤ــ ماتقدم في فرار سعد.

٥ــ عن كليب قال: خطبنا عمر، فكان يقرأ على المنبر آل عمران، و يقول: إنها أحدية. ثم قال: تفرقنا عن رسول الله(ص) يوم أحد؛ فسمعت يهودياً يقول: قتل محمد. فقلت: لاأسمع أحداً يقول: قتل محمد، إلاضربت عنقه. فنظرت، فاذا رسول الله(ص)، والناس يتراجعون إليه؛ فنزلت: و ما محمد إلا رسول قدخلت من قبله الرسل(١).

وفي نص آخر: لما كان يوم أحد هزمناهم(٢)، ففررت حتى صعدت الجبل، فلقد رأيتني: أنزو كأنني أروى(٣)... و في لفظ الواقدي: ان عمر كان يحدث، فيقول: لماصاح الشيطان: قتل محمد، قلت: أرقى الجبل كأنني أرو ية(٤)...

---

(١)ــ الدرالمنثور ج ٢ ص ٨٠، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٨، كنزالعمال ج ٢ ص ٢٤٢ عن ابن المنذر، وحياة الصحابة ج ٣ ص ٤٩٧ عن الكنز ج ١ ص ٢٣٨.

(٢)ــ لعل الصحيح: هزمنا، ففررت... كمايقتضيه سياق الكلام...

(٣)ــ الدرالمنثور ج ٢ ص ٨٨ عن ابن جرير، وكنزالعمال ج ٢ ص ٢٤٢، ودلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٨ وحياة الصحابة ج ٣ ص ٤٩٧ عن الكنز ج ١ ص ٢٣٨.

(٤)ــ شرح النهج ج ١٥ ص ٢٢.

ونحن هنا لاندري من أين جاء ذلك اليهودي الملعون!!. كما أننا لاندري اين كان حماس عمر عنه في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضدالمشركين؟! ولم لم يقتل أحداً منهم، ولاحتى طيلة السنوات العشر في عشرات الغزوات والسرايا التي اشترك فيها؟!...

٦— قال الواقدى: لما صاح ابليس: إن محمداً قد قتل تفرق الناس... إلى أن قال: وممن فر عمر و عثمان(١).

٧— و بعد أن ذكر الواقدى اعتراض عمر على رسول الله(ص) في قضية الحديبية، قال عن النبي(ص): «... ثم أقبل على عمر، فقال: أنسيتم يوم أحد؛ اذ تصعدون ولا تلوون على أحد، وأنا أدعوكم في أخراكم»؟!(٢).

٨— ماسيأتى من عدم قتل خالد لعمر، حينما كان منهزماً.

٩— وجاءته امرأة أيام خلافته، تطلب برداً من برد كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة، وردّ ابنته. فقيل له في ذلك ،فقال: إن أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه فر يوم أحد، ولم يثبت(٣).

١٠— وقد اعترف عمر برعبه من علي عليه السلام، حينما تبع الفارّين، وهو يقول لهم: شاهت الوجوه، وقطّت، وبطت، ولطّت، إلى أين تفرون؟ إلى النار؟ و يقول: بايعتم، ثم نكثتم، فوالله لانتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ...(٤)

١١— وعلى كل حال... فان فرار عمر من الزحف يوم أحد، وحنين، وخيبر معروف، و يعدّه العلماء من جملة المطاعن عليه؛ لأن الفرار من

---

(١)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٤، و دلائل الصدق ج ٢ ص ٣٥٨، ومغازي الواقدي...
(٢)— المصدران المتقدمان، ومغازي الواقدي ج ٢ ص ٦٠٩.
(٣)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٢.
(٤)— البحار ج ٢٠ ص ٥٣، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٤/١١٥.

الزحف من جملة الكبائر الموبقة، ولم يستطيع المعتزلي أن يجيب على ذلك ، بل اعترف به، واكتفى بالقول:

«... وأما الفرار من الزحف، فانه لم يفرإلا متحيزاً إلى فئة، وقد استثنى الله تعالى ذلك ؛ فخرج به عن الاثم(١)».

ولكن قدفات المعتزلي: أن ماجرى يوم أحد، لايمكن الاعتذارعنه بماذكر، لعدم وجود فئة لهم،ولأن الله قد ذمهم على هذا الفرار، وعلله بأن الشيطان قد استزلّهم ببعض ماكسبوا، ثم عفا عنهم، ولوكان لا إثم في هذا الفرار؛ فلاحاجة إلى هذا العفو... هذا... وقد حقق العلامة الطباطبائي: أن المراد بالعفو هنا معنى عام بحيث يشمل العفو عن المنافقين أيضاً، فراجع(٢).

وقد كان ثمة حاجة إلى التسامح في هذا الفرار لأنه الأول من نوعه، و يأتي في وقت يواجه الاسلام فيه أعظم الاخطار داخلياً و خارجياً، مع عدم وجود امكانات كافية لمواجهتها، و مواجهة آثار مؤاخذتهم بما اقترفوا...

فرار الزبير، وعثمان:

١ً ـ و بعد هذا... فلانرى حاجة لاثبات فرار الزبير في أحد... وإن كان ثمة محاولات لاظهار الزبير على أنه فارس الاسلام، ورجل الحرب، حتى إننا لنجد عمر بن الخطاب يعتبره يعدل الف فارس. و عند مصعب الزبيرى!!: أنه اشجع الفرسان و علي اشجع الرجالة... بل و يدعون: أنه قد افتتح افريقية وحده(٣)... مع أنه ممالاشك فيه: أن افريقية قدفتحت على عهد عثمان في سنة سبع أوثمان و عشرين على يد عبدالله بن سعدبن أبي سرح!!(٤).

---

(١)ـ شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٧٩/ ١٨٠.

(٢)ـ راجع تفسير الميزان ج ٤ ص ٥١.

(٣)ـ راجع لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ١٧٣ـ١٧٥.

(٤)ـ راجع: تاريخ الطبري وفتوح البلدان.

و نحن نعرف: أن الهدف: هو ايجاد شخصيات بديلة، أوفي قبال الامام علي عليه السلام، الذي هواشجع البشر، بعد ابن عمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم... ولكن الله يأبى إلا أن يتم نوره، و يرد كيد الخائنين للحقيقة و التاريخ...

٢ـ واما عثمان، فلايختلف في فراره في أحد اثنان. و هو موضع اجماع المؤرخين، وكان يعير به، وقدرجع بعد ثلاثة أيام، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: لقد ذهبتم فيها عريضة!!(١).

لم يثبت من المهاجرين سوى علي(ع):

يقول حسان بن ثابت عن الانصار:

سماهم الله أنصاراً لنصرهم ... دين الهدى، وعوان الحرب يستعر
وجاهدوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات فما خافوا ولاضجروا
والناس الب علينا ثم ليس لنا ... الاالسيوف واطراف القناوزر
ولايهرّ جناب الحرب مجلسنا ... ونحن حين تلظى نارها سعر
وكم رددنا ببدر دونما طلبوا ... أهل النفاق وفينا انزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحد ... إذ حزبت بطراً أشياعها مضر
فماونينا وماخمنا، وماخبروا ... مناعثاراً وجل القوم قدعثروا(٢)

و اخيراً فقد تقدم: ... أن ابابكر، وسعداً، وعمر، و عثمان، و طلحة و الزبير كلهم من المهاجرين... و ثمة نص يقول: إنه لم يثبت أحد من المهاجرين إلارجل واحد، وسبعة من الأنصار قتلوا كلهم... و لاريب فى أن هذا المهاجري هو علي (ع) ؛ للاجماع...

---

(١)ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٣ والارشاد للشيخ المفيد ص ٥٠ والبحار ج ٢٠ ص ٨٤، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨، و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢١، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٥٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٥٥، والدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، و ابن اسحاق...

(٢)ـ ديوان حسان بن ثابت ص ٥٧.

والرواية هي: أخرج الامام أحمد، عن أنس: أن المشركين لمارهقوا النبي(ص) يوم أحد— وهو في سبعة من الأنصار، ورجل من قريش— قال: من يردهم عنا وهو رفيقي في الجنة؟، فجاء رجل من الأنصار؛ فقاتل حتى قتل، فلما رهقوه أيضاً قال: من يردهم عنا، و هو رفيقي في الجنة؟.. فأجابه أنصارى آخر وهكذا... حتى قتل السبعة. فقال رسول الله (ص): ما أنصفنا أصحابنا(١).

سرالاختلاف في من ثبت:

وبعد... فاننا يمكن أن نفهم: أن رجعة المسلمين إلى المعركة بعد هزيمتهم لم تكن دفعة واحدة وانما رجع الأول فرأى علياً، ثم يرجع آخر فيرى علياً وأبادجانة مثلاً ثم يرجع آخر فيرى خمسة وهكذا... فكل منهم ينقل مارآه. حتى وصل العدد لدى بعض الناقلين إلى ثلاثين... كما أن مايؤثر عن بعض الصحابة من مواقف نضالية... لعله قدكان بعد عودتهم إلى ساحة القتال.

ثبات أبي دجانة

ولعل ذكر أبي دجانة في بعض الأخبار، مرجعه ذلك ، والا... فاننا نجد ابن مسعود ينكر ثباته، فقد قال: انهزم الناس إلا علي وحده، وثاب إلى النبي(ص) نفر، وكان أولهم: عاصم بن ثابت، وأبودجانة(٢)...

ولكن يعكّر؛ على هذه الرواية: أنه قدجاء في المطبوع من كتاب الارشاد للمفيد: أن أبادجانة قد ثبت هو وسهل بن حنيف، كانا قائمين على رأسه، بيدكل واحدٍ منهما سيف ليذب عنه(٣)... و ثاب إليه من أصحابه

---

(١)— البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٦، وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٣٣، والرواية في صحيح مسلم ج ٥ ص ١٧٨ إلا أن فيه: رجلين من قريش...

(٢)— قاموس الرجال ج ٥ ص ٧. ولكن يبدو: أن في الارشاد تحريفاً، فراجع ص ٥٠ منه، وقارنها مع ما نقله عنه في البحار ج ٢٠ و قاموس الرجال.

(٣)— وفي ربيع الابرار ج ١ ص ٨٣٣/٨٣٤: أن عماراً كان بين يدي النبي(ص) يذب عنه، والمقداد كان عن يمينه(ص).

المنهزمين أربعة عشر رجلاً(١).

ونحن لانستبعد: أن يكون أبودجانة قدثبت، ولكن لاكثبات علي عليه السلام... وإنما حارب أولاً بسيفه، ثم لمافرّ المسلمون صار يقي النبي(ص) بنفسه، و يترّس عليه(٢)— كماتقدم عن سلمة بن كهيل أيضاً؛ حيث كان علي(ع) يصدالكتائب، ويجندل الأبطال، حتى نزل في حقه:

لاسيف إلا ذوالفقار ولافتى إلا علي

ثم و بعد عودة المسلمين من فرارهم أعطاه(ص) السيف بحقه، ومنعه عمر، والزبير، وأبابكر، عقاباً لهم، وتقديراً واهتماماً في اعادة أبي دجانة إلى ساحة الحرب، ومجال الطعن والضرب معززاً ومكرماً.

وامام تصريحات المؤرخين الكثيرة جداً، والمقطوع بصحتها وتواترها، لايسعنا قبول قول حسان المتقدم، الذي يقول فيه: إن الأنصار قدثبتوا، و ينسب الفرار إلى خصوص المهاجرين... إلا أن يكون مراده: ان المهاجرين لم يرجعوا إلى ساحة القتال، واستمروا فوق الجبل، والذين ثابوا إلى الحرب هم خصوص الأنصار... ولعل كرة العدو عليهم؛ قد ضعضعتهم، فانهزموا، ثم لما علموا بحياة الرسول كروا على عدوهم من دون أن يصعدوا الجبل... ولعل هذا هوالأقرب و الاظهر.

تأويلات سقيمة للفرار:

و يقول البعض في المقام: ما ملخصه: إن فرقة استمروا في الهزيمة حتى المدينة، فارجعوا حتى انقضى القتال، وفرقة صار واحيارى حينما سمعوا بقتل النبي(ص)؛ فصارهمّ الواحد منهم: أن يذب عن نفسه، و يستمر في القتال إلى أن يقتل. و فرقة بقيت مع النبي(ص)، ثم تراجعت إليهم الفرقة الثانية شيئاً فشيئاً لماعرفوا: أنه حي... وماورد في الاختلاف في العدد، فمحمول على تعدد

(١)— البحارج ٢٠ ص ٨٣، والارشاد للمفيد ص ٥٠.

(٢)- تفسير فرات ص ٢٥/٢٤، والبحارج ٢٠ ص ١٠٥/١٠٤.

المواطن في القصة... فقولهم: «فروا» أي بعضهم، أو أطلق ذلك باعتبار تفرقهم(١).

ونحن لانر يد أن نطيل في الرد على ذلك... فان كل ماتقدم مما دل على أنه لم يثبت إلا فلان، او فلان و فلان... و أن هذا قدفر، و ذاك كذلك ، وهكذا، يدفعه ... و إلا لكان الفرار منحصراً في الثلاثة، بعثمان و صاحبيه... كما أنه لايبقى لعتاب الله لهم جميعاً بقوله: إذ تصعدون ولا تلوون على أحد، والرسول يدعوكم في أخراكم... معنى ولافائدة.

لماذا كانت الهزيمة:

١ً— إن من الواضح: أن السبب الأول لما لحق بالنبي(ص) و للهزيمة التي لحقت بالمسلمين، وماجرى عليهم من النكبات، والقتل الذر يع، حتى لقد قتل منهم سبعون، وجرح اعداد هائلة— أيضاً— إن سبب كل ذلك هو: انهم عصوا، وتنازعوا؛ ففشلوا. قال تعالى: «ولقد صدقكم الله وعده؛ إذتحسونهم(٢) باذنه، حتى إذافشلتم و تنازعتم في الأمر وعصيتم، من بعد ما أراكم ماتحبون، منكم من ير يد الدنيا، ومنكم من ير يدالآخرة»(٣).

و تصر يح القرآن بأنهم قدعصوا، وتنازعوا من بعد ما كان النصر على قاب قوسين أو أدنى... يكذب مايدعيه البعض: من أنهم قدتخيلوا انتهاء أمد أمر النبي(ص)، وان هذا اجتهاد منهم(٤)... فانه لوكان اجتهاداً لماكان معصية، مع أن القرآن يصرح بالمعصية...

والقول بأن المراد بالمعصية: المخالفة مطلقاً، ولوعن اجتهاد، خلاف ظاهر كلمة: «عصيتم».

---

(١)— راجع: وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٢، و تار يخ الخميس ج ١ ص ٤٣٠.

(٢)— الحس: القتل على وجه الاستيصال...

(٣)— آل عمران ١٥٢

(٤)— البوطي في: فقه السيرة ص ٢٦١.

فالنصر كان معهم، وحليفهم حتى تنازع الرماة؛ لأن بعضهم كان يريد الدنيا، وبعضهم يريد الآخرة...

أضف إلى ذلك: ان أمر الرسول كان صريحاً لهم في أن لايتركوامراكزهم، حتى يرسل إليهم، حتى ولورأوهم مهزومين، أوحتى لورأوهم يغنمون، ولذا قال رفقاؤهم: لانخالف أمر الله(ص)... فكيف يصح بعد هذا أن يقال: إنهم تخيلوا انتهاء امدأمره(ص)؟!...

وهكذا... فقد كانت معصية بعض الرماة، وتنازعهم... سبباً في كل ما نال المسلمين من كوارث ونكبات آنئذ، وقداشرنا و لسوف نشير إن شاءالله إلى شطرمنها...

٢ـ وأيضاً... فقد كان لاغترارهم بأنفسهم، وبكثرتهم أثر كبير في حلول الهزيمة بهم، فقد قالوا للنبي(ص): قدكنت في بدر في ثلاثمئة رجل؛ فأظفرك الله بهم، ونحن اليوم بشركثير، نتمنى هذا اليوم، وندعوالله له، وقد ساقه الله إلى ساحتنا هذه... وقد أشارالله تعالى في سورة آل عمران إلى هذا التمني للموت. فراجع الآيات.

و واضح: أن الاغترار بالكثرة يفقد العناصر المشاركة شعورالاعتماد على النفس، ويجعلهم يعيشون روح التواكل، واللامسؤولية...

٣ـ ثم إن الله تعالى مازال يؤيد المسلمين بنصره، حتى عصوا الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم طمعاً في الدنيا، و إيثاراً لها على الآخرة. فكان لابدفي هذه الحالة من إعادة التمحيص لهم، وابتلائهم؛ ليرجعوا إلى الله تعالى، وليميزالله المؤمن من المنافق... و ليزداد الذين آمنوا إيماناً؛ لأن الانسان ربما يغفل عن حقيقة العنايات الالهية، والامدادات الغيبية، حين يرى الانتصارات تتوالى، فينسب ذلك إلى قدرته الشخصية... ولأجل ذلك يلاحظ أنهم حين غلبوا شكّوا في هذا الأمر، وقالوا: «هل لنا من الأمر شيئ»؟ فجاءهم الجواب القاطع: «قل: إن الأمرلله»... نعم... لابد إذن من إعادتهم إلى الله تعالى، و تعريفهم بحقيقة إمكاناتهم، وقدراتهم و لسوف

نعود عن قريب لبحث هذه النقطة إن شاء الله تعالى...

و من جهة ثانية... فقد تقدم في غزوة بدر كلام هام للعلامة الطباطبائي، وفيه مقارنة بين بدر، وأحد وغيرها... و بيان سر الانتصار أولاً... ثم ماظهر من امارات الضعف أخيراً... فليراجع...

٤ـ و إن الانضباطية ـ وخصوصاً حين يكون القائد حكيماً فكيف اذا كان نبيا ـ هي أساس النجاح... ولربما تكون مخالفة أفراد معدودين سبباً في دمارجيش بكامله، كما كان الحال في قضية أحد...

كما أن عناية الله تعالى بهم، و تسديده لهم، لايعني الغاء جميع الاسباب الطبيعية كلية، كما أنه لايعني أن هذه العناية، و ذلك الامداد مطلق غير مشروط، بل هو مشروط قطعاً بالسعي من قبلهم نحو الهدف الاسمى، و بالبذل والتضحيات التي تؤهلهم لأن يكونوا موضعاً لعنايات الله والطافه «إن تنصروا الله ينصركم، و يثبت أقدامكم».

أوعلى الأقل لابد لاستمرار هذه العناية الالهية من حفظ الحدالأدنى من الارتباط بالقيادة، و تنفيذ أوامرها... وإلا لم يكن لهذه المواقف والحرب أثرها النفسي، والاجتماعي، والتربوي المطلوب...

٥ـ قدظهر مماتقدم: أن الذين تركوا مراكزهم قدظنوا ـ أو بعضهم ـ: أن رسول الله (ص) سيغل، أي يخونهم، فلايقسم لهم... وهذا يدل على أن من بين هؤلاء من لم يكن على درجة حسنة من المعرفة والوعي... ولو كان كذلك... فلاأقل من أن أخلاقياته، من الاعراض عن الدنيا والايثار، لم تكن بالمستوى المطلوب... هذا... إن لم نقل: إنه منافق يظهر الايمان، لأجل مصالح يراها، و يبطن الكفر...

ولعل الآية تشير الى ظنهم السيئ هذا، وتقرعهم بأنه: «ما كان لنبي أن يغلّ، و من يغلل يأت بماغل يوم القيامة»(١).

---

(١)ـ آل عمران ١٦١.

الفصل الثالث:

في موقع الحسم...

الرعب القاتل:

ولقد تقدم معنا: أن عمر بن الخطاب قد كان وهو فارّ مرعوباً من أمير المؤمنين، الذي تبع الفارّين، وهو يقول لهم: شاهت الوجوه، وقطت، ولطّت وبطت. إلى أين تفرّون؟ إلى النار؟. ويقول: بايعتم، ثم نكثتم؛ فوالله لأنتم أولى بالقتل ممن أقتل إلخ...

ولكنهم قد استمروا في هزيمتهم لايلوون على شيء، والرسول يدعوهم في أخراهم... حتى بلغوا الجبل، وبلغوا صخرة فيه...

وفشا في النـــاس: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قتل؛ فقال بعض المسلمين، من اصحاب الصخرة في الجبل: ليت لنا رسولاً إلى عبدالله بن أبيّ؛ فيأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا. وقال ناس من المنافقين: لوكان رسولاً لماقتل، إرجعوا إلى إخوانكم، وإلى دينكم الأول. وفي النهر: ان فرقة قالوا: نلقي إليهم بأيدينا؛ فانهم قومنا، وبنو عمنا(١).

وهذه الكلمة، بل والتي قبلها تدل دلالة واضحة على أن هذه الفرقة كانت من المهاجرين، لامن الأنصار.

فجاءهم أنس بن النضر، فقال لهم: إن كان محمد قد قتل؛ فما تصنعون بالحياة بعده؟! فقاتلوا على ماقاتل عليه، وموتوا على مامات عليه. ثم

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧.

قال: اللهم إني اعتذر إليك ممايقول هؤلاء، يعني المسلمين، وأبرأ إليك مماجاء به هؤلاء يعني المنافقين، ثم قاتل حتى قتل... وقد تقدمت بعض مصادر قضيته حين الكلام على فرار طلحة.

وقيل: إن حمزة هو الذي قال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء النفر، أبوسفيان وأصحابه... وأعتذر إليك مماصنع هؤلاء بانهزامهم(١).

وهذا يعني: أن حمزة قد قتل بعد فرار الصحابة عن الرسول(ص).. وقدتقدم: أنه قد قتل بعد أصحاب اللواء؛ فلامانع من أن يكون الناس قد انهزموا،فقتله وحشي، وهو عائد من بعض حملاته... ثم صار علي(ع) يدفع كتائب المشركين عن رسول الله (ص) كما تقدم.

عودة المسلمين الى القتال...

ثم إن كعب بن مالك كان أول من عرف النبي(ص)، رأى عينيه تزهران من تحت المغفر، فصاح: يا معشر المسلمين، أبشروا؛ فهذا رسول الله.

فأمره النبي بالسكوت؛ لحراجة الموقف، وخطورته.

ثم صار المسلمون يفيئون إلى رسول الله (ص) زرافات ووحدانا، وجعل (ص) يذرهم ويحضهم على القتال... فقاتلوا على قلتهم خير قتال...

ولكن الذين كانوا على الجبل فوق الصخرة لم يعودوا إلى القتال، ولا تركوا مركزهم.

وقبل أن نستمر في الحديث عن المعركة الحاسمة لا بأس بأن نشير إلى بعض المواقف البطولية التي سجلها بعض المسلمين، مع محاولة التركيز على بعض الجوانب الا يجابية فيها، ثم نشير إلى بعض المفتعلات في هذا المجال... ولاسيما حول طلحة، وسعدبن أبي وقاص... فنقول:

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦.

مواقف و بطولات:

١ً- مع موقف انس بن النضر، و ابن السكن واصحابه...

و إن موقف أنس بن النضر ليدل على فهمه العميق للاسلام، وأن الاسلام لايرتبط بالشخص والفرد، حتى ولا بالنبي نفسه، الذي جاء به من عندالله- تماماً على عكس الرؤية التي كانت للذين فرّوا، حتى انتهوا إلى الصخرة- فالحق لايعرف بالرجال، و إنما تعرف الرجال بالحق. قال أميرالمؤمنين: «إنک لم تعرف الحق؛ فتعرف من أتاه، ولم تعرف الباطل؛ فتعرف من أتاه(١)».

وهذا نظر بعيد وعميق... فانه إذا تجسد الدين بالشخص، فان القضاء على ذلك الشخص يكون كافياً في القضاء على ذلك الدين...

هذا... ولايقل موقف ابن السكن والرجال الخمسة الانصار يين عن موقف أنس؛ فانه لماتفرق القوم عن رسول الله (ص)، وهاجمه المشركون، قال (ص): من رجل يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله، فقام زيادبن السكن- أو ولده عمارة- في خمسة من الأنصار، فقاتلوا حتى قتلوا، ثم جاءت فئة؛ ففرقوا القوم عن رسول الله (ص)...

٢ً- أبو دجانة:

وقد تقدم: أن أبا دجانة كان أول عائد مع عاصم بن ثابت، وقد ترّس على رسول الله (ص)، وصار يقيه بنفسه من وقع السهام، وهو منحن عليه لايتحرك ، حتى كثر في ظهره النبل... حتى استحق ان يعطيه رسول الله (ص): سيفاً ويمنعه غيره ممن فر، اهانة لهم وتكريماً له...

وماذاك إلا لأن الاسلام ونبي الاسلام، لايضيعان عمل عامل، من

---

(١)- نهج البلاغة، الحكمة رقم ٢٦٢.

كان، ومهما كان. ولايهتم هذا الدين، وهذا النبي (ص) للدعاوى الفارغة التي يطلقها هذا أوذاك ، و إنما يهتمان بتقييم الانسان على أساس مايقدمه على صعيد الواقع، ونفس الأمر...

وأبو دجانة قد تعرض للامتحان ونجح فيه، أما غيره؛ فقد اثبت الامتحان عدم جدارته، أو استحقاقه لما يعدّ نفسه له... أو يتستر خلف دعاوى فارغة لا أكثر و لاأقل، حتى إذا جد الجد رأيته يتعجل الهزيمة، و يكون أبطأ من غيره في العودة، أولا يعود أصلاً إلا بعد حسم الموقف...

فكان لابد من اعطاء الضابطة للمسلمين جميعاً، وافهامهم: أن الاسلام واقعي بالدرجة الأولى، وان مصب اهتماماته هوالمضمون والمحتوى... وانه يقيّم الانسان على أساس أعماله، لاعلى أساس دعاواه واقواله، ولاعلى أسس أخرى، ربما لايكون له خيار فيها في كثير من الاحيان.

فطلحة، وسعد، وأبوبكر، وعمر، والزبير، وعثمان إلخ... و إن كانوا من المهاجرين الذين ربما يعطون أو يعطيهم الناس امتيازاً لذلك... وان كانوا قرشيين... و إن كان لهم بالنبي(ص) صلة من نوع مّا بسبب أو نسب... إلا أن كل ذلك إذالم يكن معه الاخلاص، و إذا لم يكن الله ورسوله، وجهاد في سبيله أحب إليهم من كل شيء حتى من أنفسهم... فانه يبقى منحصراً في نطاقه الخاص، ولاينبغى أن يتعداه إلى غيره، بحيث يخوّلهم الحصول على امتيازات لايستحقونها...

وأخيراً... فان سلمان أيضاً قد كان يقوم بنفس دور أبي دجانة في حماية الرسول... حيث جعل نفسه وقاية لرسول الله(ص) من وراء ظهره، من سهام الكفار، وأذاهم، و يقول: نفسي فداء لرسول الله (ص)(١).

٣ــ أم عمارة: ومقام فلان!! وفلان!!.

وقاتلت أم عمارة، نسيبة بنت كعب... وكان معها سقاء فيه ماء،

---

(١)ــ تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٦.

فلما رأت قلة من كان مع الرسول، قامت تذب عنه مع هؤلاء القلة، وجرحها ابن قميئة في عاتقها، حينما اعترضته مع آخرين، ممن كان يذب عن رسول الله (ص)...

بل لقد روى غير واحد: أن النبي(ص) نظر في أحد إلى رجل من المهاجرين يفرّ، قد ألقى ترسه خلف ظهره، فناداه: «يا صاحب الترس، الق ترسك، وفر الى النار»؛ فرمى بترسه؛ فقال(ص): «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان و فلان». واراد ولدها عمارة الفرار؛ فردته، وأخذت سيفه؛ فقتلت به رجلاً؛ فقال(ص): «بارك الله عليك يا نسيبة». وكانت تقي النبي(ص) بيديها، وصدرها، وثدييها(١).

قال المعتزلي: «ليت الراوي لم يكنّ هذه الكناية، وكان يذكرهما باسمهما، حتى لا تترامى الظنون إلى أمور مشتبهة. ومن أمانة المحدث أن يذكر الحديث على وجهه، ولايكتم منه شيئاً؛ فما باله كتم اسم هذين الرجلين؟!(٢)».

و يرى المجلسي: أن المراد بهما هنا: أبو بكر وعمر، إذ لا تقية في غيرهما؛ لأن خلفاء سائر بني أمية وغيرهم من الخلفاء ما كانوا حاضرين في هذا المشهد؛ ليكتي بذكرهم تقية من أولادهم واتباعهم(٣).

وهذا أيضاً هو رأي محمد بن معد العلوي(٤).

ونزيد نحن: أن عثمان لما كان قد فر باجماع المؤرخين... فقد اضطروا إلى التصريح باسمه، ثم حاولوا تبرير هذا الفرار بالتوبة عليه، وغفران

---

(١)— قاموس الرجال ج ١١ ص ٣٨ عن تفسير القمي، وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٢٦٦ و ٢٦٩، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٦٩ و ٢٧٣، و تفسير القمي ج ١ ص ١١٦، والبحار ج ٢٠ ص ١٣٤ و ٥٤.

(٢)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٢٦، والبحار ج ٢ ص ١٣٣ عنه.

(٣)— البحار ج ٢٠ ص ١٣٤.

(٤)— راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٤/٢٣.

ذنبه...

ولكننا مع ذلك ومع أننا نجد روايات عديدة تقول: إن اية: «إن الذين تولوامنكم لما التقى الجمعان، إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا» نزلت في عثمان، وخارجة بن زيد، ورفاعة بن المعلى، أو في عثمان، وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان الانصاريين...

إننا مع ذلك نجد رواية تقول: عن ابن اسحاق: «إن الذين تولوامنكم يوم التقى الجمعان» فلان!! وسعد بن عثمان، وعقبة بن عثمان(١).

ورواية أخرى عن عكرمة تقول: نزلت في رافع بن المعلى، وغيره من الأنصار، وأبي حذيفة بن عتبة، ورجل آخر(٢).

كما أن الواقدى نفسه قد كنّى عن عثمان في فراره بـ «(فلان(٣))».

فترى أنهم يهتمون في التكنية حتى عن عثمان المجمع على فراره، دون غيره ممن تذكرهم الرواية... وبعد هذا... فكيف لايكتون عمّن هم أعظم من عثمان، وأجلّ عندهم...

هذا... ويذكر أخيراً: أن لفلان وفلان!! فراراً آخر في عرض الجبل حينما جاءهم المشركون، وندب الرسول المسلمين إلى قتالهم(٤)، وإن الله قد ردهم عنهم من دون حاجة إلى ذلك، كما سنرى إن شاء الله تعالى...

كما أن الظاهر: أن ابن عباس قد كنّى عنهما، في بيان أن الناس قد تركوا ثلاث آيات محكمات، وأبو الافلان بن فلان، وفلان بن فلان(٥).

---

(١)— الدر المنثور ج ٢ ص ٨٩ عن ابن جرير، وابن المنذر.

(٢)— الدر المنثور ج ٢ ص ٨٨ عن ابن جرير...

(٣)— راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٧٧ مع هامشه.

(٤)— نفس المصدر ص ٢٩٥.

(٥)— راجع: المصنف ج ١ ص ٣٧٩/٣٨٠. وثمة تعبيرات أخرى عنهما بفلان وفلان... ذكرها في البحار، وروضة الكافي، لامجال لذكرها هنا.

جهاد المرأة:

هذا... ولابد من الاشارة هنا: إلى أنه ليس في الاسلام على المرأة جهاد، إلا حينما يكون كيان الاسلام في خطر. ولقد أدركت أم عمـــارة مدى الخطر الذي يتهدد الاسلام، من خلال الخطر الذي يتعرض له النبي(ص) (١)... ولذلك فقد اندفعت للدفاع عن النبي (ص)، بنفسها وولدها، وكل وجودها...

وليت شعري، كيف لم يدرك هذه الحقيقة كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار، وكيف سمحوا لأنفسهم بالفرار في هذا الظرف الحرج والخطر على مستقبل الاسلام، الدين الحق؟!... وقد كان المهاجرون يرون لأنفسهم، ويرى لهم الناس امتيازاً على غيرهم، وانهم في موقع المعلم والمرشد... وهم الذين عاشوا مع النبي(ص)، واستفاد وامن تعاليمه، ورأوا من معجزاته اكثر من غيرهم... وإذا كانت هذه الأنصارية التي لاجهاد عليها، والتي لم تعاشر النبي(ص)، ولم ترمن معجزاته وكراماته مارآه هؤلاء قد وقفت هذا الموقف الرسالي الرائد دونهم... فمن الطبيعي أن يكون مقامها أفضل من مقام فلان وفلان من كبارهم... كما أن من الطبيعي أيضاً: أن يفرّ ذلك المهاجريّ إلى النار، ويكون جهادها طريقها إلى الجنة...

ملاحظة: ولابد وأن نشير أخيراً: إلى أن خروج أم عمارة إلى أحدلعله كان استثنائياً، ولضرورة خاصة... ومما يوضح لنا ذلك: أننا نجد امرأة من عذرة استاذنت الرسول في أن تخرج في جيش كذا وكذا؛ فلم يأذن لها(ص): فقالت: يا رسول الله (ص): إنه ليس أريد أن أقاتل، إنما أريد أن أداوي الجرحى والمرضى، أو اسقي المرضى.

قال: لو لا أن تكون سنة، ويقال: فلانه خرجت، لأذنت لك،

---

(١)— إذلم يكن كل المسلمين ولاجلّهم— كما اظهرته حرب أحد— في مستوى وعي أميرالمؤمنين(ع) و أنس بن النضر، وابى دجانه وامثالهم...

ولكن اجلسى(١).

وقد استوفينا الكلام حول هذا الموضوع في كتابنا: تاريخ الطب، والاخلاق الطبية في الاسلام، القسم الثاني، فصل: التمريض والمستشفى، حين الكلام على معالجة وتمريض المرأة للرجل وعكسه.

٤ــ حنظلة الغسيل:

واستشهد في أحد حنظلة بن أبي عامرالفاسق، وكان قد دخل بزوجته جميلة بنت عبدالله بن أبي ليلة أحد، وخرج وهو جنب، حين سمع الهائعة؛ فأعجله ذلك عن الغسل. بل يقال: إنه كان قد غسل أحد شقيه، فسمع الهائعة؛ فترك غسله وخرج. ويقال: إن رسول الله (ص) أخبرهم: أن صاحبهم (حنظلة) لتغسله الملائكة... ويقال: إنه استأذن النبي(ص) في أن يقتل أباه أباعامر الفاسق، فلم يأذن له(٢).

ونقول:

١ــ إن النبي كما منع حنظلة الغسيل من قتل أبيه، كذلك هو قد منع ابن عبدالله بن أبي من قتل أبيه أيضاً(٣).

وهكذا... و إذا كان هدف الاسلام هو الحفاظ على إنسانية الانسان، وتكامله في مدارج الانسانية تلك ... فلابد وأن تكون مواقفه ووسائله منسجمة مع ذلك الهدف الاسمى؛ لأن الوسيلة في نظر الاسلام لا تنفصل عن الهدف، و إنما هي جزء منه...

---

(١)ــ حياة الصحابة ج ١ ص ٦١٨ عن مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٢٣ وقال: رواه الطبراني في الكبير والاوسط، ورجالها رجال الصحيح. انتهى. وراجع الاصابة ج ٤ ص ٤٨٧، و ٥٠٥ والاستيعاب بهامشها نفس المكان، والتراتيب الادارية ج ٢ ص ١١٥.

(٢)ــ الاصابة ج ١ ص ٣٦١ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٧/٤٢٨، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٠/٢٤١. وغير ذلك من المصادر الكثيرة.

(٣)ــ الاصابة ج ١ ص ٣٦١.

فلابد وأن يتعامل إذن مع كل أحد، حتى مع أبيه، وولده، وعشيرته، وماله، وكل مايحيط به، تعاملاً إنسانياً صحيحاً، ومنسجماً مع أهدافه تلك...

فاذا كانت علاقته بماله، أو بأبيه، أو بولده سوف تفصله عن هدفه، أو تفرض عليه موقفاً يتناقض معه، أو يعيق عن الوصول إليه، فلابد من رفض تلك العلاقة وتدميرها؛ لأن الابقاء عليها إنما يعني تدمير الانسانية، والخروج عنها إلى ماهو أحط من الحيوان، وهذا هو ما أشار إليه تعالى في قوله عمن اتخذ إلهه هواه: «أم تحسب أن اكثرهم يسمعون، أو يعقلون، إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلا(١)».

و إذن... فلاجامع ولاقدر مشترك بين الانسان المسلم الذي يعتبر نفسه إنساناً، بكل مالهذه الكلمة من معنى، و يتصرف على هذا الاساس... وبين غيره ممن رضي لنفسه أن يكون أضل من الانعام، و يتصرف على هذا الاساس... ومجرد وجود علاقة نسبية بينهما لايبرر تخلي ذاك عن إنسانية في سبيل إرضاء هذا...

وأما إذا كانت مواقف هذا وتصرفاته تساهم في تدمير الانسانية أينما كانت، وحيثما وجدت، والقضاء على خصائصها ومنجزاتها، سواء على صعيد الفرد أو المجتمع، أو حتى الاجيال القادمة— إذا كان ذلك — فلايجب أن نعجب إذا رأينا ذاك الولد: الانسان: يهتم بالقضاء على هذا الوالد، و يعمل من أجل ذلك وفي سبيله... و إذالم يهتم بذلك؛ فاننا سوف ندرك : أن إنسانيته لم تكتمل بعد، أو على الأقل: إن وعيه الانساني يحتاج إلى تعميق وتركيز... كما أن العاطفة التي تعتبر الوقود الذي يفجر طاقات الانسان في هذا السبيل تحتاج إلى شحن و إثارة من جديد...

و إذن... فلا عجب أن يستأذن هؤلاء في قتل آبائهم المنحرفين، الذين يحاربون دين الله تعالى... و إنما العجب من أن لايفعلوا ذلك ؛ لأنهم حينئذٍ يكونون قد خالفوا مقتضى فطرتهم، وما يحكم به عقلهم السليم... هذا

(١)— لقمان ٤٤. راجع بحث العصمة في فصل بحوث تسبق السيرة بعد غزوة بدر.

الحكم الذي قرره الاسلام، دين الفطرة؛ حين قال في القرآن الكريم:

«قل: إن كان آباؤكم وأبناؤكم، واخوانكم، وازواجكم، وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها، وتجارة تخشون كسادها، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله، وجهادٍ في سبيله؛ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لايهدى القوم الفاسقين(١).

٢ـ وأما سرّ أن النبي(ص) لم يأذن لهم بقتل آبائهم، فقد قدمنا بعض مايفيد في ذلك حين الكلام على وحشي، قاتل حمزة، حيث أخبروه: أن محمداً لايقتل أصحابه...

ونزيد هنا: أن نفس قتل الولد لوالده ليس أمراً طبيعياً، ولاينسجم مع نفسية الانسان العادي، الذي لم يتربّ تربية إلهية، ولم ينصهر في حب الله تعالى... نعم... إذا أخلص ذلك الانسان لله، وانقطعت كل علائقه المادية الارضية؛ فانه حينئذٍ يرى ذلك أمراً ضرورياً، وينساق إليه بعقله، وبفطرته، وبعاطفته أيضاً... وقليل ماهم...

نعم... ربما يثور الانسان العادي عاطفياً، إذا رأى موقفاً سيئاً، يتنافى مع الفطرة والدين والعقل، ولكن سرعان ماتشده العوامل الارضية إليها، ويعود ليزن الأمور بالموازين الارضية المادية من جديد. ولذلك رأيناهم ينهزمون جميعاً باستثناء أمير المؤمنين عليه السلام، ويتركون نبيهم، الذي هو في الحقيقة رمز وجودهم...

وهذا يدل على أن الروابط الارضية قد شدتهم إليها، ولم يتمكنوا من التغلب عليها... اللهم إلا إذا كان في مستوى رفيع من التربية الإلهية... حتى يصل إلى حد: أن يصير الله ورسوله، وجهاد في سبيله، أحب إليه من كل شيء، كما قلنا...

---

(١)ـ التوبة ٢٤ راجع كتاب: دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام ج ٢ بحث: الحب في التشريع الاسلامي.

نعم... وحتى لايعرض النبي والاسلام الذي هو واقعي بالدرجة الأولى هذا الانسان الى تجربة قاسية ومريرة ربما تكون أكبر منه، وقد يخفق في الخروج منها بسلامة ومعافاة... فقد أعفاه من هذه الأمور، لطفاً به ورفقاً... والله هو اللطيف الخبير...

٥ـ عبدالله بن جحش...

وقد دعا عبدالله بن جحش ربه: أن يقتل، ويجدع أنفه، وتقطع أذنه، حتى إذا لقي الله، وسأله: فيم جدع أنفك وأذنك؟ فيقول: فيك، وفي رسولك؛ فأمّن له سعد بن أبي وقاص. وهكذا جرى له.

ودعا سعد بن أبي وقاص ربه: أن يقتل أحد المشركين، و يأخذ سلبه؛ فأمّن عبدالله على دعاء سعد...

فشتان مابين سعد، وعبدالله...ـ وكما يقول المعتزلي ـ: هذا يجاحش على السلب، و يأسف على فواته، وذاك [أي علي] لايلتفت إلى سلب عمرو بن عبدود، وهو أنفس سلب، و يكره أن يبزّ السَّبِيّ ثيابه، فكأنّ حبيباً عناه بقوله:

إن الاسود أسود الغاب همتها يوم الكريهة في المسلوب لا السلب(١)

ونزيد نحن هنا: ان الذي يجاحش على السلب، و يدعوالله أن يقتل مشركاً من أجل سلبه، و يأتي إلى الحرب بهذه النفسية، لماذا لايفر من الحرب، و يترك الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لسيوف المشركين تنوشه من كل جانب ومكان؟!...

كما أن من تكون الدنيا عنده أهون من عفطة عنز، ولا تساوى الخلافة عنده شسع نعله، و يكون من الرسول والرسول منه، ولاسيف إلا سيفه... إن من يكون كذلك. كيف ولماذا يفر؟!... فلاعجب إذن إذا رأينا هذا يثبت

---

(١)ـ شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧ ملخصاً.

و يتلقى السيوف بنحره وجسده، وذاك يفر طلباً للسلامة، والاحتفاظ بالحياة...

مواقف وبطولات سعد الموهومة:

و يذكرون لسعدبن أبي وقاص في حرب أحد فضائل وكرامات نعتقد أن يد السياسة قد ساهمت في صنعها، ونذكر على سبيل المثال:

أنهم يقولون: إنه بعد أن عاد المسلمون إلى رسول الله (ص) دافع سعد عن رسول الله (ص)، ورمى بين يديه بالسهام، وأن النبي(ص) كان يناوله النبل، و يقول: ارم فداك أبي وأمي؛ فرمى دون رسول الله حتى اندثت سية قوسه. وفي المشكاة عن علي: ماسمعت النبي(ص) جمع أبو يه لأحد إلا لسعد.

بل يروي البعض: أنه قال له ذلك ألف مرة، لأنه رمى ألف سهم(١)... كما أن ابن عرقة رمى بسهم، فأصاب ذيل أم ايمن، فانكشف، فضحك . فأمر النبي(ص) سعداً بأن يرمي، ودعاله بأن يسددالله رميته، ويجيب دعوته؛ فرمى ابن عرقة في ثُغرة نحره؛ فانقلب لظهره، و بدت عورته، فضحك (ص)(٢).

ولكننا نشك فيما ذكر آنفاً، وذلك بملاحظة النقاط التالية:

١ً— يقولون: سئل سعد عن سر استجابة دعائه دون الصحابة، فقال: مارفعت إلى فمي لقمة إلا وأنا أعلم من أين جاءت، ومن أين خرجت.

أي لأنه قد جاء في الحديث: إن سر عدم استجابة الدعاء، هو أن من كان مأكله حراماً وملبسه حراماً فأنىّ يستجاب له.

---

(١)— مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٣، ومغازي الواقدى ج ١ ص ٢٤١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ والكامل لابن الاثيرج ٢ ص ١٦٠، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٣، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩، وغير ذلك كثير.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩.

فأيّ ذلك نصدق؟! هل نصدق أن استجابة دعائه كانت لدعائه(ص) له؟! أم نصدق أنها من أجل أنه لم يكن يأكل حراماً؟!.

وحاول الحلبي أن يجيب: بأن دعاء النبي(ص) يرجع: إلى أنه دعاله أن يستجاب له بسبب عدم اكله للحرام، وتمييزه للحرام عن غيره(١)!!.

وهو تأويل بارد، كماترى، ولانرى حاجة للتعليق عليه.

٢ـ لاندري إذا كان الوقت يتسع لرمي الف سهم، ولقول النبي(ص) له ذلك، وهو يناوله السهام في ذلك الوقت الحرج جداً؟!... ولاندرى أيضاً من أين حصل سعد على تلك السهام الألف التي رمى بها؟!، وهل كانت تتسع كنانته، وكنانة النبي(ص)ـ لوكانتـ لهذه الكمية؟!... ولانعرف أيضاً إن كانت تلك السهام تصيب المشركين؛ فيستجاب دعاء الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم له أم لا؟!... و إذا كانت تصيبهم، فكم قتل سعد؟ وكم جرح؟! ولماذا لم ينهزم المشركون لهذه النكبة التي حلت بهم؟!...

٣ـ إذا كان سعد مستجاب الدعوة، فلماذا لم يدع الله ليفرج عن عثمان حين الحصار؟ أوليهدي معاوية إلى الحق والتسليم لعلي(ع)؛ ليحقن دماء عشرات الالوف من المسلمين، ويجنب الامة تلك الكوارث العظيمة التي تعرضت لها؟!.

وعندما عرض عليه أميرالمؤمنين عليه السلام: أن يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، طلب منه أن يعطيه سيفاً يميزبين الكافر والمؤمن(٢)؛ فلم لم يدع الله أن يعطيه سيفاً كهذا؛ فيستجيب الله له، مادام أنه كان مستجاب الدعوة؟!.

٤ـ عن ابن الزبير: أن الرسول الاعظم(ص) قال للزبير: فداك أبي

---

(١)ـ المصدر السابق.

(٢)ـ قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٥ عن وقعة صفين لنصر بن مزاحم.

وأمي يوم الخندق حينما أتاه بخبر بني قريظة(١) فأي الروايتين نصدق؟! أم نصدقهما معاً؟! أم ينظر إليهما معاً بعين الشك والريب لما نعلمه من تعمّد الوضع والاختلاف لصالح هؤلاء؟! اعتقد أن هذا الاخير هوالامر المنطقي والطبيعي والمعقول.

واحتمال أنه(ص) قد قال ذلك للزبير يوم الخندق، لكن علياً لم يسمعه، فنقل ماسمعه فقط بالنسبة لسعد، أو أنه اراد تفدية خاصة... لايجدي إذقدجاء في رواية أخرى قوله: فما جمع(ص) أبويه لأحد إلا لسعد(٢)، وهذا يدل على أنه يخبر عن علم و إلا لكان عليه أن يقول: إنه لم يسمع ذلك إلا بالنسبة لسعد، ولوكان أراد تفدية خاصة لكان عليه البيان...

٥ً ـ كيف يكون سعد قد قتل حبان بن العرقة، كما يقول الواقدى، مع أن الواقدي نفسه وغيره يقولون: إن حبان بن العرقة قدرمى سعدبن معاذ فى اكحله في غزوة الخندق، فقال(ص): عرق الله وجهك في النار(٣).

إشارة هامة:

وأما لماذا هذه الفضائل لسعد، فذلك واضح، حيث إن سعداً قد كان من الفئة المناوئة لأميرالمؤمنين عليه السلام، وأهل بيته، حتى لقد كتب عليه السلام لوالي المدينة أن لايعطي سعداً من الفيء شيئاً... كما أنه حينما دخل عليه يطالبه بعطائه رده مع صاحبيه بعد كلام طويل، ولم يعطه شيئاً. وحينما دعاه عمار إلى بيعة سيد الوصيين أظهر الكلام القبيح. وأيضاً فقد صارمه عمار المعروف بجلالة مقامه وعلو شأنه. كما أنه قد أخذ من بيت المال مالاً ولم يؤده، وعزله عمر عن العراق، وقاسمه ماله...

وكان ممن قعد عن علي عليه السلام و ابى ان يبايعه، فأعرض عنه

---

(١)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٩.

(٢)ـ نفس المصدر.

(٣)ـ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٢٦٩ و ٥٢٥، و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٣، والاصابة ج ٢ ص ٣٧ و ٣٨.

عليه السلام، وقال: ولو علم الله فيهم خيراً لاسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون...

وسعد هو أحد الستة الذين جعل الامر شورى بينهم، فوهب حقه لابن عمه عبدالرحمان بن عوف(١).

وشكى اهل الكوفة سعداً الى عمر بأنه لايحسن يصلي(٢).

واذن... فانحراف سعد عن علي عليه السلام، ومما لأته لاعدائه هوالذي جعل لسعد هذه الشخصية، و رزقه هذه الفضائل والكرامات...

وهذا هو بعينه السر أيضاً بما رزقه الكرماء طلحة بن عبيدالله من كرامات ستأتي الاشارة إليها إن شاء الله...

ولعل أبا طلحة أيضاً قد ارتزق فضائله و كراماته عن نفس هذا الطريق، طريق العداء لعلي(ع) والانحراف عنه، كما هو معلوم بالمراجعة؛ فراجع قاموس الرجال و غيره...

كرامات طلحة:

و يذكرون لطلحة بن عبيدالله أيضاً في أحد كرامات كثيرة، نذكر منها :

أ— أن رسول الله(ص) قدسماه في أحد بـ «طلحة الخير»؛ لأنه أنفق سبع مئة الف درهم(٣).

ولاندرى كيف و علام أنفق طلحة سبع مئة ألف درهم، التي كانت تكفي لتجهيز جيش بكامله، يكون أضعاف أضعاف جيش المسلمين في

---

(١)— راجع فيما ذكرنا ترجمة سعد في قاموس الرجال ج ٤ ص ٣١٣—٣١٦.

(٢)— الاوائل ج ١ ص ٣١٠، والمصنف لعبد الرزاق ج ٢ ص ٣٦٠ و في هامشه عن البخاري عن أبي عوانة.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٨.

أحد... أوليس قدجهزت قريش جيشاً مؤلفاً من ثلاثة أوخمسة آلاف مقاتل، معهم ثلاثة آلاف بعير، و مئة فرس، وسبع مئة دارع بخمسة و عشرين الف دينار؟! أي بما يساوي ثلث المبلغ الذي يدّعى أن طلحة قد انفقه... و علىٰ ابعد الاقوال: إنها انفقت خمسمئة الف درهم...

نعم... إن سبع مئة الف درهم في تلك الايام تعدل ميزانية دولة بكاملها...

و كيف نصدق ذلك ، ونحن نرى ابن سعد يروي في الطبقات عن أنس: أن أبابكر استعمله على الصدقة، فقدم و قدمات أبوبكر، فقال عمر(رض): يا أنس، أجئتنا بالظهر؟. قلت نعم. قال: جئتنا بالظهر، والمال لك.قلت: هواكثر من ذلك . قال: وإن كان هولك.وكان المال أربعة الآف. فكنت اكثر أهل المدينة مالاً...(١)

فاذا كان أنس أغنى أهل المدينة بالاربعة آلاف، و ذلك في زمان عمر، الذي اتسع فيه الناس، وحصلوا علىٰ الاموال الكثيرة... فهل يمكن أن نصدق أن مهاجرياً قدم المدينة بلامال، يصير من الثراء بحيث يبذل سبع مئة الف درهم بعد فترة و جيزة جداً من قدومه؟!

ولاسيما في وقت كان يعاني فيه المسلمون صعوبات جمة، حتى إن النبي(ص) كان يربط الحجر على بطنه من الجوع (راجع حديث الغار، حين البحث في ثروة أبي بكر)...

ولماذا لم تنزل فى طلحة آية تشيد بهذه الفضيلة له، كمانزلت في علي حينما تصدق بخاتم لايساوى أربعة دراهم —على حدّ تعبير البعض— و حينما تصدق بأربعة دراهم... إلى آخر ماتقدمت الاشارة إليه...

و بذلك يعلم أيضاً... مدى صحة الارقام الخيالية التى تذكر عن تجهيز عثمان لجيش العسرة، وغير ذلك ممالامجال لتتبعه...

---

(١)— حياة الصحابة ج ٢ ص ٢٣٥ عن كنزالعمال ج ٣ ص ١٤٨.

٢ـ وأما روايات شلل اصبعه، وما أصابه في احد... فهي متناقضة، فلاندري هل شلت اصبعه؟ أو اصبعاه؟ أو يده؟ أوقطعت اصبعه؟! ثم هنا لك الخلاف في عدد الجراح التي اصابته ـ ونحن لاننكر أن يكون طلحة قد أصيب ببعض الجراح... لكن ذلك لايلزم منه عدم فراره... بل يستظهر المظفر ان شلل يده قد كان حين الفرار أو بسبب آخر، و يستظهر ذلك من تعبير الشعبي بزعم، في قوله: «وزعم: أن طلحة وقى رسول الله بيده؛ فضرب، فشلت(١)» فيظهر أن الشعبي يشك فى مازعم.

وأما ما زعمه البعض من أنه(ص) قد مسح على جسد طلحة، و دعاله بالشفاء، و قوة الجسد؛ فلاندرى مانقول فيه، و نحن نرى أن يده لم تشف، ولم يستجب الله ذلك الدعاء. ولكن الذي شفي بدعاء النبي(ص) حقاً هو أمير المؤمنين(ع) كماتقدم.

٣ـ و يقولون: إنه(ص) قد وقع في احدى الحفر التي حفرها أبوعامر الفاسق مكيدة؛ فرفعه طلحة، و أخذ بيده علي عليه السلام... وزادفي الاكتفاء: فقال (ص): من أحب أن ينظر الى شهيد يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة(٢)...

ولاندري لماذا اختص طلحة الفار من الزحف بهذا الوسام، دون علي(ع)، الذى لم يثبت أحد سواه، مع أنهما شريكان في مساعدته(ص) على النهوض؟! ثم إننا نعرف: أن كل من يعثر و يقع، فان من معه يبادرون إلى مساعدته، و معاونته على النهوض... و لايعتبرون ذلك عملاً عظيماً يستحق وساماً كهذا...

٤ـ و يقولون: ولما أصاب النبي(ص) ما أصابه جعل طلحة يحمله، و يرجع القهقرى. و كلما أدركه أحد من المشركين قاتل دونه، حتى أسنده إلى

---

(١)ـ دلائل الصدق ج ٢ ص ٢٥٩ بتصرف...

(٢)ـ تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٠.

الشعب. أخرجه الفضائلي(١).

ونحن... لانرى أن ماجرى للنبي(ص) قد أفقده القدرة على المشي، ولم نفهم وجه الحاجة لأن يحمله طلحة ثم يضعه ليدافع عنه... كما أننا لانعرف أين ذهب عنه(ص) أصحابه الثلاثون الذين فاؤا إليه، ثم لحقهم من لحقهم... وأين كان عنه سلمان، و أبودجانة، و سهل بن حنيف، و عمار، و أخوه و وصيه علي بن أبي طالب... و لم لايدافعون عنه، ويحمونه من ملاحقة المشركين، حتى يضطر طلحة، لأن يرجع القهقرى، وهو حامل رسول الله(ص). ثم يدافع عنه كلما أدركه أحد من المشركين؟!...

كما أنه لم يثبت تاريخيا عودة من كانوا في اعلى الجبل إلى ساحة الحرب —وطلحة منهم— بل الثابت خلافه، كماسنرى فيمايأتي إن شاء الله.

اشارة هامة:

و يقولون: إنه لما كانت وقعة احداشتد الأمر على طائفة من الناس، تخوفوا ان يدال عليهم الكفار، فقال رجل لصاحبه: أما أنا فانى ذاهب إلى ذلك اليهودى، فآوي إليه، واتهوّد معه، لعله ينفعني إذا وقع امر، اوحدث حادث. وقال الآخر: أما أنا فإنى ذاهب إلى فلان النصرانى فى الشام، واتنصرمعه فانزل الله: يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء(٢).

وابن طاووس في الطرائف والعلامة فى نهج الحق قدر و يا هذه الرواية عن السدي الذي روى عنه ابن جرير، وابن ابي حاتم و غيرهما... وقد صرح السدي بان الرجلين هما عثمان و طلحة، وانهما استأذنا النبي(ص) وألحّا عليه فى ذلك، كما ان رواية اخرى رواها فى الدر المنثور ج ٢ ص ٢٩١، فى تفسير نفس الآية السابقة، عن ابن جرير، و ابن المنذر، عن عكرمة: «كان طلحة و الزبير

---

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٧.

(٢)— تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٨، و تفسير الخازن ج ١ ص ٥٠٣ والدرالمنثور ج٢ص٢٩١عن ابن جرير و ابن ابي حاتم عن السدي و دلائل الصدق ج ٣ ص ٢٠٤ و طرائف ابن طاووس ٤٩٤ و قاموس الرجال ج ٥ ص ١٦٩ عن الطرائف.

يكاتبان النصارى واهل الشام»، فهنا تجدالتصريح باسم طلحة فى تفسير نفس هذه الآية. و الرجل الآخر اختلف فيه؛ فقال عكرمة هو الزبير، وقال السدي هو عثمان.

ثم ان لطلحة هذا مواقف عجيبة، و هوالذي مات رسول الله (ص)وهو عليه ساخط، كما قال عمر له حين موته، لأنه قال: انه سيتزوج نساء النبي من بعده، فنزلت فيه: وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله، ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابداً الخ(١)... ولطلحة هنات، وهنات،من ارادها فليراجع قاموس الرجال للتستري وغيره.

وحسبنا ماذكرناه هنا... و قديأتي المزيد ممايتعلق بهذا الموضوع إن شاء الله.

تجميع القوى، واعادتها إلى مراكزها:

لقد ذكرنا فيما تقدم: أنه بعد ان صارالرسول يدعو المسلمين إليه، صاروا يرجعون إليه زرافات و وحدانا، وجاهدوا فى الله حق جهاده، واهتم النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم بأن يرجع بهم إلى مراكزهم الأولى؛ لأن ذلك سوف يجعل الجبل من خلفهم؛ فيخلصون الحرب إلى جهة واحدة(٢)... تماماً كماهي الخطة الاولى. وقد ارهقت عليا الجراح —كما تقدم— حتى بلغت نيفا وستين جراحة، كما عن انس بن مالك، بين طعنة، ورمية، و ضربة. وفي رواية: نيفا وأربعين. وفى رواية: تسعين(٣).

---

(١)— الغدير ج ١٠ ص ١٢٧ عن تفسير القرطبي ج ١٤ص٢٢٨، وفيض القدير ج ٤ ص ٢٩٠ و تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٥٠٦ وتفسير البغوي ج ٥ ص ٢٢٥، وتفسير الخازن ج ٥ ص ٢٢٥ وتفسير الآلوسي ج ٢٢ ص ٧٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١ ص ٦٠ وج ٣ ص ١٧٠.
وليراجع الدر المنثور ج ٥ ص ٢١٤ عن ابن ابي حاتم عن السدي وعن عبدالرزاق و عبدبن حميد وابن المنذر و ابن سعد.

(٢)— تفسير القمي ج ١ ص ١١٦ و البحار ج ٢ ص ٥٤.

(٣)— مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩ و البحار ج ٢٠ ص ٢٣ عنه و ص ٥٤ و ٧٠ و ٧٨ و تفسير القمي ج ١ ص ١١٦ وعن الخصال ج ٢٠ ص ٥ وعن الخرائج.

ولعله فى هذه اللحظات الحرجة، وحيث قد رجع اليه(ص) بعض القوم، و حيث لايزال اصحاب الصخرة فى موقعهم، يخافون ان تصل اليهم قريش، قدانزل الله تعالى على النادمين الراجعين إلى النبي والثابتين، التائبين أمنة نعاساً، و ذلك من اجل أن يطمئنوا إلى نصرالله ولطفه. اما اصحاب الصخرة، اوكثير منهم، فانهم قد اهمتهم انفسهم، يظنون بالله غيرالحق ظن الجاهلية. وهؤلاء كانوا— فى الاكثر— من المنافقين...

و الخلاصة: ان النعاس فى الحرب من الايمان والاعتقاد بالله، وفى الصلاة يكون من الشيطان.

و هكذا كان؛ فقد بلغ الرسول و تلك الثلة من المسلمين سفح جبل احد، و استقروا فيه، و لم يجاوزوه وهذا الامر قد القى الرعب فى قلوب المشركين... لمارأوه من عودة المسلمين إلى مراكزهم الأولى، و تجميع صفوفهم وارتفاع معنوياتهم من جديد... وإن كان لا تزال ثلة منهم فوق الجبل، وهم اصحاب الصخرة، ومنهم ابوبكر، و عمر، و طلحة، وغيرهم... فخاف المشركون أن يدال المسلمون منهم من جديد... و يفعلوا بهم كما فعلوا فى ابتداء الحرب، ففضلوا انهاء الحرب، والانسحاب بسلام، وهكذا كان... واعلن ابوسفيان انتهاء الحرب...

و اشرف على الجبل، ونادى بأعلى صوته: اعل هبل. و حيث ان المسألة لم تعد مسألة شخصية، وانما يريد ابوسفيان ان يعتبر هذا النصر الظاهري والذي ينطوي على الرعب القاتل مؤيداً لدينه و إلهه هبل فقد اجابه النبي(١) —وقيل عمر—: (ويمكن ان يكون النبي قد علّم عمر ما يقول، كما صرحت به بعض الروايات. وفى رواية: ان النبي(ص)علم عليا عليه السلام فأجابه بذلك (٢)—): الله اعلى واجل... فقال ابوسفيان: انعمت فعال، ان الحرب سجال، يوم بيوم بدر، فقال: لاسواء،

---

(١)— الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٣١ و مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣ عنه.

(٢)— تفسير القمي ج ١ ص ١١٧ و البحار ج ٥٦ عنه و ص ٩٧ عن اعلام الورى. و فيه: ان اباسفيان سأل علياً عن حياة النبي.

قتلانا فى الجنة، وقتلاكم فى النار... وفى نص لابي هلال العسكري نادى ابوسفيان: اعل هبل. فقال عمر: الله اعلى و اجل. فقال: انها قد انعمت يابن الخطاب. فقال: إنها(١)... فجواب عمرهذا، وتصديقه لابي سفيان لاندري ماذا يعنى به؟ وكيف نفسره؟!...

ثم سأل ابوسفيان: إن كان النبي(ص) حياً، فامرهم النبي(ص): ان لايجيبوه، ثم سأل— كما قيل— عن ابي بكر، وعن عمر، فكذلك(٢). فيقال: ان اباسفيان قال حينئذ: اما ان هؤلاء قد قتلوا، و قد كفتيموهم، ولو كانوا احياء لأجابوا. فعند ذلك —كمايقولون— لم يملك عمر نفسه، و اخبرهم: انهم احياء، فطلب ابوسفيان من عمر ان يأتيه، فقال(ص) لعمر: ائته، فانظر ماشأنه. فجاءه، فسأله: إن كان النبي(ص) قد قتل. فقال عمر: اللهم لا، وانه ليسمع كلامك الآن. قال: انت اصدق عندي من ابن قميئة وابر(٣).

ثم و اعدهم ابوسفيان بدرا فى العام القادم، وانصرف. وجاء علي الى النبي(ص) بعد ان انتهت الحرب؛ فغسل وجهه، وضمدت جراحه فاطمة عليها السلام. ومثّل نساء المشركين فى قتلى المسلمين فجد عن الانوف والآذان الا انهن لم يمثلن بحنظلة ابن ابي عامر، لأن اباه طلب منهن تركه، فتركنه له...

وتشاوروا فى نهب المدينة؛ فأشار صفوان بن أمية بالعدم؛ لأنهم لايدرون مايغشاهم(٤).

وأرسل النبي(ص) علياً أميرالمؤمنين عليه السلام في آثارهم؛ لينظر؛

---

(١)— الاوائل ج ١ ص ١٨٤/١٨٥.

(٢)— وان كنانشك فى ذكرهما هنا؛ فقد تعودنا؛ ان نجد هذا التعاقب فى كثير من الروايات، و لعله بهدف الايحاء بأن الزعامة بعد النبي(ص) كانت لابي بكر، ثم لعمر، ثم لعثمان، ولكن عثمان لم يذكرهنا لغيابه و فراره.

(٣)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٠، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٤ والسيرة الحلبية ج ١ ص ٢٤٤/٢٤٥، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٥ و الكامل ج ٢ ص ١٦٠ والثقات ج ١ ص ٢٣٢.

(٤)— السيرة الحلبية ج ٢ ص٢٤٥.

فان كانوا قدركبوا الابل، وجنبوا الخيل؛ فهم يريدون مكة، وان كان العكس، فهم يريدون المدينة، فلابد من مناجزتهم فيها؛ فذهب عليه السلام، وعاد، فأخبره بأنهم جنبوا الخيل، وامتطوا الابل(١)...

هذا... ويقول البعض ان سعدبن أبي وقاص هوالمرسل في هذه المهمة، و أنه لمارجع رفع صوته بأنهم قدجنبوا الخيل، وامتطوا الابل. فجعل النبي(ص) يشير اليه: خفّض صوتك ؛ فان الحرب خدعة. فلا تري الناس مثل هذا الفرح بانصرافهم؛ فانما ردّهم الله تعالى...

و يقول الواقدي: انه أوصى سعداً بأنه ان رأى القوم يريدون المدينة فأخبرني فيما بيني و بينك ،ولا تفت في أعضادالمسلمين(٢).

ونسب مثل ذلك إلى علي(ع)، وأنه رفع صوته بالخبر مع أنه(ص) كان قداوصاه بخلاف ذلك (٣)...

ونحن نجل علياً... عن أن يكون قد ارتكب مثل هذه المخالفة، فقد تعودنا منه الوعي الكامل، والطاعة المطلقة للرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وقد تقدم: أنه(ص) قال لعلي: اذهب ولا تلتفت حتي يفتح الله عليك. فمشى هنيئة ثم قام ولم يلتفت للعزمة، ثم قال: على ما أقاتل إلخ... ولعله لأجل هذه الانضباطية المطلقة منه (ع) فى تنفيذ أوامر الرسول(ص) نجده(ص) ينهى ذلك الذي أرسله في رسالة الى علي، الذي سار في مهمة عسكرية— ينهاه— عن ان ينادي علياً من خلفه (البحارج ٦ ص ٢٢٣ و ٣٢٥ وغير ذلك كثير).

فهذه القضية بسعد أشبه منها بعلي، وإن كان يمكن أن يكون قد

---

(١)— راجع: الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٣٢، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٥/٢٠٦، والكامل لابن الاثيرج ٢ ص ١٦١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤/٢٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٠.

(٢)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٨/٢٩٩، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣٢.

(٣)— تاريخ الطبري: ج ٢ ص ٢٠٦/٢٠٧ والكامل لابن الأثيرج ٢ ص ١٦٠/١٦١.

ارسلهما معاً... فهم قد أرادوا أن يقولوا: ان المخالفة تصدر من علي(ع) كما تصدر من غيره، وأنه لا كبير فرق فيما بينهم... ولكن الله يأبى إلا أن يظهر الحق، و يتم نوره...

و بعد انتهاء المعركة خرج على عليه السلام حتى ملأ درقته ماء من المهراس، فجاءبه رسول الله(ص) ليشرب؛ فوجد له ريحاً، فعافه ولم يشرب، وغسل الدم عن وجهه— و يقال: إن فاطمة عليها السلام كانت تغسل جراحاته و ضمدتها— وهو يقول: اشتد غضب الله على من أدمى وجه نبيه(١).

و بعد انتهاء الحرب ارسل علياً عليه السلام الى المدينة ليبشر أهلها: بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حي سالم(٢)...

وهنا أمور لابأس بالاشارة إليها للتتميم، والتوضيح، والتصحيح، وهي:

الف: النبي(ص) والمسلمون فى الجبل!

و يقولون: إنه صلى الله عليه وآله لما صعد الجبل علت عالية من قريش الجبل؛ فقاتلهم عمر، ورهط من المهاجرين، حتى أهبطوهم من الجبل، ونهض(ص) إلى صخرة في الجبل ليعلوها؛ فلم يستطع؛ فجلس تحته طلحة، ونهض به حتى استوى عليها، وكان بطلحة عرج، فتكلف الاستقامة؛ لئلا يشق على النبي(ص)؛ فذهب عرجه(٣).

---

(١)— راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤١ و ٤٣٧ عن المواهب اللدنية، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٧ و ٢٣٦ والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٥٨/١٥٧، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠١/٢٠٠ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٠ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧ و فى السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٧/٢٣٦: ان سعداً هوالذي أتاه بالماء، فشرب منه و دعاله... ولكن الصحيح هو أنه علي عليه السلام لتضافر الروايات عليه.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٠.

(٣)— الكامل بن الاثير ج ٢ ص ١٥٨، ووفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٧/٢٣٦، ٢٣٨ والترمذي و صححه، والرياض النضرة، واحمد، وأبوحاتم و راجع: الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٢٩.

ونشير نحن **أولاً**: الى أن النبي(ص) لم يبلغ و من معه الصخرة، و لاالغار، ولاالمهراس ولا الدرجة المبنية من الشعب، وذلك لمايلي:

١ً ــ لقد صرح الواقدي بأن المسلمين ــ ولابد أن يكون المراد المقاتلين منهم ــ لم يعدوا الجبل، و كانوا في سفحه، ولم يجاوزوه إلى غيره، و كان فيه النبي(ص)(١)...

٢ً ــ وفي رواية لأحمد: «وجال المسلمون جولة نحو الجبل، ولم يبلغوا حيث يقول الناس: الغار، إنما كان تحت المهراس(٢)»...

٣ً ــ كما أن رسول الله(ص) لم يبلغ الدرجة المبنية من الشعب(٣).

٤ً ــ وقال ابن اسحاق: «فلما انتهى النبي(ص) إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب(رض)حتى ملأدرقته من المهراس»(٤). وجاء بالماء، فغسل وجهه كماسيأتي...

٥ً ــ إن النبي(ص) لم يبرح ذلك اليوم شبراً واحداً، حتى تحاجزت الفئتان(٥). و يدل على ذلك : أن النبي(ص) لم يكن ليفر من وجه عدوه، و يصعد إلى الجبل و يعتصم به، و يترك عدوّه يصول ويجول... كيف... وقد انزل الله في الفارّين قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، و ينعى عليهم عملهم ذاك ، و يؤنبهم عليه... كما أننا لانصدق أن يرتكب الرسول هذا الامر في الوقت الذي كان يدعوفيه الفارين في أخراهم إلى العودة إلى مراكزهم... ولايمكن أن تحدثه نفسه بالفرار من الزحف في أي من الظروف والأحوال...

وثانياً: قولهم إن عمر ورهطاً من المهاجرين قد قاتلوا المشركين حتى

---

(١)ــ مغازي الواقدي ج ٢ ص ٢٧٨.

(٢)ــ وفاء الوفاء ج ٤ ص ٣١٥ وج ٣ ص ٩٣٠.

(٣)ــ سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٩٢.

(٤)ــ سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٩٠ و وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٤٣.

(٥)ــ مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٤٠، وشرح النهج للمعتزلي والبحار ج ٢٠ ص ٩٦ عن اعلام الورى.

اهبطوهم من الجبل... لاندرى أنصدقه؟!... أم نصدق قول الواقدي: «وصل رسول الله(ص) إلى الشعب مع أصحابه، فلم يكن هناك قتال(١).»؟

أم نصدق قولهم: إن سعداً وحده قدردّهم بسهم، قُتل به أربعة منهم(٢)؟ عجيب!! أربعة!!.

وثالثاً: إنهم يقولون: إنه لما رأى أصحابُ الصخرة النبيَّ(ص)، وضع أحدهم سهما في قوسه، وأراد أن يرميه(ص). فقال: أنا رسول الله. ففرحوا، وفرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع به، و اجتمعوا حوله(٣)...

وفي رواية: لمانادى كعب بن مالك، يبشر الناس بحياة الرسول نهضوا إليه (أي أصحاب الصخرة) فيهم: أبوبكر، و عمر، و علي، وطلحة والزبير، وسعد و الحارث بن الصمة(٤)...

ونسجل نحن هنا مايلي:

١ـ إن ذكر علي هنا غلط، عفوي أوعمدي بلاريب؛ لأنه(ع) لم يفرّمع هؤلاء إلى الجبل، ولا أصعدفيه حتى بلغ الصخرة؛ بل كان مع النبي (ص)، يدافع عنه، و يكافح و ينافح. بإجماع المؤرخين.

٢ـ لاندري مامعنى قولهم: إنه(ص) فرح بهم؛ لأنه رأى من يمتنع به!!... فهل منعوه قبل الآن؟! ولو كانوا قد منعوه، فما هوالمبرر لكونهم على الصخرة فوق الجبل؟!...

وهل يمتنع بهم، و بعضهم قال لهم ـ وهم على الصخرة ـ: يا قوم، إن

---

(١)ـ مغازى الواقدى ج١ص٢٨١.

(٢)ـ السيرة الحلبية ص ٢٣٨.

(٣)ـ تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠١/٢٠٢ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٧.

(٤)ـ الثقات لابن حبان ج١ص٢٢٩.

محمداً قدقتل، فارجعوا إلى قومكم، قبل أن يأتوا اليكم؛ فيقتلوكم(١)... وبعضهم قال غير ذلك حسبما تقدم!!...

٣ً- إنه يظهر: أن طلحة لم يكن مع النبي، ولاعاد إليه، لاهو ولاسعد، ولا أبوبكر، ولاعمر، ولاالزبير، ولاالحارث بن الصمة بعد فرارهم في الجولة الأولى... وإنما عاد إليه اولئك الثلاثون فقط على الظاهر... أو معهم غيرهم ممن هو غير معروف ولامشهور...

٤ً- إنه يظهر مماتقدم، و من قول ذلك القائل: ارجعوا إلى قومكم إلخ... ومن قولهم: إن عمر مع رهط من المهاجرين!! قدقاتلوا الذين علوا الجبل... و غير ذلك... يفهم منه أن اكثر الذين كانوا على الصخرة فوق الجبل كانوامن المهاجرين...وفيهم بعض الانصار،ولم يرد ذكر لأنصارى باسمه إلا للحارث بن الصمة، كما تقدم.

٥ً- ولانريد أن نسمح لأنفسنا بالاسترسال في هذا المجال، حتى لا تتقاذفنا الظنون حول صحة وسلامة نية ذلك الذي أراد أن يرمى النبي(ص) بسهمه، بزعم أنه لم يكن عارفاً له... وقد سماه الواقدي: بـ «أبي بردة بن نيار»، فلعله كان عن غفلة حقيقية منه... ولعله كان من المنافقين- في بادئ الأمر- فأراد انتهاز هذه الفرصة للتخلص من النبي(ص) بحجة أنه لم يعرفه إذ لاندرى ان كان فيهم بعد من يملك الجرأة على رمي سهم على رجل يحتمل أنه من المشركين بعد أن جرى ماجرى!!

كما أننا قد رأينا محاولات مشابهة للمنافقين، كما هوالحال في تنفيرهم برسول الله (ص) ليلة العقبة...

كما أننا لانستطيع أن نوافق عمر بن الخطاب على إخباره أباسفيان والمشركين بحياة النبي(ص)، مع أنه (ص) قدنهاه عن ذلك... و ذلك في موقع خطير كهذا!!...

---

(١)- البداية و النهاية ج ٤ ص ٢٣، وتاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠١.

باء: روايات لم تثبت:

إنهم يقولون: إنه(ص) قدرمى بالنبل، حتى اندقت سية قوسه(١)...

وأنكر ذلك ابن تيمية، وإلا لكان(ص) أصاب، ولنقل ذلك الينا؛ لأنه مما تتوفر الدواعي على نقله(٢).

و يقولون أيضاً: إنه(ص) قد قتل أبي بن خلف بحربة طعنه بها...

ونحن نستبعد ذلك أيضاً؛ لأنه(ص) لم يكن يباشر القتل بيده؛ لعلمه بأن اهل بيت المقتول لا تصفو نفوسهم له عادة، ولايتبعونه باخلاص... وإذا كان لم يكن يباشر ذلك — و مع ذلك ،نجد هنداً وغيرها يذكرون: أنه قاتل الأحبة، فكيف لوكان باشرقتلهم بيده؟!...

والله العالم بواقع الحال...

جيم: عمر في قفص الاتهام:

ان لنا هنا اسئلة لابدوان نوجهها إلى عمر بن الخطاب، ونطلب منه، الاجابة عليها... وهي التالية:

١ً— لماذا اخبر اباسفيان والمشركين بوجود النبي(ص) في ظرف حرج كهذا، مع انه(ص) قدنهاه عن ذلك...

٢ً— قدجاء عن ابن واقد: ان ضراربن الخطاب الفهري، قد ضرب عمر بن الخطاب بالقناة يوم احد، حينما جال المسلمون تلك الجولة، وقال له: يابن الخطاب، انها نعمة مشكورة، والله ما كنت لاقتلك(٣).

---

(١)— الكامل لابن الاثيرج ٢ ص ١٥٧.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٨.

(٣)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٨٢ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٧٤، وج ١٥ ص ٢٠ عن الواقدي والبلاذري و ابن اسحاق، و راجع طبقات الشعراء لابن سلام ص ٦٣ و كانت هذه يداً له عند عمر، كان عمر يكافؤه عليها، حين استخلف. فراجع طبقات الشعراء ص ٦٣، والبداية والنهاية ج ٣ ص ١٠٧ عن ابن هشام...

لماذا ماكان ليقتله؟ أليس هوالذي أذل قريشا كمايدعون، وعزّبه الاسلام؟ وان كنا قد اثبتنا عدم صحة ذلك . أوليس ضرار هذا كان يتطلب الاكابر من الاوس والخزرج؛ ليشفي قتلهم غليل صدره(٢)...؟! ألم يكن اكثر قتلى المشركين فى بدر قدقتلوا بيدالمهاجرين؟! فلم لايشفى غليله من اكابر المهاجرين، ولاسيما ممن هم مثل عمر بن الخطاب؟!...

٣ـ وخالدبن الوليد يحدث وهو بالشام: لقد رأيتني، ورأيت عمر بن الخطاب رحمه الله حين جالوا، وانهزموا يوم أحد، وما معه احد، وانى لفى كتيبة خشناء؛ فما عرفه منهم أحد غيري؛ فنكبت عنه، وخشيت ان اغريت به من معي ان يصمدواله، فنظرت اليه موجها إلى الشعب(١).

لماذا هذا المراعاة من خالد لعمر، ومحافظته عليه، ثم هو يوجهه إلى الشعب؟! و ما هوالسر الذي جعل خالداً يهتم فى ان لايلتفت إلى عمر أحد، وهو الذي كان شديداً على المسلمين حسبما تقدم...؟! ودعوى ابن ابي الحديد: ان سر ذلك هو النسب الذي بينهما يرده ان رابطة الدين هي الأقوى، اوليس ابن ابى بكر قد برزلقتال ابيه كمايدعون؟

٤ـ لماذا يهنئ ابوسفيان عمر بالنصر الذي احرزوه على المسلمين، و يقول له: «انعمت عيناً، قتلى بقتلى بدر»(٢)؟! ومامعنى قول ابي سفيان له: إنها قد أنعمت يابن الخطاب، فقال: إنها... كماتقدم.

٥ـ لما ذا كان عمرأبرّلابي سفيان من ابن قميئة كماتقدم؟؟ اوليس ابن قميئة يقاتل اعداء أبي سفيان و يفنيهم، و يقتحم الغمرات، ويواجه السيوف، والنبال، والرماح فى الدفاع عن المشركين بزعامته، وعن مصالحهم، و يعمل من أجل قهر عدوهم؟!.

وعمر أليس عدواً لابى سفيان، ونصيراً لعدوه؟ ومقوياً له عليه؟!...

٦ـ لماذا لم يعترض هو، ولاابوبكر، ولاطلحة، و لاغيرهم من كبار

---

(١)ـ نفس المصدرين الاولين فى الصفحات التى تلي ماتقدم...

(٢)ـ مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٧، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٢٣.

(٣)ـ المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ٣٦٦.

المهاجرين، الذين فروا إلى الجبل، وكانوا على الصخرة على من قال: انه يريدان يوسّط ابن ابي لدى ابي سفيان... وطلب منهم الرجوع إلى دينهم الأول؟! أونحو ذلك من كلام، يدل على رغبتهم فى الارتداد عن الاسلام، ومالأة المشركين، والاتفاق معهم؟.

اسئلة لاتزال ولسوف تبقى تنتظر الجواب المقنع والمفيد...

العباس في أحد

في قضية احد رواية تفيد: ان العباس كان ممسكا بعنان فرس النبي(ص) يقوده، ثم ان النبي(ص) لماصعد الجبل، أو أرادان يصعد الجبل، نزل عن الفرس وصعد، وكان يلتفت إلى الجوانب؛ فسألوه عن سبب ذلك؛ فأقبل على علي، فقال: هل عندك خبر من عمك ؟ فاخبره علي بما وقع، فبكى(ص) هووالاصحاب(١)...

ولكن هذا لايمكن ان يصح؛ لأن العباس لم يحضر حرب احد... وتعلل على قريش بماجرى عليه فى بدر... فمن اين جاء وامسك بعنان فرس النبي(ص)؟ ولو كان ذلك صحيحاً، كيف قبلت قريش منه أن يعود ليسكن مكة عدة سنوات؟!

فنظن انه لوكان لهذه القضية أصل، فلعل المقصود هوالعباس بن عبادة بن نضلة الانصاري، فانه قد استشهد يوم احد رحمه‌الله... ولعل هذا هوالسر في بكاء الاصحاب والنبي(ص) عليه رحمه‌الله. ولعله هوالذي كان جهوري الصوت؛ فنادى: يا اصحاب سورة البقرة اين تفرون، إلى النار تهربون(٢)... كمايقولون. و يكون الراوي قدحرف فى الرواية لحاجةٍ فى نفسه قضاها!!

---

(١)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٣٦/٤٣٧ عن الينابيع.
(٢)— البحارج ٢٠ ص ١١٨.

من مشاهد الحرب:

١ـ لما كان يوم احد قال مخيريق الحبر اليهودى: يا معشر يهود، والله لقد علمتم ان نصر محمد عليكم لحق. قالوا: ان اليوم يوم السبت. قال: لاسبت. فأخذ سيفه وعدته. وقال: ان اصبت فمالي لمحمد، يصنع فيه ماشاء، ثم غدا إلى رسول الله، فقاتل معه حتى قتل، فيقال: انه(ص) قال: مخيريق خير يهود...

٢ـ واصر عمرو بن الجموح على الخروج الى الحرب مع عرجه... ودعا الله: ان يرزقه الشهادة، ولايرده خائباً الى اهله... فاستشهد رحمه الله.

٣ـ واصيبت عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته، فردها رسول الله (ص) بيده، فكانت احسن عينيه، واحدّهما... و يقال: انه هوالذي طلب ذلك من النبي(ص)؛ لأنه رجل يحب النساء، ويخاف ان تعافه امرأته إذا رأته كذلك ... وقد افتخر بذلك ابن لقتادة، عند عمر بن عبدالعزيز... فقال عمر: بمثل هذا فليتوسل الينا المتوسلون، ثم قال:

تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء، فعاد ابعد ابوالا...

و يقال: ان كلثوم بن الحصين رمي فى نحره بسهم؛ فبصق عليه(ص) فبرئ... وفى رواية اخرى: ان عين ابي ذر اصيبت يوم احد؛ فبصق فيها النبي(ص)؛ فكانت اصح عينيه(١).

٤ـ وقتل الحارث بن سويد المجدّر بن زياد غيلة فى احد؛ لثارٍ جاهلي له عليه، وكلاهما كان فى جيش المسلمين؛ فنزل الوحي على الرسول، واخبره حبيب بن يساف؛ لأنه كان قد رآه قتله بخبره، فقتله(ص) به بعد رجوعه إلى المدينة، ولم يستمع لطلبه بالعفو، و وعده بالتكفير والدية، كذا يقولون...

٥ـ وقتل فى احد سعد بن الربيع. وكان آخر ماقاله فى وصية مطولة

---

(١)ـ حياة الصحابة ج ٣ ص ٦١٧ والهيثمي ج ٨ ص ٢٩٨ عن ابي يعلى.

منه للمسلمين: انه لاعذر لكم عند رسول الله: ان يخلص إلى نبيكم، وفيكم عين تطرف، ثم مات...

ودخل عمر على ابي بكر— وعنده بنت لسعد هذا— وقد طرح لهاثوباً لتجلس عليه، فسأل عمر عنها. فقال ابو بكر: هذه ابنة من هو خير منى ومنك. قال: ومن هو ياخليفة رسول الله؟ قال: رجل تبوأ مقعده من الجنة، و بقيت انا وانت. هذه ابنة سعد بن الربيع الخ(١).

٦ً— و يقولون: انقطع سيف عبدالله بن جحش، فناوله(ص) عرجونا فعاد سيفاً، ولم يزل اهله يتوارثونه، و يسمى (العرجون)، حتى بيع لبغا التركي بمأتي دينار. و يذكر مثل هذا لعكاشة بن محصن فى واقعة بدر... ولكن قد ذكر البعض: ان رسول الله (ص) ولي تركة عبدالله بن جحش، واخذ منها سيفه العرجون، فاشترى لأمه مالا بخيبر(٢)... ولكن ثمة قصة شبيهة بقصة العرجون بين النبي(ص) وعلي(ع)(٣)... فليتأمل فيما هوالحق من ذلك...

٧ً— و يقولون ان هنداً قد اعتلت صخرة مشرفة، فصرخت:

نحن جزيناكم بيوم بدر — والحرب بعدالحرب ذات سعر
ماكان لي عن عتبة من صبر — ولااخى، وعمه، و بكر
شفيت نفسي، وقضيت نذري — شفيت وحشي غليل صدري
فشكر وحشي علي عمري — حتى ترم اعظمى فى قبري

فاجابتها هند بنت أبان، بن عبادبن المطلب، بن عبد مناف:

خزيت فى بدر، وغير بدر — يا بنت وقاع عظيم الكفر
صبحك الله غداة الفجر — بالهاشميين الطوال الزهر

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦، وسيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٠١.

(٢)— تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٢٤، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩١ وشرح المعتزلي ج ١٥ ص ١٨.

(٣)— البحارج ٢ ص ٧٨.

بكل قطاع حسام يفري ... حمزة ليثي، وعلي صقري
اذرام شيب وابوك غدري ... فخضبامنه ضواحي النحر
ونذرك الشر فشر نذر

٨ً ـ كما ان الجليس بن زيان، سيد الاحابيش، قدمر بأبي سفيان، وهو يضرب بشدق حمزة بزج الرمح، و يقول: ذق عقق. فقال الجليس: يا بني كنانة، هذا سيد قريش، يصنع بابن عمه ماترون لحماً!! فقال: ويحك، اكتمها علي؛ فانها كانت زلة(١).

٩ً ـ كما وتقدم تمثيل قريش بالشهداء من المسلمين اقبح تمثيل...

١٠ً ـ و يقال: ان قزمان قد حارب فى احد، وكان(ص) إذا ذكره يقول: انه لمن اهل النار. فحارب في احد، وقتل سبعة اوثمانية من المشركين، فجرح. فبشره البعض، فقال: بماذا أبشر؟ فوالله ماقاتلت الاعن الاحساب... و يقال: انه لما اشتدت جراحته قتل نفسه، و يقال: لم يفعل ذلك... و يقال: ان النبي(ص) حينئذ قال مامعناه: ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر...

ملاحظات:

ونحن نسجل على ماتقدم باختصار شديد الاشارات التالية:

ألف: ان اموال مخيريق، وهي سبعة حوائط قد اصبحت للنبي(ص) بعد ان استشهد مخيريق، بمقتضى وصيته نفسه... ولم يكن لليهود أن يأخذوا منها شيئاً؛ حيث إنه ليس للكافران يرث المسلم... وحيث لم يكن لمخيريق وارث؛ فان النبي(ص) يكون وارثه... ولسوف يأتي بعض الكلام عن مصير أمواله(ص) عندالكلام عن فدك ان شاءالله تعالى...

---

(١)ـ الكامل لابن الاثيرج ٢ ص ١٦٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٣٩ عن ابن اسحاق والطبري ج ٢ ص ١٩٦ والبحارج ٢٠ ص ٩٧ عن اعلام الورى.

باء: ان موقف مخير يق هذا يذكرنى بموقف الحرفى كربلاء... فكل منهما قد اتخذالقرار الحاسم فى احرج اللحظات، واكثرها حساسية... فان مخير يق قد استطاع ان يتخلى عن كل مايحيط به من روابط، تشده وتهيمن عليه، وتمنعه من اتخاذ القرار طيلة تلك المدة الطويلة وكذلك فعل الحر أيضاً... و إن تحكيم العقل، والتخلي عن كل تلك الروابط، وابعاد سائر تلك المؤثرات يحتاج إلى جهد نفسيّ كبير... وبهذا تعرف الرجال، وماتحمله من فضائل نفسية، وملكات انسانية... لأن حالات كهذه تكون الاعصاب فيها عادة في اقصى حالات التوتر. وتكون العاطفة فى منتهى تأججها. وكل الروابط والمؤثرات الارضية تكون واضعة كل ثقلها فى تصوراته، ونظراته المستقبلية... ولهذا كان مخير يق: خير يهود.

ولعل الذي يسهل على مخر يق اتخاذ قراره الحاسم ذاك ، هو قناعاته المترسخة فى عمق وجدانه، والتي تستمد عمقها هذا من الاخبارات الصريحة والقاطعة التي يجدها عنده فى التوراة والا نجيل، حتى ان اليهود كانوا يعرفون النبي(ص) كما يعرفون ابناءهم...

جيم: ان اصرار عمروبن الجموح على الخروج الى الحرب، واذن النبي(ص) له... انما يعني ان عدم الخروج للجهاد، رخصة للأعرج لاعزيمة... وعليه... فإذا بلغ المسلم من النضج الروحي بحيث يعتبر عدم الشهادة له خيبة، والشهادة فوزاً ونجاحاً... ثم هو يندفع اليها بهذا الاصرار، و يعتبرها غاية له، وتتويجاً لحياته، فلماذا يحرم منها...

ولايجب ان ننسى وصية سعدبن الربيع رضوان الله عليه(وهو شيخ الانصار وقد جعل بيوته للنبي(ص) ولزوجاته وقد عرّس علي(ع) بفاطمة الزهراء في بيت من بيوته)التى تعبر عن مدى وعيه وسمو روحه، وهو لايرى موته نهاية له، إذا كان دين محمد محفوظاً؛ فانه يعتبر نفسه قد فاز بشهادته من جهة، كما انه يعتبر نصر محمد(ص)، ودين محمد بعد موته نصراً له حتى وهو فى قبره ايضاً؛ لأنه يرى نفسه فانيا فى هدفه، وجزءاً منه؛ فاذا انتصر الهدف، فهو ايضاً يكون المنتصر...

دال: وان مافعله ابوسفيان بجثة حمزة رضوان الله عليه، ثم طلبه من الجليس: ان يستر عليه هذه الزلة ليس بعجيب، فان تصرفات ومواقف ابي سفيان لم تكن محكومة لفضائل نفسية، ولا لقناعات وجدانية... ولا لقوة الهية غيبية، ولكنها كانت تخضع للمفاهيم الجاهلية والقبلية، والمصالح الشخصية بالدرجة الاولى... ولذلك هو يعتبرها زلة إذ كان الجاهليون يقبحونها و يرفضونها، ولكنه لايرى مانعاً منها بحسب مالديه من خصائص نفسية، ومصلحة شخصية...

كما ان عمل ابي سفيان هذا يكذب ما ادّعاه من: انه لم يرض، ولم يغضب، ولم يعلم بالتمثيل الذي جرى للشهداء على ايدي المشركين.

و يكذبه أيضاً: ان ابا عامر الفاسق طلب ان لايمثل بولده حنظلة، و يترك لاجله فكان له ذلك... وهذا يدل على ان التمثيل بالشهداء قد كان معلوما لدى الملأمن قريش، وكانوا راضين به. ولعل اباسفيان قد كذب هذه الكذبة ليتفادى التمثيل باصحابه، اوانها كذبت عن لسانه من محبيه، ومن يهمهم امره.

هاء: هذا وثمة نقاط اخرى فيما تقدم تحتاج إلى القاء الاضواء عليها.

كقضية قزمان، فاننا نشك فى ان يكون النبي(ص) قد اخبر: انه من اهل النار قبل موته، ولعله— لوصحت الرواية— لمّا علم انه قتل نفسه، قال: «هو من اهل النار»، كما ورد فى ذيل رواية الواقدي في المغازي ج ١ ص ٢٦٣/٢٦٤ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ١٦١ فذيل الرواية مقبول، دون صدرها...

وكقضية العرجون، فاننا نظن ان القضية ان لم تكن مع علي، فانها قد جعلت فى مقابل ذي الفقار لعلي عليه السلام... وغير ذلك مماتقدم... وحسبنا ماذكرناه، هنا فان الكلام حول كل ماتقدم يطول...

الصبر فى الجهاد:

لقد رأينا فى واقعة احد أن الله تعالى قد انزل آيات في سورة آل عمران

ترتبط بالصبر في هذا المقام. ونحن نختار منها الآيات التالية:

قال تعالى «ام حسبتم: ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين» ١٤٢.

وقال: «وكأيّن من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما اصابهم فى سبيل الله وماضعفوا وما استكانوا، والله يحب الصابرين» ١٤٦.

ثم هناك آيات أخرى فى سورة آل عمران تؤنب المؤمنين على عدم صبرهم في احد، وفيها اشارات لحقائق مهمة فى حرب أحد لامجال لبحثها فى هذه العجالة، غير اننا نكتفي هنا باشارة موجزة جداً للصبر في الجهاد، فنقول:

الصبر فى عرف الاستعمار، وفى عرف الحكام الظالمين، والجبابرة المتكبرين هو تحمل الذل... والاستسلام لكل المخططات الهدامة التي تهدم حياة الانسان، ومستقبله، وقيمه، واخلاقه، ودينه... تهدمها لتبنى على اشلائها عروش الظلم والخيانة، وملك الجبارين والمستكبرين...

ولقد تسرب هذا المعنى للصبر إلى عقائد بعض المسلمين، عن طريق العلماء المزيفين، الذين جعلوا انفسهم اداة للاستعمار ولاذنابه، وآلة فى يد أولئك الحكام الظالمين، فحوروا دين الله على وفق اهداف أسيادهم، وحسبما يخدم مصالحهم، و يؤيد و يسدد سلطانهم.

ولكننا إذا رجعنا— خلواً عن هذه المسبقات الذهنية— إلى المنبع الاصفى للاسلام، القرآن العظيم... و إلى مواقف وتعاليم النبي الكريم، واهل بيته الاطيبين الاطهرين... فاننا نجد: ان للصبر مفهوما يختلف تماماً عن هذا المفهوم، بل هو يناقضه و يباينه...

ان الصبر فى مفهوم هؤلاء هو تحمل كل المشاق فى سبيل الوصول إلى الاهداف النهائية النبيلة لهذا الانسان و ينسب لعيسى عليه السلام: انكم لا تدركون ماتأملون الا بالصبر على ماتكرهون. وعن علي عليه السلام: الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، وقد قال اميرالمؤمنين(ع): لايعدم الصبور

الظفر وان طال الزمان... ونسب اليه ايضاً قوله: الصبر سيف لاينبو، ومطية لاتكبو وضياء لايخبو. وقال(ع): لناحق فان اعطيناه، و إلا ركبنا أعجاز الابل وان طال السرى.

فالصبر فى الاسلام هو الصبر على تحمل الأذى في محاربة الظلم، والقضاء عليه (الذي هو احد هذه الاهداف)... ولذلك نجدهم فى مقام الثبات فى الحرب المدمرة، يقولون: «ربنا افرغ علينا صبرا، وثبت اقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين». و يقولون فى مواجهة فرعون: ربنا افرغ علينا صبرا، وتوفنا مسلمين...

وهذا هوالصبر الذي اراده الحسين عليه السلام حينما كانت السيوف والرماح تأكل اصحابه، واهل بيته، وهو يقول لهم: صبرا يابني الكرام.

نعم... إن الصبر هو تحمل الآلام والمتاعب فى سبيل الوصول إلى الهدف الاسمى كما قلنا، تماماً كما فعل نوح وغيره من الانبياء، ولاسيما نبينا الاعظم(ص).

والهدف هوالعبودية المطلقة لله تعالى، ورفض كل عبودية سواه... وهو امر صعب؛ لأنه لاينسجم مع هوى النفس، التي تنفر من العبودية، وتميل إلى التحلل من كل القيود... ولذلك كان الصبر عن المعصية، والصبر على الطاعة، من عزم الامور، يحتاج إلى جهد، و إلى تعب ومشقة، وقدرة على التحمل...

بل ان كل حق لابقاء له بدون الصبر، وقد كان صبر الانبياء والاوصياء من أهم اسباب بقاء الحق.

كما ان الصبر يدرّب الانسان على التقوى، و يرفع من مستوى قدرته على قيادة نفسه؛ لأنه يجب عليه هو ان يقود نفسه، لا أن تقوده نفسه... واذا استطاع ان يقود نفسه، و إذا كانت هي اقوى واعتى من يواجه؛ فان قدرته على ان يقوم بمهمة قيادة الآخرين، وهدايتهم إلى الصراط المستقيم... والى هدى

رب العالمين، تكون اعظم واشد، واكثر فعالية؛ ولذا قال الباقر عليه السلام: الصبر صبران: صبر على البلاء حسن جميل، وافضل الصبرين الورع عن محارم الله. وقال اميرالمؤمنين(ع): من ساس نفسه بالصبر على جهل الناس صلح ان يكون سائساً.

ومن الامور الجديرة بالملاحظة، بالنسبة للصبر فى الحرب، قوله تعالى فى سورة الانفال الآية ٤٥/٤٦: «يا ايها الذين آمنو إذا لقيتم فئة فاثبتوا، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون. واطيعوا الله ورسوله، ولا تنازعوا؛ فتفشلوا، وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين.»

فاننا نجد أنه في حين هو يأمرهم بالثبات فى الحرب، يأمرهم بأن يذكروا الله كثيرا، وذلك من اجل ان يبقوا محتفظين بالهدف الاسمى— الذي يفترض فيهم السعي إليه— نصب أعينهم، ولايصرفهم الدفاع عن نفوسهم عن ذكرالله... وطبيعي: ان كثرة ذكرالله منهم سوف تذكّرهم بأن الله بيده كل شيء، وانه هوالذي ينصرهم على عدوهم... وهو مصدر عزتهم وسعادتهم... فذكرهم لله سوف يقويهم على الثبات، و يدعوهم إلى طاعته، وطاعة رسوله، ثم ان لايتنازعوا، وان يصبروا؛ فذكرالله هو مفتاح النصر في جميع المجالات، ثم الوصول إلى الهدف الاقصى، وهو اقامة دين الحق، ونصرالله: «إن تنصروا الله ينصركم»...

الفصل الرابع:

بعد ماهبت الرياح

ماجرى على حمزة والشهداء:

قد تقدم بعض الكلام في كيفية استشهاد حمزةبن عبدالمطلب رضوان الله تعالى عليه... وأن أباسفيان كان يضرب شدق حمزة بزج الرمح، ثم طلب من رفيقه أن يستر عليه هذه الزلة... وعلقنا عليها بما سمح لنابه المجال...

١ـ وأما هند زوجة أبي سفيان، فقد أتت مصرع حمزة؛ فمثلت به، وجدعت أنفه، وقطعت أذنيه ومذاكيره، ثم جعلت ذلك كالسوار في يديها، وقلائد في عنقها، واستمرت كذلك حتى قدمت مكة...

وكذلك فعل النساء بسائر الشهداء الابرار...

وزادت هي عليهم: أنها بقرت بطن حمزة، واستخرجت كبده فلاكتها، فلم تستطع أن تسيغها. و يقال: إنها كانت قد نذرت ذلك ... ولاحاجة إلى ذكر مصادر ذلك ، فانه لايكاد يخلو منه كتاب في التاريخ والحديث عن السيرة.

فيقال: إن النبي(ص) لما بلغه اخراجها كبد حمزة قال: هل اكلَت منه شيئاً؟ قالوا: لا. قال: إن الله قد حرّم على النار أن تذوق من لحم حمزة

شيئاً أبداً(١)... أو ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار(٢)...

وليتأمل بعد فيما يقال حول اسلامها، وايمانها، ثم الحكم لها بالجنة، كغيرها ممن هم على شاكلتها!!.

٢ً- واقبلت صفية لتنظر أخاها، فالتقت بعلي؛ فقال: إرجعي ياعمة؛ فان في الناس تكشفاً، فسألته عن الرسول(ص)، فقال: صالح. قالت: ادللني عليه حتى أراه، فأشار اليه اشارة خفية من المشركين،- ولعلهم كانوا لايزالون قريبين من هناك ويخشى كرّتهم فيمالو علموا: ان علياً بعيد عن النبي(ص)- فأقبلت إليه، فأمر(ص) الزبير بارجاعها، حتى لا ترى ما بأخيها...

فقالت للزبير: ولم؟ وقد بلغني: أنه قد مثّل بأخي، وذلك في الله قليل؛ فما أرضانا بما كان من ذلك، لأحتسبن ولاصبرنّ إن شاء الله. فسمح لها النبي(ص) برؤيته، فنظرت اليه، فصلت عليه، واسترجعت، واستغفرت له. كذا في الاكتفاء(٣). ويقال: إن الانصارهم الذين حالوا بينها وبين رسول الله(٤).

٣ً- وفي الصفوة: انها جاءت بثوبين لتكفين حمزة، فإذا إلى جنبه

---

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢)- مسند الامام أحمد ج ١ ص ٤٦٣، وتفسير القمي ج ١ ص ١١٧، ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٠ عن أحمد، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٤١، والبحار ج ٢٠ ص ٥٥ عن القمي..

(٣)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤١ و ٤٤٢ وحياة الصحابة ج ١ ص ٥٧٠/٥٧١ عن مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٩٩ وليراجع تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٠٨ و ٢٠٧ والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦١/١٦٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٧ و ٢٤٨، والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ١٠١/١٠٣ والدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن العديد من المصادر في تفسير الآية وراجع البخاري ج ٢٠ ص ٩٣ و ص ٩٨ عن تفسير العياشي ج ٢ ص ٢٧٤ وعن اعلام الورى وحياة الصحابة ج ٢ ص ٦٥٠ و ٦٥١ عن مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٩/١٢٠ عن البزار والطبراني.

(٤)- شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٩ و ١٢٠.

انصاري قتيل، قد مثّل به، فوجدوا غضاضة وحياء ان يكفنوا هذا، و يتركوا ذاك ، فاقرعوابين الثوبين؛ فاصاب الانصاري اكبر الثوبين، فكفن حمزة بالآخر، فلف على قدمي حمزة ليف واذخر.

٤ً— وكان لحمزة يوم قتل تسع وخمسون سنة، وصلى النبي(ص) عليه، وكبر سبع تكبيرات. ثم صاروا يأتون بالقتلى، و يضعونهم الى جانبه، فيصلي عليه وعليهم حتى صلى عليه اثنتين وسبعين صلاة كذا فى الطيبي.

٥ً— قال ابن اسحاق: ومر رسول الله— حين رجع الى المدينة— بدور من الانصار؛ فسمع بكاء النوائح على قتلاهم، فذرفت عينا رسول الله ثم قال: لكن حمزة لابواكي له...

فامر سعدبن معاذ، و يقال: واسيدبن حضير نساء بني عبدالاشهل: ان يذهبن و يبكين حمزة اولاً، ثم يبكين قتلاهن... فلما سمع(ص) بكاءهن، وهن على باب مسجده امرهن بالرجوع، ونهى(ص) حينئذ عن النوح، فبكرت اليه نساء الأنصار، وقلن: بلغنا يا رسول الله، انك نهيت عن النوح، وانما هو شيء نندب به موتانا، ونجد بعض الراحة؛ فأذن لنا فيه. فقال: إن فعلتن فلا تلطمن، لاتخمشن، ولاتحلقن شعراً، ولا تشققن جيبا(١) قالت ام سعدبن معاذ: فما بكت منا امرأة قط الابدأت بحمزة إلى يومنا هذا.

٦ً— ولما اراد معاو ية أن يجري عينه التى باحد، كتب إلى عامله بالمدينة بذلك، فكتبوا إليه: إنا لانستطيع ان نخرجها الا على قبور الشهداء... فكتب: انبشوهم. قال جابر: فلقد رأيتهم يحملون على اعناق الرجال، كأنهم قوم نيام. واصابت المسحاة طرف رجل حمزة؛ فانبعثت دما.

قال ابوسعيد: لاينكر بعد هذا منكر ابدا(٢).

---

(١)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٤ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٤ عن المنتقى وليراجع كامل ابن الاثيرج ٢ ص ١٦٧ و تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٠، وليراجع: العقد الفريد، والبداية والنهاية ومسند أحمد ج ٢ ص ٤٠ والاستيعاب ترجمة حمزة.

(٢)— راجع تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٣ عن الصفوة والمنتقى والمصنف ج ٣ ص ٥٤٧ و ج ٥

←

٧ً ـ ومرّ أبوسفيان بعد اسلامه باحد، فقيل له: اي يوم لك هاهنا. فقال: والآن لو وجدت رجالا(١).

٨ً ـ مر أبوسفيان في أيام عثمان بقبر حمزة، وضربه برجله، وقال: يا أبا عمارة، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس في يدغلماننا اليوم يتلاعبون به(٢).

٩ً ـ وأما عن شرب حمزة للخمر حين خروجه الى أحد، فقد أثبتنا انه كذب فيما تقدم حين الكلام على تحريم الخمر، حين الكلام على زواج علي(ع) فراجع. اما هنا فنشير الى الامور التالية:

الف: موقف الرسول من المثلة بحمزة.

إنهم يقولون: إنه بعد أن وضعت الحرب أوزارها في واقعة أحد، سأل صلى الله عليه وآله وسلم عن عمه حمزة بن عبدالمطلب، فالتمسوه، فوجدوه على تلك الحالة المؤلمة، حيث كانت هندأم معاو ية، وزوجة أبي سفيان قد مثلت به؛ فجدعت أنفه، وقطعت أذنيه، وبقرت بطنه، واستخرجت كبده، فلاكتها، ولم تستطع أن تسيغها، إلى غير ذلك من ممارسات وحشية تجاه تلك الجثة الطاهرة... تقدمت الاشارة إليها.

فجاء صلى الله عليه وآله وسلم، فوقف عليه، فيقال: إنه صلى الله عليه وآله لمارآه في تلك الحالة قال: «لولا أن تحزن صفية، وتكون سنة من بعدي

ص ٢٧٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٦٤ و مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٦٧/٢٦٨ و طبقات ابن سعد ج ٣ ص ٥ قسم ١ و قسم ٢ ص ٧٨ وليراجع حياة الصحابة ج ٣ ص ٦٥٩ـ٦٦١ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٤٣ عن البيهقي ودلائل ابي نعيم ص ٢٠٧ و عن الكنزج ٥ ص ٢٧٤ وعن ابن سعد وعن فتح الباري ج ٣ص١٤٢ وعن وفاء الوفاء ج ٢ ص ١١٦ عن احمد بسند صحيح والدارمي كما فى الاوجزج ٤ ص ١٠٨.

(١)ـ ربيع الأبرارج ١ ص ٥٥٩.

(٢)ـ قاموس الرجال ج ١٠ ص ٨٩ وج ٥ ص ١١٦ والغديرج ١٠ ص ٨٣ كلاهما عن شرح النهج للمعتزلي ج ٤ ص ٥١ ط قديم.

لتركته حتى يكون في بطون السباع، وحواصل الطير. أوقال: لسرّني أن أدعك حتى تحشر من أفواه شتى، ولئن أظهرني الله على قريش يوماً من الدهر في موطن من المواطن لامثلن بثلاثين رجلا منهم».

والمسلمون أيضاً قالوا: «والله، لئن أظفرنا الله بهم يوماً من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب»...

ويقال: إنه(ص) بكى وشهق، وقال: رحمة الله عليك، لقد كنت فعولاً للخير، وصولاً للرحم، أم والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك... فنزل جبرئيل بقوله تعالى: «وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين». فعفا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصبر. وفي رواية، قال: أصبر، ونهى عن المثلة. وفي أخرى: كفر عن يمينه.

والروايات بهذه المعاني تجدها في مختلف كتب الحديث والتاريخ، التي تتعرض لغزوة أحد... ولايكاد يخلو منها كتاب، كلاً أو بعضاً، ولذا فلانرى حاجة لتعداد مصادرها...

ونحن نقول: ان بكاءه(ص) على حمزة لامانع منه، وأما ماسوى ذلك مما ذكر آنفا... فنحن نشك في صحته؛ وذلك للامور التالية:

١ـ إن ذلك لاينسجم مع روحية واخلاق وانسانية النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، ولاينسجم حتى مع روح التدبير للامور العامة، من قبل أي أنسان حكيم، مدبر للأمور، ولامع سياسة الأمم بالمعنى الصحيح والسليم للسياسة.

وذلك لأنه لامبرر لابقاء جثة شهيد في الصحراء، تصهرها أشعة الشمس، عرضة للوحوش والسباع والطير!!.

وواضح: أن ذلك لايعتبر انتقاماً من قريش، ولا أداء لحق ذلك الشهيد العظيم، إن لم يكن إساءة واهانة له، بملاحظة ان إكرام الميت دفنه...

ثم... أو ليست انسانيته(ص) واخلاقه الرفيعة هي التي أملت عليه

أن يغيّب حتى جثث قتلى المشركين في قليب بدر؛ فكيف بالنسبة لهذا الشهيد العظيم، أسدالله وأسد رسوله؟!!

ويحاول: البعض أن يدعي: أنه(ص) لم يكن يقصد مدلول هذا الكلام، و إنما هو يريد فقط أن يظهر مظلوميته، ووحشية الطرف الآخر، أبي سفيان وأصحابه...

ولكن ذلك لايصح باي وجه، فاننا نجل النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم عن أمر كهذا، ولايجوز نسبته إليه؛ لأن معناه امكانية التشكيك في كثير من أقواله(ص) ومواقفه.

أضف إلى ذلك: أن ماجرى لحمزة عليه السلام قد جرى مثله لغيره من الشهداء، و إن كان ماجرى لحمزة عليه السلام أفظع وابشع. فلماذا اختص غضبه(ص) بماجرى لعمه وحسب؟!.

وأيضاً فان المفروض بهذا النبي العظيم أن يظهر الجلد والصبر لا الجزع والحزن، إلا بالنحو المعقول والمقبول، و إلا فما وجه اللوم لغيره ممن فقد الأهل والأحبة، إن تجاوز حده، وظهر منه مالا ينبغي في مناسبات كهذه؟!...

٢ـ إن قولهم: إنه إن ظفر بقريش فسيمثل بثلاثين... مرفوض أيضاً؛ لأن هذه جثث قتلى المشركين أمامه، وهي اثنان أو ثمانية وعشرون جثة... بل واكثر من ذلك، كما يظهر من بعض النصوص... فلماذا لايمثل بها، و يشفي غليل صدره منها؟!

ولم لم يقع المسلمون يمثلون ـ بدورهم ـ بتلك الجثث التي تركها أصحابها وفروا خوفاً من أن يدال المسلمون منهم، كمافروا من قبل في بدر؟!

٣ـ أما نزول الآية الكريمة ردّاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم: «فان عاقبتم؛ فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به(١)»... فلايصح أيضاً... لأن الآية مكية؛

---

(١) ـ سورة النحل الآية ١٢٦.

لأن سورة النحل قد نزلت في مكة، وأحد قد كانت في السنة الثالثة من الهجرة(١).

والقول: بأن ذلك مماتكرر نزوله(٢).

أولاً: يحتاج إلى اثبات.

وثانياً: يلزمه أن يكون النبي(ص) قد خالف الحكم الالهي الثابت، فاحتاج الله إلى تذكيره بأن موقفه هذا مخالف لنص تلك الآية التي لديه!!.

وأيضاً... عن ابن عباس في قوله: فعاقبوا بمثل ماعقوبتم قال: هذا حين أمرالله نبيه أن يقاتل من قاتله... ثم ذكر انها نسخت ببراءة(٣) وعن ابن زيد، قال: كانوا قد امروا بالصفح عن المشركين، فاسلم رجال ذووامنعة، فقالوا: يا رسول الله لو أذن الله لا انتصرنا من هؤلاء الكلاب؛ فنزلت هذه الآية، ثم نسخ ذلك ؛ بالجهاد(٤).

٤ـ إن قولهم: إنه صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى في هذه المناسبة عن المثلة محل نظر؛ وذلك لمارواه الزيلعي عن البخاري ومسلم، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس— فذكر حديث العرنيين— وفي آخره، قال: قال قتادة: وبلغنا أن النبي(ص) كان بعد ذلك يحث على الصدقة، وينهى عن المثلة(٥).

ويقول العسقلاني: عن ابن عقبة في المغازي: «وذكروا: أن النبي(ص) نهى بعد ذلك عن المثلة بالآية التي في سورة المائدة، وإلى هذا مال البخاري، وحكاه امام الحرمين في النهاية عن الشافعي(٦)».

---

(١)— راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦ عن ابن كثير، والقول بأن الآية مدنية لاعبرة به لانه يستند إلى هذه الرواية.

(٢)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦.

(٣)— الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن ابن جرير، وابن مردويه.

(٤)— الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن ابن جرير وابن أبي حاتم.

(٥)— صحيح البخاري ط سنة ١٣٠٩ هـ . ج ٣ ص ٣١، ونصب الراية للزيلعي ج ٣ ص ١١٨.

(٦)— فتح الباري ج ١ ص ٢٩٤.

فكلام قتادة السابق صريح في أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن المثلة بعد وقعة العرنيين، وكانت بعد قصة أحد؛ لأنها كانت في حدود السنة السادسة(١).

و إن كنابدورنا، لنا كلام في قصة العرنيين هذه؛ حيث إننا نشك كثيراً في أن يكون صلى الله عليه وآله وسلم قد مثّل بهم، ولاسيما بملاحظة ماقدمناه آنفاً، وغير ذلك من أمور لامجال للتعرض لها هنا.

ولكن مايهمناهنا: هو أن ماذكروه هنا يتنافى بشكل ظاهر مع كونه صلى الله عليه وآله وسلم قد نهى عن المثله في أحد...

ولو أننا أغمضنا النظر عن ذلك ؛ فان مانقلناه عن العسقلاني آنفاً يدل على أن نهيه صلى الله وآله وسلم عن المثلة إنما كان في أواخر أيام حياته؛ لأن سورة المائدة قد كانت من أواخر مانزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم...

٥ً ـ إنهم يقولون: إن أبا قتادة جعل يريد التمثيل بقريش لما رأى من المثلة؛ فمنعه صلى الله عليه وآله وسلم(٢).

وهذا هوالمناسب لاخلاقه وسجاياه صلى الله وآله وسلم... أما أبو قتادة فانه قد تصرف هنا بوحي من انفعاله وتأثره، الناجم عن ثورته النفسية بسبب ذلك المشهد المؤلم...

و إننا و إن كنانشك فيماجاء في ذيل هذه الرواية، الذي يذكر: أنه صلى الله عليه وآله وسلم قد قرّض قريشاً في هذه المناسبة، حتى قال: إنه عسى إن طالت بابي قتادة المدة أن يحقر أعماله مع أعمالهم... فاننا نعتقد أن هذه التقريظات من تزيّد الرواة تزلفاً للحكام الامويين ـ كما عودونا في مناسبات كثيرة ـ في مقابل علي عليه السلام، وأهل بيته لفسح المجال أمام

---

(١)ـ راجع: المصنف ج ٩ ص ٢٥٩، والبخاري، ومسلم، وغير ذلك .

(٢)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤١، وراجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٩٠/٢٩١، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٧.

تنقصهم والطعن بهم... ويكفي أن نذكرهنا موقف قريش من علي عليه السلام وأهل البيت، ونجده عليه السلام يصفها بأسوأما يمكن، ولاسيما بالنسبة لموقفها السيئ منه عليه السلام...

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «... فدع عنك قريشاً، وتركاضهم في الضلال، وتجوالهم في الشقاق، وجماحهم في التيه، فانهم قد أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب رسول الله(ص) قبلي؛ فجزت قريشاً عنى الجوازي؛ فقد قطعوا رحمي، وسلبوني سلطان ابن عمي(١)».

هذا ولابد من ملاحظة: أنه(ص) قد قال لعلي(ع): حربك حربي، وسلمك سلمي...

وقال عليه السلام: «اللهم إني أستعديك على قريش [ومن أعانهم]؛ فانهم قد قطعوا رحمي، وأكفأوا إنائي، وأجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري(٢)»... وقال عليه السلام: «مالي ولقريش، والله لقد قاتلتهم كافرين، ولاقاتلنهم مفتونين، و إني لصاحبهم بالامس، كما أناصاحبهم اليوم(٣)».

ولأبي الهيثم بن التيهان كلام جيد، حول موقف قريش من علي، من أراده فليراجعه في الأوائل لابي هلال العسكري ج ١ ص ٣١٦/٣١٧، وفيه يحلل سر عداء قريش لأميرالمؤمنين عليه السلام، وأنه بسبب بغيها وحسدها له وعدم قدرتها على اللحاق به.

فهذه كانت حالة قريش بعد طول المدة؛ فكيف يحقر أبو قتادة أعماله مع أعمالها؟! وكيف يكون لها ذلك المقام المحمود عندالله تعالى...

---

(١)و(٢)و(٣)– راجع: نهج البلاغة، شرح عبده، باب الرسائل رقم ٣٦، وباب الخطب رقم ٢١٢ و ٣٢ وليراجع ١٦٧، وغير ذلك .

ماهو الصحيح في القضية:

ولعل الصحيح هنا... هو قضية أبي قتادة المتقدمة... و إن كان قد تزيد الرواة فيها تزلفاً للحكام كما أشرنا...

و يضاف الى ذلك، مارواه غير واحد عن أبي بن كعب(رض)، قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً، ومن المهاجرين ستة، منهم حمزة. فمثلوابهم، فقالت الانصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنربينّ عليهم. فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ماعوقبتم به، ولئن صبرتم لهو خير للصابرين. فقال رسول الله (ص): نصبر، ولانعاقب. كفوا عن القوم إلا أربعة.

وحسب نص ابن كثير: عن عبدالله بن أحمد: فلما كان يوم الفتح، قال رجل: لا تعرف قريش بعد اليوم؛ فنادى مناد: إن رسول الله (ص) قد أمن الاسود والابيض إلا فلاناً وفلاناً، ناساً سماهم، فأنزل الله إلخ(١).

وعن الشعبي وابن جريج مايقرب من هذا أيضاً باختصار(٢).

وفى رواية: إن المسلمين لما رأوا المثلة بقتلاهم قالو: لئن انا لنا الله منهم لنفعلن ولنفعلن، فأنزل اليه: وان عاقبتم الآية فقال(ص): بل نصبر(٣).

نعم... لابد من الاشارة إلى أن ماتذكره هذه الروايات من أن الآية قد نزلت في هذه المناسبة محل نظر، وذلك لما قدمناه من كونها مكية، ولعل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عاد فذكّرهم بالآية، مبالغة منه صلى الله عليه

---

(١)— الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن: الترمذي، وحسّنه، وعبدالله بن أحمد في زوائد المسند، والنسائي وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وابن مردويه، والحاكم وصححه، والبيهقي في الدلائل، وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٢.

(٢)— تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٩٢.

(٣)— الدر المنثور ج ٤ ص ١٣٥ عن ابن جرير، ومصنف ابن ابي شيبة.

وآله وسلم في زجرهم عن ذلك ، فتوهم الرواي: أن الاية قد نزلت في هذه المناسبة...

باء: هند... وكبد حمزة:

قد تقدم: أنه(ص) لما بلغه محاولة هند أكل كبد حمزة فلم تستطع أن تسيغها، قال: ما كان الله ليدخل شيئاً من حمزة النار، أو نحو ذلك...

قال الحلبي: «أي ولو اكلت منه، أي استقرفي جوفها لم تمسها النار(١)».

وهو تفسير غريب حقاً... فان ظاهر كلامه(ص): أن هند امن أهل النار، وقد أبى الله أن يدخل شيئاً من حمزة النار... ولوصح تفسير الحلبي لكان اللازم أن تسيغ ما أكلته من كبده، و يستقرفي جوفها، لأن هنداً ستدخل الجنة!! فلتكن تلك القطعة معها، لتدخل الجنة كذلك !!.... نعم وهذا مايرمى إليه الحلبي، فان له كلاماً طويلاً في المقام يدخل فيه هنداً الجنة... و بذلك تصير كلمة النبي(ص) هذه بلامعنى ولامدلول!!...

جيم-: المنع عن البكاء على الميت:

و بكاء النبي(ص) على حمزة، وقوله: أما حمزة فلابواكي له... و بعد ذلك على جعفر، وقوله: على مثل جعفر فلتبك البواكي. و بكى على ولده ابراهيم، وقال: تدمع العين، ويحزن القلب، ولانقول إلا مايرضى الرب... و بكاؤه كذلك على عثمان بن مظعون، وسعد بن عبادة، و زيد بن حارثة، و بكاء الصحابة أيضاً، وهو كثير في الحديث والتاريخ(٢)... ان كل ذلك إنما يعبر عن مطلوبية البكاء، وعن الرغبة فيه له(ص) ولهم(رض)... أو على الأقل يدل على عدم المنع عنه...

---

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٤.

(٢)- راجع: النص والاجتهاد ص ٢٣٠-٢٣٤، والغدير ج ٦ ص ١٥٩-١٦٧ ودلائل الصدق ج ٣ قسم ١ ص ١٣٤/١٣٦ عن عشرات المصادر الموثوقة.

ولكننا نجد: أن عمر بن الخطاب يمنع من البكاء، و يضرب عليه... و يفعل ماشاءت له قريحته في سبيل المنع عنه، و يروي حديثاً عن النبي(ص) مفاده: ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه(١)... مع أننا نجد، انه هو نفسه لايمانع في البكاء على خالدبن الوليد(٢).

و بكى هو نفسه على النعمان بن مقرن، وعلى رجل آخر(٣)... فإن النبي(ص) قدنهاه عن التعرض للذين يبكون موتاهم(٤)... كما ان عائشة قد انكرت عليه، وعلى ولده عبدالله هذا الحديث، ونسبته إلى النسيان، وقالت:

«يرحم الله عمر، والله، ماحدث رسول الله: إن الله ليعذب المؤمن ببكاء اهله عليه، لكن رسول الله (ص) قال: إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه. قالت: حسبكم القرآن: ولا تزر وازرة وزر أخرى(٥)»...

وفي نص آخر، انها قالت: «إنما مرّ رسول الله (ص) على يهودية يبكي عليها اهلها، فقال: انهم يبكون عليها وانها لتعذب في قبرها.» صحيح البخاري

---

(١)ـ راجع المصادر المتقدمة عن عشرات المصادر الموثوقة.

(٢)ـ الاصابة ج ١ ص ٤١٥، وصفة الصفوة ج ١ ص ٦٥٥، وأسدالغابة ج ٢ ص ٩٦، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٦٥ عن الاصابة، و تاريخ الخميس ج ٢ ص ٢٤٧.

(٣)ـ الغدير ج ١ ص ١٦٤ و ج ٥ ص ١٥٥ عن الرياض النضرة ج ٢ ص ٥٤، وعن الاستيعاب ترجمة: النعمان بن مقرن.

(٤)ـ راجع: الغدير عن المصادر التالية: مسند أحمد ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٣٥ و ج ٢ ص ٣٣٣ و ٤٠٨، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٩٠ و ٣٨١ وصححه هو والذهبي في تلخيصه، ومجمع الزائد ج ٣ ص ١٧ والاستيعاب ترجمة عثمان بن مظعون، ومسند الطيالسي ص ٣٥١، وسنن البيهقي ج ٤ ص ٧٠ وعمدة القاري ج ٤ ص ٨٧ عن النسائي وابن ماجة، وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٤٨١، وكنزالعمال ج ١ ص ١١٧.

(٥)ـ راجع: صحيح البخاري ج ١ ص ١٤٦ ط سنة ١٠٣٩ هـ. و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٨١، واختلاف الحديث للشافعي هامش الام ج ٧ ص ٢٦٦، وجامع بيان العلم ج ٢ ص ١٠٥، ومختصر المزني هامش الام ج ١ ص ١٨٧، والغدير ج ٦ ص ١٦٣ عمن تقدم، وعن: صحيح مسلم ج ١ ص ٣٤٢/٣٤٣/٣٤٤ ومسند أحمد ج ١ ص ٤١، وسنن النسائي ج ٤ ص ١٧ و ١٨، وسنن البيهقي ج ٤ ص ٧٣ و ٧٢، وسنن أبي داود ج ٢ ص ٥٩، وموطأ مالك ج ١ ص ٩٦.

ج ١ ص ١٤٧.

وانكر ذلك أيضاً: ابن عباس، وأئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن أراد المزيد، فعليه بمراجعة الغدير، والنص والاجتهاد، ودلائل الصدق...

ونشير نحن هنا إلى ماقاله الامام شرف الدين رحمه الله تعالى، قال: «وهنا نلفت أولي الالباب إلى البحث عن السبب في تنحي الزهراء عن البلد في نياحتها على أبيها(ص)، وخروجها بولديها في لمة من نسائها إلى البقيع يندبن رسول الله، في ظل أراكة كانت هنا، فلما قطعت بنى لها علي بيتاً في البقيع كانت تأوي إليه للنياحة، يدعى: بيت الاحزان. وكان هذا البيت يزار في كل خلف من هذه الأمة(١)...»

وأقول: إن من القريب جداً: أن حديث: «إن الميت ليعذب ببكاء الحي» قد حرف عن حديث «البكاء على اليهودية المتقدم»؛ لدوافع سياسية لاتخفى؛ فان السلطة كانت تهتم بمنع فاطمة عليها السلام من البكاء على أبيها...

فيظهر: أن هذا المنع قد استمر إلى حين استقر الأمر، ولذلك لم يعتن عمر بغضب عائشة، ومنعها إياه من دخول بيتها حين وفاة أبي بكر— (وهي المعززة المكرمة عنده) فضرب أم فروة أخت أبي بكر بدرته... نعم... لقد فعل هذا على رغم أن البكاء والنوح كان على صديقه أبي بكر، وكان هجومه على بيت عائشة، وكان ضربه لأخت أبي بكر... وهوالذي كان يهتم بعائشة ويحترمها، ويقدر أبابكر ومن يلوذبه، ويحترم بيته بما لامزيد عليه... نعم لقد فعل كل هذا لأن الناس لم ينسوا بعد منع السلطة لفاطمة من النوح والبكاء على أبيها...

ثم لما ارتفع المانع... ومضت مدة طويلة وسنين عديدة على وفاة سيدة النساء ونسي الناس أو كادوا أو بالأحرى ماعادوا يهتمون بهذا الأمر... ارتفع

---

(١)- النص والاجتهاد ص ٢٣٤.

هذا المنع على يدعمر نفسه، وبكى على النعمان بن مقرن الذي توفي سنة ٢١هـ. وعلى شيخ آخر... كما أنه سمح بالبكاء على خالد بن الوليد، الذي توفي سنة ٢١، أو ٢٢ حسبما تقدم...

نعم... قد تقدم عن مصادر كثيرة: النهي عن خمش الوجوه، وشق الثياب، واللطم، والنوح بالباطل، وهذا غير البكاء وهياج العواطف الانسانية الطبيعية. وذلك لأن الأول ينافي التواضع لله عزوجل والتسليم لقضائه... أما الثاني فهو من مقتضيات الجبلة الانسانية، ودليل اعتدال سجية الانسان... وشتان مابينهما...

ولعل المنع عن البكاء مأخوذ من أهل الكتاب، حيث يظهر أن عمر كان يحاول هذا المنع في زمن النبي بالذات... ولم يرتدع بردع النبي له إلا ظاهراً، فلما توفي(ص) صار الموقف السياسي يتطلب الرجوع الى ما عند أهل الكتاب، فكان منع الزهراء عن ذلك كما قدمنا... ومما يدل على أنه مأخوذ من أهل الكتاب: أنه قد جاء في التوراة: «يا ابن، ها أنذا آخذ عنك شهوة عينيك بضربة؛ فلا تنح ولا تبك، ولا تنزل دموعك تنهّد ساكتاً، لا تعمل مناحة على اموات(١)».

دال: حزن النبي(ص) على حمزة

١ـ إن من الثابت أن النبي(ص) قد حزن على حمزة، وبكى عليه، وأحب أن يكون ثمة بواكي له، كما لغيره... وواضح: أن حزن الرسول هذا، ورغبته تلك ليسا إلا من أجل تعريف أصحابه، والأمة أيضاً بما كان لحمزة من خدمات جلّى لهذا الدين، ومن قدم ثابتة له فيه، وبأثره الكبير في اعلاء كلمة الله تعالى... ويدلنا على ذلك أنه قد وصفه ـ كمايروى ـ بأنه كان فعولاً للخيرات، وصولاً للرحم إلخ...

ولأن حزنه(ص) عليه كان في الحقيقة حزناً على ما أصاب الاسلام

---

(١)ـ حزقيال. الاصحاح ٢٤ الفقرة ١٦ـ١٨.

بفقده، وهو المجاهد الفذ، الذي لم يكن يدخر وسعاً في الدفاع عن هذا الدين واعلاء كلمة الله...

وذلك لأن النبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن ليهتم بالبكاء على حمزة، ولا ليبكي هو(ص) عليه لمجرد دوافع عاطفية شخصية، أو من علاقة رحمية ونسبية، و إنما هو يحب في الله وفي الله فقط... تماماً كما كان يبغض في الله وفي الله فقط.

فهو(ص) يحزن على حمزة بمقدار ما كان حمزة مرتبطاً بالله تعالى، وخسارته خسارة للاسلام... و إلا فكما كان حمزة عمه كان أبولهب عمه أيضاً، وعداوة أبي لهب للرسول لا تدانيها عداوة، فقد كان أبولهب من أشد الناس عداوة(ص)، وأعظمهم ايذاء له... وموقفه(ص) من أبي لهب كذلك هو معروف ومشهور...

ولكننا نجد في المقابل موقفه(ص) من «سلمان» الذي كان(ص) يجب أن يقال له: سلمان «المحمدي»، بدلاً من: «الفارسي»... وحتى قال(ص) في حقه: «سلمان منا أهل البيت»، ولقد:

كانت مودة سلمان لهم رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم...

٢ـ كما أن نفس كونه(ص) شريكا في المصيبة من شأنه أن يخفف المصاب على الآخرين... ولاسيما إذا كان مصابه بمن هو مثل حمزة أسدالله وأسد رسوله... حمزة الذي لم يكن ليخفى على أحد موقعه ونكايته في المشركين، ولم يكن مافعلته هند وأبوسفيان بجثته الشريفة، وأيضاً موقف أبي سفيان من قبره الشريف في خلافة عثمان... ثم مافعله معاوية في قبره وقبور الشهداء، بعد عشرات السنين من معركة أحد...ـ لم يكن كل ذلك ـ إلا دليلاً قاطعاً على ذلك الأثر البعيد، الذي تركه حمزة في اذلال المشركين، واعلاء كلمه الحق والدين... حتى إن أباسفيان وولده معاوية لم يستطيعا أن ينسياله ذلك الأثر، وبقي ـ حتى قبره ـ الذي كان يتحداهم بأنفة وشموخ كالشجى المعترض في حلقي الاب والابن على حد سواء...

لقد استطاع حمزة أن يحقق أهدافه حتى وهو يستشهد؛ لأن شهادته جزء من هدفه كما قلنا... أماهم، فقد باؤ ابالفشل الذريع، والخيبة القاتلة، وانتهى بهم الأمر إلى أن يكونوا طلقاء هذه الأمة، وزعماء منافقيها، المشهور نفاقهم، والمعروف كفرهم...

هاء: موقف أبي سفيان من قبر حمزة:

و إن موقف أبي سفيان من قبر حمزة ليعتبر دليلاً واضحاً على كفره، وأنه لايزال يعتبر حربه مع النبي(ص) حرباً على الملك والسلطان، والمكاسب الدنيوية...

وقد دخل أبوسفيان على عثمان، فقال له: قد صارت إليك بعد تيم وعدي، فأدرها كالكرة، واجعل أوتادها بني أمية، فانما هو الملك، ولا أدري ماجنة ولانار(١).

وكان أبوسفيان كهفاً للمنافقين... وكان يوم اليرموك يفرح إذا انتصر الكفار على المسلمين، ويحزن حين يرى كرّة المسلمين عليهم، كما ذكره المقريزي في النزاع والتخاصم.

وكفريات أبي سفيان معروفة ومشهورة، ولامجال لاستقصائها، فمن أرادها فليراجع مظانها(٢).

واو: مواساة الانصار للنبي(ص):

و إن مواساة الأنصار للنبي(ص) حتى في البكاء على حمزة لهي في الحقيقة من أروع المواساة للنبي الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم؛ فهم يواسونه

---

(١)— الاستيعاب هامش الاصابة ج ٤ ص ٨٧، وقاموس الرجال ج ١٠ ترجمة أبي سفيان وج ٥ ص ١١٧/١١٦، والغدير ج ٨ ص ٢٧٨ عن الاستيعاب، وعن الطبري ج ١١ ص ٣٥٧، ومروج الذهب ٣٤٣.

(٢)— راجع: الغدير، ولاسيما ج ٨ ص ٢٧٩/٢٧٨ وج ١٠ ص ٧٩—٨٤ لمعرفة رأي علي فيه وفي أبيه، وقاموس الرجال، ترجمة أبي سفيان، والاستيعاب، وغير ذلك.

بأموالهم وأنفسهم، وحتى في عواطفهم الصادقة، ومشاعرهم النبيلة...

وقد استمروا على صدقهم، ووفائهم، واخلاصهم له ولرسالته، ولوصيه علي عليه السلام، وأهل بيته عليهم السلام إلى آخر لحظة، ولذلك نكبهم الامويون، والحكام بعد النبي(ص)، وأذلوهم، وحرموهم، كما تقدمت الاشارة إليه...

زاي: صبر صفية:

و إن صبر صفية، واعتبارها: أن ماجرى لحمزة قليل في ذات الله تعالى... إنما هو نتيجة للوعي الرسالي الرائد للاسلام، الذي لايمكن اعتباره محدوداً ومقوقعاً ضمن طقوس، وحركات، أو جذبات صوفية ونحوها... فالاسلام حياة... ولايطلب فيه الموت والشهادة إلا من أجل هذه الحياة...

الاسلام هوالسلام حتى في حال الحرب، وهو الحياة فيما يراه الناس الموت، والراحة في مايراه الناس التعب، والسعادة في مايراه الناس الشقاء والآلام... إنه سلام شامل وكامل... فاذا بلغ الانسان هذا السلام الشامل، فهو المسلم الحق... وهكذا كانت صفية رضوان الله تعالى عليها... حتى أصبح ماجرى لأخيها قليلاً في ذات الله... وصار سلاماً لها وعليها...

التعصيب:

وعلى كل حال: فإنه لما قتل حمزة رضوان الله عليه بعث النبي(ص) علياً(ع) فأتاه ببنت حمزة؛ فسوغها(ص) الميراث كله(١).

وهذا يدل على أنه لاميراث للعصبة على تقدير زيادة الفريضة عن السهام إلا مع عدم القريب، فيرد باقي المال على البنت، والبنات، والاخت والاخوات وعلى الام، وعلى كلالة الام، مع عدم وارث في درجتهم، وعلى هذا اجماع أهل البيت(ع)، واخبارهم به متواترة.

---

(١)— التهذيب ج ٦ ص ٣١١، والوسائل ج ١٧ ص ٤٣٢.

و يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: «وآولوا الارحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله» فعن الباقر(ع) في هذه الآية: «إن بعضهم اولى بالميراث من بعض؛ لأن أقربهم إليه رحماً أولى به. ثم قال ابوجعفر(ع): أيهم أولى بالميت، وأقربهم إليه؟ أمه، أو أخوه؟ أليس الأم أقرب إلى الميت من إخوته وأخواته؟!» الوسائل ج ١٧ ص ٤٣٤.

وللتوسع في هذا البحث مجال آخر...

الصلاة على شهداء «أحد» وتغسيلهم ودفنهم:

لقد روى بعضهم: أن النبي(ص) لم يصلّ على شهداء «أحد»... و به أخذ الأئمة الشافعية... ولكن ذلك غير صحيح؛ فقد صرحت الروايات الكثيرة: بأنه(ص) قد صلّى عليهم. وروى ذلك عن بعض أئمة الحديث. و به أخذ الأئمة الحنفية(١).

والصحيح: أنه(ص) قد صلّى عليهم، ولم يغسلهم، وهوالثابت عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، الذين هم سفينة نوح، و باب حطة... ولذا فلايعبأ بما رواه غيرهم؛ ولذا فنحن لانطيل الكلام في ذلك. ولاسيما بعد أن قال «مغلطاي»: «... وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل. وهذا إجماع، إلا ماشذبه بعض التابعين... إلى أن قال: قال السهيلي: ولم يروَ عنه(ص): أنه صلى على شهيد في شيءٍ من مغاز يه إلا في هذه. وفيه «نظر»؛ لما ذكره النسائي، من أنه صلّى على اعرابي في غزوة أخرى.»(٢).

وعن عدد التكبير عليهم، وعلى غيرهم، راجع: مقالنا في التكبير على الميت في كتاب: دراسات وبحوث في التار يخ والاسلام، فقد أثبتنا بما لايقبل الشك: أن التكبير على الميت «خمس» لا أر بع— و بالنسبة للغسل فقد قال الديار بكرى، وغيره: «أجمع العلماء على أن شهداء أحد لم يغسلوا»(٣).

---

(١)— تار يخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢. وليراجع أيضاً: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٨/٢٤٩.

(٢)— سيرة مغلطاي ص ٥٠/٥١.

(٣)— تار يخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٨.

و يذكر هنا: أن حنظلة- كما تقدم- خرج وهو جنب- فأخبر(ص) أن الملائكة تغسله.

و يقال أيضاً: إن حمزة قد قتل جنباً؛ فرأى النبي(ص) الملائكة تغسله(١) ولكن هذا ينافى ماجاء في بعض النصوص من أنه قتل يوم أحد صائماً... والله هوالعالم...

ومهما يكن من أمر؛ فإن الشهداء لم يغسلوا... و إخباره(ص) بتغسيل الملائكة لمن مات جنباً، بالاضافة إلى أنه اخبار عن واقع؛ فإنه أيضاً لرفع الحرازة التي ربما تحدث في نفس أهله، الذين يعرفون بأنه لم يغتسل من جنابته.

وأما عن دفنهم؛ فيقال: إنه قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة، فدفنوهم بها، ثم نهى(ص) عن ذلك... وقال(ص): «ادفنوهم حيث صرعوا»(٢).

و يقال: إنه(ص) قال: ادفنوا الاثنين والثلاثة في قبر واحد، وقدموا أكثرهم قرآناً(٣).

إشارة هامة:

لماذا تقديم الأقرأ ؟: وتقديم اكثرهم قرآناً حتى في هذا المقام له دلالة هامة هنا... فإن اكثرهم قرآناً يكون هوالاكثر وعياً و بصيرة في أمره، ومن ثم يكون اخلاصه للقضية التي يقاتل من أجلها أشد، وارتباطه بها أعمق. وكلما

---

(١)- السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٨، و مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٠٩ و شرح النهج ج ١٥ ص ٣٧.

(٢)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢ عن الاكتفاء وابن اسحاق وأحمد، والترمذي، وأبي داود، والنسائي، والدرامي، والكامل لابن الأثير ج ٢ ص ١٦٢/١٦٣. وفي شرح النهج ج ٤ ص ٢٦٢ رواية ناقشها المعتزلي بما لامجال له.

(٣)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٢ عن أحمد، والترمذي، وابي داود، والنسائي، وشرح النهج ج ١٥ ص ٣٨، ومغازي الواقدى ج ١ ص ٣١٠، والثقات ج ١ ص ٣٣، و مجمع الزوائد ج ٦، والمصنف ٣/٥٤١ و ج ٥/٢٧٢.

كان العمل اكثر اخلاصاً لله، كلما كانت قيمته أعلى، وثمنه أغلى... لأنه يستمد قيمته هذه من مدى اتحاده بذلك الهدف، وفنائه فيه.

بل نجدانه(ص) يتجاوز ذلك ،إلى انه(ص) ارادان يبعث بعثاوهم ذووعدد، فاستقرأهم؛ ليعرف مامعهم من القرآن... فوجد: ان احدثهم سناً اكثرهم قرآناً، فامّره عليهم(١).

كما أن فى ذلك اعطاء النظرة الصحيحة للاسلام للعلم والمعرفة... وانه يتابع ذلك حتى بالنسبة لما بعدالموت، وحتى بالنسبة لهؤلاء المتساو ين من حيث بذل اغلى مالديهم فى سبيله، وان لم يكونوا متساو ين فى درجات معرفتهم، وثقافتهم، ووعيهم...

ولقد رأينا انه(ص) يقول— كما يروى لنا ابوسلمة— إذا كان ثلاثة فى سفر فليؤمهم اقرؤهم، وان كان اصغرهم؛ فإذا أمهم فهو أميرهم(٢). وفى هذا دلالة واضحة على ان الملاك فى التقديم هو المعرفة الخالصة، التى تؤهل الانسان لأن يكون اكثر خشية لله: انما يخشى الله من عباده العلماء. وليس هوالحسن، اوالجاه، اوالمال، اوالنسب، اوغير ذلك ؛ فان ذلك قد رفضه الاسلام والقرآن رفضاً قاطعاً ونهائياً.

أنا شهيد على هؤلاء:

وكان طلحة بن عبيدالله، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، يقولون: صلى رسول الله(ص) على قتلى أحد، وقال: «أنا شهيد على هؤلاء . فقال أبوبكر: ألسنا اخوانهم، اسلمنا كما أسلموا، وجاهدنا كما جاهدوا؟ قال: بلى، ولكن هؤلاء لم يأكلوا من أجورهم شيئاً، ولا أدري ماتحدثون بعدي؛ فبكى أبوبكر، وقال: انا لكائنون بعدك ؟(٣)...».

---

(١)— حياة الصحابة ج ٢ ص ٥٤ عن الترغيب ج ٣ ص ١٢.

(٢)— المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ٥ ص ١٦٥.

(٣)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣٨، و مغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٠، والمصنف ٥٤١/٣ و ليراجع ص ٥٧٥ وج ٢٧٣/٥.

وهذا يدل على أن الرسول(ص) لم يكن مطمئناً لما ينتهي إليه أمر أصحابه بعده... ولم يكن يعتقد أن مجرد صحبتهم له تدخلهم الجنان، وتجعلهم معصومين، أو أنها تكون أماناً لهم من كل حساب وعقاب، عملوا ماعملوا، وفعلوا مافعلوا؛ فإن ذلك خلاف ماقرره القرآن، من أن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. وقد بحثنا موضوع عدالة الصحابة في مقال مستقل في كتابنا دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام...

وماذكرناه هناك ماهو إلاّ رشحة من نهر، وقطرة من بحر... وإلا... فان الأدلة على مانقول من أن كل صحابي محاسب على ماعمل، وأن فيهم المؤمن، والمنافق، والعادل، والفاسق كثيرة جداً، لامجال لحصرها...

عدد شهداء أحد:

وأما عن عدد الشهداء في أحد... فإننا نبادر إلى القول: إنهم سبعون، من المهاجرين أربعة. والباقون من الأنصار.

وقيل: أربعة وستون من الأنصار، وستة من المهاجرين. وجرح سبعون. وهذا ما وعدهم النبي(ص) به في بدر حسبما اشرنا إليه فيما تقدم...

وأما ما يقال: من أن عدتهم خمس وستون، فيهم أربعة من المهاجرين، أو أنهم ستة وتسعون. أو أنهم ثمانون: أربعة وسبعون من الأنصار، وستة من المهاجرين(١)... فليس بمسموع بعد أن أخبرهم النبي(ص)— كما هو المشهور— بأنه سيقتل من المسلمين بعدة أسرى بدر إن قبلوا بالفداء...

ويقولون: إن عدة أسرى بدر كان سبعين.

وبذلك يعلم: أن مافي المشكاة، عن أنس: إنه قتل من الأنصار في أحد سبعون، وفي بئر معونة سبعون، ويوم اليمامة على عهد أبي بكر سبعون رواه

---

(١)— راجع هذه الاقوال في سيرة مغلطاي ص ٤٩/٥٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٥ وغير ذلك كثير وليراجع شرح النهج ج ٥١/٥٢.

البخاري(١).

لايمكن المساعدة عليه؛ لأن قتلى أحد كانوا سبعين من الأنصار، والمهاجرين معا، لامن الأنصار وحدهم...

ويلاحظ هنا: أن اكثر القتلى كانوا من الانصار، الذين ظلت قريش تحقد عليهم، وعلى أهل البيت(ع) عشرات السنين والأعوام. وقد أشرنا إلى ذلك غير مرة؛ فلانعيد...

ولربما نفهم: أن اندفاع الانصار الى الحرب ومخاطرها كان اكثر وأشد؛ لأنهم يدافعون عن وطنهم، وعن عقيدتهم معاً...

أما غيرهم، فلربما كان بعضهم يطمئن إلى قبول قومه له، كما يظهر مماتقدم.

زيارة القبور:

ويذكر الواقدى هنا: أن النبي(ص) كان يزور قبور شهداء أحد في كل حول، فإذا لقوه رفع صوته يقول: السلام عليكم بما صبرتم؛ فنعم عقبى الدار... وكان أبوبكر يفعل مثل ذلك، وكذلك عمر، ثم عثمان، ثم معاوية (كيف يذكر معاوية هنا، وهوالذي نبش قبور الشهداء من أجل العين التي أجراها)؟!.

وكانت فاطمة تأتيهم بين اليومين والثلاثة؛ فتبكي عندهم، وتدعو.

وكان(ص) يأمر بزيارتهم، والتسليم عليهم. وكذا كان يزورهم سعدبن أبي وقاص، وأبوسعيد الخدري بالنسبة لقبر حمزة، وام سلمة أيضاً كانت، تزورهم كل شهر... وقد أنّبت غلامها، لأنه لم يسلم عليهم. وكذا أبوهريرة، وابن عمر، وفاطمة الخزاعية(٢).

---

(١)- تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٦.

(٢)- راجع: مغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٣/٣١٤، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٠.

وقد أمر النبي(ص) بزيارة القبور... وشواهد هذا البحث كثيرة جداً لا تكاد تحصر، وقد أُلِّفت الكتب، ونُظِمت البحوث في هذا الموضوع؛(١) فليراجعها من أراد التوسع فلايصغى لمنع بعض الفرق من زيارة القبور، فان ذلك لايستند إلى أي دليل معقول ولامقبول...

عدد قتلى المشركين:

ويقال: إنه قد قتل من المشركين في معركة أحد ثمانية عشر رجلا(٢) وقيل: إثنان أو ثلاثة وعشرون(٣) وقيل ثمانية وعشرون(٤)... وقيل اكثر من ذلك...لأن حمزة قد قتل وحده منهم واحداً وثلاثين رجلاً(٥)

أكثر القتلى من علي(ع):

١ً— ويروى البعض: أن أميرالمؤمنين عليه السلام قد قتل في أحد اثني عشر رجلاً(٦).

٢ً— ونعتقد أنه(ع) قد قتل أكثر من ذلك... لأنه قد قتل أصحاب اللواء بلاشك كما تقدم بيانه وهم تسعة أو احد عشر، كما أن المعتزلي يذكر: أنه صارت كتائب المشركين تحمل على النبي(ص)، وقدقتل من كتيبة بني كنانة: أبناء سفيان بن عويف الأربعة. وتمام العشرة منها، ممن لايعرف باسمائهم. وقال: إن ذلك قد رواه جماعة من المحدثين، ويوجد في بعض نسخ ابن اسحاق، وانه خبر صحيح... فراجع كلامه(٧).

---

(١)—راجع: شفاء السقام للسبكى، والغدير ج ٥ من ص ١٦٦ حتى ٢٠٨ و مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨، و وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٣ فمابعدها و ٩٣١—٩٣٣. و غيرذلك...

(٢)— مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢ عنه.

(٣)— سيرة مغلطاى ص ٥٠ و تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٧ و السيرة الحلبية، و غيرذلك.

(٤)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٥٤.

(٥)— السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٦ و ٢٥٥، والاصابة ج ١ ص ٣٥٤.

(٦)—شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٥٤.

(٧)— شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٥٠/ ٢٥١ و في ج ١٥ ص ٥٤: أن في بعض كتب المدائني: أن علياً قتل بني سفيان بن عويف... و روى له شعراً في ذلك، فراجع...

٣ـ وقال القوشجي: «وكان اكثر المقتولين منه(١)»... أي من أمير المؤمنين عليه السلام.

٤ـ وقال الشيخ المفيد رحمه الله تعالى... «وقد ذكر أهل السير قتلى أحد من المشركين، وكان جمهورهم قتلى أمير المؤمنين عليه السلام». ثم ذكر اسماء اثني عشر من الأبطال المعروفين، ممن قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام(٢).

٥ـ ولسوف يأتي: أن قريشاً قد عجلت بالمسير عن حمراء الأسد، حينما علمت أن علياً قادم عليها...

٦ـ ويقول الحجاج بن علاط في وصف قتله عليه السلام لكبش الكتيبة، طلحة بن أبي طلحة، وحملاته(ع) في أحد:

لله أي مذبب عن حزبه ... أعني ابن فاطمة المعم المخولا
جادت يداك له بعاجل طعنة ... تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسل فكشفتهم ... بالسفح إذيهوون أسفل أسفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم تكن ... لتردّه حران حتى ينهلا(٣).

أويس القرني في أحد:

ويقولون: إن أويس القرني قد حضر أحداً، وجرى عليه كل ماجرى على النبي(ص) من كسر رباعيته، وشج وجهه، ووطئ ظهره!! ويدل على أنه قد وطئ ظهر النبي(ص) قول عمر: فلقد وطئ ظهرك، وأدمي وجهك (٤).

ونحن لانصدق ذلك أصلاً، لأنهم يقولون: إن أويساً لم ير النبي(ص)

---

(١)- شرح التجريد للقوشجي ص ٤٨٦.
(٢)ـ الارشاد ص ٥٤ والبحار ج ٢٠ ص ٨٩/٨٨ عنه.
(٣)ـ الارشاد للمفيد ص ٥٤، والبحار ج ٢٠ ص ٩٠ عنه وهامش ص ٥٠ عن الامتاع للمقريزي.
(٤)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦/٢٥٥ والطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٢٧.

أصلاً؛ لأنه ـ كما يقولون ـ كان مشغولاً بخدمة أمه (١).

وروي عن النبي (ص) قوله: خير التابعين رجل يقال له: أويس بن عامر (٢).

وفي مسند أحمد: نادى في صفين رجل شامي: أفيكم أويس القرني؟ قالوا: نعم. قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: من خير التابعين أويس القرني (٣).

بل لقد كان الامام مالك ينكر وجود أويس القرني من الاساس (٤)... ولكنه كلام لا يصح، فقد تواتر: أنه شخصية حقيقية، وقد ذكر العلماء والمصنفون أخباره و فضائله... و لعل سبب انكار وجوده، هو حضوره مع علي (ع) في صفين، واستشهاده معه...

صفية... و اليهودي:

و يذكر البعض في غزوة أحد (٥) قضية قتل صفية لليهودي، و عدم جرأة حسان على قتله، ولا على سلبه...

ولكن الظاهر هو أن ذلك كان في غزوة الخندق، ولذا فنحن نرجئ الحديث عنه إلى هناك ...

بعض الحِكَم في معركة أحد:

قال السمهودي: «قال العلماء: وكان في قصة أحد من الحكم

---

(١)— الطبقات الكبرى للشعراني ج ١ ص ٢٧، والاصابة ج ١ ص ١١٥ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦.

(٢)— الاصابة ج ١ ص ١١٥ عن مسلم، ولسان الميزان ج ١ ص ٤٧٢، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٦ بعدة الفاظ...

(٣)— الاصابة ج ١ ص ١١٦ و لسان الميزان ج ١ ص ٤٧٥ و راجع ص ٤٧٤.

(٤)— الاصابة ج ١ ص ١١٥.

(٥)— مغازي الواقدي ج ١ ص ٢٨٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٦.

والفوائد أشياء عظيمة.

منها: تعريف المسلمين سوء عاقبة المعصية، وشؤم ارتكاب النهي، لماوقع من الرماة.

ومنها: أن عادة الرسل أن تبتلى وتكون لها العاقبة...

ومنها: اظهار أهل النفاق، حتى عرف المسلمون: أن لهم عدواً بين أظهرهم.

ومنها: تأخير النصر هضماً للنفس، وكسراً لشماختها(١).

ثم ذكر كلاماً يشتمّ منه رائحة الجبر، وهو مالانوافقه عليه، ولذلك أهملناه...

من مشاهد العودة إلى المدينة:

١ـ وعاد النبي(ص) والمسلمون إلى المدينة، واستقبلته أم سعد بن معاذ تعدو، فجاءت حتى نظرت في وجهه، وقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هانت علي كل مصيبة إن سلمت...

فعزّاها رسول الله(ص) بولدها عمرو.

وفي رواية: إنه لما بشرها النبي(ص) بما للقتلى في الجنة، قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكى عليهم بعد هذا؟!(٢).

٢ـ مرّ رسول الله(ص) بامرأة من الانصار، وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوهامع الرسول(ص) في أحد؛ فلما نعوهم إليها قالت: مافعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أم فلان، هو بحمدالله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى

---

(١)ـ وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٥، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٥.

(٢)ـ راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٤، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٥/٣١٦، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٤.

أنظر إليه. فأشير لها إليه، فلما رأته قالت: كل مصيبه بعدك جلل. يعني هينة.

وفي رواية: أنها استقبلوها بجنائز: ابنها واخيها، وابيها، وزوجها، أودلّت على مصارعهم؛ فلم تكترث. وسألت عن الرسول(ص) فدلّت عليه؛ فذهبت حتى أخذت بناحية ثوبه... ثم جعلت تقول: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لا أبالي اذا سلمت من عطب(١).

ونقول: وهكذا... نجد: أن هؤلاء النسوة قد بلغن من المعرفة والوعي: أن صرن يعتبرن وجود النبي(ص) هو كل شيء بالنسبة إليهن. وكل مصيبة بعد النبي(ص) هينة، ولايبالين إن سلم من عطب...

فالرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو مصدر الطمأنينة، وعنوان الحياة، والوجود لهن... وبدونه لاطعم للحياة، ولامعنى للبقاء...

كما وقد بلغ من يقينهن بما يخبر به الرسول(ص): أنهن صرن كأنّهنّ يرينه رأي العين، حتى لتقول أم سعد بن معاذ، حينما أخبرها بما للشهيد في الجنة: ومن يبكي عليهم بعد هذا؟!.

ولايمكن أن نرجع ذلك كله لشخصية النبي(ص)، وقوة تأثيرها... و إنما يرجع ذلك — ولاشك — الى فطرية تعاليم الاسلام ومبادئه، وانسيابها مع المشاعر والعواطف حتى لتمتزج بوجود الانسان وفي كيانه، وتسرى فيه كما يسرى الدم في العروق...

علي يناول فاطمة سيفه:

و يقولون: إنه(ص) قد ناول فاطمة سيفه، وقال: اغسلي عن هذا دمه يابنية، فوالله، لقد صدقني اليوم. فجاء علي فناولها سيفه، وقال مثل ذلك،

---

(١) — السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٣ و ٢٥١/ ٢٥٢ و ٢٥٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٤، و تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢١٠، والكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٣ والبحار ج ٢٠ ص ٩٨ عن اعلام الورى، و مجمع الزوائد ج ٦ ص ١١٥، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٣٥٦ عنه، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٤٧.

فقال(ص): لئن كنت صدقت القتال لقد صدق معك سهل بن حنيف وأبودجانة(١).

ولكن ذلك غير صحيح، وذلك :

١ً ـ لأن الذي قتل معظم المشركين، وقتل أصحاب الالوية وثبت في أحد، ونادى جبرئيل باسمه، وقتل ابناء سفيان بن عويف الاربعة إلى تمام العشرة، هوعلي، وليس أبادجانة، ولا سهل بن حنيف، ولا غيرهما...

٢ً ـ ثم إن هذه الرواية متناقضة النصوص؛ فعن ابن عقبة لما رأى رسول الله سيف علي مخضباً دماً قال: إن تكن أحسنت القتال، فقد أحسنه عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح، والحرث بن الصمة، وسهل بن حنيف(٢)... فأي الروايتين هوالصحيح.

٣ً ـ لقد ردّ ابن تيمية قولهم بأنه(ص) آعطى فاطمة سيفه، بأنه(ص) لم يقاتل في أحد بسيف(٣)...

والصحيح في القضية هو: ماذكره المفيد: من انه بعد أن ناول علي فاطمة سيفه، وقال لها: خذي هذا السيف؛ فلقد صدقني اليوم، وأنشد:

أفاطم هاك السيف غير ذميم ... فلست برعديد، ولابلئيم
لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد ... وطاعة رب بالعباد عليم
أميطي دماء القوم عنه فإنه ... سقى آل عبد الدار كأس حميم

قال(ص): «خذيه يا فاطمة؛ فقد أدّى بعلك ماعليه، وقد قتل الله

---

(١)ـ تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٤٤ عن ابن اسحاق، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٥، وراجع: الثقات لابن حبان ج ١ ص ٢٣٥ و وفاء الوفاء ج ١ ص ٢٩٣ عن الطبراني، ورجاله رجال الصحيح، ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وصححاه على شرط البخاري، و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٣٥.

(٢)ـ السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٥.

(٣)ـ نفس المصدر.

بسيفه صناديد قريش(١)».

نعم... إن هذه الرواية هي الانسب والاوفق بمساق الأحداث، وبأخلاق وسجايا النبي الاكرم(ص).

شماتة المنافقين وسرورهم بنتائج أحد:

ولما عاد النبي(ص) إلى المدينة، وبكى المسلمون قتلاهم سرّ بذلك المنافقون، واليهود، وأظهروا الشماتة، وصاروا يظهرون أقبح القول... ومنه: ما محمد، الا طالب ملك، وما أصيب بمثل هذا نبي قط، أصيب في بدنه، وأصيب في أصحابه... وعرف المسلمون عدوهم الذي في دارهم، وتحرزوا منه... وقالوا أيضاً.... لو كان من قتل عندنا ما قتل... وجعلوا يخذّلون عن رسول الله(ص)، وأصحابه، و يأمرونهم بالتفرق عنه...

واستأذنه عمر في قتل هؤلاء القائلين من المنافقين واليهود... فقال(ص): أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله؟ قال عمر: بلى، ولكن تعوّذوا من السيف، وقد بان أمرهم، وأبدى الله تعالى أضغانهم...

فقال(ص): نهيت عن قتل من أظهر ذلك. وأما اليهود؛ فلهم ذمة فلا أقتلهم(٢).

ونحن نشيرهنا إلى مايلي.

ألف ـ التمحيص:

إن المحن التي أصابت المسلمين في حرب أحد قد ميزت الخبيث من الطيب منهم، وامتاز أدعياء الايمان والمنافقون عن المؤمنين... كما وعرفت

---

(١)ـ الارشاد للشيخ المفيد ص ٥٤، والبحار ج ٢٠ ص ٨٨ عنه.

(٢)ـ راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٤، ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣١٧/٣١٨، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٣.

درجات المؤمنين أنفسهم، ومدى ثبات قدم كل منهم في الايمان... قال تعالى في مناسبة غزوة أحد:

«إن يمسسكم قرح؛ فقد مسّ القوم قرح مثله؛ وتلك الايام نداولها بين الناس، وليعلم الله الذين آمنوا، و يتخذ منكم شهداء، والله لايحب الظالمين(١)».

وأيضاً... فان في ذلك تعريف للمؤمنين أنفسهم بقدراتهم الايمانية، وملكاتهم النفسية...

فلابد إذن... أن يسعى المقصرون لجبر مافيهم من نقص،وتكميل يقينهم، وزيادة وعيهم الرسالي؛ قال تعالى في آيات نزلت بمناسبة أحد: «وليمحص الله الذين آمنوا، ويمحق الكافرين(٢)» و يقول: «قل: لوكنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم؛ وليبتلي الله مافي صدوركم، ويمحص مافي قلوبكم، والله عليم بذات الصدور(٣)».

وخلاصة الأمر: إن ماجرى في أحد قد عرّف المسلمين بحقيقة تركيبة مجتمعهم، وأن فيه المؤمن والمنافق، وعرّفهم أيضاً بطاقاتهم وقدراتهم، ودرجاتهم الإيمانية.

وهذا أمر مهم جداً بالنسبة لخططهم المستقبلية... ومهم أيضاً بالنسبة لتعاملهم على الصعيد الداخلي مع بعضهم البعض؛ لأن ذلك يجعلهم اكثر دقة، وأشد حيطة، حيث يحسبون لكل شيء حسابه، فلا يأتيهم مالايتوقعون، ولايواجهون المفاجآت المحيرة... الأمر الذي لابد وأن يؤثر في نتائج مواقفهم، وجعلها لصالحهم، بنحو أدق وأحكم...

باء: أجواء النفاق ودوافعه:

إن النفاق لايستدعي دائماً: أن يكون المنافق يرغب في هدم هذا

---

(١)- آل عمران ١٤٠. (٢)- آل عمران ١٤١. (٣)- آل عمران ١٥٤.

الدين الجديد، و يترصد الفرصة لذلك . بل ربما يكون ذلك خوفاً من هذه الدعوة حينما يكون لها قوة وطول.

أوطمعاً بنفع عاجل مادي أو معنوي.

أو عصبية وحمية لبلد، أو قبيلة...

أو طمعاً في أن تنجح الدعوة في التغلب على المصاعب التي تواجهها... و يكون لهذا الشخص المنافق شأن فيها...

أو التزاماً بتقليد اجتماعي، ذي طابع معين.
آو حفاظاً على مصالح لايمكن الحفاظ عليها مع مناهضة الدعوة...

الى غير ذلك مما لامجال له هنا...

و إذن... فيمكن ان يكون نفاق ابن أبي وكثير من أصحابه إنما كان من أجل الحصول على مافي الاسلام من مغانم... والابتعاد عمايواجهونه من متاعب ومغارم... وقد يكون نفاقهم هذا يتخذ اتجاهاً لاينسجم مع تسليط المشركين على المدينة، لأن ذلك ولاشك لسوف يلحق الضرر بأولئك المنافقين أنفسهم...ولسوف يلحق الضرر بالتزاماتهم القبلية والاجتماعية... وبمصالحهم بشكل عام... كما آن تسليط المشركين على بلدهم لاينسجم مع التقليد الاجتماعي القائم آنذاك ، ولامع غيرتهم وحميتهم، وعصبيتهم...

نعم... ربما تتغير هذه النظرة للمنافق، و يتجاوز كل هذه الموانع، إذا رأى: أن وجوده ومصالحه في خطر في المستقبل...وإذا رأى أنه لايمكنه الحفاظ على الحد الادنى من مصالحه إلا بالتعامل مع اعداء هذه الدعوة... فيندفع إلى القيام بأي عمل يحفظ له الحد الأدنى مما تطمح نفسه إليه، و يسعى من أجل الحصول عليه...

جيم: أسئلة حائرة... تنتظر الجواب:

ثم إننا نجد: أن عمر يستأذن النبي(ص) في قتل هؤلاء المنافقين؛ فلا

يأذن له النبي(ص) (وقد تقدم حين الكلام على وحشي وفي موضع آخر بعض مايرتبط بذلك).

ونجد مثل ذلك من عمر في خلال حياته مع النبي(ص) الشيء الكثير، وكأمثلة على ذلك نشير إلى:

١ً- قصته مع الحكم بن كيسان(١).

٢ً- قصته مع أبي سفيان(٢) حين فتح مكة.

٣ً- ومع عبدالله بن أبي(٣).

٤ً- ومع ذي الخويصرة(٤).

٥ً- ومع حاطب بن أبي بلتعة(٥).

٦ً- ومع ذي الثدية(٦) وقيل باتحاده مع ذي الخويصرة، وقيل: لا...

٧ً- ونجده يطلب في الحديبية أن يمكّنه النبي(ص) من نزع ثنيتي

---

(١)- حياة الصحابة ج ١ ص ٤١، عن طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٣٧.

(٢)- حياة الصحابة ج ١ ص ١٤٤ عن مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٦٧ عن الطبراني، ورجاله رجال الصحيح.

(٣)- المصنف لعبدالرزاق ج ٩ ص ٤٦٩، وحياة الصحابة ج ١ ص ٤٨٤ عن البخاري، ومسلم، وأحمد، والبيهقي، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٣٧٠ وعن تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٢ عن ابن أبي حاتم، وفي فتح الباري ج ٨ ص ٤٥٨: هو مرسل جيد.

(٤)- حياة الصحابة ج ٢ ص ٦٠١ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٣٦٢ عن الصحيحين ومناقب الخوارزمي ص ١٨٢.

(٥)- مجمع الزوائد ج ٨ ص ٣٠٣ عن أحمد، وأبي يعلى والبزار، وحياة الصحابة ج ٢ ص ٤٦٣/٤٦٤ عن البداية والنهاية ج ٤ ص ٢٨٤ عن أحمد، والبخاري والترمذي، وبقية الجماعة ماعدا ابن ماجة ومناقب الخوارزمي الحنفي ص ٧٤.

(٦)- المصنف لعبد الرزاق ج ١٠ ص ١٥٥ و مجمع الزوائد ج ٦ ص ٢٢٦ عن ابي يعلى.. وقد روي هذا الحديث من وجوه كما في مجمع الزوائد.

سهيل بن عمرو، حتى يدلع لسانه... وفي كل ذلك يمنعه النبي(ص)، ويردعه، ويخبره: بأنه لا يرغب في ذلك ...

وبالنسبة للحادثة الأخيرة مع سهيل بن عمرو، لا يسعنا إلا أن نشير إلى أنه كيف خفي على عمر خطورة تصرف كهذا؟!... وأن ذلك معناه نقض الصلح، واعطاء نظرة سيئة عن النبي(ص) والمسلمين، وفسح المجال للدعاية المغرضة ضدهم، وأنهم لا عهد لهم ولا ذمار... فحتى الرسل والمفاوضين يفعلون بهم ذلك... الأمر الذي يرفضه حتى العرف الجاهلي، فضلاً عن الخلق السامي النبيل...

كما أننا لا ندري — لو أنه فعل ذلك بسهيل بن عمرو — ماذا سوف يكون شعور ابنه عبدالله بن سهيل، الذي هرب من أبيه إلى النبي(ص) في بدر، وكان يكتم أباه اسلامه؟!... ثم ماذا سوف يكون شعور إبنه الآخر أبي جندل بن سهيل، الذي جاء يرسف في الحديد الى رسول الله(ص) في الحديبية؟!، اي في نفس الوقت الذي يريد فيه عمر: أن يفعل ما يفعل بأبيه سهيل — وقد كان سهيل يضرب أبا جندل بغصن شوك ... ولكنه مع ذلك قد ضن بهذا الأب أن يصيبه سوء، كما ذكره مصعب الزبيري(١).

نعم... إننا لا ندري لماذا يصرّ عمر على النبي(ص) في هذا الأمر، الذي كرر النبي(ص) له رأيه فيه مرات عديدة؟!... وأوضح له: انه لا يريد أن يتحدث الناس: أن محمداً يقتل أصحابه... بل لقد قال له في قصة ابن أبي: لو قتلته يوم قلت لي لأرعدت له أُنُفٌ لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته(٢)!

و إذا كان عمر يغار على مصلحة الاسلام — إلى هذا الحد، حتى إنه لينسى كلام النبي له في ذلك مرات عديدة، فلماذا فر في أحد قبل قليل، وترك الاسلام والنبي(ص) في معرض الاخطار الجسام، والأهوال العظام؟! ولماذا فر في خيبر وحنين إلخ؟!...

---

(١)— نسب قريش لمصعب ص ٣١٩/ ٣٢٠.

(٢)— البداية والنهاية ج ٤ ص ١٥٨.

ولماذا لم يطع النبي(ص) حينما أمره بأن يقتل ذا الثدية(١)؟!... ولعل هذا هو سر قول النبي(ص) له في قصة ابن أبي: أو قاتله انت إن امرتك بقتله؟ مما يوحي بانه(ص) كان يشك في صحة عزمه على هذا الأمر كثيراً وقد أثبت الواقع صحة شكه هذا...

ولماذا كان يسند هذه المهمة إلى غير عمر... إلا في قصة ذي الثدية، وكانت النتيجة فيها كما هو معلوم؟!...

ولماذا لانجد غير عمر من سائر الصحابة يهتم بهذا الأمر بالخصوص؟!...

أسئلة تبقى حائرة، تنتظر الجواب المقنع والمفيد...

---

(١)ـ راجع القضية في الاصابة ج ١ ص ٤٨٤/٤٨٥ وقال: إن لقصة ذي الثدية طرقاً كثيرة صحيحة.

الفصل الخامس:

غزوة حمراء الاسد...

و

إلى السنة الرابعة...

قريش تفكر في المدينة، ثم تعدل عنها:

ولقد كان من الطبيعي: أن يفكر المشركون في المدينة، ونهبها، وسلب نسائها... بعد انتهائهم من معركة أحد...

وكان من الطبيعي أيضاً: أن يحسبوا: أن في المدينة خلقاً كثيراً من الأوس والخزرج لم يحضروا الحرب، وهم مسلمون...

وحتى اليهود، والمنافقون: ابن أبي وأصحابه، فان لهم في المدينة أهلاً ونساءاً وعيالاً، وأطفالاً.... كما أن لهم بعيال، وأطفال ونساء، وحتى رجال المسلمين علاقات نسبية، ومصالح مشتركة، لايمكن التخلي عنها، أو تجاهلها بسهولة.

و إذن... فقد كان من الطبيعي أن يجد المشركون مقاومة شديدة في داخل المدينة...

وأما في خارجها... فهم يعلمون: أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأصحابه من ورائهم... فانهم و إن تحملوا خسائر كبيرة: سبعين قتيلا، وسبعين جريحاً... إلا أن من بقي منهم، وهم اكثر من خمس مئة مقاتل، إذا كانت القضية قضية شرف وعرض ومال، ومستقبل؛ — فضلاً عن كونها قضية دين — فلسوف — يستميتون في الدفاع عنها... ولم تنس قريش بعد: أنها قد هزمت في ابتداء المعركة، وطاربها الرعب في آخرها... من هؤلاء

بالذات، مع أنها تزيدهم عدداً أضعافاً كثيرة... كما أنه لامجال لمقايسة ماكان عندهم من السلاح والعدة بما كانت تملكه هي من عدة وسلاح...

ولم تنس بعد أيضاً: أنها لم تتغلب عليهم إلا بسبب تكتيك حربي، يعتمد على عنصر المفاجأة، استطاعت أن تستفيد منه حينما خالف الرماة صريح أوامر قائدهم... مع اشتغال الباقين في الغنائم، الأمر الذي جعلهم آمنين مطمئنين إلى أنه لاعدو بعد بواجههم.

هذا كله... عداعن أن قريشاً قد كلّت في هذه الحرب، وتعبت، وأصبحت قدراتها الآن أقل بكثير مما كانت عليه في بداية الحرب؛ حيث واجهت الهزيمة انئذٍ أيضاً...

كما أنها ترغب في الاحتفاظ بهذا الانتصار الشكلي، ولا تريد أن تخاطر به، وتعرضه لاحتمالات الانتكاس والفشل الفاضح... لأن هذا الانتصار الشكلي يتيح لها: أن تبذل محاولات جديدة في تضعيف تأثير مواقف المسلمين الشجاعة السابقة على القبائل في المنطقة، وبالذات على مشركي مكة أنفسهم.

وأخيراً... فلم لا تفكر في أن تتبع الخطة التي اتبعها المسلمون في بدر، حيث لم يتبعوا المشركين حينما هزموهم... فلعل ذلك كان لأهداف بعيدة، وحكم غابت عنها... أدركها الآخرون ولم تستطع هي أن تدركها...

غزوة حمراء الاسد:

وفي اليوم الثاني خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر من الوحي، كما في الرواية... إلى حمراء الأسد— موضع على ثمانية أو عشرة أميال من المدينة—، حيث ندب أصحابه، قائلاً: «ألاعصابة تشد لأمرالله، تطلب عدوها؟ فانها انكأ للعدو، وأبعد للسمع(١)». فاشتد ذلك على المسلمين؛

---

(١)— مجمع البيان ج ٢ ص ٥٣٩، والبحار ج ٢٠ ص ٣٩.

فأنزل الله: «ولاتهنوا ولاتحزنوا وانتم الاعلون(١)»

فخرج(ص) في ستين راكباً(٢). أو سبعين(٣).

وهذا يؤيد ماورواه القمي: من أن جبرئيل عليه السلام نزل على النبي(ص)، فقال: يا محمد، إن الله يأمرك أن تخرج في أثر القوم، ولايخرج معك إلا من به جراحة؛ فأمر(ص) مناديه أن ينادي بذلك(٤).

ووجه التأييد: أن المجروحين من المسلمين كانوا بهذا المقدار تقريباً، كما صرحت به بعض النصوص كما تقدم.

ويدل عليه أيضاً: أن عائشة قالت لعروةبن الزبير: كان أبوك الزبير، وأبوبكر لما أصاب نبي الله ما أصاب، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا؛ فقال: من يرجع في أثرهم؟ فانتدب منهم سبعون رجلاً(٥)...

ويؤيد— أن هؤلاء السبعين هم المجروحون—: قوله تعالى في هذه المناسبة: الذين استجابوالله والرسول من بعدما أصابهم القرح(٦).

وإذا كان الذين خرجواهم المجروحون فقط، فلامعنى لذكر ابي بكر وعمر وغيرهم ممن لم يكن به جراح في الخارجين إلى حمراء الاسد...

وعلى كل حال... فقد خرج رسول الله (ص) بالمجروحين من أصحابه، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم، وكان حامل لوائه علي عليه السلام... وكانت قريش في الروحاء— على بعد خمس وثلاثين أو اثنين

---

(١)— راجع: مجمع البيان ج ٢ ص ٥٠٩، والبحارج ٢٠ ص ٢٢.

(٢)— البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٠٥.

(٣)— مجمع البيان ج ٢ ص ٥٣٩.

(٤)— تفسير القمي ج ١ ص ١٢٥ والبحارج ٢٠ ص ٦٤ عنه.

(٥)— البداية والنهاية ج ٤ ص ٥٠ و ٥١، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٥٧، والدر المنثورج ٢ ص ١٠٢ عن سعيدبن منصور، وابن أبي شيبة، وأحمد، والبخاري، ومسلم، وابن ماجة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في الدلائل...

(٦)— آل عمران ١٧٢.

أوثلاث وأربعين ميلاً من المدينة— وهناك تلاوموا فيما بينهم، وقالوا: لامحمداً قتلتم، ولا الكواعب اردفتم. قتلتموهم حتى إذالم يبق إلا الشريد تركتموهم، إرجعوا فاستأصلوهم قبل ان يجدوا شوكة، فقال صفوان بن أمية:

لاتفعلوا، فان القوم قد حربوا، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غيرالذي كان... أوقال لهم: إن محمداً وأصحابه الآن في حنق شديد مما أصابهم فوالله ما امنت إن رجعتم أن يجتمع جميع من كان قد تخلف عن أحد من الاوس والخزرج، و يطؤوكم و يغلبوا عليكم، والآن لكم الغلبة إلخ... فبلغ ذلك النبي(ص) فأراد أن يريهم من نفسه وأصحابه قوة وأن يرعبهم— ولا أدري من أين بلغه ذلك ومتى وصل إليه الخبر في خلال ليلة واحدة... عن بعد اكثر من أربعين ميلاً، فالصحيح هو أن الوحي أمره بالمسير إليهم— كما نصت عليه رواية القمي.

وقدم(ص) ثلاثة نفرمن اسلم، فلحق اثنان منهم القوم بحمراء الاسد وهم يأتمرون بالرجوع، فبصروا بهما، فرجعوا إليهما فقتلوهما...

ومضى(ص) حتى نزل حمراء الاسد فدفن الرجلين، وأقام هناك ثلاثة أيام. وأوقد المسلمون ناراً عظيمة— خمسمأة نار— فذهب صيت عسكرهم ونارهم إلى كل جانب، فكبت عدوهم بذلك.

ومر معبد الخزاعي— وهو مشرك —بعسكر المسلمين وهو في طريقه الى مكة— وكانت خزاعة عيبة نصح لرسول الله مسلمهم وكافرهم— فأظهر تألمه مما أصاب المسلمين في أحد... فلما بلغ أباسفيان وأصحابه أخبرهم: أن محمداً يطلبهم في جمع لم ير مثله، وأن هذا علي بن أبي طالب. قد اقبل على مقدمته في الناس(١) وقد اجتمع معه من كان تخلف عنه، وقد ندموا على ماصنعوا، وأنهم يتحرقون عليهم. وأن نواصي الخيل قد تدركهم قبل أن يرتحلوا...

---

(١)— البحارج ٢٠ ص ٩٩ عن اعلام الورى...

فدب الرعب في قلوب المشركين، واسرعوا بالرحيل، والتقوا بركب من بني عبدالقيس قاصداً المدينة، فوعدهم أبوسفيان أن يعطيهم مايرضيهم إذاهم أبلغوا رسول الله أن قريشاً آتية لحربه... وأرسل معبد يخبر رسول الله بحقيقة الأمر...

وبعد اقامة النبي(ص) ثلاثة أيام عاد الى المدينة.

اسيران يقعان في ايدى المسلمين:

وأخذ النبي(ص) في طريقه ذاك رجلين من قريش، هما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وأبو عزة الجمحي...

فأما أبوعزة فقد كان أسر في بدر، ثم منّ عليه(ص) لبناته الخمس، وأخذ عليه العهد ان لايعود الى حرب المسلمين، وأن لايظاهر عليه أحداً... فنقض العهد، وألب القبائل، وشارك في معركة أحد... فلما عادت قريش، ونزلت في حمراء الاسد، ثم ساروا وتركوه نائماً أدركه المسلمون هناك وأخذوه الى النبي(ص)، فطلب الاقالة، فرفض(ص) ذلك حتى لايمسح عارضيه بمكة ويقول سخرت من محمد مرتين. ثم أمر(ص) علياً— وقيل غيره— أن يضرب عنقه، ففعل.

ولكن ابن جعدبة قال: ما أسر يوم أحد هو ولاغيره. ولقد كان المسلمون في شغل من الاسر. ولم ينكر قتله.

وقال ابن سلام: «قد قيل: ان النبي لم يقتل أحداً صبراً إلا عقبة بن أبي معيط يوم بدر(١)».

ولكن المشهور هو خلاف ذلك، فهو المعتمد حتى يثبت خلافه. هذا...

وبعضهم يقول: إن أباعزة قد أسر يوم أحد...

والظاهر أن مقصوده هو نفس ماذكرناه، لأن حمراء الاسد من تتمة

---

(١)— طبقات الشعراء لابن سلام ص ٦٤/٦٥.

معركة أحد... فلا مجال لاشكال المعتزلي بأن حال المسلمين في أحد لم يكن يساعد على أسر أحد(١).

وأما معاوية بن المغيرة بن أبي العاص... فإنه انهزم في أحد، ودخل المدينة، فأتى فنزل عثمان بن عفان ـ ابن عمه. فقال عثمان له: اهلكتني واهلكت نفسك. ثم خبأه في بيته وذهب الى النبي(ص) ليأخذ له أماناً، وكان(ص) قد علم به من طريق الوحي، فأرسل علياً ليأتي به من دار عثمان، فأشارت أم كلثوم زوجة عثمان إلى الموضع الذي صيره عثمان فيه، فاستخرجوه من تحت حمّارة لهم، وانطلقوا به إلى رسول الله، فشفع فيه عثمان، فقبل منه(ص): وأجله ثلاثاً، واقسم إن وجده بعدها في أرض المدينة وماحولها ليقتلنه، فجهزه عثمان، واشترى له بعيراً...

وسار(ص) إلى حمراء الاسد، وأقام معاوية إلى اليوم الثالث ليعرف أخبار النبي(ص) ويأتي بها قريشاً، فلما كان في اليوم الرابع أخبرهم(ص) أن معاوية بات قريباً، وأرسل زيداً وعماراً فقتلاه... والصحيح علياً وعماراً، كما في رواية الكافي... وقال البلاذري عن ابن الكلبي: «ويقال: إن علياً عليه السلام هوالذي قتل معاوية بن المغيرة(٢)».

ويذكر هنا: أن عثمان قد انتقم من أم كلثوم، لدلالتها على ابن عمه... بل يقال: إن مافعله كان سبباً في موتها في اليوم الرابع، وبات ملتحفاً بجاريتها(٣)، وقد تقدم الكلام في ذلك حين الكلام على زواج عثمان بأم كلثوم قبل غزوة أحد فلانعيد...

---

(١)ـ شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٦.

(٢)ـ مغازي الواقدي ج ١ ص ٣٣٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٦/٤٧ عن البلاذري والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٦١ وليراجع الكامل لابن الاثير ج ٢ ص ١٦٥ ط صادر، وقاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٧/٤٠٨، والبحار ج ٢٠ ص ١٤٥ عن الكامل والمعتزلي، وأشار إلى ذلك ابن هشام وتاريخ الخميس والسيرة النبوية لابن كثير، والبداية والنهاية ج ٤ ص ٥١، وغير ذلك.

(٣)ـ الكافي ج ٣ ص ٢٥١/٢٥٣.

دوافع حمراء الأسد ونتائجها:

لقد اتضح مماتقدم بعض دوافع غزوة حمراء الاسد، ونتائجها وللتذكير في ذلك نعود فنقول:

لقد عرف الرسول الأعظم: أن نتائج حرب أحد، لولاخروجه إلى حمراء الاسد سوف تكون:

١ً— أن تستعيد قريش ثقتها بنفسها، ويزيد ذلك من اصرارها على حرب المسلمين، وتصلبها في موقفها تجاههم...

٢ً— إنها سوف تستغل ذلك إعلامياً، بحيث تضعف من مكانة محمد في نفوس القبائل، ويزيدون جرأة على مناجزته ومقاومته... ويسهل عليهم الاستجابة للدعوة لحربه...

٣ً— إن سلطان النبي(ص) في المدينة سوف يكون في معرض التزلزل والضعف، بعد أن كان قد استقر، وأدخل الرعب في نفوس كل مناوئيه في داخلها، سواء من المنافقين أو اليهود... وقد دل على ذلك شماتة المنافقين، واليهود، وإظهارهم السرور بما جرى...

٤ً— سوف يوجب ذلك تزلزل إيمان ذوي النفوس الضعيفة، أو اولئك الذين لمّا يدخل الايمان في قلوبهم، ويجعلهم عرضة لاصطياد الآخرين لهم...

٥ً— توقف من كان مهيئاً نفسياً للدخول في الدين الجديد عن الدخول فيه حتى تتضح له الأمور، وينجلي الموقف... ولاسيما إذا كان إسلامه صورياً من أجل ضمان مصالحه، أو للحصول على مكاسب من نوع ما، حيث لايبقى ثمة ضمانات للحصول على ذلك ... إن لم يكن أصبح يخشى العكس...

وعلى ضوء ماتقدم:

وجاءت حمراء الاسد— التي ربما تبدوللوهلة الأولى غير معقولة—

فغيّرت الكثير من النتائج المتقدمة، وحولتها لصالح المسلمين، لأن خروج هؤلاء الجرحى في أثر قريش، وهم لايزيدون على سبعين على مايظهر... إن خروجهم هذا في حين أنه لم يكن في هذه الغزوة طمع في مال ولافي غنائم، قد اوضح لكل أحد: أن هؤلاء مستميتون في الدفاع عن دينهم وعقيدتهم... وأن جراحهم تلك لم تحل دون إقدامهم على ملاحقة عدوهم... فهم يطلبون الموت و يسعون إليه... و إذن فان الوقوف في وجه هؤلاء إنما يعني الوقوف أمام خيارين: إما موت هؤلاء، ولايموتون إلا بعد أن يموت معهم كل من يقدرون عليه، و إما موت عدوهم...

و إذا كان جرحاهم على استعداد لمثل هذا، فما حال غيرهم ممن وراءهم، ممن سوف لن يسكتوا عن امدادهم ومساعدتهم... و إذن فخروج الجرحى كان هو الاصوب، لأن رهبة العدو تكون أعظم، وخوفه يكون أشد، لأنه يعلم أن وراءهم من لايحب الحياة اكثر منهم...

ولسوف يدرك عدوهم: أن ماجرى في أحد ليس إلا نتيجة نزوة عارضة المّت، و يصعب تكررها منهم بعدالذي أصابهم بسببها...

وتصير حجة من يريد التشكيك بقدرتهم الطبيعية على المواجهة— من المنافقين أو اليهود— ضعيفة وواهية، يصعب تقبلها... و إذن... فمواجهة المسلمين وهم في قدرتهم الطبيعية، وحين لايكون ثمة حالة استثنائية— كما جرى في أحد— سوف يكون عملاً انتحارياً، لامبرر له، ولامنطق يساعده.

ولاسيما بعد أن تعلم المسلمون هذا الدرس الصعب الذي كلفهم غالياً، فإن احتمال حدوث حالة استثنائية بعده يكاد يلحق بالممتنعات...

ولذلك... فقد أوقدوا خمسمأة نار، فكبت الله بذلك عدوهم، وارجع كل القبائل المحيطة المدينة إلى صوابها، وأفهمها: أن عليها أن لاتغتر بما جرى في أحد...

كما أن عليها: أن تعرف: أنه لوكان ماجرى في أحد طبيعياً لما آثرت قريش الفرار من وجه سبعين من الجرحى... وهي التي ينبغي أن تكون أشد

طغياناً وتجبراً، وأكثر اقداماً على المسلمين من ذي قبل... وكان ينبغي — لوكان يمكنها — أن تغتنمها فرصة للقضاء على هذه القلة القليلة، المنهكة، المتعبة، المثخنة بالجراح...

و إذن... ففي حمراء الاسد أيضاً هزيمة نفسية واعلامية لقريش... كما أن في ذلك إعطاء الفرصة لسائر القبائل لتقييم معركة أحد تقييماً صحيحاً وسليماً بعيداً عن الغرور والتضليل... وأيضاً.. إبطال لكيد المنافقين واليهود، وتأييد لسلطان المسلمين في المدينة، وربط على قلوبهم، ورفع لمعنوياتهم...

وهذا معنى قوله(ص): «فانها انكاء للعدو، وابعد للسمع».

و يلاحظ أخيراً: أن معبداً الخزاعي قد ذكر لقريش: أن علياً قد يدركهم قبل أن يرتحلوا مما دعاهم إلى التعجيل بالرحيل، قبل أن يدركهم أسدالله الغالب الامام علي بن ابي طالب.

قتل الأسيرين:

وقصة قتل الاسيرين، وملاحظة موقفه صلى الله عليه وآله وسلم منهما تعطينا: أنه(ص) كان يعامل كل أحد بالدرجة الأولى على أنه إنسان. ثم يقاوم فيه شركه وانحرافه. بالأساليب الانسانية بالدرجة الأولى أيضاً...

اي أنه يعتبره يحوي سائر الخصائص الانسانية؛ فيتعامل معه على أساس الصدق، والوفاء، والامانة وغير ذلك من خصائص انسانية... وذلك من أجل تشجيع هذه الخصائص، واعطائها الفرصة للنمو والتكامل... على أمل أن يكون ذلك موجباً لتسهيل مهمته التبليغية والاقناعية في المستقبل... ومن ثم لتلافي الكثير من المشكلات التي لامبرر لها، وانما تخلقها النزوات غير الانسانية، في طريق الدعوة إلى الله تعالى، والاقناع بالحق والخير...

ولكنه حين يثبت له: أن الطرف الآخر، لاينطلق في مواقفه من خصائص انسانية، وانما من نزوات غير انسانية، ومن شيطنة، ومكر... فانه(ص) حينئذٍ يقف منه الموقف الحازم الذي لابد منه... وهو يحسن إليه و

إلى مجتمعه حينما يقضي على تلك الروح البهيمية، والنزوات الشيطانية فيه... لأن الله قد خلقه ليكون إنساناً، لاليكون حيواناً، يحمّل انسانيته كل مشقات ومتاعب النزوات الحيوانية تلك...

كما أنه يكون قد أحسن لبناته اللواتي لن يكون في صالحهن: أن يكون المشرف على قضايا هن وشؤونهن مخلوقاً لايحمل — أوفقل —: لااثرفي حياته للخصائص والمزايا الأولية للانسان.

وعليه... فاذا قبل النبي(ص) أن يمنّ على ابي عزة الجمحي في بدر من أجل بناته، ثم رفض ذلك هنا... فانه لايكون بين كلا موقفيه أي تناقض أو اختلاف... بل هو مصيب في الحالتين... وهو قد أحسن لبناته أول مرة، وكان إحسانه لهن في هذه المرة أعم وأعظم...

هذا كله عداعن أنه يكون قد اعطى المثل الاعلى للمؤمن الواعى واليقظ، الذي لايخدع ولايستغل فانه: لايلدغ المؤمن من جحر مرتين... (راجع ماتقدم بعد بدر عن خصائص الشيعة).

وفاة أم كلثوم... وملابساتها:

و يقولون: إن أم كلثوم بنت النبي(١) قد توفيت في سنة تسع... ولكن مايذكر في سبب وفاتها يؤكد: أنها قد توفيت في سنة ثلاث.

فقد جاء في نوادر جنائز الكافي خبر طو يل، ملخصه: أن عثمان قد آوى الذي جدع أنف حمزة، وخبأه في مكان من داره. وأمر أم كلثوم: أن لاتخبر أباها؛ فقالت: ماكنت لاكتم النبي(ص) عدوه...

وخرج عثمان إلى النبي(ص)، وعرف النبي(ص) ذلك بواسطة الوحي؛ فأرسل علياً عليه السلام ليأتي به؛ فلم يجده؛ فجاء عثمان فأخذه، وطلب الامان له بالحاح فقال له(ص): إن قدرت عليه بعد ثالثة قتلته؛ فأخذه

---

(١) — أو ربيبته.

عثمان، فجهزه وانطلق...

وبعد ثلاث أرسل النبي (ص) علياً وعماراً، وثالثاً؛ ليقتلاه؛ لأنه بات قريب المدينة؛ فأتاه علي(ع) فقتله... فضرب عثمان بنت النبي(ص)، وقال: أنت أخبرت أباك بمكانه، فبعثت الى النبي(ص) ثلاث مرات تشكو مالقيت. والنبي(ص) لايستجيب... وفي الرابعة أرسل علياً ليأتي بها؛ فان حال بينه وبينها أحد؛ فليحطمه بالسيف، وأقبل النبي(ص) كالوا له إلى دار عثمان، فأخرجها علي؛ فلما نظرت إلى النبي(ص) رفعت صوتها بالبكاء، وبكى النبي(ص)، وأخذها إلى منزله، وأرتهم مابظهرها... وبات عثمان ملتحفاً بجاريتها، وماتت في اليوم الرابع...

فأمر(ص) فاطمة؛ فخرجت، ونساء المؤمنين معها، وخرج عثمان يشيع جنازتها... فلما نظر إليه(ص)، قال ثلاث مرات: من أطاف البارحة بأهله، أو بفتاته فلايتبعن جنازتها، فلم ينصرف. فلما كان في الرابعة، قال: لينصرفن، أولأسمين باسمه... فاقبل عثمان متوكئاً على مولى له، فقال: إني أشتكي بطني. قال: انصرف إلخ(١).

ونفس هذه القضية ذكرها الواقدي، والبلاذري، وغيرهما، إلى أن انتهى الى أنهم أصابوه قد أخطأ الطريق، فقتله عمار وزيد— وذكروا: أنهم لما جاؤا ليأخذوه من منزل عثمان أشارت أم كلثوم إلى الموضع الذي صيره عثمان فيه؛ فاستخرجوه(٢).

ولكنهم لايذكرون القسم الأخير من القضية، لأسباب لاتخفى...

وجزم البلاذري بأن علياً عليه السلام هوالذي قتله(٣).

---

(١)— راجع: الكافي ج ٣ ص ٢٥١—٢٥٣ و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٨—٤٠٩ عنه.

(٢)— راجع: قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٧—٤٠٨ ومغازي الواقدي ج ١ ص ٣٣٣، وشرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٦—٤٧ عن البلاذري، وليراجع: الكامل لابن الأثيرج ٢ ص ١٦٥ ط صادر.

(٣)— أنساب الأشراف ج ٥ ص ١٦٤ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ٤٧ و ١٩٩ عن الجاحظ، و ٢٣٩.

ولعل عائشة تشير إلى هذه القضية بقولها لعثمان: «ولكن قد كان منك فيها ماقد علمت» حسبما تقدم...

و إليها أيضا يشير ماورد في دعاء شهر رمضان: «اللهم صل على أم كلثوم بنت نبيك، والعن من آذى نبيك فيها(١)».

و بعد ماتقدم... فان كل الاصابع لابد وأن تمتد لتشير إلى عثمان... حينما نقرأ رواية عبدالرزاق التي تقول: إن بعض بناته(ص) جاءت تشكو زوجها؛ فأمرها(ص) بالرجوع(٢)... لأن علياً عليه السلام— حسبما تقدم حين الكلام على تكنيته بأبي تراب— قد أقسم على أنه لم يغضب فاطمة الزهراء ولا اكرهها على أمر حتى قبضها الله تعالى. وهي أيضاً كذلك...

وهكذا... فان كل القرائن تشير إلى صحة رواية جنائز الكافي... وتقوى من مضمونها، الأمر الذي يجعلنا نطمئن إلى أنها رضوان الله تعالى عليها قد توفيت بعد واقعة أحد، و بالذات في قضية الذي جدع أنف حمزة سيد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه... وأنها لم تقم مع عثمان إلا قليلاً...

ولانستبعد صحة مانقله في قرب الاسناد عن الصادق(ع): من أن عثمان لم يدخل بأم كلثوم(٣)، و يكون ذلك قرينة على أنها لم تعش معه مدة طويلة، و يقرب أنها ماتت بعد أحد حسبما تقدم...

وأما أن أسماء بنت عميس قد غسلتها، وهي قد عادت من الحبشة عام خيبر. أي في سنة سبع... فلعله اشتباه من الراوي. و يكون المراد أسماء بنت يزيد الأنصارية. لكن الراوي قد زاد كلمة بنت عميس من عند نفسه جرياً

---

(١)— رجال المامقاني ج ٣ ص ٧٤، و قاموس الرجال ج ٦ ص ٤٠٦—٤٠٧ وقال: «أقول: أما الدعاء، فذكره الشيخان في المقنعة، والتهذيب، عقيب تسبيح شهر رمضان، ونسبه الأول إلى مجيء الآثار به، لكن ليس في نسخته الفقرة، نعم هي في الثاني».

(٢)— المصنف للحافظ عبدالرزاق ج ١١ ص ٣٠٠، و هامش ص ٣٠١ عن سعيد بن منصور.

(٣)— رجال المامقاني ج ٣ ص ٧٤/٧٣، و قاموس الرجال ج ١٠ ص ٤٠٦ ٤٠٧ عن قرب الاسناد والخصال.

على ما استقر في نفسه، بسبب شهرة بنت عميس، وقد تقدم نظير ذلك في ولادة الامام الحسن عليه السلام قبل وقعة أحد، فليراجعه من أراد .

بدء احداث السنة الرابعة من الهجرة...

كلمة أخيرة:

بسمه تعالى... وله الحمد... والصلاة على محمد وآله الطاهرين.

وبعد:

فقد كنت أحسب: أن كتابة ودراسة سيرة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم... لاتختلف عن كتابة ودراسة أي موضوع آخر... وإذابي أفاجأ بأن ذلك إن لم يكن أشق، فهو من أشق وأصعب الأمور. وهو يحتاج إلى جهدٍ ومتابعة، رأيت أنني لا أستطيع أن أوفر هماله في ظروفي الحالية على الأقل...

وليس أدل على ذلك من أنني قد كتبت فيه حتى انتهيت إلى أول السنة الرابعة للهجرة في حوالي خمسمأة صفحة أولاً ... وحينما طلب مني— باصرار— أن أقدم ماكتبته للطبع... أحببت أن انقله إلى المبيضة، وأعيد النظر فيه...

وإذ ابي أزيد في مطالبه وموضوعاته ماجعله يصل إلى هذه الاربعة أجزاء التي أضعها بين يدي قارئي الكريم.

فكان ذلك في الحقيقة مسودّة أخرى، لم تتح لي الفرصة حتى لقراءتها— وحتى لاصلاح اخطائها اللغوية، ونحوها مما يغفل عنه الكاتب،

وهو مستغرق في معاني مايكتب، غافلاً عن الفاظه، التي ربما يُسقِط، أو يزيد، أو يَشتبه فيها...

وقد انتهيت من تسويد هذه الاجزاء الاربعة، وتنظيمها في هذا اليوم، يوم مبعث الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم... وأنا أشعر أنني غير قادر— ولو مرحلياً— على الاتمام، بحكم ظروفي وقدراتي الفعلية...

و إنني إذ آمل أن يقيض الله من يوفّق لاتمام هذا الموضوع، و يتحمل مشاقّه... فانني أودّع القارئ الكريم على أمل أن التقي به من جديد في موضوعات أخرى، وعلى صفحات كتاب آخر... فـ:

إلى اللقاء...

٢٧/رجب ١٤٠١ هـ.
جعفر مرتضى العاملي

الفهارس

١ــ مصادر ومراجع الكتاب
٢ــ محتويات الكتاب اجمالاً
٣ــ محتويات الكتاب بالتفصيل

المصادر والمراجع

نذكرهنا جانباً كبيراً من خصوص المراجع والمصادر التي نقلنا عنها مباشرة أما المصادر التي نقلنا عنها بالواسطة— وهي كثيرة— فهي مبينة في هوامش الكتاب.

١— القرآن الكريم

ألف

٢ آثار البلاد وأخبار العباد — للقزو ينى
٣ آثار الجاحظ — للجاحظ
٤ الآحاد والمثاني — لابن حبان (مخطوط)
٥ ابن حنبل — لابي زهرة
٦ أبوطالب مؤمن قر يش — للخنيزي
٧ الا تقان — للسيوطي
٨ اثبات الوصية — للمسعودى
٩ أجوبة مسائل موسى جارالله — للامام شرف الدين

١٠	الاحتجاج	للطبرسي
١١	أحسن التقاسيم	للمقدسي
١٢	احقاق الحق (الملحقات)	للمرعشى
١٣	احكام القرآن	للجصاص
١٤	احياء العلوم	للغزالي
١٥	الاخبار الدخيلة	للتستري
١٦	اختلاف الحديث	للشافعي
١٧	الاخلاق الطبية في الاسلام	للمؤلف
١٨	الاذكياء	لابن الجوزي
١٩	الارشاد	للشيخ المفيد
٢٠	إرشاد الساري	للقسطلاني
٢١	أسباب النزول	للواحدي
٢٢	الاستغاثة	لابي القاسم الكوفي
٢٣	الاستيعاب	لأبي عمر
٢٤	أسدالغابة	لابن الأثير
٢٥	الاسرائيليات في التفسير والحديث	لرمزي نعناعة
٢٦	الاسرار المرفوعة	لملا علي القاري
٢٧	اسعاف الراغبين	للصبان
٢٨	الاسلام	لهيوم
٢٩	الاسلام واسس التشريع	للسيد عبدالمحسن فضل الله
٣٠	الاصابة	للعسقلاني
٣١	الاصل	للشيباني
٣٢	الاصنام	للكلبي
٣٣	أضواء على السنة المحمدية	لأبي رية
٣٤	الاعتقادات	للصدوق

٣٥	الاعلاق النفيسة	لابن رسته
٣٦	اعلام الورى	للطبرسي
٣٧	الاعلان بالتوبيخ	للسخاوي
٣٨	أعيان الشيعة	للسيد الأمين
٣٩	الأغاني	لأبي الفرج
٤٠	الافصاح	للشيخ المفيد
٤١	أقرب الموارد	للشرتوني
٤٢	الاكتفاء	للكلاعي
٤٣	الزام الناصب	للحائري
٤٤	الافحام	للنو يري الاسكندراني
٤٥	الأم	للشافعي
٤٦	الأمالى	للصدوق
٤٧	الامالي	للطوسي
٤٨	الامالى	للمرتضى
٤٩	الامام الصادق والمذاهب الاربعة	لأسد حيدر
٥٠	الامام علي	لمحمد رضا
٥١	الامام علي سيرة وتار يخ	لآل ياسين
٥٢	الامامة والسياسة	لابن قتيبة
٥٣	الأموال	لأبي عبيد
٥٤	الانتصار	للسيد المرتضى
٥٥	الانجيل	
٥٦	الانس الجليل	لمجيرالدين الحنبلي
٥٧	الأنساب	للسمعاني
٥٨	انساب الاشراف	للبلاذرى
٥٩	أنيس الأعلام	لمحمد صادق فخرالاسلام

٦٠ الاوائل	للعسكري
٦١ أوائل المقالات	للشيخ المفيد
٦٢ الايضاح	لابن شاذان

ب

٦٣ بانوي كربلاء (فارسي)	للصدر
٦٤ البحار	للمجلسي
٦٥ البحر الرائق	لابن نجيم
٦٦ البحر الزخار	لابن المرتضى
٦٧ بحوث مع أهل السنة والسلفية	للروحاني
٦٨ البدء والتاريخ	للمقدسي
٦٩ بداية المجتهد	لابن رشد
٧٠ البداية والنهاية	لابن كثير
٧١ البرصان والعرجان	للجاحظ
٧٢ البرهان في تفسير القرآن	للبحراني
٧٣ بلاغات النساء	لطيفور
٧٤ بهج الصباغة	للتستري
٧٥ بهجة المحافل	للعامري
٧٦ البيان	للخوئي
٧٧ البيان والتبيين	للجاحظ

ت

٧٨ التاج الجامع للاصول	
٧٩ تاج العروس	للزبيدي

٨٠	تاريخ ابن خلدون	
٨١	تاريخ ابن عساكر (ترجمة الامام علي)	
٨٢	تاريخ ابن الوردي	
٨٣	تاريخ الاسلام	للذهبي
٨٤	تاريخ الامم والملوك	للطبري
٨٥	تاريخ بغداد	للخطيب
٨٦	تاريخ جرجان	للسهمي
٨٧	تاريخ الخلفاء	للسيوطي
٨٨	تاريخ الخميس	للديار بكري
٨٩	تاريخ الشعوب الاسلامية	لبروكلمان
٩٠	تاريخ عمر بن الخطاب	لابن الجوزي
٩١	التاريخ الكبير	للبخاري
٩٢	تاريخ القرآن	للزنجاني
٩٣	تاريخ القرماني	
٩٤	تاريخ اليعقوبي	
٩٥	تأويل مختلف الحديث	لابن قتيبة
٩٦	التبيان	للطوسي
٩٧	تبيين الحقائق	للزيلعي
٩٨	تجارب الامم	لابن مسكويه
٩٩	تحف العقول	لابن شعبة الحراني
١٠٠	تحفة الأحوذي	للمباركفوري
١٠١	تحفة الناظرين	للشرقاوي
١٠٢	تدريب الراوي	للسيوطي
١٠٣	تذكرة الخواص	لسبط ابن الجوزي
١٠٤	تذكرة الموضوعات	للفتني

١٠٥	التراتيب الادارية	للكتاني
١٠٦	الترغيب والترهيب	للمنذري
١٠٧	تصحيح الاعتقاد	للشيخ المفيد
١٠٨	تطهير الجنان واللسان	لابن حجر الهيثمي
١٠٩	التعظيم والمنة	للسيوطي
١١٠	تفسير ابن كثير	
١١١	تفسير الرازى	
١١٢	تفسير شبر	
١١٣	تفسير الصافي	للفيض
١١٤	تفسير الطبرى	
١١٥	تفسير فرات	
١١٦	تفسير القرطبي	
١١٧	تفسير القمي	
١١٨	تفسير النيسابوري	
١١٩	تقييد العلم	للخطيب
١٢٠	تلخيص الشافي	للطوسي
١٢١	تلخيص المستدرك	للذهبي
١٢٢	التمهيد في علوم القرآن	لمعرفة
١٢٣	التنبيه والاشراف	للمسعودي
١٢٤	تنزيه الانبياء	للسيد المرتضى
١٢٥	تنزيه القرآن عن المطاعن	للقاضي عبدالجبار
١٢٦	تنوير الحوالك	للسيوطي
١٢٧	تنوير المقباس (المنسوب)	لابن عباس
١٢٨	التهذيب	للطوسي
١٢٩	تهذيب الاسماء واللغات	للنووي

١٣٠	تهذيب تاريخ ابن عساكر	لعبد القادر بدران
١٣١	تهذيب التهذيب	للعسقلاني
١٣٢	توحيد عاشوري	
١٣٣	التوحيد	للصدوق
١٣٤	التوراة	
١٣٥	تيسيرالمطالب	لابي طالب

ث

١٣٦	الثقات	لابن حبان
١٣٧	ثلاث رسائل	للجاحظ
١٣٨	ثمرات الأوراق	لابن حجة الحموى

ج

١٣٩	جامع أحاديث الشيعة	أَلَّفَ باشراف البروجردي
١٤٠	جامع بيان العلم	لأبي عمر
١٤١	الجامع الصغير	للسيوطي
١٤٢	جلاء العيون	لشبر
١٤٣	الجمل	للشيخ المفيد
١٤٤	جمهرة أنساب العرب	لابن حزم
١٤٥	جمهوري اسلامي	(جريدة)
١٤٦	جواهر الاخبار والآثار	للصعدي

ح

١٤٧	حاشية على البيهقي	لابن التركماني

١٤٨	حاشية على تبيين الحقائق	للشيخ الشلبي
١٤٩	حاشية على صحيح البخاري	للسندي
١٥٠	حاشية على سنن النسائي	للسندي
١٥١	حديث الإفك	لجعفر مرتضى
١٥٢	حلية الأولياء	لأبي نعيم
١٥٣	الحورالعين	للامير نشوان الحميري
١٥٤	حياة أميرالمؤمنين	لمحمد صادق الصدر
١٥٥	حياة الامام الرضا السياسية	لجعفر مرتضى
١٥٦	حياة الحيوان	للدميري
١٥٧	حياة الصحابة	للكاندهلوي
١٥٨	حياة محمد	لهيكل

خ

١٥٩	الخرائج الجرائح	للراوندي
١٦٠	الخراج	لأبي يوسف
١٦١	خصائص أميرالمؤمنين(ع)	للنسائي
١٦٢	الخطر اليهودي (المقدمة)	لمحمد خليفة التونسي
١٦٣	الخطط	للمقر يزى
١٦٤	خلافة الانسان وشهادة الانبياء	للشهيد الصدر
١٦٥	الدر المنثور	للسيوطي
١٦٦	دراسات وبحوث في التار يخ والاسلام	لجعفر مرتضى
١٦٧	الدرجات الرفيعة	للسيد علي خان
١٦٨	الدرج المنيفة	للسيوطي
١٦٩	دعائم الاسلام	للنعمان

د - ذ

١٧٠	دلائل الصدق	للمظفر
١٧١	دلائل النبوة	للبيهقي
١٧٢	ديوان حسان بن ثابت	
١٧٣	ديوان السيد الحميرى	
١٧٤	ذخائر العقبى	للطبري
١٧٥	ذكر أخبار اصفهان	لأبي نعيم
١٧٦	ذيل المذيل من تاريخ الطبري	للطبري

ر

١٧٧	ربيع الابرار	للزمخشري
١٧٨	رجال المامقاني	
١٧٩	الرحلة المدرسية	للبلاغي
١٨٠	رسائل الجاحظ	
١٨١	رسائل الخوارزمي	
١٨٢	رسول الاسلام في الكتب السماوية	للخوارزمي
١٨٣	الروض الأنف	للسهيلي
١٨٤	روضة الواعظين	للنيسابوري

ز

١٨٥	زادالمعاد	لابن القيم
١٨٦	الزهد والرقائق	لابن المبارك

س

١٨٧	سعد السعود	لابن طاووس
١٨٨	سفينة البحار	للقمي
١٨٩	السيرالمهذب	لعلي فكرى
١٩٠	السنة قبل التدوين	لمحمد عجاج الخطيب
١٩١	سنن ابن ماجة	
١٩٢	السنن لأبي داود	
١٩٣	سنن الترمذي	
١٩٤	سنن الدارقطني	
١٩٥	سنن الدارمي	
١٩٦	السنن الكبرى	للبيهقي
١٩٧	سنن النسائي	
١٩٨	السيرة الحلبية	للحلبي الشافعي
١٩٩	سيرة المصطفى	للحسني
٢٠٠	سيرة مغلطاي	
٢٠١	السيرة النبوية	لابن كثير
٢٠٢	السيرة النبوية	لابن هشام
٢٠٣	السيرة النبوية	لدحلان
٢٠٤	سيرتنا وسنتنا	للأميني
٢٠٥	سيماي اسلام (مقالات) (فارسي)	

ش

٢٠٦	شذرات الذهب	لابن العماد
٢٠٧	شرح بهجة المحافل	لليمني

٢٠٨	شرح التجريد	للقوشجي
٢٠٩	شرح الشفاء	للقاري
٢١٠	شرح الموطأ	للزرقاني
٢١١	شرح النهج	للمعتزلي
٢١٢	الشعر والشعراء	لابن قتيبة
٢١٣	الشفاء	لعياض
٢١٤	شفاء السقام	للسبكي
٢١٥	الشماريخ في علم التاريخ	للسيوطي
٢١٦	شواهد التنزيل	للحسكاني

ص

٢١٧	صبح الأعشى	للقلقشندي
٢١٨	صحيح ابن حبان (مخطوط)	
٢١٩	صحيح البخاري	
٢٢٠	صحيح مسلم	
٢٢١	الصحيفة السجادية	
٢٢٢	الصراط المستقيم	للبياضي
٢٢٣	صفة الصفوة	لابن الجوزي
٢٢٤	الصواعق المحرقة	للهيتمي

ض

٢٢٥	ضحى الاسلام	لأحمد أمين

ط

٢٢٦	الطبقات	لابن سعد

٢٢٧	طبقات الشعراء	لابن سلام
٢٢٨	الطبقات الكبرى	للشعراني
٢٢٩	الطرائف	لابن طاووس

ع

٢٣٠	العثمانية	للجاحظ
٢٣١	عصر المأمون	للرفاعي
٢٣٢	العقد الفريد	لابن عبدربه
٢٣٣	عقلاء المجانين	للحسن النيسابوري
٢٣٤	علل الشرايع	للصدوق
٢٣٥	علي بن أبي طالب	لعبدالكريم الخطيب
٢٣٦	علي والخلفاء	لنجم الدين العسكري
٢٣٧	عمدة القاري	للعيني
٢٣٨	عنوان المعارف في ذكر الخلائف	للصاحب بن عباد
٢٣٩	العواصم من القواصم	لابن العربي
٢٤٠	عون المعبود	للعظيم آبادي
٢٤١	عيون الأثر	لابن سيدالناس
٢٤٢	عيون الاخبار	لابن قتيبة
٢٤٣	عيون أخبار الرضا	للصدوق

غ

٢٤٤	الغارات	للثقفي
٢٤٥	غاية المرام	للبحراني
٢٤٦	الغدير	للأميني
٢٤٧	الغيبة	للنعماني

ف

٢٤٨	الفائق	للزمخشري
٢٤٩	فتح الباري	للعسقلاني
٢٥٠	فتح القدير	للشوكاني
٢٥١	الفتح المبين	لدحلان
٢٥٢	الفتوح	لابن أعثم
٢٥٣	الفتوحات الاسلامية	لدحلان
٢٥٤	فتوح البلدان	للبلاذري
٢٥٥	فتوح الشام	للواقدي
٢٥٦	فجرالاسلام	لأحمد أمين
٢٥٧	فرائد السمطين	للجويني
٢٥٨	الفرق بين الفرق	للبغدادي
٢٥٩	الفصل	لابن حزم
٢٦٠	الفصول المهمة	لابن الصباغ
٢٦١	فضائل الخمسة	للفيروزآبادي
٢٦٢	فقه السيرة	للبوطي
٢٦٣	الفقه على المذاهب الاربعة	لعبدالرحمان الجزري
٢٦٤	فلسفة التوحيد والولاية	لمغنية
٢٦٥	فواتح الرحموت	لابن نظام الدين الانصاري
٢٦٦	في ظلال القرآن	لسيدقطب

ق

٢٦٧	قاموس الرجال	للتستري
٢٦٨	القول المسدد	للعسقلاني

ك

٢٦٩	الكافي	للكليني
٢٧٠	الكامل	لابن الأثير
٢٧١	الكامل	للمبرد
٢٧٢	الكشاف	للزمخشري
٢٧٣	كشف الارتياب	للسيد الأمين
٢٧٤	كشف الخفاء	للعجلوني
٢٧٥	كشف الغمة	للإربلي
٢٧٦	كشف القناع	للمحقق الكاظمي
٢٧٧	الكفاية	للآخند
٢٧٨	الكفاية	للخطيب
٢٧٩	كفاية الطالب	للكنجي الشافعي
٢٨٠	الكنى والالقاب	للقمي
٢٨١	كنزالعرفان	للفاضل المقداد
٢٨٢	كنزالعمال	للمتقي الهندي
٢٨٣	كنزالفوائد	للكراجكي
٢٨٤	الكنزالمرصود	لروهلنج ولوران
٢٨٥	كنوزالحقائق	للمناوي

ل

٢٨٦	اللآلي المصنوعة	للسيوطي
٢٨٧	لباب الآداب	لأسامة بن منقذ
٢٨٨	لباب النقول	للسيوطي
٢٨٩	لسان العرب	لابن منظور

٢٩٠ لسان الميزان	لابن حجر
٢٩١ اللمع	لأبي نصر

م

٢٩٢ مآثر الانافة	للقلقشندي
٢٩٣ مالك	لأبي زهرة
٢٩٤ مجمع البيان	للطبرسي
٢٩٥ مجمع الزوائد	للهيتمى
٢٩٦ مجموعة الرسائل المنيرية	
٢٩٧ المحاسن والمساوي	للبيهقي
٢٩٨ محاضرات الادباء	للراغب الاصفهاني
٢٩٩ محاضرات في التاريخ الاسلامي	للخضري
٣٠٠ محاضرة الاوائل	للبسنوي
٣٠١ المحلى	لابن حزم
٣٠٢ محمد رسول الله(ص)	لجلال مظهر
٣٠٣ مختصر تاريخ أبي الفداء	
٣٠٤ مختصر تاريخ العرب	لأمير علي
٣٠٥ مختصر المزني	
٣٠٦ المدخل	لابن الحاج
٣٠٧ مرآة الجنان	لليافعي
٣٠٨ مروج الذهب	للمسعودي
٣٠٩ مسالك الحنفا	للسيوطي
٣١٠ مسالك الممالك	للاسطخرى
٣١١ المستجاد	للتنوخي
٣١٢ المستدرك على الصحيحين	

٣١٣	المستدرك على الوسائل	للنوري
٣١٤	المستصفى	للغزالي
٣١٥	المستطرف	للابشهي
٣١٦	مستطرفات السرائر	لابن ادر يس
٣١٧	مسند أبي عوانة	
٣١٨	مسند أحمد	
٣١٩	مسند البزار (مخطوط)	
٣٢٠	مسند الطيالسي	
٣٢١	مسند الكلابي	
٣٢٢	مشكل الآثار	للطحاوي
٣٢٣	مشهد الامام علي في النجف	لسعاد ماهر
٣٢٤	مصابيح السنة	للبغوي
٣٢٥	المصنف	لعبد الرزاق
٣٢٦	مطالب السؤل	لابن طلحة
٣٢٧	المعارف	لابن قتيبة
٣٢٨	معاني الاخبار	للصدوق
٣٢٩	المعتصر من المختصر	للباجي المالكي
٣٣٠	معجم البلدان	لياقوت
٣٣١	معرفة الصحابة(مخطوط)	لابي نعيم
٣٣٢	معرفة علوم الحديث	للحاكم
٣٣٣	المغازي	للواقدي
٣٣٤	مفاهيم إسلامية	لفضل الله
٣٣٥	مقاتل الطالبيين	لأبي الفرج الاصفهاني
٣٣٦	مقارنة الاديان (اليهودية)	لاحمد شلبي
٣٣٧	مقالات الاسلاميين	للاشعري

٣٣٨	مقتل الحسين	للخوارزمي
٣٣٩	مقتل الحسين	للمقرم
٣٤٠	مقدمة ابن خلدون	
٣٤١	مقدمة ابن الصلاح	
٣٤٢	مقدمة مرآة العقول	للعسكري
٣٤٣	مكاتيب الرسول	للاحمدي
٣٤٤	ملحقات احقاق الحق	للمرعشى النجفى
٣٤٥	الملل والنحل	للشهرستاني
٣٤٦	المناقب	للخوارزمي
٣٤٧	مناقب آل ابي طالب	لابن شهراشوب
٣٤٨	مناقب الامام علي	لابن المغازلي
٣٤٩	منتخب كنزالعمال	
٣٥٠	المنتظم	لابن الجوزي
٣٥١	المنتقى	لابن تيمية
٣٥٢	منحة المعبود في تهذيب مسند الطيالسي	للساعاتي
٣٥٣	المنمق	لابن حبيب
٣٥٤	من لايحضره الفقيه	للصدوق
٣٥٥	منهاج السنة	لابن تيمية
٣٥٦	منهاج الكرامة	للحلي
٣٥٧	الموافقات	للشاطبي
٣٥٨	المواهب اللدنية	للقسطلاني
٣٥٩	الموسوعة العربية الميسرة	
٣٦٠	الموطأ	لمالك
٣٦١	الموضوعات	لابن الجوزي
٣٦٢	الموفقيات	للزبير بن بكار

٣٦٣ ميزان الاعتدال	للذهبي
٣٦٤ الميزان في تفسير القرآن	للطباطبائي

ن

٣٦٥ النبوة	لآل ياسين
٣٦٦ النبي محمد	لعبدالكريم الخطيب
٣٦٧ النزاع والتخاصم	للمقريزي
٣٦٨ نزهة المجالس	للصفوري الشافعي
٣٦٩ نزهة الجليس	للمكي
٣٧٠ نسب قريش	لمصعب الزبيري
٣٧١ نشوار المحاضرات	للتنوخي
٣٧٢ النصائح الكافية	لمحمدابن عقيل
٣٧٣ نصب الراية	للزيلعي
٣٧٤ النص والاجتهاد	للامام شرف الدين
٣٧٥ نهاية الارب	
٣٧٦ النهاية في اللغة	لابن الأثير
٣٧٧ نهج البلاغة	جمع: الرضي
٣٧٨ نهج الحق	للعلامة الحلي
٣٧٩ نوادرالاصول	للحكيم الترمذي
٣٨٠ نورالأبصار	للشبلنجي الشافعي
٣٨١ نورالثقلين	لابن جمعة الحويزي
٣٨٢ نورالقبس	للمرزباني
٣٨٣ نيل الاوطار	للشوكاني

هـ

٣٨٤ الهادي	(مجلة)
٣٨٥ الهدى الى دين المصطفى	للبلاغي
٣٨٦ الهداية شرح البداية	لابن عبدالجليل
٣٨٧ همه بايد بدانند(فارسي)	لناصر مكارم

و

٣٨٨ الوزراء والكتاب	للجهشياري
٣٨٩ الوسائل	للحر العاملي
٣٩٠ الوعي الاسلامي	(مجلة)
٣٩١ الوفا باخبار المصطفى	لابن الجوزي
٣٩٢ وفاء الوفاء	للسمهودي
٣٩٣ وقعة صفين	لنصر بن مزاحم

ى

٣٩٤ اليهود في القرآن	لطبارة
٣٩٥ ينابيع المودة	للقندوزي الحنفي

٢ــ محتويات الكتاب اجمالاً

الباب السابع:
مابين بدر وأحد

الفصل الأول: شخصيات وأحداث ٩ــ٧٧
الفصل الثاني: قضايا واحداث في المجال العام ٧٩ــ١٠٤
الفصل الثالث: غزوات وسرايا دفاعية ١٠٥ــ١١٦
الفصل الرابع: غدر اليهود... ومرحلة الاغتيالات المنظمة ١١٧ــ١٤٢
القصل الخامس: حروب علنية بين المسلمين واليهود ١٤٣ــ١٥٥

الباب الثامن
غزوة أحد... وحتى السنة الرابعة

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب ١٥٩ــ٢٠٦
الفصل الثاني: نصر وهزيمة ٢٠٧ــ٢٥٤
الفصل الثالث: في موقع الحسم ٢٥٥ــ٢٩٣
الفصل الرابع: بعدما هبت الرياح ٢٩٥ــ٣٣٠
الفصل الخامس: غزوة حمراء الاسد.. والى السنة الرابعة ٣٣١ــ٣٤٥
كلمة ختامية ٣٤٦

٣ـ محتويات الكتاب بالتفصيل

تقديم ٥

الباب السابع
مابين بدر وأحد

الفصل الأول: شخصيات وأحداث ٩ـ٧٧

تمهيد ١١

١ ــ وفاة رقية ١٢
كلام ابن بطال وغيره ١٤
اكاذيب وأباطيل ١٦
كلمة أخيرة حول رقية وعثمان ١٧
٢ ــ زواج عثمان بام كلثوم ١٩
٣ ــ هجرة زينب بنت النبي (ص) ٢٠
الف: ماجرى لزينب وماجرى لفاطمة ٢١
باء: روايات اسقاط المحسن، أين؟! ٢٢
جيم: عروة ينتقص فاطمة، وموقف السجاد منه ٢٣
٤ ــ اقتران الزهراء بعلي ٢٥

ـ حديث الزواج ٢٦
ألف: ميزات هذا الزواج ٢٨
باء: لست بدجال ٢٩
جيم: ترهات ابي حيان ٣٢
دال: مايقال عن موقف فاطمة من الزواج ٣٢
ـ الرواية الصحيحة ٣٤
مقارنة ٣٦
هاء: أم سلمة و بنت عميس في زواج فاطمة ٣٦
واو: هذا ضرب الرحمان لعثمان بن عفان ٣٨
زاي: أُخوّة علي ٣٩
حاء: متى كان تحريم الخمر ٤٠
أدلة تحريم الخمر قبل الهجرة ٤٣
لا تدرّج في تحريم الخمر: ٤٨
انتهينا انتهينا ٤٨
وأما أبو بكر ٥٠
الكذب على علي عليه السلام ٥٢
خطبة علي(ع) بنت أبي جهل ٥٣
الحديث الموضوع ٥٣
الرواية الاقرب الى القبول ٦٠
أم سلمة في بيت النبي (ص) ٦١
أُم سلمة على العهد ٦٣
وفاة أم سلمة ٦٤
حفصة في بيت النبي (ص) ٦٦
زينب بنت خزيمة في بيت النبي (ص) ٦٨
دوافع تعدد زوجات النبي (ص) ٦٨

كذبة مفضوحة ٧٣
ولادة الامام الحسن(ع) ٧٤
الف: ذكر اسماء بنت عميس هنا ٧٥
باء: الحسن والحسين اسمان جديدان ٧٦
جيم: ارضاع أم الفضل للحسن ٧٦

الفصل الثاني:

قضايا وأحداث في المجال العام ٧٩ــ ١٠٤

تحويل القبلة ٨١
تفسير وتحليل ٨٢
مناقشات لابدمنها ٨٢
البراء بن معرور لم يصلّ لغير الكعبة ٨٣
تحوّل المصلين.. كيف كان؟ ٨٤
ثار قريش بأرض الحبشة ٨٥
نهاية ابي لهب ٨٦
غلبة الروم على الفرس ٨٦
رهان أبي بكر ٨٧
مناقشة رواية الرهان ٨٧
سد الابواب في المسجد الاباب علي(ع) ٨٩
حديث سد الابواب في مصادره ٩٣
النواصب... وحديث سد الابواب ٩٥
خوخة، أو باب أبي بكر ٩٦
كلام ابن بطريق حول سد الابواب ١٠٠

كلام العلامة المظفر ١٠١
سرقة طعمة ١٠٢
الارتداد.. لماذا؟!. ١٠٣
ملاحظة: حدّ السرقة ١٠٣

الفصل الثالث: غزوات وسرايا دفاعية ١٠٥ـ١١٦

غزوات وسرايا ١٠٧
غزوة بني سُليم ١٠٧
غزوة السويق ١٠٨
غزوة ذي آمر ١٠٩
سرية القردة ١١٠
ملاحظات على ماتقدم: الف: الاعمى والقضاء ١١٠
باء: من أهداف تلك السرايا والغزوات ١١١
جيم: الخمس ١١٢
دال: العتق... والصلاة.. ١١٣
هاء: التورية في الغزوات ١١٣
واو: قريش في مواجهة الاخطار ١١٤
زاي: مناقشة قضية دعثور ١١٤

الفصل الرابع: غدر اليهود.. ومرحلة الاغتيالات المنظمة ١١٧ ـ ١٤٢

مع عقائد اليهود وآثارها ١١٩
من أسباب عداء اليهود للاسلام ١٢٢

اليهود في مواجهة الاسلام ١٢٤
موقف النبي (ص) من اليهود ١٢٧
العمليات العسكرية في مرحلتين ١٢٨
الاغتيالات المنظمة ١ ــ قتل أبي عفك ١٢٩
٢ ــ قتل العصماء بنت مروان ١٣٠
٣ ــ قتل كعب بن الاشرف ١٣١
٤ ــ قتل ابن سنينة ١٣٣
٥ ــ قتل أبي رافع ١٣٤
ألف: الاسلام قيد الفتك ١٣٥
باء: رعب اليهود ١٣٦
جيم: مع موقف عمير في أصالته ونبله ١٣٧
دال: ابن الاشرف وأبوسفيان ١٣٩
هاء: تساؤل حائر ١٣٩
واو: التنافس القبلي ١٤٠
زاي: جهل وغرور ابن الاشرف ١٤١
حاء: الاسلام والانسان ١٤١

الفصل الخامس:

حروب علنية بين المسلمين واليهود ١٤٣ــ١٥٥

قريش تحرض اليهود على نقض العهد ١٤٥
تصعيد التحدي ١٤٥
الف: نزول الآية في ابن أبي ١٤٨
حقيقة القضية ١٤٨

باء: حول الراية ١٤٩
جيم: الخمس ١٥٠
دال: بعض أهداف ونتائج حرب بني قينقاع ١٥١
هاء: الحجاب ١٥٢
واو: الغرور والايمان ١٥٢
زاي: الاستجابة لابن أبي ١٥٣
حاء: البدء ببني قينقاع ١٥٣

الباب الثامن
غزوة أحد.. وحتى السنة الرابعة

الفصل الأول: قبل نشوب الحرب ١٥٩ـ٢٠٦

غزوة أحد: أجواء ومواقف ١٦١
جيش المشركين الى أُحد ١٦٢
وصول الخبر الى المدينة ١٦٤
الف: سؤال يحتاج إلى جواب ١٦٥
باء: المشركون.. وأزمة الثقة ١٦٥
المشركون في طريق المدينة ١٦٨
النبي (ص) يستشير أصحابه ١٧٠
الف: هل النبي (ص) يحتاج الى رأي أحد ١٧٢
باء: من اهداف استشارته أصحابه ١٧٥
جيم: وأما الجواب عن السؤال الثاني ١٧٦
ملاحظة: الشورى لمن؟ ١٧٧
دال: نظرية خلافة الانسان وشهادة الانبياء ١٧٧

مناقشة ماتقدم ١٨٠
هاء: ماهورأي النبي (ص) في أُحد ١٨٥
واو: لبس لامة الحرب يعني القتال ١٨٩
زاي: من الاكاذيب ١٩١
عقدالالوية ١٩٢
اللواءمع علي (ع) فقط ١٩٣
عدة وعدد المسلمين ١٩٧
رجوع المنافقين ١٩٧
الخيانة... وآثارها ١٩٨
سؤال.. وجوابه ٢٠٠
بقي امران ٢٠٢
ارجاع الصغار... والحراسة ٢٠٢
الريب فيما نقل عن سمرة ٢٠٣
الشك في قصة ذكوان ٢٠٥

الفصل الثاني: نصروهزيمة ٢٠٧ ــ ٢٥٤

التعبئة للقتال ٢٠٩
الف: المظاهرة بين درعين ٢١٠
باء: المنطق القبلي لدى أبي سفيان ٢١٠
أبودجانة والسيف. ٢١١
ملاحظات على هذه الرواية. ٢١١
نشوب الحرب وقتل أصحاب اللواء ٢١٣
الف: بنومخزوم.. وأهل البيت ٢١٥
باء: الزبيرو المقداد على الخيل ٢١٦

حيم: اخلاص علي ٢١٦
دال: من قتل اصحاب اللواء؟ ٢١٧
هاء: مبارزة أبي بكر لولده ٢١٨
هزيمة المشركين: ٢٢١
الف: لماذا لم يسب من نساء قريش أحد ٢٢٢
باء: مقارنة ٢٢٣
الهزيمة بعد النصر ٢٢٤
الرسول (ص) يدعوهم في أخراهم ٢٢٦
علي (ع) وكتائب المشركين ٢٢٦
ألف: استشهاد حمزة رضوان الله عليه ٢٢٨
استطراد حول وحشي ٢٢٨
باء: هل يدعو النبي (ص) على قومه؟ ٢٣١
استطراد هام ٢٣٣
ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ٢٣٥
لم يثبت في أحد غير علي (ع) ٢٣٦
إنه مني ... وأنا منه ٢٣٧
لا سيف الا ذو الفقار ٢٣٩
الفارّون في أحد ٢٤١
فرار سعد ٢٤١
فرار طلحة ٢٤٢
فرار أبي بكر ٢٤٣
فرار عمر ٢٤٦
فرار الزبير وعثمان ٢٤٨
لم يثبت من المهاجرين سوى علي (ع) ٢٤٩
سر الاختلاف فيمن ثبت ٢٥٠

ثبات أبي دجانة ٢٥٠
تأويلات سقيمة للفرار ٢٥١
لماذا كانت الهزيمة ٢٥٢

الفصل الثالث: في موقع الحسم ٢٥٥ــ٢٩٣

الرعب القاتل ٢٥٧
عودة المسلمين الى القتال ٢٥٨
مواقف و بطولات ٢٥٩
أبودجانة ٢٥٩
٣ ــ ام عمارة ومقام فلان وفلان ٢٦٠
جهاد المراة ٢٦٣
ملاحظة ٢٦٣
٤ــ حنظلة الغسيل ٢٦٤
٥ ــ عبدالله بن جحش ٢٦٧
مواقف و بطولات سعد الموهومة ٢٦٨
إشارة هامة ٢٧٠
كرامات طلحة ٢٧١
إشارة هامة ٢٧٤
تجميع القوى واعادتها الى مراكزها ٢٧٥
الف: النبي (ص) والمسلمون في الجبل ٢٧٩
باء: روايات لم تثبت ٢٨٣
جيم: عمر في قفص الاتهام ٢٨٣
العباس في أحد ٢٨٥
من مشاهد الحرب ٢٨٦

ملاحظات ٢٨٨
الصبر في الجهاد ٢٩٠

الفصل الرابع: بعد ما هبت الرياح ٢٩٥ ـ ٣٣٠

ما جرى على حمزة والشهداء ٢٩٧
الف: موقف الرسول (ص) من المثلة بحمزة ٣٠٠
ما هو الصحيح في هذه القضية ٣٠٦
باء: هند.. وكبد حمزة ٣٠٧
جيم: المنع عن البكاء على الميت ٣٠٧
دال: حزن النبي (ص) على حمزة ٣١٠
هاء: موقف أبي سفيان من قبر حمزة ٣١٢
واو: مواساة الانصار للنبي (ص) ٣١٢
زاي: صبر صفية ٣١٣
التعصيب ٣١٣
الصلاة على شهداء أحد وتغسيلهم، ودفنهم ٣١٤
اشارة هامة: لماذا تقديم الأقرأ ٣١٥
انا شهيد على هؤلاء ٣١٦
عدد شهداء أحد ٣١٧
زيارة القبور ٣١٨

عدد قتلى المشركين ٣١٩
اكثر القتلى من علي عليه السلام ٣١٩
أويس القرني.. في احد ٣٢٠
صفية... واليهودي ٣٢١

بعض الحِكم في معركة أحد ٣٢١
من مشاهد العودة الى المدينة ٣٢٢
علي(ع) يناول فاطمة(ع) سيفه ٣٢٣
والصحيح في القضية هو ٣٢٤
شماتة المنافقين وسرورهم بنتائج أحد ٣٢٥
الف: التمحيص ٣٢٥
باء: أجواء النفاق ودوافعه ٣٢٦
جيم: أسئلة حائرة تنتظر الجواب ٣٢٧

الفصل الخامس:

غزوة حمراء الاسد.. وإلى السنة الرابعة ٣٣١ـ٣٤٥

قريش تفكر في المدينة ثم تعدل عنها ٣٣٣
غزوة حمراء الاسد ٣٣٤
أسيران يقعان في أيدي المسلمين ٣٣٧
دوافع حمراء الاسد ونتائجها ٣٣٩
قتل الاسيرين ٣٤١
وفاة ام كلثوم.. وملابساتها ٣٤٢
كلمة ختامية ٣٤٦
الفهارس ٣٤٩
مصادر و مراجع الكتاب ٣٤٩
محتويات الكتاب إجمالاً ٣٧١
محتويات الكتاب بالتفصيل ٣٧٣

كتب مطبوعة للمؤلف

١ ــ حياة الامام الرضا (السياسية) باللغتين : العربية والفارسية
٢ ــ حديث الافك : (تاريخ ودراسة)
٣ ــ ابن عباس واموال البصرة
٤ ــ دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام (جزءان)
٥ ــ الزواج الموقت في الاسلام (المتعة)
٦ ــ ماهو الصحيح في سيرة النبي (ص) (أربعة أجزاء)
وهوهذا الكتاب

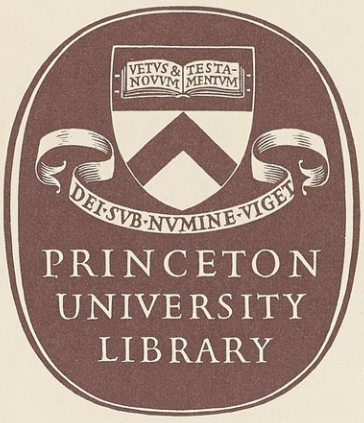
VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 066594423